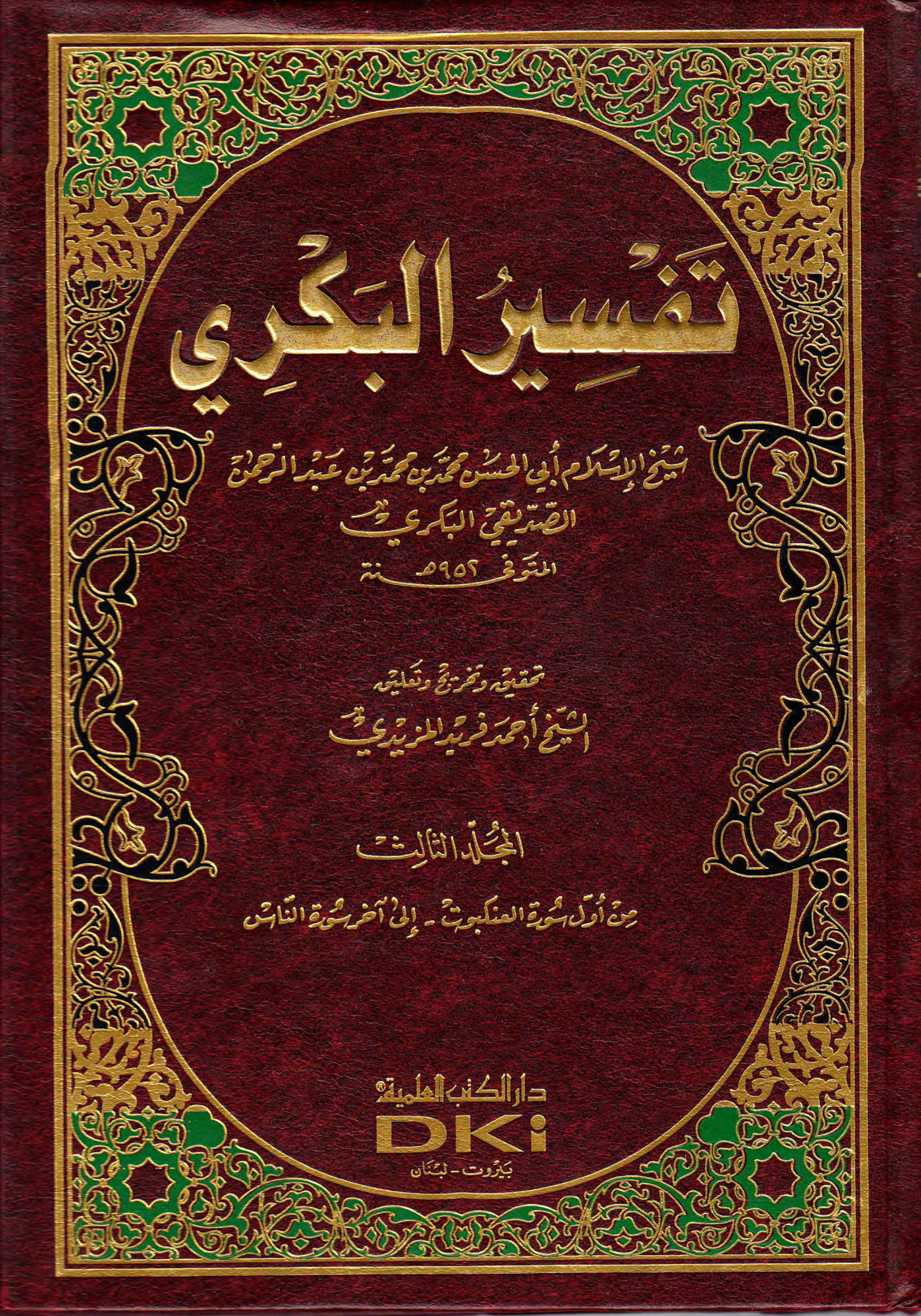


تفسير البكري
لشيخ الإسلام أبي الحسن محمد بن محمد بن عبد الرحمن
الصديقي البكري
المتوفى سنة ٩٥٢ هـ
تحقيق وتخريج وتعليق
الشيخ أحمد فريد المزيدي
المجلد الثالث
من أول سورة العنكبوت - إلى آخر سورة الناس
دار الكتب العلمية
DKi
بيروت - لبنان

تفسير البكري

شيخ الإسلام أبي الحسن محمد بن محمد بن عبد الرحمن
الصديقي البكري
المتوفى سنة ٩٥٢هـ

تحقيق وتخريج وتعليق
الشيخ أحمد فريد المزيدي

الجزء الثالث

من أول سورة العنكبوت - إلى آخر سورة الناس



أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales@al-ilmiyah.com baydoun@al-ilmiyah.com

Title	: **TAFSĪR AL-BAKRI**	تفسير البكري :	**الكتاب**
Classification:	Exegesis of The Qur'an	تفسير قرآن :	**التصنيف**
Author	: Al-šayḫ Muḥammad ben Muḥammad al-Bakri	شيخ الإسلام أبو الحسن محمد بن محمد البكري :	**المؤلف**
Editor	: Al-šayḫ Aḥmad Farīd al-Mizyadi	الشيخ أحمد فريد المزيدي :	**المحقق**
Publisher	: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah	دار الكتب العلميـــة - بيروت :	**الناشر**
Pages	: 1504 (3 volumes)	1504 (3 أجزاء) :	**عدد الصفحات**
Size	: 17*24	17*24 :	**قياس الصفحات**
Year	: 2010	2010 :	**سنة الطباعة**
Printed in	: Lebanon	لبنـــان :	**بلد الطباعة**
Edition	: 1st	الأولى (لونان) :	**الطبعة**



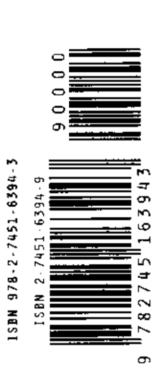
Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ٠٠٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٠/١١/١٢
فاكس: ٠٠٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٣
ص.ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠

Exclusive rights by © **Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah** Beirut-Lebanon No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à © **Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah** Beyrouth-Liban Toute représentation, édition, traduction ou reproduction même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciaires.

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة **لدار الكتب العلمية** بيروت-لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأ أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.


ISBN 978-2-7451-6394-3
ISBN 2-7451-6394-9

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة العنكبوت

مكيّة، وقيل: إن عشر آيات منها نزلت بالمدينة وهي تسع وستون آية

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَحۡسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [العنكبوت: ١ - ٨].

﴿الم﴾ [العنكبوت: 1]﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا﴾ بلا اختيار﴿أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا﴾ [العنكبوت: 2] أي: بقولهم آمنا﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ لا يختبرون؛ أي: لا يكون ذلك، بل لا بدّ من اختبارهم بوظائف التكليف؛ ليظهر المحق من المبطل، وهل نزلت في أناس من المسلمين أرادوا الهجرة من مكة بعد إسلامهم لكتابة المهاجرين إليهم بذلك فهاجروا فمنهم: من منعه المشركون وقتلوه، ومنهم: من نجا، أو نزلت في عمّار بن ياسر كان يعذب في الله تعالى، أو في مهجع بن عبد الله أول قتيل ببدر من الصحابة، أو في سلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد وعمّار بن ياسر وغيرهم؟! أقوال.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾ [العنكبوت: 3] اختبرنا ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ فكذلك نختبر هؤلاء ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ الله﴾ علم وجود في الخارج، أو علمًا يتعلق به الثواب والعقاب ﴿الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ في الإيمان ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ فيه ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ [العنكبوت: 4] الشرك ﴿أَنْ يَسْبِقُونَا﴾ أي: يفوتونا فلا نقدر على الانتقام منهم ليس ذلك ﴿سَاءَ﴾ بئس ﴿مَا يَحْكُمُونَ﴾ أي: الذي يحكمونه حكمهم هذا.

﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو﴾ يخاف ﴿لِقَاءَ الله فَإِنَّ أَجَلَ الله﴾ [العنكبوت: 5] هو الموت ﴿لَآتٍ﴾ فليبادر بالأعمال الصالحة ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ بأفعالهم.

﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ [العنكبوت: 6] إذ ثوابه له ﴿إِنَّ الله لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ[1] * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ [العنكبوت: 6 - 7] بالحسنات ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ﴾ أي: حسن ﴿الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وهو الطاعة.

﴿وَوَصَّيْنَا﴾ [العنكبوت: 8] أمرنا ﴿الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ أي: نائلاً أو بإيتاء والديه ﴿حُسْنًا﴾ فعلاً فأحسن ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ﴾ أي: بإشراكه ﴿عِلْمٌ﴾ دليل وهو على أن الإشراك لا يتأتى إيذان أن يكون يعلم ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ في الإشراك ﴿إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: فأجازيكم به، ونزلت في سعد بن أبي وقاص لمّا أسلم امتنعت أمه حمنة من الأكل والشرب وقالت: لا أفعل ذلك ولا أستظل حتى ترجع، فقال لها: لو كان لك مائة نفس فخرجت نفسًا نفسًا ما رجعت عن ديني، فلمّا أيست منه أكلت وشربت، وكذلك التي في لقمان والتي في الأحقاف.

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن

---

(1) نبّه الخلق أن ربوبيته منزّهةٌ عن عبودية الخلق، وأن صفات الحدث يرجع بنعوتها إلى الحدث؛ لأنه مقدسٌ عن النفع والضر، وهو غنيٌّ عن وجود الخلق وعدمه، فبيّن قيمة المجاهدة أنهم إذا جاهدوا ولم يظفروا بمأمولهم يعلمون أنهم يدورون حواليهم، وأن الفضل من الله خاصٌّ لأهل الخصوص ممن عرفهم الله نفسه بلا كدٍّ ولا عناءٍ. قال الواسطي: بالنعم ابتدأ الحق الخلق تفضيلاً من غير استحقاقٍ، جلت نعمه وعطاياه أن تستجليها الحوادث بحال الكنه المبتدئ بالنعم والمتفضل بها.

رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيْءٍۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [العنكبوت: ٩ - ١٥].

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي﴾ [العنكبوت: 9] زمرة ﴿الصَّالِحِينَ﴾ وهم الأنبياء بأن نحشرهم معهم، أو في مدخلهم وهو الجنة ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ﴾ [العنكبوت: 10] عذاب ﴿النَّاسِ﴾ له وآذاهم له ﴿كَعَذَابِ اللهِ﴾ فخافهم فرجع عن دينه ﴿وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ﴾ للمؤمنين ﴿مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ في الإيمان فأشركونا في الغنيمة فردَّ الله سبحانه وتعالى عليهم بقوله: ﴿أَوَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ﴾ بعالم ﴿بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ أي: قلوبهم من الإيمان والنفاق بلى.

﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ﴾ [العنكبوت: 11] علمًا بما في الخارج ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ فيجازي كل واحد بما علمه منه، ونزلت في أناس كانوا يؤمنون، فإذا آذاهم الكفار رجعوا، أو في الذين أخرجهم المشركون معهم إلى بدر، أو في القوم الذين ردَّهم المشركون إلى مكة ممن هاجر.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾ [العنكبوت: 12] ديننا ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾ التي تجب عليكم بسبب اتِّباعنا، والأمر بمعنى: الخبر، فردَّ عليهم تعالى بقوله: ﴿وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في ذلك.

﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾ [العنكبوت: 13] أوزارهم ﴿وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ لإضلالهم الناس وقولهم للمؤمنين: ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾ [العنكبوت: 12] ﴿وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ يختلقون من الأكاذيب والأباطيل، ونزلت هذه الآية في قول

كفار مكة لمن آمن ما ذكر.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾ [العنكبوت: 14] على رأس أربعين سنة ﷺ ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ يدعوهم ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ﴾ لما كذبوه فغرقوا ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ مشركون ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ﴾ [العنكبوت: 15] أي: نوحًا ﴿وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ﴾ الذين كانوا معه فيها ﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾ أي: السفينة ﴿آيَةً﴾ عبرة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ من بعدهم فعاش بعد الطوفان ستين سنة، أو أكثر حتى كثر الناس فجملة عمره ﷺ ألف سنة وخمسون سنة، وقيل: غير ذلك.

﴿ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [العنكبوت: ١٦ - ٢٢].

﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا الله وَاتَّقُوهُ﴾ [العنكبوت: 16] خافوا عقابه ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ من عبادة الأصنام التي أنتم عليها ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الخير من غيره ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ الله أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: 17] أي: تقولونه من قبل أنفسكم وهو زعم أن الأوثان شركاء لله ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ الله لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ لا يقدرون أن يرزقوكم شيئًا من الرزق ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ الله الرِّزْقَ﴾ أي: اطلبوه منه ﴿وَاعْبُدُوهُ﴾ يا أهل مكة ﴿وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ فيجازيكم بأعمالكم ﴿وَإِنْ تُكَذِّبُوا﴾ [العنكبوت: 18] يا أهل مكة رسولكم ﴿فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ رسلهم ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ الإبلاغ ﴿الْمُبِينُ﴾ البيّن.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ [العنكبوت: 19] يبصروا، قرأ حمزة والكسائي وخلف ويحيى بن آدم عن أبي بكر بتاء من فوق، والباقون بياء من أسفل ﴿كَيْفَ يُبْدِئُ الله الْخَلْقَ﴾ من نطفة، ثم يربيه إلى الغاية ﴿ثُمَّ﴾ هو ﴿يُعِيدُهُ﴾ إلى ما كان عليه بعد الموت ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى الله يَسِيرٌ﴾ فكيف تنكرون؟

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ [العنكبوت: 20] لمن كان قبلكم من الأمم وأماتهم ﴿ثُمَّ الله﴾ الذي أبدأهم ﴿يُنْشِئُ النَّشْأَةَ﴾ بفتح الشين وألف بعدها هنا، وفي النجم والواقعة لابن كثير وأبي عمرو والباقون بإسكان الشين بلا ألف في الثلاثة ﴿الْآخِرَةَ إِنَّ الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [العنكبوت: 21] تعذيبه ﴿وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ﴾ رحمته ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ تردون ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [العنكبوت: 22] ربكم عن إدراككم ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ لو كنتم بها، أو ما أنتم معجزين في الأرض ولا معجزين في السماء ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ الله مِنْ وَلِيٍّ﴾ حافظ ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ مانع يمنعكم من عذابه.

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٣) فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٢٤) وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ (٢٥) ۞ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي ۖ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٦) ﴾ [العنكبوت: ٢٣ - ٢٦].

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ الله﴾ [العنكبوت: 23] القرآن ﴿وَلِقَائِهِ﴾ البعث ﴿أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي﴾ وهي الجنة ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قال تعالى في قصة إبراهيم: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ الله مِنَ النَّارِ﴾ [العنكبوت: 24] فصارت عليه بردًا وسلامًا ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ منها عدم تأثيرها فيه ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يصدقون.

﴿وَقَالَ﴾ [العنكبوت: 25] إبراهيم لقومه: ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِنْ دُونِ الله أَوْثَانًا﴾ تعبدونها ﴿مَوَدَّةَ﴾ بالرفع بلا تنوين ﴿بَيْنِكُمْ﴾[1] بالخفض لابن كثير وأبي عمرو والكسائي ورويس وحفص وروح وحمزة كذلك، ولكن بنصب «مودة» والباقون بنصب «مودة» وتنوينه ونصب «بينكم»؛ أي: اتخذتموها للمودة ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ﴾ فيتبرأ العابد من المعبود والقادة من الأتباع وعكسه ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ فيلعن الأتباع القادة ﴿وَمَأْوَاكُمُ﴾ مصيركم جميعًا العابدون والمعبودون ﴿النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ مانعين من العذاب.

﴿فَآمَنَ لَهُ﴾ [العنكبوت: 26] أي: صدق إبراهيم ﴿لُوطٌ﴾ وهو ابن أخي إبراهيم ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى﴾ حيث أمرني ﴿رَبِّي﴾ فهاجر من كوني وهي سواد الكوفة إلى حران، ثم إلى الشام وهو ابن خمس وسبعين سنة ومعه لوط وامرأته سارة وهو أول من هاجر ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾

(1) أي قال إبراهيم لقومه، أي للتوادد بينكم، والتواصل لاجتماعكم على عبادتها، وللخشية من ذهاب المودّة فيما بينكم إن تركتم عبادتها، قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي: «مودّة بينكم» برفع مودّة غير منوّنة، وإضافتها إلى بينكم، وقرأ الأعمش وابن وثاب «مودّة» برفعها منوّنة، وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر بنصب «مَوَدَّةً» منوّنة ونصب بينكم على الظرفية، وقرأ حمزة وحفص بنصب «مودّة» مضافة إلى بينكم، فأما قراءة الرفع فذكر الزجاج لها وجهين: **الأوّل**: أنها ارتفعت على خبر إنّ في (إنما اتخذتم) وجعل ما موصولة، والتقدير: إن الذي اتخذتموه من دون الله أوثاناً مودّة بينكم، **والوجه الثاني**: أن تكون على إضمار مبتدأ، أي هي مودّة، أو تلك مودّة، والمعنى: أن المودّة هي التي جمعتكم على عبادة الأوثان، واتخاذها، قيل: ويجوز أن تكون مودّة مرتفعة بالابتداء، وخبرها في الحياة الدنيا، ومن قرأ برفع مودّة منوّنة فتوجيهه كالقراءة الأولى، ونصب بينكم على الظرفية، ومن قرأ بنصب مودّة، ولم ينوّنها جعلها مفعول اتخذتم، وجعل إنما حرفًا واحدًا للحصر، وهكذا من نصبها ونوّنها، ويجوز أن يكون النصب في هاتين القراءتين على أن المودّة علة فهي مفعول لأجله، وعلى قراءة الرفع يكون مفعول اتخذتم الثاني محذوفاً، أي أوثاناً آلهة، وعلى تقدير أن ما في قوله: (إنما اتخذتم) موصولة يكون المفعول الأوّل ضميرها؛ أي اتخذتموه، والمفعول الثاني أوثاناً. انظر [فتح القدير (5 /436)].

أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [العنكبوت: ٢٧ - ٣٢].

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [العنكبوت: 27] ولد إسحاق ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ فلم يبعث الله نبيًا بعد إبراهيم إلا من نسله - عليهم الصلاة والسلام - وأراد بالكتاب الجنس؛ أي: الكتب بفهم التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ﴿وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا﴾ وهو الثناء الحسن من سائر أهل الأديان، أو الأولاد الصلحاء، أو رأى مكانه في الجنة قبل موته، وأشار إلى أجر الآخرة بقوله: ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: في جملتهم كآدم ونوح فله الدرجات العلى في الجنة وهذا كله.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ [العنكبوت: 28] اللواط ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ * أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾ [العنكبوت: 28 - 29] في أدبارهم ﴿وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾ طريق المارة بفعلكم الفاحشة في كل من مر بكم فترك الناس المرور عليهم، أو المراد: تقطعون بقطع السبيل من نحو النسل باللواط في الدبر﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ﴾ محل مجلسكم ﴿الْمُنْكَرَ﴾ فعل الفاحشة، وكان بعضهم يفعل ببعض في مجلسهم، ويرمون الناس بالحصا، ويسخرون بهم، ويأخذون ممن وطء ثلاثة دراهم، ويتضارطون ويبصق بعضهم على بعض، وكان من أخلاقهم: مضغ العلك، وتطريف الأصابع بالحناء، وحل الأزرار، والصفير ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ لما أنكر عليهم فعلهم ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ له استهزاء يا لوط ﴿ائْتِنَا بِعَذَابِ الله إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فيما يقوله فعند ذلك.

﴿قَالَ﴾ [العنكبوت: 30] لوط: ﴿رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ بتخفيف قولي في العذاب ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾ [العنكبوت: 31] من الله بإسحاق ويعقوب كما سبق ﴿قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ أهل سدوم قرية قوم

لوط ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ كافرين فاعلين الفاحشة.

﴿قَالَ﴾ [العنكبوت: 32] إبراهيم: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا﴾ أي: الملائكة المرسلون ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ كل من آمن معه ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ الباقين في العذاب.

﴿ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [العنكبوت: ٣٣ - ٣٧].

﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾ [العنكبوت: 33] ظن أنهم من الإنس فلذلك قال تعالى: ﴿سِيءَ بِهِمْ﴾ حزن بسبب مجيئهم ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ صدرًا؛ لأنه خاف عليهم من قومه وكانوا حسان الوجوه في صورة أضياف فأعلموه أنهم رسل ربه ﴿وَقَالُوا لَا تَخَفْ﴾ من قومك علينا ﴿وَلَا تَحْزَنْ﴾ بإهلاكنا لهم ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾.

﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ﴾ [العنكبوت: 34] بتشديد الزاي لابن عامر، والباقون بالتخفيف ﴿عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا﴾ عذابًا ﴿مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

بسبب فسقهم ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا﴾ [العنكبوت: 35] أبقينا ﴿مِنْهَا﴾ أي: من آثار القرية ﴿آيَةً بَيِّنَةً﴾ علامة واضحة دالة على إهلاك المفسدين ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون.

﴿وَ﴾ [العنكبوت: 36] أرسلنا ﴿إِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ خافوه ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ * فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ [العنكبوت: 36 - 37] الزلزلة الشديدة ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾

باركين على ركبهم ميتين.

﴿ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًاۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[العنكبوت: ٣٨ - ٤١].

﴿وَ﴾ [العنكبوت: 38] أهلكنا ﴿عَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿مِنْ مَسَاكِنِهِمْ﴾ بالحجر واليمن ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ سبيل الحق دين الإسلام ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ ذوي بصائر معجبين يحسبون أنهم على الحق وهم على باطل.

﴿وَقَارُونَ﴾ [العنكبوت: 39] أهلكنا ﴿وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الدلائل ﴿فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾ فائتين من عذابنا ﴿فَكُلًّا﴾ [العنكبوت: 40] من المذكورين ﴿أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ وهم قوم لوط، والحاصب: الريح الحاملة للحصباء الصغار ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾ وهم ثمود ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ وهم قارون وأصحابه ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا﴾وهم قوم نوح ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالمعاصي.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ﴾ [العنكبوت: 41] وهم الكفار اتخذوا الأصنام آلهة ﴿كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ لنفسها تأوي إليه وهو في غاية الوهن لا يدفع حرًا ولا بردًا، كذلك الأوثان لا تملك نفعًا ولا ضرًا لعابديها ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ﴾

أضعف ﴿الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ بذلك ما عبدوها.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوٓا ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤٢ - ٤٧].

﴿إِنَّ الله يَعْلَمُ مَا﴾ [العنكبوت: 42] الذي ﴿يَدْعُونَ﴾ قرأه عاصم والبصريان بالياء من أسفل، والباقون بالخطاب ﴿مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ﴾ [العنكبوت: 43] في القرآن ﴿نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ بيَّنها لهم ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ المتدبرون لمعانيها ﴿خَلَقَ الله السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ [العنكبوت: 44] أي: محقًّا في خلقهن ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ دلالة ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [العنكبوت: 45] أي: القرآن ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾ القبيح ﴿وَالْمُنْكَرِ﴾ ما لا يعرف شرعًا؛ أي: إن شأنها ذلك للمردود فيها، وإن كان على معصية ترجى له التوبة بعد ذلك لما جاء عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن فلانًا يصلي بالليل، فإذا أصبح سرق، قال: إنه سينهاه ما تقول ﴿وَلَذِكْرُ الله أَكْبَرُ﴾[1] من بقية الطاعات ثوابًا ﴿وَالله يَعْلَمُ مَا

(1) أي أكبر من كل شيء، أي أفضل من العبادات كلها بغير ذكر، قال ابن عطية: وعندي أن المعنى: ولذكر الله أكبر على الإطلاق، أي هو الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر، فالجزء الذي منه في الصلاة يفعل ذلك، وكذلك يفعل ما لم يكن منه في الصلاة؛ لأن الانتهاء لا يكون إلا من ذاكر
=

تَصْنَعُونَ﴾ من خير أو شر فيجازيكم به.

﴿**وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ**﴾ [العنكبوت: 46] لا تخاصموهم ﴿**إِلَّا بِالَّتِي**﴾ أي: إلا بالمجادلة التي ﴿**هِيَ أَحْسَنُ**﴾ أي: بالقرآن والدعاء إلى الله بآياته ﴿**إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا**﴾ كم بالمحاربة منهم فحاربوهم إلى أن يسلموا، أو يعطوا الجزية، وإذا أخبركم أهل الذمة بشيء فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ﴿**مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾ مطيعون.

﴿**وَكَذَلِكَ**﴾ [العنكبوت: 47] أي: كما أنزلنا إليهم الكتب ﴿**أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ**﴾ القرآن ﴿**فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ**﴾ التوراة كعبد الله بن سلام وصحبه ﴿**يُؤْمِنُونَ بِهِ**﴾ أي: بالقرآن ﴿**وَمِنْ هَؤُلَاءِ**﴾ أي: أهل مكة ﴿**مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا**﴾ بعد ظهورها ﴿**إِلَّا الْكَافِرُونَ**﴾ وهم اليهود عرفوا نبوة محمد ﷺ وجحدوها.

﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ

=

لله مراقب له. وقيل: ذكر الله أكبر من الصلاة في النهي عن الفحشاء، والمنكر مع المداومة عليه. قال الفراء، وابن قتيبة: المراد بالذكر في الآية: التسبيح، والتهليل، يقول: هو أكبر وأحرى بأن ينهى عن الفحشاء، والمنكر. وقيل: المراد بالذكر هنا الصلاة، أي وللصلاة أكبر من سائر الطاعات، وعبر عنها بالذكر كما في قوله: (فاسعوا إلى ذِكْرِ الله) للدلالة على أن ما فيها من الذكر هو العمدة في تفضيلها على سائر الطاعات، وقيل: المعنى: ولذكر الله لكم بالثواب والثناء عليكم منه أكبر من ذكركم له في عبادتكم وصلواتكم، واختار هذا ابن جرير، ويؤيده حديث: «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم» ﴿**والله يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ**﴾ لا تخفى عليه من ذلك خافية، فهو مجازيكم بالخير خيراً وبالشرّ شرّاً. انظر [فتح القدير (5/ 444)].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِۚ وَلَوۡلَآ أَجَلٞ مُّسَمّٗى لَّجَآءَهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَيَأۡتِيَنَّهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [العنكبوت: ٤٨ - ٥٣].

﴿وَمَا كُنْتَ﴾ [العنكبوت: 48] يا محمد ﷺ ﴿تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ﴾ أي: القرآن ﴿مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾ أي: لا تكتبه ﴿إِذًا﴾ أي: لو كنت تكتب أو تقرأ قبل نزول القرآن ﴿لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ اليهود، وقالوا: يحتمل أن يكون ما أتى به من ذلك.

﴿بَلْ هُوَ﴾ [العنكبوت: 49] أي: القرآن ﴿آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ وهم المؤمنون ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ الكافرون ﴿وَقَالُوا﴾ [العنكبوت: 50] أي: الكفار: ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿أُنْزِلَ عَلَيْهِ﴾ على محمد ﷺ ﴿آيَاتٌ﴾ على الجمع للقراء إلا ابن كثير وحمزة والكسائي وخلف وأبا بكر فبالتوحيد ﴿مِنْ رَبِّهِ﴾ مثل: عصى موسى، وناقة صالح.

فقال تعالى: ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ينزلها كما يشاء ﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ﴾ لأهل المعصية بالنار ﴿مُبِينٌ﴾ مظهر الإنذار والآيات ليست بيدي ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾ [العنكبوت: 51] أي: أو لم يكف كفار مكة فيما طلبوا من الآيات ﴿أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ وهم فُصحاء بُلغاء، فعجزوا عن الإتيان به مع ترددهم في أودية الكلام ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ في القرآن ﴿لَرَحْمَةً وَذِكْرَى﴾ تذكر ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾ [العنكبوت: 52] عالمًا بصدقي مخبرًا به ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ﴾ الأصنام ونحوها فعبدوها ﴿وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ [العنكبوت: 53] نزلت في النضر بن الحارث؛ إذ قال: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا﴾ [الأنفال: 32] كما سبق في الأنفال ﴿وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى﴾ هو ما وعد الله به محمدًا ﷺ أنه لا يعذب قومه ولا يستأصلهم ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ [القمر: 46]، أو المراد: مدة أعمارهم، أو التأخير إلى يوم بدر ﴿لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ﴾ بمجرد استعجالهم ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بوقت إتيانه.

﴿يَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوۡمَ يَغۡشَىٰهُمُ

ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰيَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ [العنكبوت: ٥٤ - ٦٢].

﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ [العنكبوت: 54] في الدنيا ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ﴾ جامعة ﴿بِالْكَافِرِينَ﴾ لا يبق أحد منهم خارجًا عنها ﴿يَوْمَ﴾ [العنكبوت: 55] أي: محيطة يوم ﴿يَغْشَاهُمُ﴾ يصيبهم ﴿الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ فيعمهم ويحيط بهم ﴿وَيَقُولُ﴾ قرأ نافع والكوفيون «يقول» بالياء من أسفل، والباقون بالنون ﴿ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: جزاء عملكم.

﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت: 56] نزلت في ضعفاء المسلمين كانوا بضيق في مكة لا يمكنهم إظهار الإسلام فأُمروا بالهجرة ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [العنكبوت: 57] أي: واحدة مرارته وكربه ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ فنجزيكم بأعمالكم بياء من أسفل في أوله في رواية أبي بكر، والباقون بالتاء من فوق.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ [العنكبوت: 58] ننزلهم في قراءة العامة بنون، ثم موحدة مفتوحة، وواو مشددة، وهمزة مفتوحة، ونون مشددة من بوأه المنزل إذا هيأه له، وقرأ حمزة والكسائي وخلف بنون مضمومة، وثاء مثلثة ساكنة بعدها واو مكسورة، ثم ياء مفتوحة من الثواء وهو الإقامة ﴿مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ أماكن عالية ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ هذا الأجر ﴿الَّذِينَ﴾ [العنكبوت: 59] أي: هم الذين ﴿صَبَرُوا﴾ على الطاعات ومنها الهجرة، وعن

المعاصي ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ﴾ [العنكبوت: 60] أي: كم من دابة ﴿لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ ضعفها ﴿الله يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ أيها المهاجرون أو السامعون ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ونزلت؛ لأنهم لمَّا أُمروا بالهجرة قالوا: كيف نهاجر ولا زاد ولا نفقة؟ ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ﴾ [العنكبوت: 61] أي: كفار مكة ﴿مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ﴾ ذلك ﴿الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ الله فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ يصرفون عن الطاعة بعد الإقرار بذلك.

﴿الله يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ [العنكبوت: 62] يضيق الرزق على من يشاء ﴿إِنَّ الله بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٣ - ٦٩].

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ الله قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [العنكبوت: 63] على ثبوت الحجة على الكفار ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ضلالهم في اعترافهم بوجوده وقدرته وعبادتهم لغيره.

﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ﴾ [العنكبوت: 64] استمتاع باللذات ﴿وَلَعِبٌ﴾ عبث، والقرب التي فيها من أمور الآخرة؛ لظهور ثمرتها فيها ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ أي: الحياة ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك ما آثروا الحياة على الممات، فإذا هو متصل بمحذوف دل عليه ما ذكر من شأنهم، تقديره: وهم على ما وصفوا به من

الشرك والعناد.

﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ﴾ [العنكبوت: 65] وخافوا الغرق ﴿دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ الدعاء لا يدعون غيره ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ وهو إخبار عن عنادهم ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ [العنكبوت: 66] من النعم، هذا تهديد لهم ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا﴾ بما هم فيه بإسكان اللام لابن كثير وحمزة والكسائي وخلف وقالون، والباقون بكسرها ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة ذلك وهو العذاب الدائم.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ يعلموا ﴿أَنَّا جَعَلْنَا﴾ [العنكبوت: 67] مكة بلدهم ﴿حَرَمًا آمِنًا﴾ من الغارات؛ لتعظيمها ﴿وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ بالقتل والأسر وهم في أمان ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ﴾ وهو الشيطان أو الصنم ﴿يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللهِ﴾ وهو محمد ﷺ ﴿يَكْفُرُونَ﴾ وهذا توبيخ لهم.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أي: لا أظلم ﴿مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ [العنكبوت: 68] بأن أشرك به ﴿أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ﴾ القرآن أو النبي ﷺ ﴿لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾ محل إقامة ﴿لِلْكَافِرِينَ * وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ [العنكبوت: 68 - 69] في ديننا ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ الطريق الموصلة إلى نعيمنا ﴿وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ بالنصر والتأييد.

سورة الروم

مكية تسع وخمسون، أو ستون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الروم: ١ - ٨].

﴿الم * غُلِبَتِ الرُّومُ﴾[1] [الروم: 1 - 2] وهم أهل كتاب غلبتها فارس ففرح

(1) هذه السورة مكية، قال ابن عطية وغيره، بلا خلاف، وقال الزمخشري: إلا قوله: (فسبحان الله) وسبب نزولها أن كسرى بعث جيشاً إلى الروم، وأمر عليهم رجلاً، واختلف النقلة في اسمه؛ فسار إليهم بأهل فارس، وظفر وقتل وخرب وقطع زيتونهم، وكان التقاؤهم بأذرعات وبصرى، وكان قد بعث قيصر رجلاً أميراً على الروم، وقال مجاهد: التقت بالجزيرة، وقال السدي: بأرض الأردن وفلسطين، فشق ذلك على المسلمين لكونهم مع الروم أهل الكتاب، وفرح بذلك المشركون لكونهم مع المجوس ليسوا بأهل كتاب، وأخبر رسول الله ﷺ أن الروم «سيغلبون في بضع سنين»، ونزلت أوائل الروم، فصاح أبو بكر بها في نواحي مكة: (الم، غلبت الروم، في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين)، فقال ناس من مشركي قريش: زعم صاحبك أن الروم ستغلب فارساً في بضع سنين، أفلا نراهنك على ذلك؟ فقال: بلى، وذلك قبل تحريم الرهان. فاتفقوا أن جعلوا بضع سنين وثلاث قلائص، وأخبر أبو بكر رسول الله بذلك فقال: «هلا اختطبت؟ فارجع فزدهم في الأجل والرهان» فجعلوا القلائص مائة، والأجل تسعة أعوام. فظهرت الروم على فارس في السنة السابعة، وكان ممن راهن أُبيّ بن خلف. فلما أراد أبو بكر الهجرة، طلب منه أبيّ كفيلاً بالخطر إن غلبت، فكفل به ابنه عبد الرحمن. فلما أراد أبيّ =

بذلك كفار مكة؛ إذ هم كفار وليسوا أهل كتاب، وقالوا للمؤمنين: نحن نغلبكم كما غلبت فارس الروم ﴿فِي أَدْنَى﴾ [الروم: 3] أقرب ﴿الْأَرْضِ﴾ من الشام إلى أرض فارس وهل هي الأردن وفلسطين أو الجزيرة أو أذرعات؟ **أقـــوال**: والنادي بالغزو الفرس ﴿وَهُمْ﴾ أي: الروم ﴿مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ﴾ أي: غلبت الفرس لهم ﴿سَيَغْلِبُونَ﴾ ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ [الروم: 4] والبضع: ما بين الثلاث إلى السبع، أو إلى العشر ولم تمض سبع سنين بتقديم السين حتى غلبت الروم فارسًا، فذلك قوله: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ أي: من قبل الغلب، ومن بعده فكل ذلك بإرادته ﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾ يوم تغلب الروم

=

الخروج إلى أحد، طلبه عبد الرحمن بالكفيل، فأعطاه كفيلاً ومات أبيّ من جرح جرحه النبي ﷺ وظهر الروم على فارس يوم الحديبية. وقيل: كان النصر يوم بدر للفريقين، فأخذ أبو بكر الخطر من ذرية أبي، وجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له: « تصدق به ». وسبب ظهور الروم، أن كسرى بعث إلى شهريزان، وهو الذي ولاه على محاربة الروم، أن اقتل أخاك فرّخان لمقالة قالها، وهي قوله: لقد رأيتني جالساً على سرير كسرى، فلم يقتله. فبعث إلى فارس أني عزلت شهريزان ووليت أخاه فرّخان، وكتب إليه: إذا ولي، أن يقتل أخاه شهريزان، فأراد قتله، فأخرج له شهريزان ثلاث صحائف من كسرى يأمره بقتل أخيه فرّخان. قال: وراجعته في أمرك مراراً، ثم تقتلني بكتاب واحد؟ فرد الملك إلى أخيه. وكتب شهريزان إلى قيصر ملك الروم، فتعاونا على كسرى، فغلبت الروم فارس، وجاء الخبر، ففرح المسلمون. وكان ذلك من الآيات البينات الشاهدة بصحة النبوة، وأن القرآن من عند الله، لأنها إيتاء من علم الغيب الذي لا يعلمه إلاّ الله، وقرأ علي، وأبو سعيد الخدري، وابن عباس، وابن عمر، ومعاوية بن قرة، والحسن: (غلبت الروم) مبنياً للفاعل، (سيغلبون): مبنياً للمفعول؛ والجمهور: مبنياً للمفعول، سيغلبون: مبنياً للفاعل، وتأويل ذلك على ما فسره ابن عمران: الروم غلبت على أدنى ريف الشأم، يعنى: بالريف السواد. وجاء كذلك عن عثمان، وتأوله أبو حاتم على أن الروم غلبت يوم بدر، فعز ذلك على كفار قريش، وسر المؤمنون، وبشر الله عباده بأنهم سيغلبون في بضع سنين. انتهى. فيكون قد أخبر عن الروم بأنهم قد غلبوا، وبأنهم سيغلبون، فيكون غلبهم مرتين. قال ابن عطية: والقراءة بضم الغين أصح. وأجمع الناس على سيغلبون بفتح الياء، يراد به الروم. وروي عن ابن عمر أنه قرأ سيغلبون بضم الياء، وفي هذه القراءة قلب المعنى الذي تظاهرت به الروايات. انتهى. وقوله: وأجمعوا، ليس كذلك. ألا ترى أن الذين قرأوا غلبت بفتح الغين هم الذين قرأوا سيغلبون بضم الياء وفتح اللام، وليست هذه مخصوصة بابن عمر؟ وقرأ الجمهور: غلبهم، بفتح الغين واللام: وعلي، وابن عمر، ومعاوية بن قرة: بإسكانها؛ والقياس عن ابن عمر: وغلابهم، على وزن كتاب. والروم: طائفة من النصارى، وأدنى الأرض: أقربهما: فإن كانت الواقعة في أذرعات، فهي أدنى الأرض بالنظر إلى مكة. انظر [تفسير البحر المحيط (9 /70)].

﴿يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

﴿بِنَصْرِ اللهِ﴾ [الروم: 5] إياهم على فارس، وكان نصر الروم يوم بدر، ونزل به جبريل على النبي ﷺ ﴿يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَعْدَ اللهِ لَا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ [الروم: 5 - 6] المراد: كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ وعد الله للمؤمنين بذلك.

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الروم: 7] كالبيع والشراء ﴿وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ ساهون لا يتفكرون فيها ولا يعملون لها ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ ليرجعوا عمَّا هم عليه ﴿مَا خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي: للحق أو لإقامته ﴿وَ﴾ إلى ﴿أَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ بالبعث ﴿لَكَافِرُونَ﴾.

﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَـٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الروم: ٩ - ١٧].

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا﴾ [الروم: 9] أي: الكفار ﴿فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ فيعتبروا بمصارعهم ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ﴾ بالحرث للزرع؛ أي: قلبوها ﴿وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ أهل مكة ﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ

بِالْبَيِّنَاتِ﴾ فلم يؤمنوا فأهلكهم الله ﴿فَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ بالإهلاك بلا جرم ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بتكذيب الرسل.

﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ﴾ [الروم: 10] بالرفع للمدنيين والبصريين وابن كثير، والباقون بالنصب ﴿الَّذِينَ أَسَاءُوا﴾ العمل ﴿السُّوءَى﴾ هي: الخلة التي تسوءهم؛ أي: تخزيهم وهي النار، أو السوءى: اسم لجهنم، كما أن الحسنى اسم للجنة ﴿أَنْ﴾ بأن ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ﴾ القرآن ﴿وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

﴿اللهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ [الروم: 11] أي: ينشئ خلق الناس ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ أي: يعيد خلقهم بعد موتهم فيحيهم ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ قرأ أبو عمرو وروح وأبو بكر «يرجعون» بالغيب، والباقون بالخطاب.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ﴾ [الروم: 12] يعني: يئس أو يفضح ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾ أو يسكتوا، أو لا حجة لهم ﴿وَلَمْ يَكُنْ﴾ [الروم: 13] أي: لا يكون ﴿لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ﴾ التي عبدوها لتشفع لهم ﴿شُفَعَاءُ﴾ وهم الأصنام ﴿وَكَانُوا﴾ أي: يكونون ﴿بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾ يتبرءون منهم.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ [الروم: 14] ﴿فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: 6]، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ﴾ [الروم: 15] وهي: البستان الذي بلغ الغاية في الحسن ﴿يُحْبَرُونَ﴾ يكرمون، أو يسيرون، أو ينعمون، أو يسمعون الأنعام ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [الروم: 16] أي: بالقرآن ﴿وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾ البعث بعد الموت ونحوه ﴿فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾.

﴿فَسُبْحَانَ اللهِ﴾ [الروم: 17] أي: سبحوا الله بمعنى: صلوا ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾ تدخلون في المساء وهي: صلاة المغرب والعشاء ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ تدخلون في الصباح صلاة الصبح.

﴿ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى

ذَٰلِكَ لَآيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمۡ دَعۡوَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الروم: ١٨ - ٢٥].

﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الروم: 18] أي: يصلي له من فيهما ويحمده ﴿وَعَشِيًّا﴾ صلاة العصر ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ تدخلون في الظهيرة صلاة الظهر، وهذه أبين آية في إعداد الصلوات في القرآن.

﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ [الروم: 19] كالإنسان من النطفة ﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ﴾ كالنطفة ﴿مِنَ الْحَيِّ﴾ كالإنسان ﴿وَيُحْيِي الْأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ بسببها ﴿وَكَذَلِكَ﴾ الإخراج ﴿تُخْرَجُونَ﴾ من القبور.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ﴾ [الروم: 20] أي: أباكم آدم ﴿مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ﴾ من دم ولحم ﴿تَنْتَشِرُونَ﴾ تنبسطون في الأرض.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [الروم: 21] من جنسكم ﴿أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ فتألفوها ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ﴾ أي: بين الزوجين ﴿مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ فما شيء أحب إلى أحدهما من الآخر ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾ [الروم: 22] أي: لغاتها من عربية وعجمية ﴿وَأَلْوَانِكُمْ﴾ من بياض وغيره وأنتم أولاد رجل واحد ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ﴾ بفتح اللام في قراءة الكل؛ أي: كل من يعقل منهم إلا حفصًا فبكسر اللام؛ أي: لمن علم ذلك وتأمله.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾[1] [الروم: 23] بإرادته لراحتكم ﴿وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ بالنهار بتصرفكم في المعيشة ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تدبر واعتبار.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ﴾ [الروم: 24] أي: أراكم ﴿الْبَرْقَ خَوْفًا﴾ للمسافر من الصواعق ﴿وَطَمَعًا﴾ للمقيم في المطر ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي: بسببها بإتيانها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ [الروم: 25] أي: بإرادته من غير عمد ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ﴾ أي: من القبور ﴿إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ أحياء من الأرض، والدّاعي إسرافيل بالنفخة الثانية في الصور نسبته تعالى إليه؛ لأنه بأمره.

﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ

---

(1) الظاهر أن (بالليل والنهار) متعلق (بمنامكم)، فامتن تعالى بذلك، لأن النهار قد يقام فيه، وخصوص من كل مشتغلاً في حوائجه بالليل (وابتغاؤكم من فضله): أي فيهما، أي في الليل والنهار معًا، لأن بعض الناس قد يبتغي الفعل بالليل، كالمسافرين والحراس بالليل وغيرهم، وقال الزمخشري: هذا من باب اللف، وترتيبه: (ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم)، ولأنه فصل بين الفريقين الأولين بالقرينين الآخرين لأنهما زمانان، والزمان والواقع فيه كشيء واحد مع إعانة اللف على ذلك، ويجوز أن يراد (منامكم) في الزمانين، (وابتغاؤكم من فضله) فيهما، والظاهر هو الأول لتكرره في القرآن، وأسد المعاني ما دل عليه القرآن، وقال ابن عطية: وقال بعض المفسرين: في الكلام تقديم وتأخير، وهذا ضعيف، وإنما أراد أن ترتب النوم في الليل والابتغاء للنهار، ولفظ الآية لا يعطي ذلك. انظر [تفسير البحر المحيط (77/9)].

ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم: ٢٦ - ٣٢].

﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ [الروم: 26] مطيعون ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ﴾ [الروم: 27] أي: هيّن ﴿عَلَيْهِ﴾ أو هو على العادة من أن الإعادة عند المخاطبين أسهل ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ الصفة العليا وهو أنه ليس كمثله شيء ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿ضَرَبَ﴾ [الروم: 28] جعل ﴿لَكُمْ مَثَلًا﴾ كائنًا ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ وهو ﴿هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من عبيد وإماء ﴿مِنْ شُرَكَاءَ﴾ لكم ﴿فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ من المال ﴿فَأَنْتُمْ﴾ السادة والمماليك ﴿فِيهِ سَوَاءٌ﴾ وبيّن وجه التسوية بقوله: ﴿تَخَافُونَهُمْ﴾ أن يشاركونكم ﴿كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ كما يخاف الرجل شريكه في الميراث وهو يحب الانفراد به؛ أي: ليس مماليككم شركاء لكم، فكذلك الخلق عبيد الله تعالى فلا يكون شيء منهم شركاء له ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل هذا البيان ﴿نُفَصِّلُ﴾ نبيّن ﴿الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ هذه الدلائل؛ أي: ينظرونها بعقولهم.

﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الروم: 29] أشركوا ﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾ في الإشراك بالله ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللهُ﴾ والمراد: إنه لا هادي له ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ مانعين من العذاب.

﴿فَأَقِمْ﴾ [الروم: 30] يا محمد ﷺ ﴿وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ أي: أخلص دينك لله ﴿حَنِيفًا﴾ مائلاً إليه وحده ﴿فِطْرَةَ﴾[1] أي: ألزم فطرة ﴿اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ دين

---

(1) منصوب على المصدر، كقوله: (صبغه الله) وقيل: منصوب بإضمار فعل تقديره: التزم فطرة الله. وقال الزمخشري: الزموا فطرة الله، أو عليكم فطرة الله، وإنما أضمرت على خطاب الجماعة لقوله: (منيبين إليه)، ومنيبين حال من الضمير في الزموا، وقوله: (وأقيموا)، (ولا تكونوا)، معطوف على هذا المضمر، وقيل: (فأقم وجهك)، المراد به: فأقيموا وجوهكم، وليس مخصوصًا بالرسول وحده، وكأنه خطاب لمفرد أريد به الجمع، أي: فأقم أيها المخاطب، ثم جمع على المعنى، لأنه لا يراد به مخاطب واحد، فإذا كان هذا، فقوله: (منيبين)، (وأقيموا)، (ولا تكونوا) ملحوظ فيه معنى الجمع، وقول الزمخشري: أو عليكم فطرة الله لا يجوز، لأن فيه حذف =

الإسلام، وهل هو خاص بالمؤمنين، أو عام في كل أحد وإن الله خلقه علو دين الإسلام؟ **قولان: أصحهما:** الثاني ﴿**لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ**﴾ لا راد لأمره، أو **لا** يبدلوا دين الإسلام بالشرك فهو خبر بمعنى: النهي ﴿**ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ**﴾ المستقيم ﴿**وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ توحيد الله وأراد كفار مكة.

﴿**مُنِيبِينَ إِلَيْهِ**﴾ [الروم: 31] أي: أقيموا الدين راجعين إليه تعالى فيما أمر به ونهي عنه ﴿**وَاتَّقُوهُ**﴾ خافوه ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ**﴾ [الروم: 31 - 32] فاختلفوا فيما يعبدونه ﴿**وَكَانُوا**﴾ صاروا ﴿**شِيَعًا**﴾ فرقًا مختلفة يهودًا ونصارى وغير ذلك ﴿**كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ**﴾ عندهم ﴿**فَرِحُونَ**﴾ راضون.

﴿ **وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾** ﴾ [الروم: ٣٣ - ٣٩].

﴿**وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ**﴾ [الروم: 33] كفار مكة ﴿**ضُرٌّ**﴾ قحط وشدة ﴿**دَعَوْا رَبَّهُمْ**

= كلمة الإغراء، ولا يجوز حذفها؛ لأنه قد حذف الفعل وعوض عليك منه، فلو جاء حذفه لكان إجحافاً، إذ فيه حذف العوض والمعوض منه، والفطرة قيل: دين الإسلام، والناس مخصوصون بالمؤمنين، وقيل: العهد الذي أخذه الله على ذرية آدم حين أخرجهم نسمًا من ظهره ورجح الحذاق، إنها القابلية التي في الطفل للنظر في مصنوعات الله، والاستدلال بها على موجده، فيؤمن به ويتبع شرائعه، لكن قد تعرض له عوارض تصرفه عن ذلك، كتهويد أبويه له، وتنصيرهما، إغواء شياطين الإنس والجن. انظر [تفسير البحر المحيط (9 /83)].

﴿مُنِيبِينَ﴾ راجعين أو مقبلين ﴿إِلَيْهِ﴾ بالدعاء دون غيره ﴿ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً﴾ بالخصب ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ * لِيَكْفُرُوا﴾ [الروم: 33 - 34] لكي يكفروا ﴿بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ أو أمر أريد به التهديد، ثم خاطبهم مهدداً لهم بقوله: ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ في الدنيا ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عند الموت عاقبة أمركم.

﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾ [الروم: 35] حجة بشركهم أو كتابًا ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾ أي: يدل سماه تكلمًا لإفادته ﴿بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ أي: يخبر بذلك، والمعنى: لم يكن شيء من ذلك.

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً﴾ [الروم: 36] كالخصب ﴿فَرِحُوا بِهَا﴾ فرح بطر لا شكرًا لنعم الله ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ ما يسوءهم؛ أي: يجري عليهم جدب ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ ما فعلوه في الدنيا من السيئات ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ ييئسون من الرحمة ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ [الروم: 37] يعلموا ﴿أَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ يضيق ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾ دلالات على قدرة الله ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ﴾ [الروم: 38] صاحب القرابة ﴿حَقَّهُ﴾ من صلة الرحم والبر ﴿وَالْمِسْكِينَ﴾ حقه الصدقة عليه ﴿وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ المسافر، أو الضيف ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ أي: هذا خير من خلافه ﴿لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ﴾ يطلبون ثوابه منه ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

﴿وَمَا آتَيْتُم﴾ [الروم: 39] أي: فعلتم بالقصر لابن كثير، والباقون بالمد؛ أي: أعطيتم ﴿مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ﴾[1] قرأ المدنيان ويعقوب بتاء مثناة من فوق وإسكان الواو؛ أي: لتربوا أنتم؛ أي: تصيروا ذوي ربا؛ أي: زيادة ﴿فِي أَمْوَالِ النَّاسِ﴾ والباقون بالياء من أسفل مفتوحة وفتح الواو ﴿فَلَا يَرْبُو﴾ لا يزيد ﴿عِندَ اللهِ﴾ أو لا يقبل عنده، ونزلت الآية في إعطاء الرجل الهدية ليثاب أكثر منها فلا ثواب له فيها ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ﴾ أعطيتم من الصدقة ﴿تُرِيدُونَ﴾ به ﴿وَجْهَ اللهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ يضاعف لهم الثواب

---

(1) قرأ أهل المدينة، ويعقوب: «لتُرْبُوا» بالتاء وضمها وسكون الواو على الخطاب، أي: لتُرْبُوا أنتم وتصيروا ذوي زيادة من أموال الناس، وقرأ الآخرون بالياء وفتحها، ونصب الواو وجعلوا الفعل للربا لقوله: ﴿فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ﴾ في أموال الناس، أي: في اختطاف أموال الناس واجتذابها. انظر [تفسير البغوي (272/6)].

الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف.

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الروم: ٤٠ - ٤٦].

﴿الله الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ﴾ [الروم: 40] الذين أشركتموهم بالله﴿مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ لا يفعل أحد منهم ذلك ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به.

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ﴾ [الروم: 41] هو قحط المطر وقلة النبات، فأراد به المفاوز﴿وَالْبَحْرِ﴾ أراد به المدائن والقرى المجاورة للأنهار، وتسمي العرب المصر بحرًا﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ بما عملوا من المعاصي أو البر والبحر على ظاهرهما؛ لأن المطر إذا قلَّ خلت الأصداف من الجواهر﴿لِيُذِيقَهُمْ﴾ بالنون لروح وقنبل بخلاف عنه، والباقون بالياء﴿بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ أي: جزاء ذنوبهم﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن الأعمال الخبيثة.

﴿قُلْ﴾ [الروم: 42] يا محمد ﷺ لكفار مكة:﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾ فأهلكهم الله بذنوبهم﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾ [الروم: 43] اخلص قصدك﴿لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾ دين الإسلام والقيم المستقيم﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ﴾ لا دافع له﴿مِنَ اللهِ﴾ أي: يوم القيامة لا يقدر أحد على رده من الله ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ يتفرقون﴿فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: 7].

﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ [الروم: 44] أي: وبال كفره وهو النار ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ يوطئون المضاجع ويسوونها في القبور، والمراد: إكرام نزلهم ﴿لِيَجْزِيَ﴾ [الروم: 45] المراد: يتفرقون ليجزي الله ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ﴾ فيثيبهم أكثر من ثواب أعمالهم ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ﴾ لا يثيب ﴿الْكَافِرِينَ﴾.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾ [الروم: 46] تبشر بالمطر ﴿وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ نعمته بالمطر والخصب ﴿وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ﴾ أي: تجري الرياح السفن ﴿بِأَمْرِهِ﴾ بإرادته ﴿وَلِتَبْتَغُوا﴾ تطلبوا ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ من رزقه بالتجارة في البحر ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله على نعمه.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الروم: ٤٧ - ٥٣].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الروم: 47] الدلالات الواضحة على صدقهم؛ أي: فلم يؤمنوا ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ كفروا؛ أي: عذبناهم بكفرهم وتكذيبهم للرسل ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا﴾ من جهة الوفاء بالوعد ﴿نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بإنجائهم.

﴿اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ [الروم: 48] تزعجه وتنشره ﴿فَيَبْسُطُهُ فِي

السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ يمده فيها متسعًا على ما أراد ﴿وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا﴾[1] قطعًا متفرقة ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾ المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ وسطه ﴿فَإِذَا أَصَابَ بِهِ﴾ أي: بالودق ﴿مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ يفرحون بالمطر ﴿وَإِنْ كَانُوا﴾ [الروم: 49] وقد كانوا ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ﴾ يائسين من نزوله.

﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ﴾ [الروم: 50] قرأ المدنيان وابن كثير والبصريان وأبو بكر «أثر» بقصر الهمزة بلا ألف بعد المثلثة، والباقون بمد الهمزة وبالألف في ﴿رَحْمَةِ اللهِ﴾ أراد المطر ﴿كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ﴾ بالإنبات فيها ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يلبسها ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ الذي أحي الأرض بعد موتها ﴿لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾ [الروم: 51] مضرة بالنبات ﴿فَرَأَوْهُ﴾ أي: النبت الذي زرعوه ﴿مُصْفَرًّا﴾ بعد الخضرة لفساده ﴿لَظَلُّوا﴾ لصاروا ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: من بعد اصفرار الزرع ﴿يَكْفُرُونَ﴾ يجحدون السابق على ذلك من النعم؛ أي: هؤلاء القوم طبع على قلوبهم فلا برح هدايتهم.

﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ * وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ﴾ [الروم: 52 - 53] القلوب ﴿عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ﴾ ما ﴿تُسْمِعُ﴾ سماع قبول ﴿إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ أي: فهم المنتفعون ﴿فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ مخلصون بتوحيد الله تعالى.

﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟

---

(1) «كسفا» جمع كسفة وهي القطعة، وفي قراءة الحسن وأبي جعفر وعبد الرحمن الأعرج وابن عامر «كسفا» بإسكان السين، وهي أيضًا جمع كسفة، كما يقال: سدرة وسدر، وعلى هذه القراءة يكون المضمر الذي بعده عائدًا عليه، أي فترى الودق أي المطر يخرج من خلال الكسف، لأن كل جمع بينه وبين واحده الهاء لا غير فالتذكير فيه حسن، ومن قرأ: «كسفا» فالمضمر عنده عائد على السحاب، وفي قراءة الضحاك وأبي العالية وابن عباس: (فترى الودق يخرج من خلله) ويجوز أن يكون خلل جمع خلال. انظر [تفسير القرطبي (14 /44)].

ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الروم: ٥٤ - ٦٠].

﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾ [الروم: 54] ماء مهين ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ﴾ هو ضعف الطفولية ﴿قُوَّةً﴾ قوة الشباب ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا﴾ ضعفًا بالكبر، وقرأ حمزة وأبو بكر وحفص في أحد الوجهين «من ضعف ومن بعد ضعف وضعفًا» بفتح الضاد، والباقون بضمها ﴿وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ [الروم: 55] القيامة، سُميّت بذلك لقيامها آخر ساعة من الدنيا، أو لوقوعها بغتة ﴿يُقْسِمُ﴾ يحلف ﴿الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا﴾ في الدنيا، أو في القبور ﴿غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ من ساعات الدنيا استقلوا ما مضى لمَّا عاينوا الآخرة ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل هذا الصرف عن الحق ﴿كَانُوا﴾ في الدنيا ﴿يُؤْفَكُونَ﴾ يصرفون عن الحق.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللهِ﴾ [الروم: 56] أي: فيما كتب لكم من سابق علمه ﴿إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ﴾ وهو أعلم بقدره ﴿فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ﴾ الذي كنتم تنكرونه في الدنيا ﴿وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ في الدنيا وقوعه، فلا ينفعكم العلم به اليوم.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ﴾ [الروم: 57] قرأه الكوفيون بالمثناة من أسفل، والباقون بالتاء من فوق ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كفروا ﴿مَعْذِرَتُهُمْ﴾ عذرهم في إنكارهم له ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ يطلب منهم العتبى والرجوع إلى ما يرضي الله في الآخرة.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا﴾ [الروم: 58] بينّا أو جعلنا ﴿لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ لننبههم ﴿وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ﴾ دلالة على صدقك ﴿لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ﴾ ما ﴿أَنْتُمْ﴾ أي: محمد وأصحابه ﴿إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ أصحاب أباطيل في قولكم.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الروم: 59] مثل هذا الطبع ﴿يَطْبَعُ الله عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ الله﴾ [الروم: 59 - 60] بنصرك وظهورك على عدوك ﴿حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ﴾[1] يستجعلنك، أو لا يحملنك على الخفة والطيش بترك الصبر على ما أمرت به ﴿الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ بالبعث والحساب.

(1) أي لا يحملنك على الخفة، ويستفزنك عن دينك، وما أنت عليه، الذين لا يوقنون بالله، ولا يصدقون أنبياءه، ولا يؤمنون بكتبه، والخطاب للنبي ﷺ يقال: استخف فلان فلاناً، أي استجهله حتى حمله على اتباعه في الغيّ، قرأ الجمهور: «يستخفنك» بالخاء المعجمة والفاء، وقرأ يعقوب وابن أبي إسحاق بحاء مهملة وقاف من الاستحقاق، والنهي في الآية من باب: لا أرينك هاهنا. انظر [فتح القدير (5/ 482)].

سورة لقمان(1)

مكيّة سوى آيتين منها نزلتا بالمدينة وهما قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ...﴾ [لقمان: 27] إلى آخر الآيتين قاله عطاء، أو سوى ثلاث آيات تلك أولها وهي: ثلاث، أو أربع وثلاثون آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ الٓمٓ (١) تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ (٢) هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ (٣) ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (٥) وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٦) وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٧) إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ (٨) خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٩) خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ

---

(1) هذه السورة مكية، قال ابن عباس: إلا ثلاث آيات، أولهنّ: (ولو أن ما في الأرض)، وقال قتادة: إلا آيتين، أوّلهما: (ولو أن) إلى آخر الآيتين، وسبب نزولها أن قريشًا سألت عن قصة لقمان مع ابنه، وعن بر والديه، فنزلت، وقيل: نزلت بالمدينة إلا الآيات الثلاثة: (ولو أن ما في الأرض) إلى آخرهنّ، لما نزل (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) وقول اليهود: إن الله أنزل التوراة على موسى وخلفها فينا ومعنا، فقال الرسول: «التوراة وما فيها من الأنباء قليل في علم الله». فنزل: (ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام)، ومناسبتها لما قبلها أنه قال تعالى: (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) فأشار إلى ذلك بقوله: (الم، تلك آيات الكتاب الحكيم)؛ وكان في آخر تلك: (ولئن جئتهم بآية) وهنا: (وإذا تتلى عليه آياتنا ولىّ مستكبراً)، وتلك إشارة إلى البعيد، فاحتمل أن يكون ذلك لبعد غايته وعلو شأنه. انظر: [تفسير البحر المحيط (9 /97)].

كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ ﴾[لقمان: ١ - ١٠].

﴿الم * تِلْكَ﴾ [لقمان: 1 - 2] أي: هذه ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿الْحَكِيمِ﴾ ذي الحكمة ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ [لقمان: 3] بالرفع لحمزة، والباقون بالنصب ﴿لِلْمُحْسِنِينَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ* أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [لقمان: 3: 5].

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي﴾ يستبدل أو يختار ﴿لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ [لقمان: 6] الغناء والمعارف التي تلهي على القرآن، نزلت الآية في النضر بن الحارث كان يشتري كتب أخبار العجم ويقصها على العرب ويقول: محمد يحدثكم حديث عاد وثمود وأنا أحدثكم حديث فارس والروم، فيستملحون حديثه ويتركون القرآن ﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ الإسلام ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا﴾ بفتح الذال لخلف وحمزة والكسائي، والباقون بالضم: أي: آيات الله وهي القرآن ﴿هُزُوًا﴾ مهزوءًا بها ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ مذل.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾ [لقمان: 7] القرآن ﴿وَلَّى مُسْتَكْبِرًا﴾ عن الإيمان ﴿كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ صممًا ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾ [لقمان: 7 - 8].

﴿خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [لقمان: 9 - 10] أي: العمد ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ جبالاً ﴿أَنْ﴾ لا ﴿تَمِيدَ﴾ تضطرب ﴿بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ صنف حسن.

﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن

جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [لقمان: ١١ - ١٥].

﴿هَذَا﴾ [لقمان: 11] الذي ذكرت ﴿خَلْقُ اللهِ﴾ الذي خلقه الله ﴿فَأَرُونِي﴾ يا كفار مكة ﴿مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي: ما خلقه آلهتكم الذين زعمتم أنهم شركاء له ﴿بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ بإشراكهم وكفار مكة منهم.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ [لقمان: 12] وهي: العلم والعمل والإصابة في القول كان بعث قبل بعثة داود وأدرك زمنه وأخذ عنه العلم ﴿أَنِ﴾ أي: وقلنا له: أن ﴿اشْكُرْ لِلَّهِ﴾ على الحكمة ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ﴾ النعم ﴿فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[1] [لقمان: 13] فرجع إليه وأسلم ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ [لقمان: 14] أمرناه ببرهما ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ﴾ فوهنت ﴿وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾ ضعفًا على ضعف بمشقة الحمل والطلق والوضع ﴿وَفِصَالُهُ﴾ فطامه ﴿فِي عَامَيْنِ﴾ وقلنا له: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي﴾ بالطاعة ﴿وَلِوَالِدَيْكَ﴾ ببرهما ﴿إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ المرجع، ومن صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله، ومن دعا لوالديه في أدبار الصلوات فقد شكر للوالدين قاله بعض السلف.

﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: 15] أي: بالمعروف من بر وصلة ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ﴾ رجع ﴿إِلَيَّ﴾ بالتوبة، وآمن بي وهو النبي ﷺ وأصحابه، وقال عطاء عن ابن عباس: هو أبو بكر الصديق؛ لأنه أسلم، وأرشد عثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف فآمنوا ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا أي: أجازيكم عليه.

---

(1) قال بعضهم: وعظ لقمان ابنه في ابتداء وعظه على مجانبة الشرك وهو التفرد للحق بالكل نفسًا وقلبًا وروحًا، فلا تشتغل بالنفس إلا بخدمته، ولا تلاحظ بالقلب سواه، ولا تشاهد بالروح غيره، وهو مقام التفريد في التوحيد.

﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴿١٨﴾ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴿١٩﴾ أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ۞ وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [لقمان: ١٦ - ٢٢].

﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا﴾ [لقمان: 16] أي: الخطيئة قاله لابنه لمَّا قال له: إذا عملت خطيئة كيف يعلمها الله؟ ﴿إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ﴾ أي: جبل، أو صخرة تحت الأرضين السبع تكتب فيها أعمال الفجَّار ﴿أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ﴾ والمراد: لو كانت في أخفى مكان من ذلك ﴿يَأْتِ بِهَا اللهُ﴾[1] فيجازي بها ﴿إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ بكل شيء.

﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ [لقمان: 17] بسبب ذلك ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ الصبر أو المذكور ﴿مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ أي: الأمور

---

(1) قال البقلي الشيرازي: كيف يخفى على موجد الأشياء شيءٌ وهو منشئه؛ فهذا تنبيهٌ منه لإحاطة علمه القديم بكل ذرةٍ من العرش إلى الثرى ظاهرها وباطنها؛ حتى يفرغ المراقب الصادق من اطلاع الحق بوصف العظمة والكبرياء على نوادر الخطرات وبطون الحركات، فإن كان خاطره بادرًا من قهره سبحانه تستتر في جريانه في صخرة النفوس أو في سماء الأرواح أو في أرض القلوب، يظهره الحق إلى عرصة العقل لعين السر، فيحاسبه بذلك، ويعرفه مكان نفعه وضره؛ ليعرف صاحبه وصف جلال علمه كيف يحيط بأسرار الضمائر وبطون الخواطر.

التي يعزم عليها عزمًا مؤكدًا؛ لأنها واجبة ﴿وَلَا تُصَعِّرْ﴾ [لقمان: 18] قرأ ابن كثير وأبو جعفر وابن عامر وعاصم ويعقوب «تُصَعِّر» بتشديد العين بلا ألف، والباقون بالتخفيف والألف؛ أي: لا تميل ﴿خَدَّكَ﴾ وجهك ﴿لِلنَّاسِ﴾ أي: عليهم تكبرًا ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ خيلاً ﴿إِنَّ الله لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ في مشيه ﴿فَخُورٍ﴾ على الناس ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ [لقمان: 19] لا خيلاً ولا إسراعًا، بل يكون وسطًا بالسكينة والوقار ﴿وَاغْضُضْ﴾ اخفض ﴿مِنْ صَوْتِكَ﴾ أي: اجعل كلامك في خفض ﴿إِنَّ أَنْكَرَ﴾ أقبح ﴿الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ إذ أوله زفير وآخره شهيق، وكان لقمان عبدًا حبشيًا نجارًا ولم يكن نبيًا خلافًا لعكرمة.

﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾ [لقمان: 20] تعلموا أيها الناس ﴿أَنَّ الله سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ من شمس وقمر ونجوم ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾من ثمار وأنهار ودواب لتنتفعوا بكل ﴿وَأَسْبَغَ﴾ أتم وأوسع ﴿عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ﴾ قرأ المدنيان وأبو عمرو وحفص «نعمه» بفتح العين وهاء مضمومة؛ أي: نعم الله، جمع: نعمة بسكون العين والباقون بإسكان العين وتاء تأنيث منونة منصوبة ﴿ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ قيل: الأول الإسلام والقرآن، والثاني: ما ستر من عيوبك، وقيل: غير ذلك ما ذُكِر في الأصل ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي الله بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى﴾ من الرسول ﷺ ﴿وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ من الله، بل يجادل بالباطل والجهل والتقليد للكفار، وذلك النضر بن الحارث وأُبي بن خلف وأشباههم.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ الله قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ [لقمان: 21] فقال تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ أي: اتبعونه ولو كان كذا، فهو توبيخ لهم ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى الله﴾ [لقمان: 22] فيقبل على طاعته ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ بالتوحيد ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ اعتصم بالعهد الأوثق الذي لا يخاف انقطاعه ﴿وَإِلَى الله عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ مرجعها إليه في الآخرة.

﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِى

ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [لقمان: ٢٣ - ٢٩].

﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ﴾ [لقمان: 23] يا محمد ﷺ ﴿كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ الله عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما فيها من خير وشر فيجازي به ﴿نُمَتِّعُهُمْ﴾ [لقمان: 24] في الدنيا ﴿قَلِيلًا﴾ مدة حياتهم ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ دائم في الآخرة؛ أي: نلجئهم إليه.

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ الله قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [لقمان: 25] على ظهور الحجة عليهم ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وجوب التوحيد، أو ظهور الحجة عليهم ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [لقمان: 26] خلقًا وملكًا ﴿إِنَّ الله هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ * وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ﴾ [لقمان: 26 - 27] بالنصب للبصريين، والباقون بالرفع ﴿يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ كلها من مداد ﴿مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ الله﴾ أي: معلوماته؛ أي: ما فرغت بكتابتها بتلك الأقلام وذلك المداد ﴿إِنَّ الله عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ونزلت الآية بالمدينة لمَّا قال اليهود لرسول الله ﷺ: نزلت علينا التوراة وأنت تقول ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الإسراء: 85].

﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان: 28] في خلقها وبعثها؛ لأنه بكلمة «كن» ﴿إِنَّ الله سَمِيعٌ بَصِيرٌ * أَلَمْ تَرَ﴾ [لقمان: 28 - 29] تعلم ﴿أَنَّ الله يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ يدخله فيه ﴿وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ فيزيد كلاً بقدر ما نقص من الآخر ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ للخلق ﴿كُلٌّ﴾ منهما ﴿يَجْرِي﴾ في فلكه ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ هو يوم القيامة ﴿وَأَنَّ الله بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ فيجازيكم به.

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى

ذَٰلِكَ لَآيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ كَفُورٖ ﴿٣٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴿٣٤﴾ ﴾ [لقمان: ٣٠ - ٣٤].

﴿ذَلِكَ﴾ [لقمان: 30] الذي ذكر ﴿بِأَنَّ الله هُوَ الْحَقُّ﴾ الثابت الدائم ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾ الزائل ﴿وَأَنَّ الله هُوَ الْعَلِيُّ﴾ على خلقه بقهره إياهم ﴿الْكَبِيرُ * أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ﴾ [لقمان: 30 - 31] السفن ﴿تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ الله﴾ أي: بالرياح وبالمتأخر من فضله ﴿لِيُرِيَكُمْ﴾ أيها الناس ﴿مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على أمر الله وعن المعاصي ﴿شَكُورٍ﴾ للنعم.

﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ﴾ [لقمان: 32] أي: الكفار، والمراد: علا عليهم ﴿مَوْجٌ كَالظُّلَلِ﴾ أي: الجبال ﴿دَعَوُا الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ الدعاء من غير إشراك ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾ عدل موف بما عاهد عليه الله في البحر كامل التوحيد ومنهم: عكرمة بن أبي جهل نزل البحر فهاجت ريح فعاهد إن نجا على الإسلام، فسكنت فرجع لمكة وآمن وحسن إسلامه ﷺ ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ﴾ غدّار ﴿كَفُورٍ﴾ للنعم.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي﴾ [لقمان: 33] لا يغني ﴿وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾ فيه شيئًا ﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ﴾ فيه ﴿شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ الله حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ عن الله ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِالله﴾ في حلمه وإمهاله ﴿الْغَرُورُ﴾ الشيطان.

﴿إِنَّ الله عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: 34] متى تقوم ﴿وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾[1] لوقت علم نزوله فيه ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ الذكر وغيره ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ أي: ما تعمل في الغد من خير أو شر ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ ويعلمها الله ﴿إِنَّ الله عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ وسبب نزول الآية أن رجلاً من أهل البادية جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: إن امرأتي حُبلى فأخبرني متى تلد وبلادنا مجدبة، فأخبرني متى ينزل الغيث وقد علمت متى ولدت فأخبرني متى أموت؟ أو قال له الوارث من بني مازن: متى قيام الساعة، وقد أجدبت بلادنا فمتى تخصب، وقد تركت امرأتي حبلى فمتى تلد، وقد علمت ما كسبت اليوم فما أكسب غدًا، وقد علمت بأي أرض ولدت فبأي أرض أموت؟

---

(1) قرأ الجمهور: (وينزل الغيث) مشدّداً، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي مخففاً، وقرأ الجمهور: (بأيّ أرض)، وقرأ أبيّ بن كعب وموسى الأهوازي: «بأية» وجوّز ذلك الفراء وهي لغة ضعيفة، قال الأخفش: يجوز أن يقال: مررت بجارية أيّ جارية، قال الزجاج: من ادّعى أنه يعلم شيئاً من هذه الخمس فقد كفر بالقرآن لأنه خالفه.

سورة السجدة

مكية سوى ثلاث آيات منها في قوله: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً....﴾ [السجدة: 18] إلى تمام ثلاث آيات، فإنها مدنية وهي تسع وعشرون، أو ثلاثون آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [السجدة: ١ - ١٠].

﴿الم * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ [السجدة: 1 - 2] القرآن ﴿لَا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَمْ﴾ [السجدة: 2 - 3] للتوبيخ ﴿يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ محمد؛ أي: اختلق القرآن من تلقاء نفسه ﴿بَلْ هُوَ﴾ القرآن ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا﴾ هم أهل مكة ﴿مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ إذا كانت العرب أمة أميّة لم يأتيهم رسول قبل محمد ﷺ، وذلك في الفترة بين عيسى ومحمد ﷺ وهي ستمائة سنة، وكان إسماعيل عليه السلام أرسل إلى جُرهُم قومه لا إلى كل العرب ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ إلى الإسلام.

﴿الله الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [السجدة: 4]

آخرها الجمعة ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ من غيره ﴿مِنْ وَلِيٍّ﴾ ناصر ﴿وَلَا شَفِيعٍ﴾ يشفع إلا بإذنه ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ أي: تذكروا.

﴿يُدَبِّرُ﴾ [السجدة: 5] يحكم وينزل ﴿الْأَمْرَ﴾ القضاء ﴿مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ مدة الدنيا ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ﴾ يصعد جبريل ﴿إِلَيْهِ﴾ بالأمر ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ خمسمائة للصعود، وخمسمائة للهبوط، وذكر خمسين ألف سنة في المعراج؛ لأنه أراد صعوده لسدرة المنتهى بمعنى أنه لو سار واحد من الخلق غير الملك فيما ذكر هنا لسار ألف سنة، أو لو أحصى ما ذكر الثاني بعد خمسين ألف سنة، وقيل: غير ذلك.

﴿ذَلِكَ﴾ [السجدة: 6] الخالق المدبر ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة: 6 - 7] قرأ نافع والكوفيون «خلقه» بفتح اللام، والباقون بإسكان اللام ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ﴾ آدم ﴿مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ﴾ [السجدة: 7 - 8] ذريته ﴿مِنْ سُلَالَةٍ﴾ نطفة أو علقة ﴿مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ ضعيف وهو النطفة ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ﴾ [السجدة: 9] أي: سوَّى خلق آدم ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾ ثم عاد إلى ذريته فقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ القلوب ﴿قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا﴾ [السجدة: 10] أي: منكري البعث ﴿أَئِذَا ضَلَلْنَا﴾ غبنا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ بأن صرنا ترابًا مختلطًا بترابها ﴿أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ استفهام إنكار منهم فقال الله ﷻ: ﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾.

﴿۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ

خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾﴾ [السجدة: ١١ - ١٨].

﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ﴾ [السجدة: 11] يقبض أرواحكم ﴿مَلَكُ الْمَوْتِ﴾ هو عزرائيل ﴿الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ أي: يقبض أرواحكم ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ في الآخرة أحياء فيجازيكم بأعمالكم.

﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ﴾ [السجدة: 12] المشركون ﴿نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ﴾ مطأطئوها ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ حياءً وندمًا ﴿رَبَّنَا﴾ أي: يقولون ربنا ﴿أَبْصَرْنَا﴾ ما كنا مكذّبين ﴿وَسَمِعْنَا﴾ منك تصديق ما أتت به الرسل، أو أبصرنا معاصينا، وسمعنا ما قيل فينا ﴿فَارْجِعْنَا﴾ ردنا للدنيا ﴿نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ بالبعث الآن؛ أي: لو رأيته لرأيت العجب.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ [السجدة: 13] رشدها وتوفيقها وهو الإيمان ﴿وَلَكِنْ حَقَّ﴾ وجب ﴿الْقَوْلُ مِنِّي﴾ وهو ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * فَذُوقُوا﴾ [السجدة: 13 - 14] أي: يقال للكفار عند دخول جهنم: ذوقوا ﴿بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ والمراد: تركتم الإيمان به في الدنيا ﴿إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ تركناكم في العذاب ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ الدائم ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: بسببه وهو الكفر.

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا﴾ [السجدة: 15] عظوا ﴿بِهَا خَرُّوا﴾ سقطوا على وجوههم ﴿سُجَّدًا﴾ أي: ساجدين ﴿وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ فقالوا: سبحان الله وبحمده ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن الإيمان وسائر الطاعات.

﴿تَتَجَافَى﴾ [السجدة: 16] ترتفع ﴿جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ جمع: مضجع، وهو موضع الاضطجاع من الفرس والمرأة يصلون بالليل، وقيل المراد: يصلون ما بين المغرب والعشاء، ويقيمون في المسجد بين صلاة المغرب والعشاء لانتظار العشاء بلا نوم بينهما، وصحَّت الأحاديث به ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا﴾ من عقابه ﴿وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ في الطاعة.

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ﴾ [السجدة: 17] خُبِئ، وقرأ يعقوب وحمزة «أخفي» بإسكان الياء، والباقون بفتح الياء ﴿لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ أي: ما تقر أعينهم به ﴿جَزَاءً بِمَا

كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الطاعات ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا﴾ [السجدة: 18] وهو سيدنا علي كرم الله وجهه ﴿كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا﴾ هو الوليد عقبة بن أبي معيط قال لعلي: أنا أحدّ منك سنانًا، وأنشط منك لسانًا، وأملأ للكتيبة منك، فقال له علي: اسكت فإنما أنت فاسق، فنزلت الآية بتصديقه ﴿لَا يَسْتَوُونَ﴾ لا في الدنيا، ولا عند الموت، ولا في البرزخ، ولا في الموقف، ولا في أحوال الآخرة، وكل مؤمن وكافر كذلك.

﴿ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَـٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [السجدة: ١٩ - ٢٣].

﴿أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى﴾ [السجدة: 19] التي يأوى إليها المؤمنون ﴿نُزُلًا﴾ هو ما يُعَد للضيف ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ [السجدة: 19 - 20] كفروا ﴿فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ * وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى﴾ [السجدة: 20 - 21] مصائب الدنيا وأسقامها، ومنه: جوعهم سبع سنين، والسيف يوم بدر ﴿دُونَ﴾ قبل ﴿الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ وهو عذاب الآخرة ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن الكفر للإيمان.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾ [السجدة: 22] القرآن ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ فلم يؤمن؛ أي: لا أظلم منه ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ المشركين ﴿مُنْتَقِمُونَ * وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ [السجدة: 22 - 23] التوراة ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ﴾ شك ﴿مِنْ لِقَائِهِ﴾ أي: لقاء موسى ليلة المعراج ﴿وَجَعَلْنَاهُ﴾ أي: الكتاب أو موسى ﴿هُدًى﴾ هاد ﴿لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ

يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [السجدة: ٢٤ - ٣٠].

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ﴾ [السجدة: 24] الناس للدين ﴿بِأَمْرِنَا﴾ بإرادتنا ﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾ على الدين والبلاء والأعداء بمصر، قرأ حمزة والكسائي ورويس «لما» بكسر اللام؛ أي: لأجل صبرهم، والباقون بفتح اللام وتشديد الميم أي: حين صبروا ﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ * إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [السجدة: 24 - 25] من أمر الدين.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ [السجدة: 26] يبيّن ﴿لَهُمْ﴾ القرآن ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: قبل كفار مكة ﴿مِنَ الْقُرُونِ﴾ الأمم الكثيرة ﴿يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾ في أسفارهم إلى الشام وغيرها فيعتبروا ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الإهلاك ﴿لَآيَاتٍ﴾ دالة على قدرتنا ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ أخبارهم سماع تدبر.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ [السجدة: 27] اليابسة التي لا نبات فيها، وهي بين اليمن ﴿فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ﴾ أي: من مجموعة ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ هذا فيعلمون قدرتنا على إعادتهم ﴿وَيَقُولُونَ﴾ [السجدة: 28] أي: كفار مكة للمؤمنين: ﴿مَتَى هَذَا الْفَتْحُ﴾ أي: الحكم بيننا وبينكم ونصرتنا وهو يوم القيامة على الأصح، أو يوم بدر، أو يوم فتح مكة ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في وعدنا به.

﴿قُلْ﴾ [السجدة: 29] لهم يا محمد ﷺ: ﴿يَوْمَ الْفَتْحِ﴾ بإنزال العذاب ﴿لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ فيؤخر عنهم العذاب ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ﴾ [السجدة: 30] نزول العذاب بهم ﴿إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ﴾ لك حوادث الزمان إمَّا قتلاً، وإمَّا موتًا، ونسخت بالأمر بالقتال.

سورة الأحزاب

مدنية ثلاث وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١) وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٢) وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (٣) مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (٤) ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥)﴾ [الأحزاب: ١ - ٥].

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ﴾ [الأحزاب: 1] أي: اثبت على التقوى كقولك للقائم: قم؛ أي: اثبت على قيامك ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ وهم عكرمة بن أبي جهل وأبو سفيان قبل إسلامهما وعبد الله بن أبي رأس المنافقين؛ نزلت لأنهم سألوه أن يرفض ذكر آلهتهم ولا ينازعوه، فشق عليه ولعنهم عمر وأمره النبي ﷺ بإخراجهم من المدينة ﴿إِنَّ الله كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [الأحزاب: 2] وهو القرآن ﴿إِنَّ الله كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ بالياء من أسفل لأبي عمرو هنا وفي «بما يعملون بصيرًا»، والباقون بالتاء من فوق ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾ [الأحزاب: 3] في أمرك ﴿وَكَفَى بِالله وَكِيلًا﴾ حافظًا لك، أو كفيلاً برزقك، وأمته تبع له في ذلك كله.

﴿مَا جَعَلَ الله لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ [الأحزاب: 4] نزلت في أبي معمر بن

معمر كان فطنًا فكانوا يقولون: له قلبان، ويقول: هو أنه يعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد ﷺ، فلمَّا هزم الله الكفار ببدر لبس نعلاً في يده وأخرى في رجله فعلموا كذبه ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي﴾ قرأ ابن عامر والكوفيون «اللائي» بهمزة مكسورة بعدها ياء ساكنة، والبزي وأبو عمرو وأبو جعفر بياء ساكنة، وقالون وقنبل ويعقوب بهمزة مكسورة مخففة ليس بعدها ياء، وورش جعل همزة كالياء المكسورة، وذلك عبارة عن تخفيف الهمزة بين بين، وكذلك اختلافهم في المجادلة والطلاق وروي عن ورش هنا مثل قالون، وفي المجادلة مثل ابن عامر، وفي الطلاق كأبي عمرو ﴿تُظَاهِرُونَ﴾ قرأ عاصم بضم التاء وكسر الهاء مخففة وألف بعد الظاء وتخفيف، وكذلك حمزة والكسائي وخلف ولكنهم بفتح التاء والهاء، وابن عامر كذلك إلا أنه بتشديد الظاء، والباقون كذلك لكنهم بتشديد الهاء بلا ألف ﴿مِنْهُنَّ﴾ كقول الواحد مثلاً لزوجته: أنت علي كظهر أمي ﴿أُمَّهَاتِكُمْ﴾ أي: مثل الأمهات في التحريم؛ لأنهم كانوا يعدونه في الجاهلية طلاقًا، بل يجب فيه الكفارة كما يأتي في سورة المجادلة إن شاء الله تعالى ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ﴾ جمع: دعي، وهو: المتبني بأن يقول: هذا ابني ﴿أَبْنَاءَكُمْ﴾ حقيقة، وكان التبني موجودًا في صدر الإسلام، وتبنى النبي ﷺ زيد بن حارثة لمَّا أعتقه فنزلت ناسخة له ﴿ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ أشار به إلى المنافقين واليهود لمَّا تزوج النبي ﷺ زينب وكانت تحت زيد قبله تزوج زوجة ابنه ﴿وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ طريق الحق.

ثم أمرهم بدعاء الشخص لأبيه فقال: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ﴾ [الأحزاب: 5] أعدل ﴿عِنْدَ اللهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾ أي: هم إخوانكم ﴿فِي الدِّينِ﴾ دين الإسلام ﴿وَمَوَالِيكُمْ﴾ أي: أوليائكم في الدين، أو المراد: بنو عمكم ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ إثم ﴿فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ﴾ في ذلك قبل التبني بنسبة الولد لغير أبيه، أو بعده بنسبته لغيره خطأ لظنه إياه ﴿وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ﴾ أي: فيما تعمدت ﴿قُلُوبُكُمْ﴾ فيه بعد النهي ﴿وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ

ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ [الأحزاب: ٦ - ٩].

﴿النَّبِيُّ﴾ [الأحزاب: 6] محمد ﷺ ﴿أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ فإذا دعاهم لشيء وكانوا محبين الخلافة فطاعته واجبة عليهم ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ في حرمة نكاحهن ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ﴾ ذو القربات ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾ في الميراث من الإرث بالهجرة والنصرة ﴿فِي كِتَابِ اللهِ﴾ أي: حكمه ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ أي: من الإرث بالإيمان والهجرة الذي كان أولاً كما سبق في الأنفال ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ﴾ إخوانكم في الدين وأهل ودّكم ﴿مَعْرُوفًا﴾ فتوصوا لهم، فذلك جائزًا إن كان في غير معصية ﴿كَانَ ذَلِكَ﴾ أي: نسخ الإرث بالإيمان والهجرة وتجويز الوصية ﴿فِي الْكِتَابِ﴾ اللوح المحفوظ ﴿مَسْطُورًا﴾.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: 7] صلوات الله عليهم وسلام ﴿مِيثَاقَهُمْ﴾ عهدهم المذكر على الوفاء بما حملوا به، وتصديق بعضهم بعضًا، والإبلاغ والنصح لأممهم، وذلك حين أخرجوا من صلب آدم كالذر وهو أصغر النمل ﴿وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ خصّوا؛ لأنهم أصحاب الكتب والشرائع وهم أولوا العزم على المشهور، وقدَّم النبي ﷺ؛ لأنه أولهم وآخرهم بعثًا ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا﴾ يمينًا ﴿غَلِيظًا﴾ شديدًا مؤكدًا على الوفاء.

﴿لِيَسْأَلَ﴾ [الأحزاب: 8] أي: أخذ الله الميثاق ليسأل ﴿الصَّادِقِينَ﴾ الأنبياء ﴿عَنْ صِدْقِهِمْ﴾ عملهم، أو موافقة القلب اللسان، وسؤالهم لتبكيت أممهم المكذبة ﴿وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ﴾ [الأحزاب: 9] وذلك لمَّا حوصر المسلمون أيام الخندق مع رسول الله ﷺ ﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ هم الأحزاب قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ وهم الملائكة، ولم يقاتلوا في ذلك اليوم وانهزموا الكفار بلا قتال؛ لأن الله أرسل الريح المذكورة

عليهم فأطفأت نارهم، وأكفأت قدورهم، وجالت الخيل بسبب ذلك، وانقطعت أطناب الخيام فولوا ﴿وَكَانَ الله بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾.

﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَءَاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الأحزاب: ١٠ - ١٥].

﴿إِذْ جَاءُوكُمْ﴾ [الأحزاب: 10] الكفار أسد وغطفان عليهم مالك بن عوف النضري، وعيينة بن حصن الفزاري في ألف من غطفان ﴿مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ من المشرق ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ من قبل المغرب وهم قريش وبنو كنانة عليهم أبو سفيان بن حرب ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾ مالت عن كل شيء إلا عن عدوها من كل جانب ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ زالت عن أماكنها، فبلغت الحنجرة - وهي: جوف الحلقوم - ومنتهاه من شدة الخوف ﴿وَتَظُنُّونَ بِالله الظُّنُونَ﴾ فظن المنافقون استئصال النبي ﷺ وصحبه، وظن المؤمنون النصر والظفر، قرأ المدنيان وابن عامر وأبو بكر «الظنونا» و«الرسولا» والسبب لا بألف في الحالين، والبصريين وحمزة بغير ألف في الحالين، والباقون بألف في الوقف دون الوصل.

﴿هُنَالِكَ﴾ [الأحزاب: 11] عند ذلك الخوف العظيم ﴿ابْتُلِيَ﴾ اختبر ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾ بالحصر؛ لتبيين المخلص من المنافق ﴿وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ حركوا حركة شديدة ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾ [الأحزاب: 12] معتب بن قشير، أو عبد الله بن أُبي وصحبه ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ شك ونفاق ﴿مَا وَعَدَنَا الله وَرَسُولُهُ﴾ بفتوح الشام وفارس وأحدنا لا يستطيع مجاوزة رحله ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾ باطلاً.

﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾ [الأحزاب: 13] أي: من المنافقين وهم: أُوَيْس بْنِ قَيْظِيٍ وأصحابه ﴿يَا أَهْلَ يَثْرِبَ﴾ أي: المدينة، ويكره تسميتها به للنهي عنه، وهو هنا على سبيل الحكاية ذمًا لقائله ﴿لَا مُقَامَ﴾ بفتح الميم لا مكان ﴿لَكُمْ﴾ تقيمون وتنزلون هنا فيه ﴿فَارْجِعُوا﴾ إلى المدينة، وروى حفص مقام بضم الميم؛ أي: إقامة، وأمروهم بالرجوع لمنازلهم؛ لأنهم كانوا خرجوا معه ﷺ لسلع جبل خارج المدينة للقتال ﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ﴾ ﷺ في الرجوع وهم: بنو حارثة، وبنو سلمة بكسر اللام ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ خالية ضائعة بلا حافظ يخشى عليها السراق فكذبهم الله تعالى بقوله: ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ﴾ ما ﴿يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ من القتال.

﴿وَلَوْ دُخِلَتْ﴾ [الأحزاب: 14] المدينة ﴿عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا﴾ أي: دخل الأحزاب عليهم من جهاتها ﴿ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ﴾ أي: الشرك ﴿لَآتَوْهَا﴾ أعطوها في قراءة المد، أو فعلوها في قراءة القصر للمدنيين وابن كثير وابن ذكوان ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا﴾ أي: ما احتبسوا عن الفتنة ﴿إِلَّا يَسِيرًا﴾ قليلاً، وأسرعوا بالإجابة للترك لطيبة قلوبهم به قاله الأكثر، أو المراد: ما أقاموا بالمدينة بعد إعطاء الكفر، أو فعله إلا قليلاً حتى هلكوا ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا الله مِنْ قَبْلُ﴾ [الأحزاب: 15] أي: قبل الأحزاب ﴿لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ﴾ أي: لا يولون العدو أدبارهم بأن ينهزموا ﴿وَكَانَ عَهْدُ الله مَسْئُولًا﴾ عن الوفاء به.

﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا

قَلِيلًا ﴿٢٠﴾﴾ [الأحزاب: ١٦ - ٢٠].

﴿قُلْ﴾ [الأحزاب: 16] لهم يا محمد ﷺ: ﴿لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ﴾ الذي كتب عليكم ﴿وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ﴾ أي: إذا فررتم لا تعيشون بعد؛ أي: بعد الفرار ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ وهو بقية الأجل؛ لأن الزائل وإن طال زمنه قليل.

﴿قُلْ﴾ [الأحزاب: 17] لهم يا محمد ﷺ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ﴾ يُجيركم ﴿مِنَ اللهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ﴾ قتلاً أو هزيمة أو يصيبكم بسوء إن ﴿أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ أي: لا مانع فيهما ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿مِنْ دُونِ اللهِ﴾ من غيره ﴿وَلِيًّا﴾ ينفعهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ ينصرهم فيدفع السوء عنهم.

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ﴾ [الأحزاب: 18] للمؤمنين عن القتال؛ أي: المثبطين لهم ﴿مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ﴾ ارجعوا واقبلوا ﴿إِلَيْنَا﴾ ودعوا محمدًا ﷺ وصحبه، وقائل ذلك المنافقون ومنهم: عبد الله بن أُبي ﴿وَلَا يَأْتُونَ﴾ أي: قائلو ذلك ﴿الْبَأْسَ﴾ القتال ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ رياء لمحمد ﷺ وصحبه ﴿أَشِحَّةً﴾ [الأحزاب: 19] بخلاء بالنفقة والنصرة والمعاونة ﴿عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾ في وجوههم ﴿كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ أي: من ألمه وشدته، والمراد: دارت كدوران عين من هو في سكرات الموت كأنهم ذهبت عقولهم وشخصت أبصارهم ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ﴾ وخيرت الغنائم ﴿سَلَقُوكُمْ﴾ أذوكم ورموكم في الأمن ﴿بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ ذربة جمع حديد؛ أي: لا تتوقف عن الكلام ﴿أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ إشارة إلى أن السلف لأجل الغنائم وطلبها ﴿أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾ في الحقيقة؛ لأن الإيمان بمجرد اللسان لا ينفع ﴿فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ﴾ أي: إحباط عملهم ﴿عَلَى اللهِ يَسِيرًا﴾.

﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ﴾ [الأحزاب: 20] أي: المنافقون يظنون أن قريشًا وغطفان ومن يحزب العرب ﴿لَمْ يَذْهَبُوا﴾ إلى مكة من شدة الخوف ﴿وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ﴾ مرة أخرى ﴿يَوَدُّوا﴾ يتمنوا ﴿لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ﴾ أي: كائنون في البادية ﴿فِي الْأَعْرَابِ﴾ أي: معهم ﴿يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ﴾ أخباركم ﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ﴾ في المرة الثانية أيضًا ﴿مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ رياء وسمعة.

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ

وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾ [الأحزاب: ٢١ - ٢٥].

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: 21] بضم الهمزة هنا وفي حرفي الممتحنة لعاصم وبالكسر للباقين؛ أي: اقتداء حسن ﴿لِمَنْ كَانَ يَرْجُو الله﴾ أي: يخافه ﴿وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ الله كَثِيرًا﴾.

﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ﴾ [الأحزاب: 22] من الكفار ﴿قَالُوا هَذَا﴾ الذي رأيناه ﴿مَا وَعَدَنَا الله وَرَسُولُهُ﴾ محمد ﷺ ﴿وَصَدَقَ الله وَرَسُولُهُ﴾ ﷺ والوعد قوله في سورة البقرة: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم﴾ [البقرة: 214] ﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾ رؤية الأحزاب ﴿إِلَّا إِيمَانًا﴾ لأنهم صدَّقوا الوعد السابق ﴿وَتَسْلِيمًا﴾ لأمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ.

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا الله عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: 23] من الثبات مع الرسول ﷺ ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ﴾ أجله فاستشهدوا في سبيل الله كحمزة عمه ﷺ، أو ماتوا على الإسلام، ويقال: قضى فلان نحبه؛ أي: بذل جهده في الوفاء ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾ الشهادة، أو النصر، أو ثواب الله تعالى ﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ فيما عاهدوا عليه بخلاف المنافقين ﴿لِيَجْزِيَ الله الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [الأحزاب: 24] بأن يخلصوا الإيمان قبل الموت ﴿إِنَّ الله كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

﴿وَرَدَّ الله الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأحزاب: 25] وهم الأحزاب ﴿بِغَيْظِهِمْ﴾ لم يشف صدورهم ﴿لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾ ظفرًا بالمؤمنين ﴿وَكَفَى الله الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ بالريح والملائكة ﴿وَكَانَ الله قَوِيًّا عَزِيزًا﴾.

﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى

قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾﴾ [الأحزاب: ٢٦ - ٣٢].

﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [الأحزاب: 26] أي: أعانوا الأحزاب وهم: بنو قريظة ﴿مِنْ صَيَاصِيهِمْ﴾ حصونهم ومعاقلهم التي يلجئون إليها، واحدتها: صيصة، وذلك أن رسول الله ﷺ لما انصرف من الأحزاب هو وأصحابه إلى المدينة نزعوا سلاحهم فأتاه جبريل وأمره بلبس السلاح، ونادى في المدينة من كان سامعًا مطيعًا فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة، وقدَّم رسول الله ﷺ برايته عليًا - كرَّم الله وجهه - وأتى بعده وحاصرهم خمسًا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار ﴿**وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ**﴾ فلمَّا ضاق بهم الحال نزلوا على حكم رسول الله ﷺ ففوض الحكم إلى سعد بن معاذ، وأرسل إليه وكان جريحًا فجاء محمولاً، فلما أتى قال رسول الله ﷺ: قوموا إلى سيدكم وكانوا تبعوه في الطريق، وقالوا: له ما ولَّاك رسول الله ﷺ ذلك إلا لتحسن إليهم، فقال: آن لسعد ألَّا تأخذه في الله لومة لائم، ولمَّا جاء أخذ العهد بالوفاء بما يحكم به.

فقال سعد ﷺ: فإني أحكم فيهم أن يقتل الرجال، وتقسم الأموال وتُسْبى الذراري والنساء، فقال له رسول الله ﷺ: «**لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة**»[1] فذلك قوله: ﴿**وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ**

(1) رواه البغوي في «تفسيره» (341/6).

فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ [الأحزاب: 26] ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ منهم وهم: الرجال ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ منهم وهم: الذراري والنساء ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا﴾ [الأحزاب: 27] قبل ذلك وهي خيبر، وأخذت بعد بني قريظة ﴿وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ﴾ [الأحزاب: 28] وهن تسع نسوة، خمسة من قريش: عائشة بنت أبي بكر وهي أفضلهن، وحفصة بنت عمر، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وأم سلمة بنت أبي أمية، وسودة بنت زمعة، والباقيات: زينب بنت جحش الأسدية، وميمونة بنت الحارث المصطلقية ﴿إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ﴾ متعة الطلاق ﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ﴾ أطلقكن ﴿سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ لا ضرر فيه ﴿وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ [الأحزاب: 29] أي: ثوابها في الجنة﴿فَإِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ﴾ بإرادة الآخرة ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ وهو الجنة، ولمَّا نزلت بدء رسول الله ﷺ بعائشة وقال لها ذلك فاختارت الله ورسوله، ثم عرض على الباقي ذلك فكلهن - رضي الله عنهن - تابعها - رضي الله عنها - على ذلك، وكان سبب نزول هذه الآيات أنهن طلبن منه من زينة الدنيا ومتاعها.

﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ﴾ [الأحزاب: 30] معصية كنشوز وسوء خلق ﴿مُبَيِّنَةٍ﴾ ظاهرة، ولم يأت واحدة منهن بذلك ﴿يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ﴾ قرأ ابن كثير وابن عامر: «تضعف» بالنون وتشديد العين مكسورة بلا ألف، العذاب بالنصب وأبو جعفر والبصريان بالياء وتشديد العين مفتوحة من غير ألف، ورفع العذاب، والباقون كذلك ولكن بتخفيف العين والألف قبلها ﴿ضِعْفَيْنِ﴾ أي: مثل عذاب غيرهن مرتين ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا﴾.

﴿وَمَنْ يَقْنُتْ﴾ [الأحزاب: 31] يطع ﴿مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ ۞ ﴿وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ وقرأ حمزة والكسائي وخلف: «ويعمل» بالياء من أسفل يؤتها كذلك، والباقون: «تعمل» بتاء من فوق ونونها بنون في أوله؛ أي: يعطها مثل ثواب غيرها ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ هيأنا ﴿لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ في الجنة مع رسول الله ﷺ؛ لأنهن معه في منزله إذ هم أزواجه في الجنة.

﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: 32] ۞ ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾ أي: ليس مقداركن عندي مثل مقدار غيركن من الصالحات فأنتن أكرم عندي وثوابكم أعظم

لدي، ثم بيَّن بعض التقوى المأمور بها بقوله: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ للرجال أي: لا ترفعن الكلام ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ فجور وشهوة، أو نفاق ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ يوجبه البيان؛ أي: يقتضيه من غير ترقيق لفظ.

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٣ - ٣٨].

﴿وَقَرْنَ﴾ [الأحزاب: 33] بفتح القاف لعاصم والمدنيين، والباقون بكسر القاف ﴿فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ من القرار ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ بإظهار الزينة والتكسر والتبختر، وهل الجاهلية المذكورة زمن داود أو النمروذ؟ أو ما بين عيسى ومحمد - صلى الله عليهما وسلم -؟ أو ما بين نوح وإدريس؟ أو المراد قبل الإسلام؟ أقوال:

الأحـــرى: ما بعد ذلك فعليه في الأخير الأخرى ما في صدر الإسلام من قوله: ﴿وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ...﴾ [النور: 31] إلى آخره، فأتاهم عمَّا أتى الإسلام وهم عليه، وقيل: الأولى قد تذكر ولا أخرى بها كقوله: ﴿عَادًا الأُولَى﴾ [النجم: 50] ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلاَةَ وآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ الله وَرَسُولَهُ﴾ ﷺ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾ الإثم ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ أي: نساء النبي ومعهم علي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ من الرجس.

﴿وَاذْكُرْنَ﴾ [الأحزاب: 34] يا نساء النبي ﴿مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ الله﴾ القرآن ﴿وَالْحِكْمَةِ﴾ السنة ﴿إِنَّ الله كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾، وقال: نساء المؤمنين لم ينزل فينا شيء وإنما الثواب للرجال فنزل قوله: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [الأحزاب: 35] بلا نفاق ﴿وَالْقَانِتِينَ﴾ الطائعين ﴿وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾ في الإيمان ﴿وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ﴾ على الطاعات ﴿وَالْخَاشِعِينَ﴾ المتواضعين ﴿وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ﴾ قيل: ويكفي في الأول الصدقة بدرهم في الأسبوع، وفي الثاني صيام التنفل، والأرجح أن المراد فعل ذلك فرضًا والنفل زيادة في الكمال ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾ عن كل حرام ﴿وَالذَّاكِرِينَ الله كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ ﴿قِيَامًا وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: 191] ﴿أَعَدَّ الله لَهُمْ مَغْفِرَةً﴾ لذنوبهم ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ على طاعتهم بالخلود في الجنان ورؤية وجه الله الكريم.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى الله وَرَسُولُهُ﴾ [الأحزاب: 36] ﷺ ﴿أَمْرًا أَنْ يَكُونَ﴾ بالياء من أسفل في أوله لهشام والكوفيين، والباقون بالتاء من فوق ﴿لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ الاختيار ﴿مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ فيردوا غير ما أراد الله ورسوله، نزلت لما خطب رسول الله ﷺ زينب لزيد بن حارثة وأبت ذلك هي وأخوها عبد الله بن جحش وكانا رضيا أولاً لظنها أن رسول الله ﷺ خطبها لنفسه فكان الإباء لزيد فلما نزلت رضيا وفوضا أمرها لرسول الله ﷺ فأنكحها زيدًا ودخل بها، وساق لها رسول الله ﷺ عشرة دنانير وستين درهمًا وحمارًا ودرعًا وملحفة وخمسين مدًا من طعام وثلاثين صاعًا من تمر ﴿وَمَنْ يَعْصِ الله وَرَسُولَهُ﴾ ﷺ ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلًا مُبِينًا﴾ فزوجها النبي ﷺ زيدًا، ثم أحبها بإلقاء الله ذلك في قلبه بسبب نظره إياها لا عن قصد، ووقع في نفس زيد كراهتها، ثم قال

لنبي ﷺ أريد فراقها فقال له: ﴿أَمْسِكْ...﴾ [الأحزاب: 37] إلى آخره.

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: 37] بالإسلام ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ يا محمد ﷺ بالعتق وهو زيد بن حارثة، وكان من سبي الجاهلية اشتراه النبي ﷺ قبل النبوة وأعتقه وتبناه ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ أي: لا تفارق زينب بنت جحش ﴿وَاتَّقِ اللهَ﴾ في طلاقها؛ لأنه جاءه يخبره بإرادته فراقها ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ﴾ من حبها وإن زيدًا لو طلقها تزوجتها ﴿مَا اللهُ مُبْدِيهِ﴾ مظهره ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ﴾ أن يقولوا: تزوج زوجة ابنه ﴿وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ في سائر أمورك ومنه أن تتزوجها ولا تبالي بقول الناس ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا﴾ أي: حاجة من نكاحها وطلقها وانقضت عدتها ﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾ فدخل عليها النبي ﷺ بلا إذن وأشبع المسلمين خبزًا ولحمًا، وذكر الوطر ليعلم أن زوجة المتبنى تحل بعد الدخول، وكان التزويج من الله والسفير جبريل عليه السلام ﴿لِكَيْ لَا﴾ أي: فعلنا ذلك لكي لا ﴿يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ﴾ إثم ﴿فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ﴾ أي: للذين ادعوا أنهم أبنائهم على جهة التبني ﴿إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ حاجة بالدخول ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللهِ﴾ مقضيُّه ﴿مَفْعُولًا﴾.

﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: 38] ﷺ ﴿مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللهُ لَهُ﴾ أي: أحل له ﴿سُنَّةَ﴾ أي: كسنة ﴿اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ من الأنبياء؛ أي: في أنه لا يؤاخذهم بما أحل لهم ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ قضاء مقضيًا، **والقضاء:** عبارة عن وجود جميع المخلوقات في اللوح المحفوظ مجتمعة مجملة على سبيل الإبداع، **والقدر:** عبارة عن وجودها منزلة في أعيان بعد حصول شرائطها مفصلة واحدًا بعد واحد على سنن القضاء.

﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٤٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَرِيمٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا

﴿إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦﴾ [الأحزاب: ٣٩ - ٤٦].

﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ الله وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا الله وَكَفَى بِالله حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: 39] حافظًا لأعمال خلقه ومحاسبًا لهم، ولما تزوج رسول الله ﷺ زوجة زيد قال الناس: تزوج زوجة ابنه فنزل قوله تعالى ﷻ: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: 40] الذي لم يلدهم حتى يحرم عليه نكاح زوجته ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ الله﴾ أي: ولكن كان رسول الله ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ بفتح التاء لعاصم والباقون بكسرها؛ أي: فلا يكون له ابن بعده يكون نبيًا ﴿وَكَانَ الله بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا الله ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 41] في كل حال ﴿وَسَبِّحُوهُ﴾ [الأحزاب: 42] صلوا له ﴿بُكْرَةً﴾ صلاة الصبح ﴿وَأَصِيلًا﴾ الظهر والعصر والمغرب والعشاء، أو المراد قولوا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فعبَّر بالتسبيح عن أخواته؛ لأنه مفتاحها غالبًا ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾ [الأحزاب: 43] يصلي بأن يقول: اللهم صل على المؤمنين؛ أي: ارحمهم، ولمَّا نزل: ﴿إِنَّ الله وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: 56] قال الصديق: ما خصك الله يا رسول الله بشرف إلا وقد أشركنا فيه، فنزلت هذه الآية ﴿لِيُخْرِجَكُمْ﴾ بصلاته؛ أي: رحمته ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمان ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾.

﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾ [الأحزاب: 44] أي: المؤمنين ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ﴾ أي: يرون الله ﴿سَلَامٌ﴾ أي: سلام عليهم، أو تسليمه لهم، أو تسليم الملائكة، أو ملك الموت عليهم عند قبض أرواحهم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ هو الجنة.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا﴾ [الأحزاب: 45] للرسل بالتبليغ وعلى من أرسلت إليهم بما أجابوا ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ لمن آمن بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ لمن كذَّب بالنار ﴿وَدَاعِيًا إِلَى الله بِإِذْنِهِ﴾ [الأحزاب: 46] بأمره ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ أي: مثله في الاهتداء به.

﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ٤٧ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ٤٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٧ - ٥٠].

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِنَ الله فَضْلًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: 47] هو الجنة والرضوان الدائم ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [الأحزاب: 48] فيما دعوك إليه مما يخالف دينك ﴿وَدَعْ أَذَاهُمْ﴾ أي: اصبر عليه ولا تحاربهم، وهو منسوخ بآية القتال ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الله﴾ فهو كافيك ﴿وَكَفَى بِالله وَكِيلًا﴾ حافظًا.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ [الأحزاب: 49] أي: عقدتم عليهن والتقييد بهن للغالب، وإلا فالمشركات مثلهن فيما ذكر في الآية ﴿ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ تغيبوا الحشفة في الفرج والحق به وصول الماء للرحم ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ تحصونها بالإقراء والأشهر ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾ أعطوهن ما يستمتعن به إن لم تسموا لهن صداقًا وإلا فلهن نصف المسمى كذا قاله الشافعي ﷺ ﴿وَسَرِّحُوهُنَّ﴾ خلوا سبيلهن ﴿سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ بلا إضرار.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ [الأحزاب: 50] مهورهن ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ﴾ رد ﴿اللهُ عَلَيْكَ﴾ من الكفار بالسبي كصفية وجويرية، أو بملك اليمين بالهدية مثلاً كمارية ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ﴾ أراد نساء قريش ﴿وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ﴾ وهم نساء بني زهرة ﴿اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ إلى المدينة، فمن لم تهاجر لا يجوز له نكاحها وأحل لك ﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ﴾ أي: لأن ﴿وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ بلا صداق، وغير المؤمنة لا تحل له إن وهبت نفسها له، وكان ﷺ لا يحل له نكاح الكتابية وإن جاز لغيره صونًا لعظم رتبته عن مثله ﴿إِنْ

أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا﴾ أي: طلب نكاحها بلا صداق، والمعنى: إنه لا يجب عليه نكاحها إذا وهبت نفسها له وكان النكاح ينعقد في حقه ﷺ بلفظ الهبة دون أمته ﴿خَالِصَةً﴾ أي: خلص ﴿لَكَ﴾ إحلالاً ما أخلصه لك ﴿مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: فلا يكون نكاحهم بلا صداق ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾ من وجوب الصداق وعدم الزيادة على أربع، والنكاح بولي وشهود وكل ذلك لم يكن واجبًا عليه ﷺ ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ بالشراء أو غيره بأن تكون الأمة ممن تحل له نكاحها ككتابية لا كمجوسية ووثنية، وأن تستبرأ قبل الوطء ونحو ذلك مما فصل في الفقه ﴿لِكَيْلَا﴾ أي: أحللنا لك خالصة ﴿يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ ضيق في النكاح ﴿وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[1].

---

(1) فيها مسائل: **المسألة الأولى:** في سبب نزولها، روى الترمذي، أن أم هانئ بنت أبي طالب،قالت: خطبني رسول الله ﷺ، فاعتذرت إليه بعذري، فنزلت الآية. **قال القاضي:** والحديث ضعيف. وقد اختلف في زوجاته، عليه الصلاة والسلام، هل هن كالسراري عنده، أو لهن أحكام الزوجية. قال إمام الحرمين: والصحيح أن لهن حكم الزوجات. **المسألة الثانية:** في أزواج النبي ﷺ عقد رسول الله ﷺ النكاح على عدة من النساء، وهن خديجة نبت خويلد، وعائشة بن أبي بكر، وحفصة بنت عمر، وسودة بنت زمعة، وأم سلمة بنت أبي أمية، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وكلهن من قريش. وزينب بنت خزيمة العامرية وزينب بنت جحش الأسدية، وميمونة بنت حارث الهلالية، وصفية بنت حيي بن أخطب الهارونية، وجوهرية بنت الحارث المصطلقية، ومات عن تسع. **المسألة الثالثة:** أحل الله تعالى له هذه الأزواج اللاتي كن تحته، قبل نزول هذه الآية. إما إحلال غيرهن فلقوله تعالى: ﴿لاَ يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ﴾. الآية. وقوله: ﴿اللاَّتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾. أي أعطيت صداقهن، وقوله: ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ السراري، وأحل لرسوله ما شاء من النساء. وأحل لأمته الأربع فدونها، وروي أن داود كان له مائة امرأة، وكان لسليمان ثلاثمائة حرة، وسبعمائة سرية، وفي الصحيح، أن رسول الله ﷺ قال: «إن سليمان قال: لأطوفن الليلة على سبعين امرأة، تلد كل امرأة غلامًا، يقاتل في سبيل الله، ونسي أن يقول: إن شاء الله، فلم تلد منهن سوى امرأة واحدة. ولدت شق غلام». **المسألة الرابعة:** قوله تعالى: ﴿مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾. أي السبي المأخوذ غلبة وقهرًا، وقد كان رسول الله ﷺ يأكل من عمله، ويطأ بملك يمينه، وقال ﷺ: «جعل رزقي تحت ظل رمحي» وقوله: ﴿اللاَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾. يحتمل المسلمات، لقوله ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه».

وقيل: المراد من هاجر معه من مكة إلى المدينة، وهذه الآية نزلت في أم هانئ حين خطبها: لأنها لم تكن هاجرت فمنع منها لنقصانها بعدم الهجرة. واعلم أن الهجرة إذا أطلقت، فهي محمولة على الخروج من بلاد الكفر إلى دار الإيمان، والأسماء إنما تحمل على عرفها، والهجرة في الشرع معروفة.

=

﴿ ۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ

=

المسألة الخامسة: قوله ﴿هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾. المراد بالمعية: الموافقة في الهجرة، ولا يلزم أن تكون مقارنة لهجرته، فإن قيل: لم أفرد العم والخال وجميع نسائها. قلنا: العم والخال اسم جنس، كالشاعر والراجز، وليس العمة، والخالة، وهذا عرف لغوي دقيق جرت العادة عليه، وقوله تعالى: ﴿وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾. «جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فوقفت عليه، فقالت: يا رسول الله، إني وهبت نفسي لك». الحديث. قيل: إن المرأة ميمونة بنت الحارث، وقيل: هي أم شريك، وقيل: زينب بنت خزيمة أم المساكين، وقيل: غير ذلك. واعلم أن المراد أحللنا لك امرأة تهب نفسها دون صداق، ولا تحل لغيرك، وقوله تعالى: ﴿مِمَّا أَفَاءَ الله عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاتِكَ اللاَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾. يدل على أنه لا يحل له نكاح الكافرة لشرفه وكماله، وقرئ إن بكسر الهمزة على الشرط وبفتحها على أنه مفعول معه. **المسألة السادسة**: قوله تعالى: ﴿خَالِصَةً لَّكَ﴾. قال قتادة: المراد أن المرأة إذا وهبت نفسها لرسول الله ﷺ جاز أن ينكحها بغير صداق ولا ولي، وليس ذلك لغيره، وقد تزوج بنت جحش، ودون ولي وصداق، وقال الشافعي: المراد: أن نكاحه ينعقد بلفظ الهبة، وليس ذلك لغيره. تنبيه: **قال القاضي أبو بكر**: خص رسول الله ﷺ بأشياء هي فرض عليه دون أمته، وهي: التهجد، والفجر، والضحى، والوتر، والسواك، وقضاء دين ما مات معسرًا، ومشاورة ذوي الأحكام في غير الشرائع وتخيير نسائه، وإذا عمل عملاً أثبته. وحرمت عليه أشياء دون أمته، وهي الزكاة، وصدقة التطوع وخائنة الأعين، وإذا لبس لأمته لم يخلعها حتى يحكم الله بينه وبين محاربه، والأكل متكئًا، وأكل الأطعمة الكريهة الرائحة، والتبذل بأزواجه، ونكاح الحرة الكتابية ونكاح الأمة. وأبيح له صفي المغنم والاستبداد بخمس الخمس أو الخمس والوصال والزيادة. والنكاح بلفظ الهبة، والنكاح بغير ولي، وبغير صداق، والنكاح حالة الإحرام، وفي الصحيح أنه تزوج ميمونة، وبسقوط القسم بين أزواجه، وإذا وقع بصره وأعجبته، وجب على زوجها طلاقها ليزوجها. وأن يعتق أمته، ويجعل عتقها صداقها، كما فعل بصفية، ودخول مكة بغير إحرام والقتال بمكة، وقد قال ﷺ: «لا تحل لأحد قبلي ولا لأحد بعدي، وإنما أحلت لي ساعة من نهار»، وأنه لا يورث، وتحريم نسائه على غيره لحرمته. **المسألة السابعة**: قوله: ﴿خَالِصَةً﴾. انتصب على الحال من الضمير المنصوب المتصل الذي في يستنكحها. والخلوص: اختصاصه، عليه الصلاة والسلام، لما تزوج أم سلمة، قال لابنها عمر بن أبي سلمة: «قم يا غلام فزوج أمك».

وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾ [الأحزاب: ٥١ - ٥٣].

﴿تُرْجِي﴾ [الأحزاب: 51] تؤخر ﴿مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ﴾ أي: من نسائك عن القسم ﴿وَتُؤْوِي﴾ تضم ﴿إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾ منهن فتأتيها؛ أي: تقسم لها ﴿وَمَنِ ابْتَغَيْتَ﴾ طلبت ﴿مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾ عن القسم أولاً، ثم قسمت لها ثانيًا ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ فلا إثم ﴿عَلَيْكَ﴾ في كل ذلك ﴿ذَلِكَ﴾ الذي خيّرناك فيه ﴿أَدْنَى﴾ أقرب ﴿أَنْ﴾ أي: إلى أن ﴿تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ﴾ في محلها؛ أي: فلا ينتظرنك في توبة معينة ﴿وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ﴾ أعطيتهن من قسم، أو ترك لعلمهن إن ذلك من الله تعالى ﴿كُلُّهُنَّ وَالله يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ الله عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ ونزلت آية القسم تخفيفًا عليه ورفقًا به لمَّا غار بعضهن، أو طلب خلاف ذلك وكان مع ذلك ﷺ يقسم للجميع بالسوية فضلاً منه إلا سودة فوهبت نوبتها لعائشة رضي الله عنها.

﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ﴾ [الأحزاب: 52] قرأ البصريان «لا تحل» بالتاء من فوق، والباقون بالياء من أسفل، والمراد: لا يحل لك النساء بعد التسع اللاتي اخترنك ﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾ بأن تطلق الكل أو البعض وتنكح بدل من طلقت ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ أي: النساء ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ فملك بعد مارية وأولدها إبراهيم، والمراد: إن له التسري عليهن ﴿وَكَانَ الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾ ونزلت الآية في أسماء بنت محمد الخثعمية امرأة جعفر بن أبي طالب، وكان النبي ﷺ أراد نكاحها بعد موته فنهي عن ذلك وصح عند الترمذي والحاكم وغيرهم أن رسول ﷺ لم يمت حتى أحل الله له أن يتزوج ما شاء، فأحل له زواج غيرهن عليهن إلا ذات محرم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾ ﷺ [الأحزاب: 53] ﴿إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ في دخولها ﴿إِلَى طَعَامٍ﴾ تأكلوه فادخلوا ﴿غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾ أي: منظرين نضجه ﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا﴾ فالدخول بلا دعوة حرام ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ﴾ أكلتم ﴿فَانْتَشِرُوا﴾ تفرقوا واخرجوا من منزله ﴿وَلَا﴾ تمكثوا بعد الأكل ﴿مُسْتَأْنِسِينَ﴾ طالبين الأنس ﴿لِحَدِيثٍ﴾ من بعضكم بعضًا ﴿إِنَّ ذَلِكُمْ﴾ المكث ﴿كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ﴾ ﷺ ﴿فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ﴾ أن يأمركم بالخروج ﴿وَاللهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ لا يترك بيانه للحياء ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ﴾ أي: أزواجه ﷺ ﴿مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ أي: ستر، وبعد نزولها لم يكن لأحد أن ينظر إلى أزواج النبي ﷺ سواء كانت المرأة منتقبة وغير منتقبة ﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ من الريب، ونزلت هذه الآية لما أَوْلَمَ رسول الله ﷺ على زينب ودخل عنده قوم فأكلوا وجلسوا للحديث ولم يخرجوا فخرج رسول الله ﷺ، ثم عاد وكرر ذلك مرتين، فلمَّا خرجوا دخل على زينب وكان معه أنس فضرب رسول الله ﷺ الستر بينه وبينه وأنزل الحجاب، وكان عمر ﷺ حريصًا عليه وألتمس من النبي ﷺ أن يفعله فلم يفعله حتى نزلت الآية ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ﴾ ﷺ في شيء من الأشياء ﴿وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ نزلت في رجل ظن جواز ذلك، وقال: إن قبض رسول الله ﷺ لأنكحن عائشة ﴿إِنَّ ذَلِكُمْ﴾ الفعل ﴿كَانَ عِنْدَ اللهِ﴾ ذنبًا ﴿عَظِيمًا﴾.

﴿إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: ٥٤ - ٥٨].

﴿إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ﴾ [الأحزاب: 54] في نكاحهن بعده ﴿فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ ولمَّا نزلت آية الحجاب قال: الآباء والأبناء ومن ذكر معهم حيل بيننا

وبين أولادنا فنزل قوله: ﴿لَا جُنَاحَ﴾ [الأحزاب: 55] لا إثم ﴿ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ﴾ المؤمنات ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ من إماء وعبيد أن يروهن ويكلموهن بلا حجاب ﴿وَاتَّقِينَ اللهَ﴾ فيما أُمرتن به ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾.

﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: 56] محمد ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ فقولوا: اللهم صلي على محمد وسلم، والصلاة عليه واجبة كلما ذكر على الراجح عندي وفاقًا لجمع، وأوجبها الشافعي ﷺ في التشهد الأخير في الصلاة، وغيره في العمر مرة في أول كل دعاء، أو آخره، والصلاة من الله: الرحمة المقرونة بالتعظيم، ومن الملائكة: الاستغفار، ومن الآدمي: تضرع ودعاء، وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من صلى عليَّ عند قبري سمعته، ومن صلى عليَّ نائبًا وكَّل الله به ملكًا يبلغني وكفى أمر دنياه وآخرته وكنت له شهيدًا أو شفيعًا يوم القيامة»**[1]، وعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«لا يجلس قوم مجلسًا لا يصلون فيه على رسول الله ﷺ إلا كان عليهم حسرة إن دخلوا الجنة لما يرون من الثواب»**[2].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ﴾ [الأحزاب: 57] بإدعاء الشريك والولد ونحو ذلك، والله منزَّه عن وصول الأذى من خلقه ﴿وَرَسُولَهُ﴾ بالكفر به وتكذيبه ﴿لَعَنَهُمُ اللهُ﴾ أبعدهم ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ على ألسنة المؤمنين ﴿وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ ذا إهانة لهم وهو النار ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾ [الأحزاب: 58] من الجرائم؛ أي: آذوهم فيهم مع أنهم لم يعملوا ما يقتضي ذلك، إمَّا بفعل أو قول ﴿فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا﴾ كذبًا ﴿وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ بينًا ظاهرًا.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ۞ لَّئِن لَّمْ

(1) رواه البيهقي في «الشعب» (218/2، رقم 1583)، والخطيب (292/3).

(2) رواه البيهقي في «الشعب» (92/4).

يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥٩ - ٦٤].

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ﴾ [الأحزاب: 59] يقربن أو يجعلن ﴿عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾ على رؤوسهن، جمع: جلباب وهو الملاءة التي تشتمل بها فوق الدرع والخمار فيغطين رؤوسهن ووجوههن بها ليعلم أنهن حرائر، نزلت لما كان المنافقون يفعلونه من التعرض للإماء في الطرقات، وكانوا لا يعرفون حرة من غيرها؛ لأن الحرائر والإماء كن على هيئة ﴿ذَلِكَ﴾ الفعل ﴿أَدْنَى﴾ أقرب ﴿أَنْ يُعْرَفْنَ﴾ أي: أقرب إلى معرفة أنهن حرائر ﴿فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ بالتعرض لهن، وتمشي الأمة مكشوفة الوجه، ولا يلزم من كشفها له حل نظر الناس إليها ﴿وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ﴾ [الأحزاب: 60] عن نفاقهم ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ محبة الزنا ﴿وَالْمُرْجِفُونَ﴾ الذين يأتون بالأخبار التي ترجف القلوب؛ أي: تؤذيها وتخيفها ﴿فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ ليسلطنك عليهم ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ﴾ يساكنونك ﴿فِيهَا﴾ في المدينة ﴿إِلَّا﴾ جوارًا ووقتًا ﴿قَلِيلًا﴾.

ثم يخرجون ﴿مَلْعُونِينَ﴾ [الأحزاب: 61] مطرودين مبعودين ﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوا﴾ وجدوا ﴿أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا﴾ هذا حكمهم ﴿سُنَّةَ﴾ [الأحزاب: 62] كسنة ﴿اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ من المنافقين ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا﴾ منه.

﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ﴾ [الأحزاب: 63] هم أهل مكة ﴿عَنِ السَّاعَةِ﴾ متى تكون ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ وَمَا يُدْرِيكَ﴾ يعلمك بها؛ أي: أنت لا تعرف وقت قيامها ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ﴾ توجد ﴿قَرِيبًا﴾ قالوا: وكل ما في القرآن وما يدريك لم يعلم به النبي ﷺ، وكل ما فيه وما إدراك فقد علم به ﴿إِنَّ اللهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ﴾ [الأحزاب: 64] في الآخرة ﴿سَعِيرًا﴾ نارًا شديدة.

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ٦٥ يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ٦٦ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ٦٧ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ٦٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ٦٩ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ٧٢ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمَۢا ٧٣ ﴾ [الأحزاب: ٦٥ - ٧٣].

﴿**خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ**﴾ [الأحزاب: 65] لهم ﴿**وَلِيًّا**﴾ يمنعهم منها ﴿**وَلَا نَصِيرًا**﴾ يدفع عذابها عنهم ﴿**يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ**﴾ [الأحزاب: 66] ظهر البطن إذا سحبوا عليها ﴿**يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ**﴾ ﷺ في الدنيا.

﴿**وَقَالُوا**﴾ [الأحزاب: 67] أي: الكفار في الآخرة ﴿**رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا**﴾ بالإفراد وفتح التاء للقراء إلا يعقوب وابن عامر فبالجمع وكسر التاء ﴿**وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ**﴾ طريق الهدى ﴿**رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ**﴾ [الأحزاب: 68] أي: مثلي عذاب أتباعهم ﴿**وَالْعَنْهُمْ**﴾ عذّبهم ﴿**لَعْنًا كَبِيرًا**﴾ بالمثلثة للقراء إلا الدجواني عن هاشم وعاصم فبالباء الموحدة من أسفل؛ أي: عظيمًا.

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا**﴾ [الأحزاب: 69] مع نبيكم محمد ﷺ ﴿**كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى**﴾ فقالوا في حقه هو: آدر؛ أي: كبير الخصيتين بسبب أنه كان حييًّا لا يغتسل إلا وحده فظنوا أن ذلك لما قالوه لا للحياء ﴿**فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا**﴾ فإنه اغتسل في خلوة ووضع ثوب على حجر ففر الحجر بثوبه فتبعه وصار يقول: ثوبي يا حجر إلى أن مر بملأ من بني إسرائيل فرأوه لا أدرة به ﴿**وَكَانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهًا**﴾ ذا جاه؛ أي: مقربًا مختارًا ومن جملة ما أوذي به نبينا محمد ﷺ أنه قسم قسمة فقال رجل هذه قسمة ما أريد بها

وجه الله تعالى فغضب ﷺ وقال: «**رحم الله موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر**»[1].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: 70] صدقًا وعدلاً هو لا إله إلا الله والحمد لله ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ [الأحزاب: 71] فيقبل الحسنات ويزكيها ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ ﷺ ﴿فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ بالنجاة من النار والخلود في الجنان ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: 72].

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ [الأحزاب: 72] وهي فعل كل واجب شرعي كالصلوات والصوم وترك كل محرم ﴿عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾ عرض تخيير، فإن قبلتها كان عليهن العقاب بترك واجب منها، أو فعل حرام، ولهن الثواب بالامتثال وإلا فلا شيء عليهن، وكان العرض بعد أن جعل الله لها فهمًا وعقلاً ﴿فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا﴾ امتنعن من ذلك لثقلها بالشرط ﴿وَأَشْفَقْنَ﴾ خفن ﴿مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ آدم بعد عرضها عليه ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا﴾ لنفسه بما حمله ﴿جَهُولًا﴾ به، وظلم النفس بجهلها ليس ظلم إثم بل ظلم تكليف للشيء الثقيل، والجهل هو عدم العلم بالعذاب المرتب على الإخلال بها.

﴿لِيُعَذِّبَ﴾ [الأحزاب: 73] أي: كان العرض المترتب عليه حمل آدم ليعذب ﴿اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾ لتضييعهم الأمانة ﴿وَيَتُوبَ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ المؤدين للأمانة ﴿وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

---

(1) رواه البخاري (196/20).

سورة سبأ

مكية إلا قوله: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ﴾ [سبأ: 6]، وهي أربع أو خمس وخمسون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ ﴾ [سبأ: ١ - ٦].

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سبأ: 1] ملكًا وخلقًا ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾ من أوليائه إذ دخلوا الجنة وذكر الآخرة فقط؛ لأنه لا نزاع في ثبوت الحمد له فيها، وأمَّا الدنيا فجهل بعضهم ذلك أو جحده وإن كان لا يلتفت إليه ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾.

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ﴾ [سبأ: 2] يدخل ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ وهو الماء ونحوه ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ وهو النبات ونحوه ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من رزق وغيره ﴿وَمَا يَعْرُجُ﴾ يصعد ﴿فِيهَا﴾ من الملائكة وأعمال العباد ﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾ [سبأ: 3] القيامة ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﷺ ﴿بَلَى

وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ﴾ قرأ المدنيان وابن عامر ورويس برفع الميم، والباقون بالخفض وحمزة والكسائي: «علام» بتشديد اللام: والباقون: «عالم» ﴿لَا يَعْزُبُ﴾ يغيب ﴿عَنْهُ مِثْقَالُ﴾ وزن ﴿ذَرَّةٍ﴾ نملة صغيرة ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ هو اللوح المحفوظ.

﴿لِيَجْزِيَ﴾ [سبأ: 4] أي: إتيانها ليجزي فيها ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ثوابهم وذلك بقوله: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ حسن وهو الجنة.

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي﴾ [سبأ: 5] إبطال ﴿آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ﴾ أي: مقدرين عجزنا أو ظانين أنهم يفوتونا ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ﴾ هو أسوأ العذاب؛ أي: أشده ﴿أَلِيمٌ﴾ مؤلم برفع الميم لابن كثير ويعقوب وحفص هنا وفي الجاثية، والباقون بالخفض.

﴿وَيَرَى﴾ [سبأ: 6] أي: وليرى؛ أي: يعلم ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ وهم أصحاب محمد ﷺ ومن آمن معه من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام ﴿الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ﴾ وهو القرآن ﴿وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿الْحَمِيدِ﴾ المحمود في أفعاله.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ [سبأ: ٧ - ١٣].

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [سبأ: 7] أي: بعضهم وهم من أنكر البعث من قريش على جهة التعجب ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ﴾ هو سيدنا محمد ﷺ ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾ يخبركم ﴿إِذَا مُزِّقْتُمْ﴾ فرقتم أجزاؤكم وقطعتم ﴿كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ أي: نهاية التمزيق ﴿إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ بالبعث ﴿أَفْتَرَى﴾ [سبأ: 8] بفتح الهمزة للاستفهام ﴿عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ في ذلك ﴿أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾ جنون، يخيل له وقوع البعث بعد الموت فقال تعالى: ﴿بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ الواقع فيها البعث والعذاب ﴿فِي الْعَذَابِ﴾ في الآخرة ﴿وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾ عن الحق في الدنيا.

﴿أَفَلَمْ يَرَوْا﴾ [سبأ: 9] ينظروا ﴿إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما فوقهم وما تحتهم ﴿مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ﴾ بالياء من أسفل في «نشأ» وتسقط لحمزة والكسائي وخلف، والباقون بالنون ﴿عَلَيْهِمْ كِسَفًا﴾ قطعة ﴿مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الذي يرونه من السماء والأرض ﴿لَآيَةً﴾ دالة على قدرتنا على البعث وما نريد ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ راجع إلى الحق.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا﴾[1] [سبأ: 10] نبوة وكتابًا وحسن صوت وغير ذلك

---

(1) الفضل: النبوة، وقيل: الزبور، وقيل: حسن الصوت، وقيل: العلم، وقيل: غير ذلك، والمراد هنا: حسن الصوت، وكان داود ذا صوت حسن، وفي الحديث: «أن رسول الله ﷺ قال لأبي موسى الأشعري: لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود».

تنبيه: قال عبد الله بن المغفل: «رأيت رسول الله ﷺ راكبًا على ناقته، وهو يقرأ سورة الفتح قراءة، وهو يرجع ويقول: ءآ ءآ». واستحسن كثير من الفقهاء القراءة بالألحان والترجيع، وكرهه مالك، وهذا جائز، لقول أبي موسى لرسول الله ﷺ: «لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تحبيرًا». أراد لحنته بالترجيع. قال القاضي أبو بكر: ولقد سمعت تاج القراء بجامع عمرو بن العاصي يقرأ: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ﴾. فكأني ما سمعت الآية قط، وسمعت ابن الوفا بالقرافة يقرأ: ﴿كهيعص﴾ فكأني ما سمعتها قط. وسمعت شيخ القراء يقرأ بمدينة السلام في دار بها الملك: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾. فكأني ما سمعتها قط، حتى بلغ إلى قوله: ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾. فكأن الإيوان قد سقط علينا. والقلوب تخشع للصوت الحسن، كما تخشع للوجه الحسن. ولقد كان ابن الكازروني يقرأ بالمسجد الأقصى، فلا يقدر أحد أن يصنع شيئًا طول قراءته من الإصغاء، وكان صاحب مصر الملقب بالأفضل قد أخذ الموضع من أيدي العباسية، وهو حنق على أهله لقتالهم له. فلما صار بالموضع، وبدأ بالمسجد الأقصى، وصلى فيه ركعتين تصدر الكازروني وقرأ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾. الآية. فما ملك نفسه حين سمعه أن قال للناس على عظيم ذنبهم عنده، وكثرة حقده لهم: «لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين».
=

من الفضائل وقلنا: ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ﴾ إذا سبح، وهو إمَّا يفعل من الإنابة وهو الرجوع؛ أي: رجعي بالتسبيح معه أو هو من التأويب في السير وهو سير النهار كله ونزول الليل، فالمراد أوبي معه بالتسبيح النهار كله ﴿وَالطَّيْرَ﴾ انفرد ابن مهران عن روح برفع رائه، والباقون بنصبها ﴿وَأَلَنَّا لَهُ﴾ أي: لداود ﴿الْحَدِيدَ﴾ فكان في يده كالعجين يعمل منه ما يشاء بلا نار ولا ضرب مطرقة، وكان ﷺ لا يأكل إلا من عمل يده في الحديد ﴿أَنِ اعْمَلْ﴾ [سبأ: 11] فتحت أن؛ لأن التقدير عهدنا إليه أن اعمل ﴿سَابِغَاتٍ﴾ من الدروع يجرها الرجل إذا لبسها لطولها والسابغ الواسع الطويل ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ جعله على القصد وقدر الحاجة، والسرد نسج الدرع، وناسجه السرَّاد والزراد، وأرد ألَّا يجعل مساميره دقاقًا فتتعلق، ولا غلاظًا فتكسر الحلق ﴿وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ يا آل داود ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فأجازيكم به.

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ﴾ [سبأ: 12] بالرفع في رواية أبي بكر، وأصله تسخير الريح، والباقون بالنصب ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ﴾ فسيرها وقت الغداة؛ أي: من أول النهار لقبل الزوال ﴿وَرَوَاحُهَا﴾ من الزوال إلى مسيرها فيه ﴿شَهْرٌ وَأَسَلْنَا﴾ أجرينا ﴿لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ النحاس فأقامت تجري ثلاثة أشهر كجري الماء، وكانت بأرض اليمن، وإنما ينتفع الناس كما أخرج الله منها لسليمان عليه السلام ﴿وَمِنَ﴾ سخرنا له ﴿الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ بأمره ﴿وَمَنْ يَزِغْ﴾ يعدل ﴿مِنْهُمْ﴾ أي: من الجن ﴿عَنْ أَمْرِنَا﴾ الذي أمرناهم به من طاعة سليمان ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ في الآخرة، أو في الدنيا لما قيل إن الله وكل بمن عدل عنه ملكًا يضربه بسوط من نار يحرقه.

﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ﴾ [سبأ: 13] مساجد وغيرها من الأبنية العالية ومنها بيت المقدس كان داود رفعه قدر قامة رجل، ثم أكمله سليمان، أو المحاريب الأبنية التي يصعد إليها بدرج ﴿وَتَمَاثِيلَ﴾ جمع: تمثال وهي صور الحيوانات وغيرها من نحاس وزجاج وغير ذلك، وكان مباحًا في شريعته ﴿وَجِفَانٍ﴾ قصاع، الواحدة جفنة ﴿كَالْجَوَابِ﴾ كالحياض التي يجبى فيها الماء؛ أي: تجمع واحدتها جابية، وكان يجلس

=

والأصوات الحسنة نعمة وزيادة في الخلق وأحق ما صرفت هذه الحيلة النفيسة في قراءة القرآن. [الأحكام الصغرى ص511].

على الواحدة ألف رجل للأكل منها ﴿وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾ ثابتات تنحت من الجبال، أو تتخذ من غيرها يصعد لها بالسلالم، وكانت باليمن لا تحرك ولا تزال عن أماكنها ﴿اعْمَلُوا﴾ أي: وقلنا: اعملوا ﴿آلَ دَاوُدَ﴾ بطاعة الله ﴿شُكْرًا﴾ على نعمه ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ العامل بالطاعة.

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا ۖ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ ۖ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾ [سبأ: ١٤ - ١٩].

ولمَّا أطاع الجن سليمان أمرهم ببناء بيت المقدس، وكانوا يخبرون الإنس أنهم يعلمون الغيب فيسأل سليمان ربه ألَّا يعلمهم بموته وقته، فقام يصلي فمات فأقام حولاً لا يعلم أحد بموته والجن في أعمالهم الشاقة.

ثم سقط بعد الحول لأكل الأرضة عصاته فذلك قوله: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ﴾ [سبأ: 14] أي: على سليمان ﴿الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ﴾ أي: الجن ﴿عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾ وهي الأرضة ﴿تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾ المنسأة: العصاة، وقرأ المدنيان وأبو عمرو منسأته بالهمزة وتركه ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾ سقط ميتًا ﴿تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ﴾ روى يونس عن يعقوب بضم التاء من فوق وضم الموحدة وكسر الياء المثناة من تحت، والباقون بفتح الثلاثة ﴿أَنْ﴾ أي: أنهم ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ في العمل الشاق عليهم لظنهم حياته، فلو كانوا يعلمون الغيب كما ادَّعوا لعلموا موته وعلم كونه سنة بحساب ما أكلته دابة الأرض من عصاه زمنًا معينًا.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ [سبأ: 15] اسم قبيلة، سُميت باسم جد لهم من العرب ﴿في

﴿مَسْكَنِهِمْ﴾ باليمن، قرأ حمزة والكسائي وخلف: «مسكنهم» بلا ألف، وحمزة وحفص بفتح الكاف والكسائي وخلف بكسرها، والباقون بألف على الجمع ﴿آيَةٌ﴾ دلالة على قدرة الله تعالى ﴿جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ أي: عن يمين واديهم وعن شماله في كل ناحية واحدة ﴿كُلُوا﴾ أي: وقيل لهم: ﴿مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ بطاعته ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ لا سبخ فيها ولا بعوض ولا قمل ولا برغوث ولا ذباب ولا عقرب ولا حيَّة، ويمر الغريب وفي ثيابه قمل فيموت لطيب هوائها ﴿وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ أي: والله رب غفور.

﴿فَأَعْرَضُوا﴾ [سبأ: 16] عن الإيمان ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ جمع: عرمة، وهو الذي يحبس الماء من سد ونحوه؛ أي: أرسل عليهم سيل الوادي الممسوك بالعرم فأغرق جنتهم وأموالهم، أو العرم ما لا يطاق من السيل، وكان السد من بناء بلقيس ونقبته فأرة ﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ﴾ تثنية ذوات ﴿أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ قرأ البصريان: «أكل» بلا تنوين، والباقون بالتنوين، **والخمط**: شجر الأراك، أو كل نبت أخذ طعمًا من المرارة حتى لا يمكن أكله ﴿وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ والسدر الذي كان لهم كان سدرًا بريًا لا ينتفع به ولا يصلح ورقه لشيء.

﴿ذَلِكَ﴾ [سبأ: 17] الجزاء وهو التبديل المذكور ﴿جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا﴾ بسبب كفرهم ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص: «نجازي» بالنون وكسر الزاي، الكفور بالنصب، والباقون بياء من أسفل مضمومة وفتح الزاي ورفع الكفور.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ [سبأ: 18] بين سبأ وهم اليمن ﴿وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ بالماء والشجر، وهي: قرى الشام التي يسيرون إليها للتجارة ﴿قُرًى ظَاهِرَةً﴾ متواصلة بظهر الثانية من الأولى ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ فكل نصف يوم يوصل فيه إلى قرية فيها الماء والأكل والأشجار بكثرة فلا يحتاجون لحمل شيء ﴿سِيرُوا﴾ أمر، بمعنى الخبر؛ أي: مكانهم في السير فكانوا يسيرون ﴿فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا﴾ أي: شاءوا ليلاً وإن شاءوا نهارًا ﴿آمِنِينَ﴾ فيهما لا يخافون عدوًا ولا جوعًا ولا عطشًا، أو التقدير: قلنا: ﴿يَسِيرُوا...﴾ [يوسف: 109] إلى آخره.

﴿فَقَالُوا﴾ [سبأ: 19] لمَّا بطروا نعمة الراحم ﴿رَبَّنَا بَاعِدْ﴾ قرأ يعقوب «ربنا» بالرفع «باعد» بألف وفتح العين والدال، وابن كثير وأبو عمرو وهشام «ربنا» بالنصب وحذف الألف وتشديد العين مكسورة وإسكان الدال، والباقون كذلك لكنه بالألف

والتخفيف ﴿بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ سألوه؛ ليحملوا الزاد والماء فيكون أكل الفواكه أشهى بطرًا للنعمة وإرادة للتعب، كما سأل بنو إسرائيل البصل مكان المن والسلوى، فعجل الله لهم الإجابة ﴿وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بالكفر ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ لمن بعدهم يعتبرون بها ﴿وَمَزَّقْنَاهُمْ﴾ فرَّقناهم في البلاد ﴿كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ كل التفريق لمَّا غرقت بلادهم، فلحقت غسان بالشام، والأزد بنعمان، وخزاعة بتهامة، وخزيمة بالعراق، والأوس والخزرج بالمدينة ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَاتٍ﴾ عبر ودلالات ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ عن المعاصي وعلى الطاعات ﴿شَكُورٍ﴾ لنعم الله.

﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾[سبأ: ٢٠ - ٢٦].

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ﴾ [سبأ: 20] بتخفيف الدال للقراء إلا الكوفيين فبتشديدها ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي: الكفار وهم سبأ ﴿إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ إذ ظن بهم في أول أمره الغواية بقوله: ﴿لأُغْوِيَنَّهُمْ﴾ [الحجر: 39] فصدق ذلك بفعل الإضلال، أو صدق في ظنه بهم فلم يكذب ﴿فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا﴾ لكن ﴿فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: فريقًا هم المؤمنون.

﴿وَمَا كَانَ لَهُ﴾ [سبأ: 21] أي: لإبليس ﴿عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ بتسليط منَّا ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ علمًا يتعلق به الثواب والعقاب، أو علم وجود في الخارج ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ﴾ فيجازي كلاً منهما بما ظهر منه ﴿وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ رقيب بعلمه ولا يخفى عليه شيء سبحانه.

﴿قُلِ﴾ [سبأ: 22] يا محمد لكفار مكة: ﴿ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ أنهم آلهة ﴿مِنْ دُونِ اللهِ﴾ لينفعوكم بزعمكم، ورد نفعهم بقوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ وزنها من خير أو شر ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ﴾ أي: وما للآلهة ﴿فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ﴾ شركه ﴿وَمَا لَهُ﴾ أي: لله تعالى وتقدس ﴿مِنْهُمْ﴾ من الآلهة التي زعموها ﴿مِنْ ظَهِيرٍ﴾ معين.

ولمَّا قالوا أن آلهتهم تشفع لهم عند الله، رد عليهم بقوله: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: 23] بضم الهمزة لأبي عمرو وحمزة والكسائي وخلف، والباقون بفتح الهمزة ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ﴾ كشف الفزع ﴿عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: الشافعين بالإذن فيها ﴿قَالُوا﴾ أي: قال بعضهم لبعض استشارًا: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ فيها؟ ﴿قَالُوا﴾: القول ﴿الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ فوق خلقه ﴿الْكَبِيرُ﴾ العظيم.

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ﴾ [سبأ: 24] المطر ﴿وَالْأَرْضِ﴾ النبات ﴿قُلِ﴾ يا محمد ﷺ: إن لم يجيبوا ﴿اللهُ﴾ هو الرزاق ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ المراد: تبكيت الخصم وردعه بذلك كما تقول لمن تحاججه وأنت على الحق: أحدنا كاذب، وأنت تعلم أنك أنت الصادق، والذي على هدى محمد ﷺ والذي على الضلال المبين الكفار، أو هو تلطف في دعائهم للإيمان إن وفقهم الله.

﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا﴾ [سبأ: 25] أذنبنا ﴿وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ فكفركم يضركم ولا يضرنا، وإيماننا ينفعنا ولا ينفعكم ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ [سبأ: 26] يوم القيامة ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ﴾ يقضي ﴿بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ﴾ الحاكم ﴿الْعَلِيمُ﴾.

﴿ قُلْ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟

لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۖ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [سبأ: ٢٧ - ٣٣].

﴿قُلْ أَرُونِيَ﴾ [سبأ: 27] أعلموني ﴿الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ﴾ أي: بالله ﴿شُرَكَاءَ﴾ في العبادة ﴿كَلَّا﴾ ردع وزجر عن اعتقاد شريك ﴿بَلْ هُوَ الله الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا﴾ [سبأ: 27 – 28] للمؤمنين بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ للكافرين بالنار ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ ومنهم: كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ عموم رسالتك.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ [سبأ: 29] بالعذاب ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ﴾ [سبأ: 29 – 30] أي: ميعاد فيه ﴿لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ عليه وهو القيامة ويوم الموت.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [سبأ: 31] من أهل مكة ﴿لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: قبله وهو: التوراة والإنجيل، وكلهم دال على البعث وهم منكرون له، فقال تعالى فيهم: ﴿وَلَوْ تَرَى﴾ يا محمد ﷺ ﴿إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ﴾ محبوسون ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ مالك أمرهم ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾ استحقروا؛ أي: الأتباع ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ وهم قادتهم وأشرافهم في الدنيا ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ لأنكم منعتمونا عن الإيمان.

و﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾ [سبأ: 32] جوابًا للضعفاء ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ﴾ إنكارًا منهم لذلك ﴿بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ﴾ كافرين في أنفسكم.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ [سبأ: 33] جوابًا ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي: مكركم ينافيهما ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِالله وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا﴾ شركاء ﴿وَأَسَرُّوا﴾ الفريقان ﴿النَّدَامَةَ﴾ على ترك الإيمان، فأخفاها كل فريق عن صاحبه خشية التغيير ﴿لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ النار ﴿وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في النار

الضعفاء والقادة جميعًا ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: لا يجزون إلا ذلك.

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [سبأ: ٣٤ - ٤٠].

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾ [سبأ: 34] أغنياؤها ورؤساؤها للمنذرين ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * وَقَالُوا﴾ [سبأ: 34 - 35] أي المترفون ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا﴾ فهو دليل الكبر، فمن ثم قالوا: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ إذ الإحسان في الدنيا دليل على الإحسان في الآخرة وفاتهم الشرط وهو الإيمان.

﴿قُلْ﴾ [سبأ: 36] يا محمد ﷺ: ﴿إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ يضيق بسطه يدل على رضا الله، ولا ضيقه يدل على سخطه، بل هو ابتلاء وامتحان ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى﴾ [سبأ: 37] أي: تقربكم تقريبًا ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ﴾ الحسنة بعشر أمثالها فأكثر، وروى رويس «جزاء» بالنصب والتنوين، «الضعف» بالرفع، والباقون برفع «جزاء» بلا تنوين وخفض «الضعف» ﴿بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ﴾ من الجنة لكل القراء إلا حمزة فقرأ «الغرفة» بالإفراد ﴿آمِنُونَ﴾ من كل بلاء.

﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي﴾ [سبأ: 38] إبطال ﴿آيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿مُعَاجِزِينَ﴾ مقدِّرين عجزنا ﴿أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ﴾ في النار ﴿مُحْضَرُونَ﴾ مجموعون.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ [سبأ: 39] يوسعه ﴿لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾

ويقدر يضيقه له بعد البسط، أو من أول أمره... إلى آخره ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ﴾ في طاعة الله ﴿مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ ويقال: كل إنسان يرزق عائلته؛ أي: يرزق الله، ورد في السنة إن كل نفقة تخلف إلا ما كان بنيانًا أو معصية.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ [سبأ: 40] أي: الكفار ﴿جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾.

﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ ﴾ [سبأ: ٤١ - ٤٧].

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ [سبأ: 41] تنزيهًا لله عن الشريك ﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا﴾ معبودنا وإلهنا ﴿مِنْ دُونِهِمْ﴾ لا موالاة بيننا وبينهم من جهتنا ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾ الشياطين؛ أي: يطيعونهم في أمرهم لهم بعبادتنا وغير ذلك من المعاصي، وقيل: هو على بابه في أنهم عبدوا الجن حقيقة ﴿أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ مصدقون للشياطين في كل شيء قالوه لهم، فقال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ﴾ [سبأ: 42] أي: بعض المعبودين ﴿لِبَعْضٍ﴾ أي: لبعض العابدين ﴿نَفْعًا﴾ بالشفاعة ﴿وَلَا ضَرًّا﴾ بالعذاب ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كفروا: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ في الدنيا.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ [سبأ: 43] على الكفار ﴿آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ وهي: القرآن على

لسان محمد ﷺ ﴿قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ﴾ يعنون محمدًا ﷺ ﴿يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ﴾ من الأصنام ﴿وَقَالُوا﴾ أيضًا عن القرآن: ﴿مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ﴾ كذب ﴿مُفْتَرًى﴾ مُختَلَق من عند نفسه ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة: ﴿لِلْحَقِّ﴾ القرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ ظاهر.

فردّ الله تعالى عليهم قولهم بقوله: ﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ [سبأ: 44] أي: هؤلاء الكفار ﴿مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾ يقرءونها ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ أي: لم يأت العرب قبلك نبي، ولا أنزل عليهم كتاب فمن أين كذّبوك؟

﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [سبأ: 45] أي: من الأمم رسلنا كعاد وغيرهم ﴿وَمَا بَلَغُوا﴾ أي: كفار العرب ﴿مِعْشَارَ﴾ عشر ﴿مَا آتَيْنَاهُمْ﴾ أي: أعطينا الأمم الخالية من القوة وطول العمر وكثرة المال ﴿فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أي: إنكاري بالعذاب عليهم؛ أي: هو واقع، وكثرة المال في محله فهو تحذير لكفار مكة أن يفعل بهم كما فعل بمن قبلهم.

﴿قُلْ﴾ [سبأ: 46] يا محمد ﷺ لكفار مكة: ﴿إِنَّمَا أَعِظُكُمْ﴾ أذكركم ﴿بِوَاحِدَةٍ﴾ أي: بخصلة واحدة هي: ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى﴾ اثنين اثنين ﴿وَفُرَادَى﴾ واحدًا واحدًا ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ فتعلموا ﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ﴾ محمد ﷺ ﴿مِنْ جِنَّةٍ﴾ جنون ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ أي: قبل وقوعه في الآخرة إن عصيتموه.

﴿قُلْ﴾ [سبأ: 47] يا محمد ﷺ للكفار: ﴿مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾ جعل ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾ هذا على طريق المبالغة في نفي سؤاله للمال على أداء الرسالة، كما تقول لغيرك: إن كان لي فقد وهبته لك مبالغة في نفيه ﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾ ما ثوابي ﴿إِلَّا عَلَى اللهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ مُطَّلِع فيعلم إني صادق.

﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ

بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾﴾ [سبأ: ٤٨ - ٥٤].

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ﴾ [سبأ: 48] يلقي ﴿بِالْحَقِّ﴾ إلى أنبيائه ﴿عَلَّامُ الْغُيُوبِ * قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ [سبأ: 48 - 49] الإسلام الذي قذفه إليَّ على لسان جبريل وفي كتابه ﴿وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ﴾ الكفر ﴿وَمَا يُعِيدُ﴾ أي: لا يبدئ شيئًا ولا يعيده؛ لأنه لم يبق أثر مع الإسلام.

﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ﴾ [سبأ: 50] عن الحق ﴿فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي﴾ قائمة عليّ ﴿وَإِنِ اهْتَدَيْتُ﴾ للحق ﴿فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾ من القرآن ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ﴾ للدعاء ﴿قَرِيبٌ﴾ نزلت لمَّا قالوا له: أنت ضللت عن دين أبائك.

﴿وَلَوْ تَرَى﴾ [سبأ: 51] يا محمد ﷺ ﴿إِذْ فَزِعُوا﴾ من قبورهم عند البعث؛ أي: لرأيت أمرًا عظيمًا ﴿فَلَا فَوْتَ﴾ لا هرب لهم، أو عند الموت فلا نجاة منه ﴿وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ هل هو القبر، أو عذاب الدنيا ببدر؟ **قولان: الأول:** أقرب لسياق الآية.

﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ﴾ [سبأ: 52] أي: بمحمد، أو القرآن عند البعث، أو الموت حين لا ينفعهم ذلك ﴿وَأَنَّى﴾ من أين ﴿لَهُمُ التَّنَاوُشُ﴾ بالمد والهمز لأبي عمرو والكسائي وخلف وحمزة، والباقون بالواو المحضة، وهو التناول؛ أي: تناول الإيمان ﴿مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ عن محله؛ إذ محله الدنيا وهم في الآخرة.

﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ﴾ [سبأ: 53] أي: بمحمد ﷺ أو بالله ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي: في الدنيا ﴿وَيَقْذِفُونَ﴾ يرمون ﴿بِالْغَيْبِ﴾ بالظن ﴿مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ المراد: يرمون بما غاب عنهم علمه غيبة بعيدة وهو قولهم في النبي ﷺ: شاعر، وفي القرآن: شعر ونحوه.

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ: 54] من الإيمان؛ أي: قبوله ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ﴾ أشباههم في الكفر ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ في الحيلولة المذكورة ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: هم وأشياعهم ﴿كَانُوا فِي شَكٍّ﴾ من الإيمان والبعث ﴿مُرِيبٍ﴾ موقع للريبة والتهمة فيما آمنوا به في الآخرة مع عدم الالتفات لدلائله في الدنيا.

سورة فاطر

مكيّة خمس، أو ست وأربعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾ [فاطر: ١ - ٧].

﴿الْحَمْدُ للهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر: 1] مبدع خلقهما على غير مثال سبق ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾ إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ﴿أُولِي﴾ أصحاب ﴿أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ بعضهم له اثنان، والبعض ثلاثة، والبعض أربعة، وقد يزيد العدد على ذلك كما قال: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ للملائكة وغيرهم وهو على إطلاقه وعينه بعضهم أنه الصوت الحسن، أو الملاحة في العين، أو العقل ﴿إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ﴾ [فاطر: 2] كمطر ورزق ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ لا يستطيع أحد حبسها ﴿وَمَا يُمْسِكْ﴾ من ذلك ﴿فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: بعد إمساكه ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ الله﴾ [فاطر: 3] جميع النعم ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بالإيجاد والإمداد، أو المراد: أهل مكة، والنعمة: إسكانهم الحرم ومنع الغارات عليهم ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ الله﴾ بخفض راء «غير» لأبي جعفر وحمزة والكسائي وخلف، وبرفعها للباقين ﴿يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ﴾ المطر ﴿وَ﴾ من ﴿الْأَرْضِ﴾ النبات، والمراد: إنه لا خالق ولا رازق غيره ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ تصرفون عن توحيده.

﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [فاطر: 4] فيما جاءوا به ﴿وَإِلَى الله تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ في الآخرة، فيجزي الناس بأعمالهم ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ الله حَقٌّ﴾ [فاطر: 5] بالبعث وغيره ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ عن تصديق وعده ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِالله﴾ في حلمه وإمهاله ﴿الْغَرُورُ﴾ الشيطان بالباطل الزائل.

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ [فاطر: 6] يدعوكم لما يهلككم ﴿فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ بالعمل بطاعة الله ﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ﴾ أشياعه ﴿لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ النار الشديدة؛ أي: ليكونوا فيها.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [فاطر: 7] بالخلود في النار ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ هو الجنة.

﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًاۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ

وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ [فاطر: ٨ - ١٣].

﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ [فاطر: 8] من الكفر والعصيان ﴿فَرَآهُ حَسَنًا﴾ أي: شبهه عليه الشيطان وموهه عليه فرأى القبيح حسنًا، والمراد: أهو كمن هداه الله؟ والمعنى أنهما ليسا سواء، ونزلت في أبي جهل وغيره ﴿فَإِنَّ الله يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ﴾ بضم التاء وكسر الهاء ﴿نَفْسُكَ﴾ بالفتح لأبي حفص، والباقون بفتح التاء والهاء وضم النفس ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي: على الكفار المزيّن لهم ﴿حَسَرَاتٍ﴾ إن لم يؤمنوا، أو الحسرة: شدة الحزن على ما فات ﴿إِنَّ الله عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ فيجازيهم عليه.

﴿وَالله الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ﴾ [فاطر: 9] تزعج ﴿سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ﴾ لا نبات فيه ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ بالإنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ بسببها ﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ البعث والإحياء للآخرة.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ﴾ [فاطر: 10] أي يكون عزيزًا بشيء ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ بمعنى أنه يعلمه وهو: لا إله إلا الله، والحمد لله، وسبحان الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ونحو ذلك ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ﴾ بالإخلاص ﴿يَرْفَعُهُ﴾ أي: يقبله، فالهاء ضمير الله، وقال الأكثر منهم ابن عباس: الهاء للكلم الطيب؛ أي: العمل الصالح يرفع الكلام الطيب ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ أي: المكرات السيئات عام، أو هم أهل الرياء، أو الذين أرادوا قتله ﷺ ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ يبطل ويهلك.

﴿وَالله خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ [فاطر: 11] هو أبونا آدم ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ هو نسله ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ ذكورًا وإناثًا ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ﴾ لا يطول عمر إنسان ﴿وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ﴾ بمعنى أنه لم يبلغ عمر الآخر، أو المراد: ذلك العمر ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ هو اللوح المحفوظ ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ المذكور من الزيادة والنقص ﴿عَلَى الله يَسِيرٌ﴾ هيّن سهل.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ﴾ [فاطر: 12] الفرات والمالح ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ طيب

﴿سَائِغٌ شَرَابُهُ﴾ في الحلق ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ شديد الملوحة، أو المرارة معها ﴿وَمِنْ كُلٍّ﴾ من المالح والعذب ﴿تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ هو لحم السمك ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ﴾ من المجموع أو الجميع ﴿حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ وهي: اللؤلؤ والمرجان ﴿وَتَرَى﴾ تبصر ﴿الْفُلْكَ﴾ السفن ﴿فِيهِ مَوَاخِرَ﴾ شاقات للماء مقبلة ومدبرة بريح واحدة ﴿لِتَبْتَغُوا﴾ تطلبوا ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ بالتجارة ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله على نعمه فتطيعوه.

﴿يُولِجُ﴾ [فاطر: 13] يدخل ﴿اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ﴾ منهما ﴿يَجْرِي﴾ في فلكه ﴿لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ هو يوم القيامة ﴿ذَلِكُمُ﴾ الفاعل لذلك ﴿اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ شركاء؛ أي: تجعلونهم شركاء له ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ وهو: لفافة النواة.

﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ [فاطر: ١٤ - ٢٤].

﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ﴾ [فاطر: 14] أي: الأصنام ﴿لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ ما أجابوكم ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ أي: الأصنام تتبرأ من شرككم إياهم مع الله ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ﴾ يخبرك بأحوال الدارين وما لك فيهما ﴿مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ عالم وهو الله تعالى.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ [فاطر: 15] المحتاجون ﴿إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن خلقه ﴿الْحَمِيدُ﴾ المحمود في أفعاله ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [فاطر: 16]

أطوع له منكم ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى الله بِعَزِيزٍ﴾ [فاطر: 17] شديد.

﴿وَلَا تَزِرُ﴾ [فاطر: 18] تحمل ﴿وَازِرَةٌ﴾ فاعلة ﴿وِزْرَ﴾ إثم ﴿أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ﴾ نفس ﴿مُثْقَلَةٌ﴾ بذنوبها ﴿إِلَى حِمْلِهَا﴾ أي: إن تحمل ما عليها من الذنوب ﴿لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ﴾ المدعو ﴿ذَا قُرْبَى﴾ صاحب قرابة ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ﴾ خافوه سبحانه وما رأوه ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى﴾ طهر من الشرك وعمل صالحًا ﴿فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ﴾ إذ ثواب عمله له ﴿وَإِلَى الله الْمَصِيرُ﴾ في الآخرة؛ فيجزي كلاً بعمله.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى﴾ [فاطر: 19] الجاهل ﴿وَالْبَصِيرُ﴾ العالم، أو المراد: المؤمن والمشرك ﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ﴾ [فاطر: 20] الكفر ﴿وَلَا النُّورُ﴾ الإيمان ﴿وَلَا الظِّلُّ﴾ [فاطر: 21] الجنة ﴿وَلَا الْحَرُورُ﴾ هو النار، وقيل: الحرور الريح الحارة بالليل، والسموم بالنهار.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ﴾ [فاطر: 22] المؤمنون ﴿وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ الكفار أو العلماء والجهّال ﴿إِنَّ الله يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ﴾ سماعًا ينتفع به فيؤمن ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ هم الكفار شبههم بالموتى من حيث عدم انتفاعهم بما سمعوه ﴿إِنْ﴾ [فاطر: 23] ما ﴿أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ لهم مخوّف بالنار.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ [فاطر: 24] بالإيمان والقرآن ﴿بَشِيرًا﴾ للمؤمنين بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ للكفار بالنار ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا﴾ سلف ﴿فِيهَا نَذِيرٌ﴾ نبي أرسل إليها.

﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن

فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [فاطر: ٢٥ - ٣١].

﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ﴾ [فاطر: 25] أي: كفار مكة ﴿فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ رسلهم ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الدلالات الواضحة على صدقهم ﴿وَبِالزُّبُرِ﴾ الكتب منها: صحف إبراهيم ﴿وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ الواضح ومنه التوراة، فاصبر كما صبروا ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [فاطر: 26] بالعذاب ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أي: هو واقع في محله.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ [فاطر: 27] ألم تعلم ﴿أَنَّ الله أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ من أحمر وأصفر وأخضر وغير ذلك ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ﴾ جمع: جُدَّة، وهي: الطرائق المختلفة الألوان كما قال: ﴿بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾ بالشدة والصفاء وغير ذلك ﴿وَغَرَابِيبُ﴾ جمع: غِرْبيب، وهو: الشديد السواد ﴿سُودٌ﴾.

﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ﴾ [فاطر: 28] كاختلاف الثمار والجبال؛ لسواد وبياض وغيرهما ﴿إِنَّمَا يَخْشَى الله مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ والجهّال: كفار مكة لا يخشون، وكفى بخشية الله علمًا وبالاغترار جهلاً ﴿إِنَّ الله عَزِيزٌ﴾ منيع في ملكه ﴿غَفُورٌ﴾ للمؤمنين.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ﴾ [فاطر: 29] يقرءون ﴿كِتَابَ الله وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ زكاة وغيرها ﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً﴾ فيما وعده الله لهم من الثواب ﴿لَنْ تَبُورَ﴾ لن تفسد ولن تهلك ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾ [فاطر: 30] ثواب أعمالهم ﴿وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ﴿إِنَّهُ غَفُورٌ﴾ لذنوبهم ﴿شَكُورٌ﴾ يقبل اليسير من أعمالهم، ويثيب عليه الكثير.

﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [فاطر: 31] القرآن ﴿هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ سبق قبله كالتوراة والإنجيل ﴿إِنَّ الله بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾.

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ

﴿٣٣﴾ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [فاطر: ٣٢ - ٣٨].

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا﴾ [فاطر: 32] أعطينا ﴿الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ وهم هذه الأمة ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ بتقصيره في العمل بما أمر به ﴿وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾ يعمل به في وقت دون وقت، والغالب: الأول ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ هم العلماء العاملون المرشدون الناس للطاعة ﴿بِإِذْنِ اللهِ﴾ بإرادة الله ﴿ذَلِكَ﴾ أي: كون وراثة الكتاب لهم ﴿هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾.

﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ [فاطر: 33] إقامة ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ أي: الثلاثة ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ مرصَّع في الذهب ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ * وَقَالُوا﴾ [فاطر: 33 - 34] ثناء على الله وشكرًا له ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ حزن الدنيا والآخرة ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ﴾ لنا ﴿شَكُورٌ﴾ لأعمالنا.

﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ﴾ [فاطر: 35] الإقامة ﴿مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾ تعب ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ إعياء من التعب؛ لعدم التكليف فيها ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ﴾ [فاطر: 36] بالموت ﴿فَيَمُوتُوا﴾ لتحصل لهم الراحة ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ ولا طرفة عين ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ما جزيناهم ﴿نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ قرأ أبو عمرو و«يجزي» بالياء من أسفل مضمومة وفتح الزاي، و«كل» بالرفع، والباقون بنون مفتوحة وكسر الزاي ونصب «كل».

﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ﴾ [فاطر: 37] أي: الكفار يصطرخون ﴿فِيهَا﴾ أي: في النار يقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا﴾ من النار ﴿نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ في الدنيا من

السيئات، فيقال لهم توبيخًا: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾ وهل هو البلوغ، أو الأربعون سنة، أو ثمان عشرة، أو ستون؟ أقوال: **أشهرها:** الأخير ﴿وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ هو محمد ﷺ، **وقيل:** القرآن، **وقيل:** الشيب ﴿فَذُوقُوا﴾ العذاب ﴿فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ يدفع عنهم العذاب.

﴿إِنَّ الله عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر: 38] ما غاب عنها فيهما ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما في القلوب.

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾ [فاطر: ٣٩ - ٤١].

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ﴾ [فاطر: 39] جمع: خليف ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ كل أناس يخلقون من سبقهم وينظرون حالهم ﴿فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ أي: وباله عليه ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ مالك أمرهم ﴿إِلَّا مَقْتًا﴾ غضبًا ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ للدار الآخرة.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ [فاطر: 40] وهم الأصنام ﴿أَرُونِي﴾ أخبروني ﴿مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ شركة ﴿فِي السَّمَوَاتِ﴾ أي: في خلقها ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ﴾ حجة واضحة ﴿مِنْهُ﴾ بإثبات الشرك، والاستفهام في الثلاثة إنكاري؛ أي: لا شيء من ذلك، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وخلف وحفص «منه» إفراد، والباقون بالجمع ﴿بَلْ إِنْ﴾ ما ﴿يَعِدُ الظَّالِمُونَ﴾ الكفار ﴿بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ باطلاً بزعمهم إن الأصنام تشفع، أو إنها شركًا، أو ألَّا بعث.

﴿إِنَّ الله يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ [فاطر: 41] عن مكانهما ﴿وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا﴾ أي: يمسكهما ﴿مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾ من سواه ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا

غفورًا﴾ للمؤمنين.

﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾ ﴾ [فاطر: ٤٢ - ٤٥].

﴿وَأَقْسَمُوا﴾ [فاطر: 42] أي: كفار مكة ﴿بِالله جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ نهايتها ﴿لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ رسول ﴿لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾ يعني: اليهود، أو النصارى، أو غيرهم لمَّا رأوه من تكذيب بعضهم لبعض وكان ذلك قبل مبعثه ﷺ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ هو محمد ﷺ ﴿مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ أي: ما زادهم محبة إلا تباعدًا منهم عن الهدى.

﴿اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ [فاطر: 43] عن الإيمان بالنبي ﷺ ﴿وَمَكْرَ﴾ العمل ﴿السَّيِّئِ﴾ بإسكان الهمزة لحمزة، والباقون بكسرها، والمراد: الشرك وغيره ﴿وَلَا يَحِيقُ﴾ يحيط ولا ينزل ﴿الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ أي: إذ وبال شركهم راجع إليهم فقط ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾ ينتظرون ﴿إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: عادة الله، ففيهم من تعذيبهم بتكذيبهم الرسل ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ الله تَبْدِيلًا﴾ فلا يبدّل العذاب بغيره في حقهم ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ الله تَحْوِيلًا﴾ انتقالاً عن الكفار بالعذاب لغيرهم.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فاطر: 44] أي: فأهلكوا بذنوبهم ﴿وَمَا كَانَ الله لِيُعْجِزَهُ﴾ ليسبقه ويفوته ﴿مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا﴾ بكل شيء ﴿قَدِيرًا﴾ على كل ممكن.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا﴾ [فاطر: 45] عملوا من المعاصي ﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا﴾ أي: الأرض ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾ هي: كل ما يدب على وجه الأرض ﴿وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ هو الموت ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ فيجازي كلاًّ بعمله إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر.

سورة يس

مكية، وقيل: مدنية، وقيل: إلا قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا﴾ [يس: 45] مدنية اثنان، أو ثلاث وثمانون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ يسٓ (١) وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ (٣) عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٤) تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ (٥) لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ (٦) لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٧) إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ (٨) وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (٩) وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠) إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ (١١) ﴾ [يس: ١ - ١١].

﴿يس﴾ [يس: 1] هل معناه: يا إنسان، أو يا رجل، أو يا سيد البشر؟ أقوال ﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ [يس: 2] المحكم نظمه ﴿إِنَّكَ﴾ [يس: 3] يا محمد ﷺ ﴿لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [يس: 3 - 4] طريق الأنبياء قبلك من التوحيد والهداية.

﴿تَنْزِيلَ﴾ [يس: 5] بنصب اللام لابن عامر وحمزة والكسائي وحفص وخلف، والباقون بالرفع ﴿الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ أي: القرآن تنزيل إلى آخره ﴿لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ﴾ [يس: 6] في زمن الفترة ﴿فَهُمْ﴾ قوم ﴿غَافِلُونَ﴾ عن الإيمان.

﴿لَقَدْ حَقَّ﴾ [يس: 7] وجب ﴿الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ﴾ بالعذاب ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا﴾ [يس: 7 - 8] نزلت في أبي جهل ومن معه، وهي جمع: غل، وهو ما تضم به اليد إلى العنق؛ أي: فضممنا أيديهم إلى أعناقهم ﴿فَهِيَ﴾ أي:

الأيدي مجموعة ﴿إِلَى الْأَذْقَانِ﴾ جمع: ذقن، وهي: مجمع اللحيين ﴿فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾ رافعون رءوسهم مع غض البصر وهذا مثل، والمراد: إنهم لا يذعنون للإيمان، ولا يخفضون رءوسهم له.

﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ [يس: 9] بفتح السين وضمها فيهما ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ طريق الهدى تمثيل أيضًا لسد طرق الخير عليهم.

﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ﴾ [يس: 10] فهم ﴿لَا يُؤْمِنُونَ * إِنَّمَا تُنْذِرُ﴾ [يس: 10 - 11] أي: ينفع إنذارك ﴿مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ القرآن فعمل بما فيه ﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾ خافه ولم يره ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ هو الجنة.

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمْۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْۚ أَئِن ذُكِّرْتُمۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [يس: ١٢ - ٢٢].

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى﴾ [يس: 12] عند البعث ﴿وَنَكْتُبُ﴾ في اللوح المحفوظ، فالمعنى: كتبنا، أو نأمر الملائكة بكتابة ﴿مَا قَدَّمُوا﴾ من عمل خيرًا أو شرًا ﴿وَآثَارَهُمْ﴾ التي سنوها «**فمن سنَّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجرهم شيء، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من**

عملها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من وزرهم شيء»[1]، ونزلت بسبب شكاية ابن سلمة من بُعد منازلهم عن المسجد له ﷺ ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ﴾ حفظناه ﴿فِي إِمَامٍ﴾ كتاب ﴿مُبِينٍ﴾ هو اللوح المحفوظ.

﴿وَاضْرِبْ﴾ [يس: 13] اجعل ﴿لَهُمْ﴾ لكفار مكة ﴿مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾ وهي: أنطاكية ﴿إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ رسل عيسى ﷺ ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾ [يس: 14] وهما: يحيى ويونس ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا﴾ بتخفيف الزاي لأبي بكر، والباقون بالتشديد؛ أي: قوينا الاثنين ﴿بِثَالِثٍ﴾ وهو شمعون، وكان في القرية ملك كافر أرسل إليه عسى الرسولين يقع منهما ما يقع منه من شفاء المريض، وأبرأ الأكمة، والأبرص - بإذن الله - فلقيهما حبيب النجَّار وآمن لمَّا شفيا ابنه بدعائهما الله، ولم يعلم الملك حالهما إلا بعد مجيء شمعون له بتلطف، واختلف هل آمن الملك أم لا؟ ﴿فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾.

﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ﴾ [يس: 15] ما ﴿أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ * قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ * وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [يس: 15 - 17] التبليغ ﴿الْمُبِينُ﴾ البيّن الظاهر بالأدلة الواضحة ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ [يس: 18] أي: تشاءمنا بسبب قحط المطر لما جئتم ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ بالحجارة للقتل ولنقتلنكم ﴿وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾ [يس: 19] شؤمكم بكفركم ﴿أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ﴾ وعظتم بالله تطيرتم، وهو محل الاستفهام التوبيخ، وقرأ أبو جعفر أن بفتح الهمزة الثانية، وخفف الكاف جعله من الذكر لا من التذكير، والباقون بالتشديد ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ متجاوزون للحد شر لكم.

﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ﴾ [يس: 20] آخرها ﴿رَجُلٌ يَسْعَى﴾ يمشي عدوًا، وهو حبيب النجار لما بلغه تكذيب أهل القرية للرسل ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا﴾ [يس: 21] مالاً على تبليغ الرسالة ﴿وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ فلما قال ذلك قال له أهل القرية: إنك آمنت فقال: ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [يس: 22] ابتداء خلقي؛ أي: لا مانع لي من عبادته لوجود ما يقتضيها، وأنتم كذلك ﴿وَإِلَيْهِ

---

(1) رواه البيهقي في «الشعب» (15/46).

﴿تُرْجَعُونَ﴾ فيجازيكم بأعمالكم.

﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [يس: ٢٣ - ٣٠].

﴿أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ﴾ [يس: 23] غيره ﴿آلِهَةً﴾ أصنامًا أو غيرها؛ يعني: لأفعل ﴿إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ﴾ لا تدفع ﴿عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا﴾ من السوء ﴿وَلَا يُنْقِذُونِ﴾ من العذاب ﴿إِنِّي إِذًا﴾ [يس: 24] إذا عبدت غير الله ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ بيّن ﴿إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾ [يس: 25] اسمعوا قولي فرجموه فمات.

﴿قِيلَ﴾ [يس: 26] له عند موته ﴿ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ ﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾ [يس: 27] بغفرانه ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ عنده بدخول الجنة ﴿وَمَا﴾ [يس: 28] نافية ﴿أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ﴾ أي: قوم حبيب ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: بعد موته ﴿مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ وهم الملائكة لإهلاكهم ﴿وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ ملائكة تقاتل بإنفرادها أو لإهلاك أحد.

﴿إِنْ كَانَتْ﴾ [يس: 29] العقوبة التي حلت بهم ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ برفعهما لأبي جعفر، والباقون بنصبها ﴿فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ ميتون، قيل: نزل جبريل فأخذ بعضادتي باب المدينة وصاح بهم فماتوا ﴿يَا حَسْرَةً﴾ [يس: 30] هو من قول الهالكين، أو من قول الله؛ أي: إنهم لما عملوه يناسب أن يقال ذلك في حقهم والحسرة شدة التألم ﴿عَلَى الْعِبَادِ﴾ يوم القيامة؛ أي: ما أعظمهم عليهم في ذلك اليوم ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ فلا يؤمنون به فيهلكون بكفرهم بالعذاب.

﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن

كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يس: ٣١ - ٤٠].

﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ [يس: 31] ألم يعلم أهل مكة القائلون للنبي ﷺ ﴿لَسْتَ مُرْسَلاً﴾ [الرعد: 43] والمراد تقرير علمهم بذلك ﴿كَمْ﴾ للتكثير ﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾ الأمم الكثيرة ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ﴾ إلى أهل مكة ﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾ لا يعودون ﴿وَإِنْ كُلٌّ﴾ [يس: 32] من الأولين والآخرين ﴿لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا﴾ عندنا في الموقف بعد البعث ﴿مُحْضَرُونَ﴾ مجموعون للحساب.

﴿وَآيَةٌ لَهُمُ﴾ [يس: 33] أخرى على البعث ﴿الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا﴾ بالإنبات بعد أن كانت يابسة ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾ كحنطة وشعير ﴿فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ * وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ [يس: 33 - 34] أي: بساتين منهما ﴿وَفَجَّرْنَا فِيهَا﴾ [يس: 34] أي: في الأرض ﴿مِنَ الْعُيُونِ * لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾ [يس: 34 - 35] الحاصل بالماء ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: لم تعمل الثمر قرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر: «وما عملت» بلا هاء ضمير، والباقون: «عملته» بإثباتها ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ أي: اشكروا.

﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ﴾ [يس: 36] الأصناف ﴿كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ﴾ من الحبوب وغيرها ﴿وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ ذكورًا وإناثًا ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ من مخلوقات الله.

﴿وَآيَةٌ لَهُمُ﴾ [يس: 37] على قدرة الله الباهرة ﴿اللَّيْلُ نَسْلَخُ﴾ ننزع ونفصل ﴿مِنْهُ

﴿النَّهَارَ﴾ إذ الأصل الظلمة، والنار داخلة عليها، فإذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل فعاد الليل على أصله كما قال: ﴿فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ داخلون في الظلمة ﴿وَالشَّمْسُ﴾ [يس: 38] أي: وآية لهم الشمس ﴿تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ وهو انتهاء سيرها في كل يوم أو المستقر نهاية الارتفاع، وثبت عنه ﷺ أن مستقرها تحت العرش ﴿ذَلِكَ﴾ الجري ﴿تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿الْعَلِيمِ﴾ بسيرها وغيره.

﴿وَالْقَمَرَ﴾ [يس: 39] برفع الراء لأبي عمرو ونافع وابن كثير وروح، والباقون بالنصب ﴿قَدَّرْنَاهُ﴾ أي: قدرنا سيره ﴿مَنَازِلَ﴾ وهي ثمانية وعشرون منزلاً ينزل القمر كل ليلة في واحدة لا يتخطاها ويستتر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين وإلا قليلة ﴿حَتَّى عَادَ﴾ في آخر منازله في ﴿رَأْيَ العَيْنِ﴾ [آل عمران: 13] ﴿كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ في دقته وصفرته وتقوسه، **والعرجون:** عود العذق القديم الذي عليه الشماريخ.

﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي﴾ [يس: 40] يسهل ﴿لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ فتجتمع معه ليلاً فلا يدخل الليل على النهار قبل انقضائه ﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ﴾ من القمر والنجوم والشمس ﴿فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ يجرون.

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

[يس: ٤١ - ٥٢].

﴿وَآيَةٌ لَهُمْ﴾ [يس: 41] على قدرتنا ﴿أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أي: ذرية أهل مكة أو ذرية قوم نوح عليه السلام ﴿فِي الْفُلْكِ﴾ السفينة ﴿الْمَشْحُونِ﴾ المملوء، والمراد على الأول آباؤهم، وعلى الثاني أولادهم؛ لأنهم كانوا في ظهر آبائهم المحمولين ﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾ [يس: 42] أي: من السفن التي عملت على شكله صغيرًا كان أو كبيرًا، وقيل المراد: الإبل؛ لأنها سفن البر ﴿وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ﴾ [يس: 43] مغيث ﴿لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ﴾ من العذاب بالغرق؛ أي: لا ينجيهم أحد ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾ [يس: 44] وهو انقضاء أجلهم؛ أي: لا تنجيهم إلا الرحمة منا لهم وتمتعًا لهم إلى ذلك.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ [يس: 45] من عذاب الآخرة ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ من الدنيا أو الأول وقائع الله في الأمم السالفة على الله، والثاني عقاب الآخرة ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ اعرضوا ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ﴾ [يس: 46] دلالة على وحدانية الله ﴿مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ على صدق محمد ﷺ ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا﴾ [يس: 47] أي: إذا قال، فقرأ الصحابة لكفار قريش أنفقوا ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ﴾ من الأموال ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ بيّن، وقيل: ﴿أَنْتُمْ...﴾ إلى آخره ذم لمن احتج بالمشيئة في هذا وهو صحيح ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ [يس: 48] أي: يوم القيامة ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه.

فقال تعالى: ﴿مَا يَنْظُرُونَ﴾ [يس: 49] ما ينتظرون ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ وهي النفخة الأولى ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ يختصمون في أمر الدنيا والبيع والشراء في الأسواق، وقرأ حمزة: «يخصمون» بفتح الياء وإسكان الخاء وتخفيف الصاد، وأبو جعفر كذلك ولكنه بتشديد الصاد، وورش وابن كثير والحلواني عن هشام كذلك ولكنه بإخفاء فتحة الخاء، وانفرد به ابن مهران عن روح، وقرأ يعقوب والكسائي وخلف وابن ذكوان وحفص والدجواني عن هشام والجمهور عن أبي بكر كذلك ولكن بكسر الخاء، وروى الآخرون عن أبي بكر بكسر الياء أيضًا، واختلف عن أبي عمرو وقالون فروى عنهما بعض المغاربة الاختلاس والفتح، وروى الجمهور عن قالون الإسكان وعن أبي عمرو الإشمام، ورُوي أيضًا عن قالون ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ [يس: 50] أي: أن

يوصوا لمعاجلة الموت ﴿وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ﴾ بعد الموت ﴿يَرْجِعُونَ * وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ [يس: 50 - 51] هو قرن - حامله إسرافيل - النفخة الثانية أو بينها وبين الأولى أربعون سنة ﴿فَإِذَا هُمْ﴾ أي أهل القبور ﴿مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ القبور ﴿إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ يخرجون أحياء.

﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا﴾ [يس: 52] هلاكنا ﴿مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ الذي نحن نيام فيه، عدّوا عذاب القبر بالنسبة إلى أهوال الآخرة منامًا، أو قالوه بالنسبة إلى رفع العذاب عنهم بين النفختين ﴿هَذَا﴾ أي: البعث ﴿مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ فأقروا حين لا ينفعهم الإقرار، وقيل: إنهم يقال لهم ذلك أو يقولون: ﴿يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ [يس: 52] فيقول لهم المؤمنون: ﴿هَذَا...﴾ إلى آخره.

﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ اعْبُدُونِي ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[يس: ٥٣ - ٦٤].

﴿إِنْ﴾ [يس: 53] ما ﴿كَانَتْ﴾ أي: الصيحة الثانية التي يُحيى بها الخلق ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا﴾ عندنا ﴿مُحْضَرُونَ﴾.

﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يس: 54] أي: جزاء عملكم وهو الكفر، وجزاؤه الخلود في النار.

﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ﴾ [يس: 55] بضم العين وإسكانها كما سبق في البقرة، وشغلهم كافتضاض البكر، والسماع، وزيارة بعضهم لبعض، وأكلهم مما ضيفهم الله تعالى به في الجنة لا شغل تعب ﴿فَاكِهُونَ﴾ قرأ أبو جعفر: «فكهون،

وفكهين» حيث وقع بلا ألف وافقه حفص وابن عامر بخلاف عنه في المطففين، والباقون بالألف في الجميع؛ أي: فرحون أو ناعمون ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ﴾ [يس: 56] قرأ حمزة والكسائي وخلف: «في ظُلَل» بضم الظاء من غير ألف بين اللامين، والباقون بكسرها وإثبات الألف، الأول: جمع ظلة، والثاني: جمع ظل، والمراد لا تصيبهم الشمس أو لا شمس في الجنة ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ الأسرة أو الفرش عليها، واحدتها أريكة، ولا تسمى بذلك إلا إذا كانت في الحجال ﴿مُتَّكِئُونَ﴾.

﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ﴾ [يس: 57] يتمنون ويشتهون ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾ [يس: 58] أي: سلم الله عليهم بقوله: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الزمر: 7] ﴿وَامْتَازُوا﴾ [يس: 59] أي: ويقال: امتازوا ﴿الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ أي: انفردوا عن المؤمنين وذلك عند اختلاطهم أولاً وتحزبهم لأجل القذف بهم في النار.

ثم يوبخون بقوله: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾ [يس: 60] أي: آمركم ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾ على لسان رسلي ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا﴾ تطيعوا ﴿الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ مظهر للعداوة، أو بيّن ﴿وَأَنِ اعْبُدُونِي﴾ [يس: 61] أطيعوني بالتوحيد ﴿هَذَا﴾ الذي أمرتكم به ﴿صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ بحق لا عوج فيه.

﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ﴾ [يس: 62] الشيطان ﴿مِنْكُمْ جِبِلًّا﴾ خلقًا بضم الجيم وإسكان الباء وتخفيف اللام لأبي عمرو وابن عامر وبضم الجيم والباء، وتخفيف اللام لابن كثير وحمزة والكسائي وخلف ورويس، وبذلك قرأ روح ولكن بتشديد اللام، والباقون بكسر الجيم والباء والتشديد ﴿كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ عداوته لكم وإضلاله، أو العذاب الذي حل بمن أضل فتجتنبوا الضلال.

ويقال لهم: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [يس: 63] في الدنيا ﴿اصْلَوْهَا﴾ [يس: 64] ادخلوها ﴿الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ بسبب كفركم.

﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ

ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [يس: ٦٥ - ٧٥].

﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ﴾ [يس: 65] فيمنعهم من الكلام لإنكارهم الكفر بها ﴿وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ﴾ أي: وغير ذلك، وخصهما بالذكر؛ لأن غالب الأعمال بهما ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ يعملون فينطق كل عضو بما عمل.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ﴾ [يس: 66] الظاهرة فلم يجعلها لهم ﴿فَاسْتَبَقُوا﴾ ابتدروا ﴿الصِّرَاطَ﴾ الطريق ذاهبين كعادتهم ﴿فَأَنَّى﴾ كيف ﴿يُبْصِرُونَ﴾ أي: لا يبصرون حينئذ ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ﴾ [يس: 67] قردة أو خنازير أو حجارة ﴿عَلَى مَكَانَتِهِمْ﴾ أي: مكانهم الذي هم فيه ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ فلا يقدرون على ذهاب ولا على رجوع.

﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ﴾ [يس: 68] بإطالة أجله ﴿نُنَكِّسْهُ﴾ بفتح النون للأولى وإسكان الثانية وتخفيف الكاف مضمومة؛ أي: نرده ﴿فِي الْخَلْقِ﴾ إلى أرذل العمر فيعود هرمًا ضعيفًا، وقرأ حمزة وعاصم بضم النون الأولى وفتح الثانية وكسر الكاف مشددة ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ فيعتبرون.

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ [يس: 69] أي: النبي ﷺ ﴿الشِّعْرَ﴾ إنشاءه، نزلت تكذيبًا للكفار في قولهم: إن القرآن شعر وإن محمدًا ﷺ شاعر ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ أي: ما يسهل له أن يقول الشعر ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: ليس الذي نزل عليه وهو القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ موعظة ﴿وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ مُظهر للأحكام وغيرها[1].

---

(1) فيها مسائل: **المسألة الأولى**: كلام العرب على أوضاع منها: الخطب والسجع والأراجيز، والأمثال، والأشعار. وكان رسول الله أفصح ولد آدم، ولكن حجب عنه الشعر استغناء بفصاحة القرآن الخارج عن أنواع كلام العرب الفصحاء، كما حجب عنه الشعر استغناء القرآن الخارج =

عن أنواع كلام العرب الفصحاء، كما حجب عنه الكتب إبقاء له على الأمية، لتقوم به الحجة، ويتبين علمه، وأن ذلك من الله.

المسألة الثانية: اعلم أن القرآن معجز خارج عن أوضاع الشعر، قال أخو أبي ذر لأبي ذر. لقد وضعت قوله تعالى على أجزاء الشعر، فلم يكن عليها ولا دخل تحت بحر من بحور العروض الخمسة عشرة، ولا انفك من دائرة من دوائر الخمس، ولقد اجتهد الناس في إدخال القرآن تحت دائرة من هذه الدوائر فلم يقدروا، وقد استوفيا الكلام في العروض في كتاب.

المسألة الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾. اعترضه جماعة من الملحدة في نظم القرآن والسنة بأشياء أرادوا بها إيراد النقض على الآية، وقالوا، قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾. وهذا تأكيد على نفي الشعر عنه، ثم اعترضوا بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾. وقالوا: إن هذا من بحر المتقارب.... والجواب: إن هذا لا يلزم، فإن وزن البيت ينتهي إلى قوله: ﴿وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ﴾، فإذا وقفنا هنا لم يستقم الكلام، وإذا أتممنا الآية، لم يكن ذلك شعرًا، لأن المتقارب مثمن في التفعيل، والآية معشرة، فاندفع الاعتراض، وأيضًا، فاعترضوا، بقوله تعالى: ﴿وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾. وقالوا: إنه من الوافر.... والجواب: إن هذا فاسد، لأن الآية إنما تكون بوزن البيت، إذا زيدت ألف بعد نون المؤمنين، وزيادة الألف يخرجها عن القرآن ونقصانها يخرجها عن الشعر. وأيضًا، اعترضوا بقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾. وقالوا: إنه من الرجز، والجواب إن هذا لا يلزم لأنه ليس بكلام تام، فإن أضيف إلى الآية ما تتم به خرج عن الشعر. وأيضًا، فاعترضوا بقوله تعالى: ﴿وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ﴾. وقالوا: إنه من الرمل، والجواب: إن الآية، إنما تدخل تحت الوزن، إذا زيدت الياء في آخر الآية، وزيادتها لا تجوز، فاندفع أن تكون شعرًا. وأيضًا، فقد اعترضوا بقوله، عليه الصلاة والسلام: أنا النبي لا كذب، أنا بن عبد المطلب، وقالوا: إنه من الرجز، والجواب، كما قال الأخفش: هذا ليس بشعر، وقد قال الخليل: إن ما جاء من السجع على جزأين، فإنه لا يكون شعرًا، ولو سلمنا أنه شعر، فالرواية: لا كذب، بالتنوين وابن عبد المطلب بكسر الباء، فخرج عن أن يكون شعرًا، وقد كان رسول الله ﷺ يتمثل بأبيات منها لطرفة.. وقال: كفى الإسلام والشيب للمرء ناهيا. فقدم وأخر امتثالا لقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾. فقام أبو بكر، وقبل رأسه، وتلا الآية، وأيضًا فاعترضوا بقوله: وفي سبيل الله ما لقيت.. هل أنت إلا إصبع دميت.وقالوا: إنه من الرجز، والجواب: أن يقال: إنه، عليه الصلاة والسلام، إنما ذكره بسكون التاء، وإذا كان الأمر كذلك خرج عن أن يكون شعرًا، فزال السؤال.

وقد قال العلماء: أن ما يجري على اللسان من موزون الكلام، لا يعد شعرًا وإنما يعد منه ما يجري على وزن الشعر مع القصد إليه.

المسألة الرابعة: سئل مالك عن إنشاد الشعر. قال: لا تكثر منه. فمن عيبه أن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾. قال مالك: وبلغني أن عمر بن الخطاب كتب إلى أبي موسى الأشعري أن اجمع الشعراء واسألهم عن الشعر، واسأل لبيدًا عنه قال: فجمعهم وسألهم: فقالوا:

﴿لِيُنْذِرَ﴾ [يس: 70] قرأ المدنيان وابن عامر ويعقوب بالخطاب، والباقون بالغيب ﴿مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ يعقل ما يخاطب به ﴿وَيَحِقَّ الْقَوْلُ﴾ العذاب ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ والحي المؤمن؛ لانتفاعه، والكافر ميت؛ لعدم الانتفاع.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ [يس: 71] يعلموا ﴿أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ﴾ في جملة الناس، والاستفهام للتقرير ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾ أي: عمله الله بلا شريك ﴿أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ بالضبط والتصريف ليست نافرة منهم، بل هي مسخرة لهم كما قال: ﴿وَذَلَّلْنَاهَا﴾ [يس: 72] سخرناها ﴿لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ وهي الإبل ﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ وهي الإبل والبقر والغنم ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ [يس: 73] من الصوف والوبر والشَعر وغير ذلك ﴿وَمَشَارِبُ﴾ من ألبانها ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ نعمة الله في ذلك فيطيعون؛ أي: ما شكروا.

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ﴾ [يس: 74] من العذاب بزعمهم أن آلهتهم تشفع لهم فرد عليهم بقوله: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾ [يس: 75] منهم من العذاب ﴿وَهُمْ لَهُمْ﴾ أي: للأصنام للكفار ﴿جُنْدٌ مُحْضَرُونَ﴾ معهم من النار وذلك في الآخرة كل يتبع معبوده فيمضي به للنار.

﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس: ٧٦ - ٨٣].

=

إنا لنعرف الشعر، ونقوله. فقال لبيد: ما قلت بيت شعر منذ سمعت الله يقول: ﴿الم ذَٰلِكَ الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾. [الأحكام الصغرى ص516].

﴿فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ﴾ [يس: 76] أي: قول كفار مكة لك: ﴿لَسْتَ مُرْسَلاً﴾ [الرعد: 43] وغير ذلك ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ من التكذيب ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ من عبادة الأوثان.

﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ﴾ [يس: 77] وهو العاص بن وائل جاء بعظم إلى النبي ﷺ وفتته فقال: أيحيي الله هذا بعدما قد رمم؟ قال: نعم، ويبعثك وتدخل النار فنزلت الآيات التي آخر السورة ﴿أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ مني في ابتداء أمره وربيناه إلى أن صار قويًا ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾ جدل بالباطل ﴿مُبِينٌ﴾ مظهر للخصومة أو بيّن.

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ [يس: 78] في ذلك بالعظم الذي جاء به النبي ﷺ ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ من نطفة وهو أعجب ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ متفتتة بالية.

﴿قُلْ﴾ [يس: 79] يا محمد ﷺ ﴿يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا﴾ أي: خلقها ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ من العدم ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ﴾ أي: مخلوق ﴿عَلِيمٌ﴾ قبل خلقه وبعده ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ﴾ [يس: 80] أيها الناس ﴿مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾ وهو كل شيء إلا العنَّاب عند الحكماء، وقال ابن عباس: أراد المرخ والعفار ﴿فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾ تقدحون، وهذا دال على البعث، فإنه جمع ضدين ماء ونار وخشب فلا الماء طفت النار، ولا النار حرقت الخشب.

﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [يس: 81] مع عظمهما ﴿بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ أي: الإنس في الصغر، قرأ يعقوب: «يقدر» على وزن يضرب هنا وفي الأحقاف في رواية رويس، وافقه روح في الأحقاف ووافقه البزي في أحد وجهيه، والباقون بياء موحدة مكسورة وفتح القاف بعدها ألف وخفض الراء منونة، وافقهم البزي في الأحقاف في الوجه الآخر ﴿بَلَى﴾ أي: قل بلى هو قادر على ذلك ﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ﴾ الكثير الخلق ﴿الْعَلِيمُ﴾ بكل شيء.

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ﴾ [يس: 82] شأنه ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئًا﴾ أي: إيجاده ﴿أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ﴾ [يس: 82 - 83] ملك، زيدت فيه الواو والتاء للمبالغة ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: القدرة عليه ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ في الدار الآخرة للجزاء.

سورة الصافات

مكية مائة واثنان أو إحدى وثمانون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا (١) فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا (٢) فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا (٣) إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ (٤) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ (٥) إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ (٦) وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ (٧) لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ (٨) دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ (٩) إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ (١٠) فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا ۚ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ (١١) بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ (١٢) وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ (١٣) وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ (١٤) وَقَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (١٥) أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (١٦) أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (١٧) قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ (١٨) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ (١٩) وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ (٢٠)﴾ [الصافات: ١ - ٢٠].

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ [الصافات: 1] هم: الملائكة يصفون في السماء كصفوفنا في الدنيا للصلاة، أو تصف أجنحتها في الهوى تنتظر ما تؤمر به أو هي الطير لقوله: ﴿وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ﴾ [النور: 41] والأشهر الأول ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾ [الصافات: 2] هي: الملائكة تزجر السحاب بمعنى تسوقه أو هي مواعظ القرآن؛ لأنها تزجر الناس ﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾ [الصافات: 3] هم: الملائكة يتلون ذكر الله، أو هم جماعة قرأوا القرآن.

﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ * رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [الصافات: 4 - 5] الجو ﴿وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾ وهي مطالع الشمس؛ أي: ورب المغارب؛ إذ للشمس كل يوم مشرق ومغرب.

﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾ [الصافات: 6] خصت بالذكر؛ لأنها المزينة لها ﴿بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾ روى أبو بكر عن عاصم بتنوين زينة ونصب الكواكب، وكذلك حمزة لكن خفض الكواكب، والباقون بالإضافة بلا تنوين والكواكب بالخفض ﴿وَحِفْظًا﴾ [الصافات: 7] أي: حفظناها بالشهب حفظًا ﴿مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ﴾ متمرد عاتٍ؛ لأنهم يرمون بها.

﴿لَا يَسَّمَّعُونَ﴾ [الصافات: 8] قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص بتشديد السين والميم، والباقون بتخفيفهما ﴿إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى﴾ وهم: الملائكة في السماء لمنعهم من ذلك ﴿وَيُقْذَفُونَ﴾ يرمون ﴿مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾ من آفاق السماء بالشهب ﴿دُحُورًا﴾ مصدر: دحره؛ إذ أطرده وأبعده ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ﴾ [الصافات: 9] في الآخرة ﴿وَاصِبٌ﴾ دائم.

﴿إِلَّا﴾ [الصافات: 10] أي: لا يسمعون إلا ﴿مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ﴾ أي: اختلس الكلمة من كلام الملائكة مسارقة ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ﴾ كوكب مضيء ﴿ثَاقِبٌ﴾ يدركه ويحرقه ولا يفلته، وإنما يعودون إلى السماع مع علمهم بالهلاك طمعًا في السلامة كراكب البحر.

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾ [الصافات: 11] أي: استخبر كفار مكة إمَّا على جهة التقرير أو التوبيخ ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا﴾ من السماوات والأرض والجبال، والمعنى أن هذه أشد خلقًا ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ﴾ أي: أصلهم آدم ﴿مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾ يعلق باليد، ومعناه لازم المعنى أن خلقهم ضعيف فلا ينكروا عن الإيمان.

﴿بَلْ﴾ [الصافات: 12] للانتقال ﴿عَجِبْتَ﴾ بفتح التاء للقراء إلا خلف أو حمزة والكسائي فيضمها على معنى قل أو يجوز ذلك ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ أي: وهم يسخرون من تعجبك ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا﴾ [الصافات: 13] وعِظوا ﴿لَا يَذْكُرُونَ﴾ لا يتعظون ﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً﴾ [الصافات: 14] من الآيات الدالة على صدقك كانشقاق القمر ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾ يستهزؤون ويستدعي بعضهم على صدقك السخرية من بعض.

﴿وَقَالُوا إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الصافات: 15] وأنكروا البعث فقالوا: ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [الصافات: 16] ﴿أَوَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ [الصافات: 17] قرأ أبو جعفر وابن عامر وقالون والأصبهاني عن ورش بإسكان الواو

هنا وفي الواقعة، والباقون بفتحها ﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾ [الصافات: 18] صاغرون؛ أي: تبعثون وأنتم كذلك ﴿فَإِنَّمَا هِيَ﴾ [الصافات: 19] أي: قضية البعث والقيامة ﴿زَجْرَةٌ﴾ صيحة ﴿وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ﴾ أي: كل الخلائق أحياء ﴿يَنْظُرُونَ﴾ ما يفعل بهم.

﴿وَقَالُوا﴾ [الصافات: 20] أي: الكفار ﴿يَا وَيْلَنَا﴾ هلاكنا، وتقول لهم الملائكة: ﴿هَذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ الحساب والجزاء.

﴿ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ ۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الصافات: ٢١ - ٣٥].

﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ [الصافات: 21] بين المحسن والمسيء ﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ في الدنيا.

يقال للملائكة: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الصافات: 22] بالكفر للحساب والجزاء ﴿وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ أمثالهم وأشباههم، والأتباع والقرناء من الشياطين أو أزواجهم ﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ اللهِ﴾ [الصافات: 22 - 23] وهم الأوثان والشياطين ﴿فَاهْدُوهُمْ﴾ سوقوهم دالين لهم ﴿إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ طريق النار ﴿وَقِفُوهُمْ﴾ [الصافات: 24] احبسوهم عند الصراط ﴿إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ عن جميع أعمالهم ومنها الكفر، ثم يقول لهم خزنة النار توبيخًا: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ [الصافات: 25] لا ينصر بعضكم بعضًا كما كنتم في الدنيا وهو جواب لأبي جهل حيث قال يوم بدر: ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ﴾ [القمر: 44] ثم يقال عنهم: ﴿بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾

[الصافات: 26] خاضعون منقادون في ذل لا حيلة لهم.

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصافات: 27] الرؤساء تتخاصم مع الأتباع ﴿قَالُوا﴾ [الصافات: 28] الأتباع للرؤساء: ﴿إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ أي: من قبل اليمين أو من الجهة التي كنا نأمنكم بها لحلفكم أنكم على حق وإن الدين باطل ﴿قَالُوا﴾ [الصافات: 29] أي: الرؤساء للأتباع: ﴿بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ لأنكم على الكفر فما أضللناكم ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [الصافات: 30] يد قوة قهرناكم بها على الكفر تبعًا لنا ﴿بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ﴾ ضالين ﴿فَحَقَّ﴾ [الصافات: 31] وجب ﴿عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا﴾ أي: الأتباع والمتبوعين وجب عليهم العذاب لقوله: ﴿لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: 119] ﴿إِنَّا﴾ جميعًا ﴿لَذَائِقُونَ﴾ العذاب.

﴿أَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾ [الصافات: 32] أي: إغوائنا لكم لإغوائنا، لا لقولنا لكم: ﴿اتَّبِعُوا البَاطِلَ﴾ [محمد: 3] قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [الصافات: 33] الأتباع والرؤساء لاشتراكهم في الغي ﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾ [الصافات: 34] كما عذبنا التابع والمتبوع ﴿نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ غيرهم فنعذب الطائفتين من سائر الكفار ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات: 35] عن الإيمان بها.

﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الصافات: ٣٦ - ٥٢].

﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ [الصافات: 36] يعنون محمدًا ﷺ

المبرأ من زعمهم الكاذب، فرد الله عليهم بقوله: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ﴾ [الصافات: 37] من الإيمان والقرآن ﴿وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ قبله الآتين بالوحدانية في شهادة أن لا إله إلا الله.

﴿إِنَّكُمْ﴾ [الصافات: 38] أيها الكفار ﴿لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ * وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: 38 - 39] أي: إلا جزاءه ﴿إِلَّا﴾ [الصافات: 40] لكن ﴿عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ الموحدين وذكر جزائهم بقوله ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ﴾ [الصافات: 41] في الجنة بكرة وعشية ﴿فَوَاكِهُ﴾ [الصافات: 42] بيان للرزق وهو ما يؤكل تلذذًا لا لحفظ صحة جسد ونحوه إذ خلق أهل الجنة للبقاء فلا يحتاجون لحفظ صحة ﴿وَهُمْ مُكْرَمُونَ﴾ برؤية الله ﷻ وعظيم ثوابه ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الصافات: 43 - 44] لا يرى بعضهم معا بعض.

﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ﴾ [الصافات: 45] على كل منهم ﴿بِكَأْسٍ﴾ إناء فيه شراب ﴿مِنْ مَعِينٍ﴾ خمر جارية في الأنهار تراها العيون ﴿بَيْضَاءَ﴾ [الصافات: 46] أشد بياضًا من اللبن ﴿لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ لذيذة بخلاف خمر الدنيا فإنها كريهة عند الشرب ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ [الصافات: 47] فساد بخلاف خمر الدنيا ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾ قرأ حمزة والكسائي: «ينزفون» هنا وفي الواقعة بكسر الزاي، وافقهما عصام في الواقعة، والباقون بالفتح فيهما؛ أي: لا تُذهب عقولهم.

﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ﴾ [الصافات: 48] حابسات الأعين على أزواجهن عين حسان الأعين ضخامها؛ أي: كبارها ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ﴾ [الصافات: 49] جمع بيضة، والمراد: بيض النعام ﴿مَكْنُونٌ﴾ مستور من الغبار والريح أبيض في أدنى صفرة وهو أحسن ألوان النساء ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ﴾ [الصافات: 50] أي: بعض أهل الجنة ﴿عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ عن حالهم في الدنيا.

﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ﴾ [الصافات: 51] أي: من أهل الجنة ﴿إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ في الدنيا ينكر البعث ﴿يَقُولُ﴾ [الصافات: 52] لي توبيخًا ﴿أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾ بالبعث.

﴿ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ

فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ ﴾ [الصافات: ٥٣ - ٧٦].

﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [الصافات: 53] محاسبون إنكارًا منه لذلك.

﴿قَالَ﴾ [الصافات: 54] قال الله تعالى في الجنة عند ذلك، أو قال المؤمن لإخوانه في الجنة: ﴿هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ﴾ لننظر حاله في النار، فقالوا له: لا أنت أعرف به منَّا ﴿فَاطَّلَعَ﴾ [الصافات: 55] ذلك المؤمن من بعض أماكن الجنة ليراه وفيّ، كما قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: كُوى ينظر أهلها إلى النار لزيادة نعيم أهل الجنة بتذكر نعمة النجاة ﴿فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ وسطها.

﴿قَالَ﴾ [الصافات: 56] له ﴿تَاللهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ﴾ أي: قربت إهلاكي ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي﴾ [الصافات: 57] عليّ بالإيمان ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ معك في النار ويقول المؤمن وهو في الجنة أو كل أهلها: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾ [الصافات: 58] ﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى﴾ [الصافات: 59] وهي التي في الدنيا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ في النار؛ أي: أنت أنكرت ذلك وقد وقع بخلاف إنكارك، أو يقوله أهل الجنة للتلذذ بهذا الاستفهام بينهم.

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا﴾ [الصافات: 60] أي: هذا الذي ذكر من نعيم أهل الجنة ﴿لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * لِمِثْلِ هَذَا﴾ [الصافات: 60 - 61] الثواب أو المنزل ﴿فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ قيل: يقول تعالى لهم ذلك، وقيل: هم يقولون ﴿أَذَلِكَ﴾ [الصافات: 62] المذكور لأهل الجنة ﴿خَيْرٌ نُزُلًا﴾ أو النزل ما يعد للضيف وغيره ﴿أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ نزل أهل النار وهي شجرة خبيثة مرة كريهة الطعم بتهامة.

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا﴾ [الصافات: 63] أي: الشجرة المذكورة ﴿فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾ الكافرين فقالوا ومنهم أبو جهل: كيف تنبت شجرة في النار وبيَّنها الله بقوله: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: 64] تنبت في قعر النار؛ أي: أسفلها وتمتد أغصانها إلي بقيتها ﴿طَلْعُهَا﴾ [الصافات: 65] ثمرها ﴿كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ صفة دالة على بشاعتها؛ لأن العرب إذا كرهت شيئًا وجعلته في نهاية الساعة قالوا: كأنه شيطان ﴿فَإِنَّهُمْ﴾ [الصافات: 66] أي: الكفار ﴿لَآكِلُونَ مِنْهَا﴾ مع قبحها لشدة جوعهم ﴿فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ حتى لا تحتمل زيادة.

﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا﴾ [الصافات: 67] خلطًا ومزاجًا ﴿مِنْ حَمِيمٍ﴾ ماء حار شديد الحرارة انتهى حرّه؛ إذا شربه اختلط بالمأكول ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ﴾ [الصافات: 68] بعد شربي الحميم ﴿لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾ لأنهم يردون الحميم لشربه، وهو خارج الجحيم ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا﴾ [الصافات: 69] وجدوا ﴿آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ﴾ ﴿فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ [الصافات: 70] يسرعون في العمل بمثل عملهم.

﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الصافات: 71] من الأمم الماضية ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ * فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾ [الصافات: 72 - 73] الكفار؛ أي: آخر أمرهم وهو العذاب ﴿إِلَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الصافات: 74] وهم: المؤمنون فإنهم نجوا من العذاب لإخلاصهم في العبادة، أو لأن الله أخلصهم لها.

﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ﴾ [الصافات: 75] فدعا على قومه بالغرق وسأل النجاة له ولأهله من الكرب، أو بقوله: ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾ [القمر: 10] ﴿فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ نحن له فأهلكناهم ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ [الصافات: 76] وهو الغرق.

﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [الصافات: ٧٧ - ١٠٠].

﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ [الصافات: 77] فالناس كلهم من نسله ﷺ؛ لأنه لما خرج من السفينة مات من كان معه فيها إلا أولاده الثلاثة: سام، وحام، ويافث ونساؤهم، فسام: أبو العرب والروم وفارس، وحام: أبو السودان، ويافث: أبو الترك ويأجوج ومأجوج والخُور - بضم الخاء بعدها واو ساكنة في آخره - رأى وما هنالك.

﴿وَتَرَكْنَا﴾ [الصافات: 78] أبقينا ﴿عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ ثناء حسنًا ﴿سَلَامٌ﴾ [الصافات: 79] منّا ﴿عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ * إِنَّا كَذَلِكَ﴾ [الصافات: 79 - 80] أي: مثل هذا الجزاء ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ﴾ [الصافات: 80 - 81] أي: نوح ﴿مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ [الصافات: 81 - 82] أي: الكفار.

﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾ [الصافات: 83] إذ تابعه في أصل الدين، وإن كان الزمان بينهما وهو ألفان وستمائة وأربعون سنة، وكان بينهما هود وصالح ﴿إِذْ جَاءَ﴾ [الصافات: 84] أو تابعه وقت مجيئه ﴿رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ لا شك فيه ولا شرك ﴿إِذْ قَالَ﴾ [الصافات: 85] في هذه الحالة المستمرة له ﴿لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا﴾ ما الذي ﴿تَعْبُدُونَ﴾ استفهام توبيخ ﴿أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللهِ تُرِيدُونَ﴾ [الصافات: 86] والمراد:

أتريدون عبادة آلهة وهي كذب ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: 87] إذا جئتم له في الآخرة وقد عبدتم غيره؛ أي: أتظنون العفو لا يكون ذلك، ثم لما طلبوا خروج إبراهيم عليه السلام معهم إلى عبدهم، قالوا له ذلك فأراد أن يجيبهم بعذر يسلم به منهم، ثم يكيد آلهتهم وكانوا يفتنون بعلم النجوم ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ * فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: 88 - 89] أي: سأسقم، أو قلبي كالسقيم من عبادتكم لغير الله ﴿فَتَوَلَّوْا﴾ [الصافات: 90] إلى عيدهم ﴿عَنْهُ﴾ عن إبراهيم عليه السلام ﴿مُدْبِرِينَ﴾ فتولى إبراهيم إلى الأصنام فكسرها كما قال تعالى: ﴿فَرَاغَ﴾ [الصافات: 91] مال ﴿إِلَى آلِهَتِهِمْ﴾ في خفية فوجد الطعام بين أيديهم، وكان الكفار يضعون ذلك زاعمين حصول بركة الآلهة فيه، فإذا رجعوا من عيدهم أكلوه ﴿فَقَالَ﴾ إبراهيم عليه السلام استهزاء بهم ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ هذا الطعام الذي عندكم ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ * فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ [الصافات: 92 - 93] لأنها أقوى من الشمال على العمل، أو بالقوة أو بالحلف السابق في ﴿تَاللهِ﴾ [الصافات: 56].

﴿فَأَقْبَلُوا﴾ [الصافات: 94] أي: الكفار ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى إبراهيم عليه السلام ﴿يَزِفُّونَ﴾ يسرعون ليدركوه بنصر آلهتهم، ولم يفدهم شيئًا، وقرأ حمزة بضم الياء، والباقون بفتحها، ولمَّا أتوه قالوا له: نحن نعبدها وأنت تكسرها فلما قالوا ذلك ﴿قَالَ﴾ [الصافات: 95] توبيخًا لهم: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ من الأحجار أصنامًا ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: 96] أي: وعملكم أو والذي عملتموه، فلما قال إبراهيم عليه السلام لهم ذلك ﴿قَالُوا﴾ [الصافات: 97] لبعضهم ﴿ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا﴾ واجعلوا فيه النار العظيمة بكثرة الإيقاد والحطب ﴿فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ الشديد من النار ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ [الصافات: 98] بإلقائه في تلك النار ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ المقهورين بفوات المراد، وجعلنا إبراهيم الأعلى بالسلامة والنجاة.

﴿وَقَالَ﴾ [الصافات: 99] إبراهيم عليه السلام ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى﴾ حيث أمرني ﴿رَبِّي﴾ بالمهاجرة إلى الشام تاركًا لدار الكفار الكفر، أو إلى طاعة ربي ورضاه ﴿سَيَهْدِينِ﴾ سيبقيني على هداي، ويزيدني هدى، أو المراد يوصلني، فوصل إلى الأرض المقدسة، ولما وصل إليها قال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: 100] ولدًا منهم.

﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [الصافات: ١٠١ - ١٢٠].

﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: 101] كثير الحلم إذ كبر؛ أي: أدرك وميز.

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾ [الصافات: 102] وهو المشي، وهل كان سبع سنين أو ثلاث عشرة سنة؟ قولان ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى﴾ أي: رأيت ﴿فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ ورؤيا الأنبياء وحي فيلزمهم العمل بها، وهل الذبيح إسماعيل أو إسحاق؟ قولان رجح كلاميهما مرجحون، **والأقـرب** الأول ﴿فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف بضم الياء وكسر الراء، والباقون بفتحهما، أي: أي شيء تراه من الرأي والمعنى يرجع إلى تأنيسه بالذبح وانقياده للأمر؟ ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ أي: ما تؤمر به ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ على أمر الله به فذهب به إبراهيم إلى مِنى وأضجعه للذبح[1].

---

(1) قال ابن العربي: فاختلف في الذبيح، هل هو إسماعيل أو إسحاق؟ واعلم أن رؤيا الأنبياء وحي، لأن الشيطان لا يتخيل لهم، ولا يخلط عليهم، ثم أن الرؤيا منها، ما تخرج بصفاتها، ومنها ما تخرج بتأويلها، فإن كانت الرؤيا خارجة بصفتها، كان المرئي واقعًا، وإن كانت خارجة بكنيتها، =

﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾ [الصافات: 103] خضعا وانقادا لله ﴿وَتَلَّهُ﴾ صرعه ﴿لِلْجَبِينِ﴾ أي: صرعه عليه للأرض، ولكل إنسان جبينان بينهما الجهة، فمر إبراهيم عليه السلام السكين على حلقه فلم تعمل شيئًا لحائل من القدرة الإلهية قيل: هو محسوس، وكان صفحة من نحاس خلقها الله في ذلك الوقت، وقيل: هو بانقلاب السكين ﴿وَنَادَيْنَاهُ﴾ [الصافات: 104] هو جواب لما بزيادة الواو، وقيل: غيره مما في الأصل ﴿أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾ [الصافات: 104 - 105] أي: ما عملته كاف في عملك بمقتضاه ﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾ أي: مثل هذا الجزاء ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ المطيعين بتفريج الشدائد ﴿إِنَّ هَذَا﴾ [الصافات: 106] الابتلاء الذي ابتلي به إبراهيم وولده ﴿لَهُوَ الْبَلَاءُ﴾ الاختبار ﴿الْمُبِينُ﴾ الظاهر.

﴿وَفَدَيْنَاهُ﴾ [الصافات: 107] أي: المأمور بذبحه ﴿بِذِبْحٍ﴾ كبش ﴿عَظِيمٍ﴾ من الجنة لتقبله ولتعظيم ثوابه وهو الكبش الذي قربه هابيل جاء به جبريل عليه السلام فذبحه إبراهيم صلوات الله عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين ﴿وَتَرَكْنَا﴾ [الصافات: 108] أبقينا ﴿عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ الثناء الحسن ﴿سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [الصافات: 109] من

كانت خارجة في قريب المرئي، أو في صاحبه، أو فيمن تسمى باسمه، وقوله: ﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾. قال أهل السنة: إنه يجوز النسخ قبل الفعل تمسكًا بقصة الذبيح إن فيها الأمر بالذبح قبل وقوع الذبح، وقال المخالف: لا نسخ بل كان كلما قطع جزءًا التأم حذرًا من البداء. واعلم أن الرؤيا حق، ووحي لأنها إما أن تكون من غلبة الأخلاط كما تقوله الفلاسفة، والأنبياء مبرؤون من ذلك لصفاء قلوبهم، وإما أن تكون من اختلاطات، أو حديث نفس، وإبراهيم مبرء من ذلك، وإما أ، تكون من تلاعب الشيطان. وإبراهيم معصوم منه.

تنبيه: إذا نذر الرجل ذبح ولده، فقال الشافعي: لا يجوز، لأنه معصية يستغفر الله منها، وقال أبو حنيفة: يلزم منها ذبح شاة، وقال مالك: إن ذكر مقام إبراهيم أهدى هديًا يذبح يمكنه وتجزيه شاة، وإن لم يذكر المقام فلا شيء عليه.

واعلم: أن الله جعل ذبح الولد عبارة عن ذبح الشاة شرعًا، فألزم إبراهيم ذبح ولده، وأخرجه عنه بذبح شاة، ويلزم الإنسان، لقوله تعالى: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾. فإن قيل: كيف أمر إبراهيم بذبح ولده، وذلك معصية، والأمر بالمعصية لا يجوز؟ قلنا هذا اعتراض على القرآن، إن الله تعالى يفعل ما يريد، لأن المعاصي والطاعات ليست أوصافًا ذاتية للأعيان، إنما الطاعة عبارة عن امتثال الأمر، والمعصية عبارة عن ارتكاب النهي ما كان الفعل فبأي شيء تعلق الأمر والنهي تعين امتثاله أو اجتنابه، والله أعلم [الأحكام الصغرى 516].

الله ﴿كَذَلِكَ﴾ [الصافات: 110] كما جزيناه بتفريج الشدة ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات: 111] المصدقين بما رآه منًا.

﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ﴾ [الصافات: 112] بعد هذه القضية واستدل به على أن الذبيح إسماعيل ﴿نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ * وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ﴾ [الصافات: 113] على إبراهيم في أولاده ﴿وَعَلَى إِسْحَاقَ﴾ فأكثر الأنبياء من أولادهما ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ﴾ بالإيمان ﴿وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ بالكفر ﴿مُبِينٌ﴾ ظاهر.

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا﴾ [الصافات: 114] أنعمنا ﴿عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾ بالنبوة ﴿وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا﴾ [الصافات: 115] من بني إسرائيل ﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ وهو الغرق وما كان يفعله فرعون بهم ﴿وَنَصَرْنَاهُمْ﴾ [الصافات: 116] أي: موسى وهارون وقومهما ﴿فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾ على القبط ﴿وَآتَيْنَاهُمَا﴾ [الصافات: 117] موسى وهارون ﴿الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿الْمُسْتَبِينَ﴾ البيّن ﴿وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الصافات: 118] طريق الحق.

﴿وَتَرَكْنَا﴾ [الصافات: 119] أبقينا ﴿عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ﴾ بثناء حسنًا ﴿سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [الصافات: 120] من الله.

﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ

ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ [الصافات: ١٢١ - ١٤١].

﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الصافات: 121] بالنجاة من الشدة والثناء الحسن ﴿إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: 122 - 123] قرأ ابن عامر بخلاف عنه بوصل الهمزة، وإذا ابتدأ فتحها، والباقون بقطعها مكسورة، وهو إلياس بن ياسين من ولد هارون أخي موسى، وقيل: هو إدريس، ويدل له قراءة ابن مسعود: إن إدريس كان أرسل لقوم في بعلبك ونواحيها.

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الصافات: 124] الله ﴿أَتَدْعُونَ﴾ [الصافات: 125] تعبدون ﴿بَعْلًا﴾ صنمًا لهم، وبه سميت البلد وأضيف إلى بك ﴿وَتَذَرُونَ﴾ تتركون ﴿أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ فلا تعبدونه ﴿الله رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الصافات: 126] قرأ يعقوب وحمزة والكسائي وخلف وحفص بنصب: «الله، وربكم، ورب» والباقون بالرفع ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ [الصافات: 127] في العذاب في النار ﴿إِلَّا عِبَادَ الله الْمُخْلَصِينَ﴾ [الصافات: 128] وهم المؤمنون.

﴿وَتَرَكْنَا﴾ [الصافات: 129] أبقينا ﴿عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ الثناء الحسن ﴿سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ﴾ [الصافات: 130] قرأ نافع ويعقوب وابن عامر آل ياسين بالمد وقطع أل وخفضها، والمراد هو، أو من آمن معه، والباقون بكسر الهمزة وإسكان اللام ووصلتها بالياء، وهو جمع إلياس مع أتباعه المؤمنين، كما يقال في آل الأشعري: الأشعريون ونحوه، أو لغة فيه ﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾ [الصافات: 131] كما جزيناه ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات: 131 - 132].

﴿وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ [الصافات: 135: 133] الباقين في العذاب ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا﴾ [الصافات: 136] أهلكنا ﴿الْآخَرِينَ﴾ بقية قومه ﴿وَإِنَّكُمْ﴾ [الصافات: 137] خطاب لكفار مكة ﴿لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ﴾ وقت الصباح ﴿وَبِاللَّيْلِ﴾ [الصافات: 138] أيضًا، والمراد المرور على منازلهم في الأسفار ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أمرهم وما حل بهم فيعتبرون فيؤمنون.

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ أَبَقَ﴾ [الصافات: 139 - 140] هرب ﴿إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ السفينة المملوءة لما ذهب مغاضبًا لقومه؛ لأنه لما وعدهم العذاب

قال لهم: يأتيكم بعد ثلاث، فقالوا: انظروا إن قام بينكم فليس كذلك، وإن خرج فاعلموا أنه صادق، فلما كان بعد ثلاث خرج بكرة النهار فعلموا أن قوله حق، فخرجوا إلى براز واسع من الأرض بأنفسهم وعيالهم ودوابهم وفرقوا بين كل والدة وولدها، وتابوا وضجوا إلى الله تعالى فقبل توبتهم ورفع عنهم العذاب، وكان يونس ﷺ يجلس في مكان بعيد عنهم لا يراهم على قارعة الطريق فمر به رجل فسأله عن القرية فأخبره بما وقع من أهلها فقال: لا أرجع إليهم كاذبًا ونزل إلى السفينة فركبها فامتنعت من الجريان فقال أصحابها: ما هذا إلا لحديث جرى منكم فقالوا: حتى نقرع فمن وقعت عليه القرعة فألقوه في الماء فاقترعوا فوقعت القرعة على يونس، ثم أعادوا فوقعت القرعة عليه، ثم أعادوا في الثالثة فوقعت القرعة عليه فذلك قوله تعالى: ﴿فَسَاهَمَ﴾ [الصافات: 141] أي: قارع ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ المغلوبين، فلما رأى يونس ذلك أنه هو فخرج ليطرح نفسه في الماء فإذا حوت قد رفع رأسه من الماء ليأخذه فتحول إلى الجانب الآخر فإذا الحوت قد استقبله.

﴿ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [الصافات: ١٤٢ - ١٥٩].

فلما رأى يونس ذلك عرف أنه من أمر الله فطرح نفسه فأخذه الحوت قبل أن يمر على الماء فذلك قوله تعالى: ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ﴾ [الصافات: 142] ابتلعه ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ آتٍ بما يلام عليه من ذهابه للبحر وركوبه السفينة بلا وحي، وكان الأولى له ﷺ

خلاف ذلك فأوحى الله إلى الحوت ألَّا تهضم له عظمًا ولا تأكل له لحمًا حتى آمرك بأمري، ثم إن الحوت دار به حتى ألزقه بالطين فسمع تسبيح الأرض ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: 87] فذلك قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ [الصافات: 143] كثيرًا بتكرير: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴿لَلَبِثَ﴾ [الصافات: 144] لأقام ﴿فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أي: يوم القيامة ﴿فَنَبَذْنَاهُ﴾ ألقيناه ﴿بِالْعَرَاءِ﴾ [الصافات: 145] في العراء وهو وجه الأرض العاري من الماء والشجر والنبات.

وكان إخراجه من الحوت إمَّا في يومه أو بعد ثلاثة أيام أو سبعة أو عشرين أو أربعين يومًا، أقوال ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ عليل كفرخ تمعط ﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ﴾ [الصافات: 146] لكي يستظل من حر الشمس ﴿شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ﴾ وهو القرع وكانت على ساق معجزة له، وأرسل الله إليه وعلة كان يشرب لبنها بكرة وعشية حتى قوي ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ﴾ [الصافات: 147] وهم من أرسل إليهم قبل ذلك، أو بمعنى بل ﴿أَوْ﴾ الواو ﴿يَزِيدُونَ﴾ وكانت الزيادة عشرين أو ثلاثين أو سبعين ألفًا.

﴿فَآمَنُوا﴾ [الصافات: 148] عند معاينة العذاب الموعودين به ﴿فَمَتَّعْنَاهُمْ﴾ أبقيناهم ممتعين بما لهم ﴿إِلَى حِينٍ﴾ هو انقضاء آجالهم ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾ [الصافات: 149] أي: سل يا محمد ﷺ كفار مكة سؤال توبيخ ﴿أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾ فيختصون بالأشرف، قاله ردًا على جهينة وبني سلمة من بني عبد الدار حيث قالوا: الملائكة بنات الله.

﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ [الصافات: 150] حاضرون خلقنا لهم أي: لم يكن ذلك ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ﴾ [الصافات: 151] كذبهم ﴿لَيَقُولُونَ﴾ ﴿وَلَدَ اللهُ﴾ [الصافات: 152] وذلك بقولهم: الملائكة بنات الله ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في قولهم ذلك.

﴿أَصْطَفَى﴾ [الصافات: 153] قرأ أبو جعفر والأصبهاني وورش بوصل الهمزة خبرًا وإذا قطعت كسرت فيبتدئ بها كذلك، والباقون بقطعها مفتوحة ﴿الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ أي: ليس كذلك ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [الصافات: 154] هذا الحكم

الفاسد ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الصافات: 155] تتذكرون أنه تعالى منزّه عن الولد.

﴿أَمْ لَكُمْ﴾ [الصافات: 156] على قولكم إن لله ولد ﴿سُلْطَانٌ مُبِينٌ﴾ حجة واضحة ﴿فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ﴾ [الصافات: 157] الذي فيه حجتكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في قولكم، والمراد: نهاية التبكيت والتوبيخ لهم بذلك.

﴿وَجَعَلُوا﴾ [الصافات: 158] أي: الكفار ﴿بَيْنَهُ﴾ أي: بين الله ﴿وَبَيْنَ الْجِنَّةِ﴾ وهم الملائكة سموا به؛ لاجتنابهم عن الأبصار ﴿نَسَبًا﴾ فقالوا هم: بنات الله، أو المراد الجن؛ لأنهم قالوا أمهات الملائكة الجن ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ﴾ الملائكة ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: قائلو هذا القول ﴿لَمُحْضَرُونَ﴾ في العذاب، ثم نزَّه نفسه فقال: ﴿سُبْحَانَ الله عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: 159] من زعم أن له شريك أو ولد.

﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ (١٦٠) فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ (١٦١) مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ (١٦٢) إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ (١٦٣) وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ (١٦٤) وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ (١٦٥) وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ (١٦٦) وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ (١٦٧) لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ (١٦٨) لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ (١٦٩) فَكَفَرُواْ بِهِۦ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (١٧٠) وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ (١٧٣) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ (١٧٤) وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (١٧٥) أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (١٧٦) فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ (١٧٧) وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ (١٧٨) وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (١٧٩) سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٨٢) ﴾ [الصافات: ١٦٠ - ١٨٢].

﴿إِلَّا﴾ [الصافات: 160] لكن ﴿عِبَادَ الله الْمُخْلَصِينَ﴾ الموحدين فلا يحضرون النار ﴿فَإِنَّكُمْ﴾ [الصافات: 161] يا أهل مكة ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ من الأصنام ﴿مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ [الصافات: 162] على ما تعبدون ﴿بِفَاتِنِينَ﴾ بمضلين أحدًا ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِي﴾ [الصافات: 163] داخل ﴿الْجَحِيمِ﴾ أي: من سبق له القضاء بالخلود.

﴿وَمَا مِنَّا﴾ [الصافات: 164] معشر الملائكة ﴿إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ قاله جبريل

للنبي ﷺ فكل في مكان في السماء لا يتحول عنه وفي مقام من العبادة يخصه ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾ [الصافات: 165] في السماء للعبادة كصفوف الصلاة في الأرض ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ [الصافات: 166] المنزهون الله عما لا يليق به، ومنه رد على الكفار في زعمهم أن الملائكة آلهة، ثم أعاد الكلام في كفار مكة فقال: ﴿وَإِنْ﴾ [الصافات: 167] بمعنى وقد، أو غير ذلك مما في الأصل ﴿كَانُوا لَيَقُولُونَ﴾.

﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا﴾ [الصافات: 168] كتابًا ﴿مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: من كتبهم والمراد: مثلها ﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الصافات: 169] الموحدين قال تعالى: ﴿فَكَفَرُوا بِهِ﴾ [الصافات: 170] أي: بالذكر وهو القرآن مع أنه أشرف من كل كتاب سبقه ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ هو تهديد لهم ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: 171] في قوله: ﴿كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة: 21] أو هي قوله: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنْدَنَا﴾ [الصافات: 172 - 173] وهم المؤمنون ﴿لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ بالحجة ولهم النصر في العاقبة في الدنيا والنعيم في الآخرة، وإن لم ينصر بعضهم في الدنيا ففي الآخرة ﴿فَتَوَلَّ﴾ [الصافات: 174] أعرض ﴿عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ﴾ أي: إلى أن نأمرك بالقتال، أو المراد الموت، أو إلى أن يأتيهم عذاب الله، وعلى الأول لا نسخ فيها، وعلى غيره هي منسوخة بآية القتال.

﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾ [الصافات: 175] إذ أنزل بهم العذاب ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ ذلك، وهو تهديد لهم، ثم قالوا: متى هو؟ فنزل قوله: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ [الصافات: 176] هو للتهديد أيضًا.

﴿فَإِذَا نَزَلَ﴾ [الصافات: 177] العذاب ﴿بِسَاحَتِهِمْ﴾ أي: بالقوم أو بقتالهم والعرب تكتفي بذكر الساحة ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾ أي: بئس صباح الكفار الذين أنذروا بالعذاب ﴿وَتَوَلَّ﴾ [الصافات: 178] أعرض ﴿عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ﴾ ﴿وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ [الصافات: 179] كرره تأكيدًا لتهديدهم وتسلية له ﷺ ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ﴾ [الصافات: 180] ذي الغلبة والقوة ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ من الشريك والصاحبة والولد ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: 181] الذين بلغوا عن الله ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: 182] على نعمه من إهلاك الكافرين ونصر المرسلين.

سورة ص

مكية خمس، أو ست، أو ثمان وثمانون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ ﴾ [ص: ١ - ١٢].

﴿ص﴾ [ص: 1] إمَّا قسم، أو معناه صدق محمد، أو هو حرف من اسمه الصمد ونحوه ﴿وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ الشرف أو البيان، وجواب القسم محذوف؛ أي: ما الأمر كما قال الكفار من تعدد الآلهة ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ﴾ [ص: 2] جمعت الجاهلية والكفر ﴿وَشِقَاقٍ﴾ خلاف لمحمد ﷺ.

﴿كَمْ﴾ [ص: 3] كثيرًا ﴿أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ من الأمم الماضية ﴿فَنَادَوْا﴾ استغاثوا عند نزول العذاب ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ فرار؛ أي: ليس الوقت وقت فرار ﴿وَعَجِبُوا﴾ [ص: 4] أي: الكفار ﴿أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ هو محمد ﷺ؛ لأنه من العرب ﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ﴾ عنه ﷺ ﴿هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾.

﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ [ص: 5] حيث قال لهم: قولوا لا إله إلا الله؛ أي: كيف يسع الخلق كلهم إله واحد ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ عجيب ﴿وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ

﴿مِنْهُمْ﴾ [ص: 6] ذهبوا من مجلس اجتماعهم عند أبي طالب وسماعهم فيه من النبي ﷺ قولوا: لا إله إلا الله، يقولون لبعضهم: ﴿أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا﴾ اثبتوا ﴿عَلَى﴾ عبادة ﴿آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا﴾ الذي نراه من زيادة محمد ﷺ، قالوه: لما أسلم عمر ﴿لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ أي: لأمر يراد بنا، أو بأهل الأرض، أو بمحمد ﷺ أن يُملّك علينا، أو أن المذكور من التوحيد لشيء يراد منَّا.

﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ [ص: 7] أي: الذي يقوله محمد ﷺ ﴿فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ﴾ وهي النصرانية؛ لأنها آخر الملل، أو المراد ملة قريش وهي دينهم الذي كانوا عليه بلا أصل ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾ كذب.

﴿أَؤُنْزِلَ عَلَيْهِ﴾ [ص: 8] على محمد ﷺ ﴿الذِّكْرُ﴾ القرآن ﴿مِنْ بَيْنِنَا﴾ قاله أهل مكة؛ أي: وليس بأشرفنا ولا أكبرنا، فلما أنكروا ذلك قال تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي﴾ أي: الوحي ﴿بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾ ولو ذاقوه لما قالوا ذلك؛ أي: وسيذوقوه ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾ [ص: 9] من النبوة وغيرها فيعطوا منها من أرادوا ما أرادوا ﴿أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا﴾ [ص: 10] أن ادعوا أن لهم شيئًا من ذلك في الأسباب يصعدوا ﴿فِي الْأَسْبَابِ﴾ الموصلة إلى السماء ليأتوا بالوحي لغير محمد، وهو أمر تعجيز

﴿جُنْدٌ﴾ [ص: 11] أي: هؤلاء جند ﴿مَا﴾ أي: في نهاية الحقارة ﴿هُنَالِكَ﴾ أي: مقيمين في التكذيب لك ﴿مَهْزُومٌ﴾ صنعه لجند ﴿مِنَ الْأَحْزَابِ﴾ الذين تحزبوا على الأنبياء قبلك وقد هلكوا فكذلك هؤلاء.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾ [ص: 12] كانت له أوتاد يعذب عليها الناس يشدهم بها ويرسل عليهم العقارب والحيَّات.

﴿ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [ص: ١٣ - ٢٠].

﴿وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ [ص: 13] الغيضة التي فيها الشجر، وهم قوم شعيب عليه السلام فهلكوا ﴿أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ﴾.

﴿إِنْ﴾ [ص: 14] ما ﴿كُلٌّ﴾ من الأحزاب ﴿إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ إذ دعوا للتوحيد واتفقوا عليه فمن كذب واحدًا فكأنما كذب الكل ﴿فَحَقَّ عِقَابِ﴾ وجب عليهم العذاب ونزل بهم ﴿وَمَا يَنْظُرُ﴾ [ص: 15] ينتظر ﴿هَؤُلَاءِ﴾ كفار مكة ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ وهي نفخة الصور للقيامة ﴿مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾ بضم الفاء لخلف وحمزة والكسائي، والباقون بفتحها، والمراد: ما لها من رجوع، وذلك الصوت إذا وقع لا يرد ولا يصرف.

﴿وَقَالُوا﴾ [ص: 16] أي: كفار مكة استهزاء لما نزل قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ [الحاقة: 19] ﴿رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا﴾ هو الصحيفة التي أحصت أعمالهم ﴿قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ [ص: 17] أي: كفار مكة من تكذيبك.

﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ﴾ القوة في العبادة، أو في الملك ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ رجَّاع بالتوبة إلى الله، وكان يصوم يومًا، ويفطر يومًا، وينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ﴾ [ص: 18] تسبيحه ﴿بِالْعَشِيِّ﴾ وهو ما بعد الزوال إلى الغروب ﴿وَالْإِشْرَاقِ﴾ غدوة من وقت الفجر ﴿وَالطَّيْرَ﴾ [ص: 19] سخرناها له ﴿مَحْشُورَةً﴾ مجموعة ﴿كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾ رجَّاع لطاعته يسبح إذا سبح ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾ [ص: 20] قويناه بالحرس والجنود ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ﴾ النبوة والعلم والعمل ﴿وَفَصْلَ﴾ بيان ﴿الْخِطَابِ﴾ الكلام، فكان يأتي بالبيان الشافعي الفائق لبيان غيره في كل قصد[1].

---

(1) قال ابن العربي: قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾ : أي قويناه بالهيبة، وقيل: بكثرة الجنود، ودلت الآية على أن النبي يسمى ملكًا، وجاء أن رسول الله ﷺ، أمر العباس أن يحبس أبا سفيان عند خطم الجبل حتى يمر به المسلمون، حتى مرت به القبائل كتيبة كتيبة، فمرت به كتيبة عظيمة، فقال يا عباس: من هؤلاء؟ قال: الأنصار عليهم سعد بن عبادة، فقال أبو سفيان: لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما، فقال: إنه ليس بملك، ولكنها النبوة، ولم يرد العباس نفي الملك، وإنما أراد الرد على أبي سفيان حين نسب حال رسول الله إلى الملك، وفي الحديث: «إن جبريل قال لرسول الله: إن الله خيرك بين أن تكون نبيًا ملكًا أو نبيًا عبدًا، فاختار التواضع، وقال: أكون نبيًا =

﴿ ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُواْ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ

=

عبدًا، أجوع يومًا وأشبع يومًا».

وقوله: ﴿فَصْلَ الخِطَابِ﴾. قيل: هو علم القضاء، وقيل: هو الإيجاز، وذلك أن يجعل المعنى الكثير في اللفظ القليل، وقيل: هو أما بعد: فإن داو هو أول من تكلم به. أما علم الفضاء، فعلم قائم بنفسه. وفي الحديث: «أقضاكم علي، وأعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل».

تنبيه: يروى أن عليًا قال: «لما بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن حفر قوم زبية للأسد، فوقع فيها الأسد، وازدحم الناس على الزبية، فوقع فيها رجل وتعلق بآخر، وتعلق الآخر بآخر، حتى صاروا أربعة، فجرحهم الأسد فيها فهلكوا، فحمل القوم السلاح، وكادوا يقتتلون، قال علي: فقلت لهم: أتقتلون مائتي رجل بأربعة؟ ولكن سأقضي بينكم بقضاء، فإن رضيتم فهو قضاء بينكم، وإلا رفعت ذلك إلى رسول الله ﷺ، فهو أحق بالقضاء، ثم جعل للأول ربع الدية، وللثاني ثلثها، وللثالث نصفها، وللرابع جميعها. وجعل الديات على من حفر الزبية من قبائل الأربعة، فسخط بعض، ورضي آخرون، ثم قدموا على رسول الله ﷺ، فقصوا عليه ذلك، وأخبرون بقضاء علي، فقال: «القضاء ما قضى به علي»، وهذا من بديع الفهم وحضور الذهن، وكذلك يروى أن أبا حنيفة. جاء إليه رجل فقال: إن ابن أبي ليلى، قاضي الكوفة، جلد امرأة مجنونة حدين في المسجد. وهي قائمة: لأنها قالت لرجل يابن الزانيين، فقال: أخطأ من ستة أوجه. وهذا الذي قاله أبو حنيفة، لا يدركه بالروية إلا العلماء، وإنما قال ذلك أبو حنيفة، لأن المجنون لا حد عليه، إذ هو غير مكلف، ولأن قولها يابن الزانيين لا يلزمها، إلا حد واحد لتداخل الحدود عنده، ولأنه حدها دون مطالبة المقذوف بحقه، ولا تجوز إقامة الحد إجماعًا إلا بعد طلب المقذوف بحقه وبهذا استدل من رآه حقًا لآدمي لاحقًا لله تعالى. ولأنه حدها قائمة، ولا تحد المرأة قاعدة، واستحسن أن تجعل في قفة ولأنه أقام الحد في المسجد، وهو لا تقام فيه الحدود تشريفًا له، واعلم أن رسول الله ﷺ، كان يقول في خطبة: «أما بعد». ويروى أن أول من قال ذلك في الجاهلية سحبان، وهو أول من آمن بالبعث، وتوكأ على العصا وعمر مائة وثمانين سنة.

وقوله: ﴿وَآتَيْنَاهُ الحِكْمَةَ﴾. قال مال: هي المعرفة بالدين والفقه فيه والاتباع، وقال ابن زيد: ﴿فَصْلَ الخِطَابِ﴾. هو الفهم، وإصابة القضاء. [الأحكام الصغرى 519].

فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [ص: ٢١ - ٢٧].

﴿**وَهَلْ**﴾ [ص: 21] للتعجيب والتشوق لسماع ما يذكر في هذه القصة ﴿**أَتَاكَ نَبَأُ**﴾ خبر ﴿**الْخَصْمِ**﴾ هو اسم يصلح للواحد والاثنين والجمع والمؤنث والمذكر وهو هنا اثنان ولما كان فيهما معنى الجمع قال: ﴿**إِذْ تَسَوَّرُوا**﴾ علوا ﴿**الْمِحْرَابَ**﴾ المسجد، وكان سبب ابتلائه أنه رأى امرأة حسنة الشكل قيل: ولم يكن لزوجها سواها وكان لداود تسع وتسعون امرأة فتمنى أن تكون زوجته فحصل له ذلك، ثم بعد أن دخل بها وقع له ذلك ﴿**إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ**﴾ خاف ﴿**مِنْهُمْ**﴾ [ص: 22] لما رأى تسوّرهما جدار بغير إذنه فقال ما شأنكما ﴿**قَالُوا لَا تَخَفْ**﴾ منّا نحن ﴿**خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ**﴾ هو من معاريض الكلام اللاتي على سبيل الغرض والتصوير؛ لأنهما ملكان لا ينبغي أحدهما على الآخر ﴿**فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ**﴾ لا تجر علينا ﴿**وَاهْدِنَا**﴾ أرشدنا ﴿**إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ**﴾ وسط طريق الصواب.

فقال لهما داود عليه السلام تكلما فقال واحد: ﴿**إِنَّ هَذَا أَخِي**﴾ [ص: 23] في الدين ﴿**لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً**﴾ هو كناية عن الزوجة ﴿**وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا**﴾ انزل عنها لي لأكون كافلاً لها بالإنفاق عليها، ولما أحب داود عليه السلام أن تكون تلك المرأة له جعل كأنه قال له ذلك ﴿**وَعَزَّنِي**﴾ غلبني ﴿**فِي الْخِطَابِ**﴾ الجدال، فلما قال ذلك وأقره الآخر على قوله ﴿**قَالَ**﴾ [ص: 24] داود: ﴿**لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ**﴾ أي: بطلب ضمها ﴿**إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ**﴾ الشركاء ﴿**لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ**﴾ بالظلم ﴿**عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾ فإنهم لا يظلمون أحدًا ﴿**وَقَلِيلٌ مَا هُمْ**﴾ أي: وهم قليل، فلما قال ما قال صعدا إلى السماء في الهوى وقالا: قضى الرجل على نفسه فعلم داود أنه هو المراد بذلك فذلك قوله ﴿**وَظَنَّ**﴾ أي: أيقن ﴿**دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ**﴾ ابتليناه بمحبة تلك المرأة ﴿**فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ**﴾ سأله أن يغفر له فغفر له ﴿**وَخَرَّ رَاكِعًا**﴾ ساجدًا

﴿وَأَنَابَ﴾ رجع وتاب.

﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ﴾ [ص: 25] الذنب ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى﴾ زيادة خير في الدنيا ﴿وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ مرجع في الدار الآخرة ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ [ص: 26] تدبر أمر الناس ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ العدل ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى﴾ أي: هوى النفس ﴿فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ أي: عن الإيمان ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا﴾ بسبب نسيانهم ﴿يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ المرتب عليه ترك الإيمان فلوا أيقنوا آمنوا.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾ [ص: 27] عبثًا لا لثواب ولا عقاب ﴿ذَلِكَ﴾ أي: خلقهم للبعث ﴿ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: أهل مكة ﴿فَوَيْلٌ﴾ شدة عظيمة أو واد ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾.

﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَـٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّـٰفِنَـٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَـٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَـٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَـٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾﴾ [ص: ٢٨ - ٤٠].

﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ [ص: 28] بالكفر وتعويق الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ ﴿أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ نزلت لما قال كفار مكة للمؤمنين: نعطي مثل ما تعطون في الآخرة، والمعنى لا يكون ذلك.

﴿كِتَابٌ﴾ [ص: 29] أي: هذا القرآن ﴿أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ﴾ كثير البركة

﴿لِيَدَّبَّرُوا﴾ قرأ أبو جعفر بالخطاب بالتاء من فوق وفتح الدال مخففة؛ أي: تتدبروا أنتم ﴿آيَاتِهِ﴾ والمراد: الاتّباع إذ هو فائدة التدبر، وهو تأمل الشيء ليقع في القلب، والباقون بالياء من أسفل وتشديد الدال ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ﴾ يتعظ ﴿أُولُو﴾ أصحاب ﴿الْأَلْبَابِ﴾ العقول.

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ﴾ [ص: 30] ابنه ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ﴾ سليمان ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ رجّاع إلى الله بذكره في كل وقت ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ﴾ [ص: 31] وهو ما بعد الزوال كما مر ﴿الصَّافِنَاتُ﴾ الخيل القائمة على ثلاث قوائم مع جعل واحدة على طرف الحافر من يد أو رجل، أو المراد القائمات ﴿الْجِيَادُ﴾ السوائق، جمع جواد، كانت إذا استوقفت وقفت، وإذا ركضت سبقت، ولما عرضت عليه استمر عرضها حتى غربت الشمس، ولم يصل العصر فاغتم لذلك غمًا شديدًا فكان ما ذكره الله عنه بقوله: ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ﴾ [ص: 32] المال بمعنى آثرته ﴿عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾ وهو صلاة العصر ﴿حَتَّى تَوَارَتْ﴾ أي: الشمس ﴿بِالْحِجَابِ﴾ أراد: غربت ﴿رُدُّوهَا﴾ [ص: 33] أي: الخيل ﴿عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا﴾ أي: أخذ يمسح مسحًا ﴿بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ أي: يضرب ذلك بحد السيف، وكان مباحًا له، أو المراد ذبحها وتقرب بلحمها إلى الله.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾ [ص: 34] ابتليناه بنزع ملكه ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا﴾ هو الشيطان أخذ خاتمه من المحل الذي كان به عند دخول سليمان عليه السلام الخلاء فبينما سليمان يدور في البلد إذ تصدق الناس عليه بسمكة فأكلها فوجد خاتمه فيها فعاد إليه ملكه، ووضع ذلك الشيطان في البحر في صخرة مطبقة عليه وقال هذا سجنك إلى يوم القيامة، وكان سبب بلائه أنه قضى على بعض أهل نسائه، وورد أن الحق كان لهم فأوحى الله إليه أنه سيصيبك بلاء، وقيل: غير ذلك ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ رجع إلى ملكه ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي﴾ [ص: 35] لا يكون ﴿لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ من غيري وسأل إمَّا آية لقبول توبته، أو لصدق رسالته، فآتاه الله ذلك ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾.

﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ [ص: 36] أراد وسخرنا له ﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ [ص: 37] فبنيت له الأبنية البديعة واستخرجت له اللآلئ الرفيعة وهو أول من استخرجت له ﴿وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ﴾ [ص: 38] مشدودين ﴿فِي الْأَصْفَادِ﴾ القيود مجموعة أيديهم إلى أعناقهم بأمره عليه السلام ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا﴾ أي: وقلنا لسليمان عن ملكه ذلك ﴿فَامْنُنْ﴾ [ص: 39] أعط من شئت ﴿أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ

حِسَابٍ﴾ عليك في العطاء والمنع ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾.

﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ﴾ [ص: ٤١ - ٥١].

﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي﴾ [ص: 41] أي: لأني ﴿مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ﴾ بفتح النون والصاد؛ أي: تعب كما قرأ يعقوب، وبضمهما لأبي جعفر، والباقون بضم النون وإسكان الصاد ﴿وَعَذَابٍ﴾ ألم، نسبة للشيطان وإن كانت الأشياء كلها من الله تعالى تأدبًا، ولما انقضت مدة بلائه قيل له: ﴿ارْكُضْ﴾ [ص: 42] اضرب ﴿بِرِجْلِكَ﴾ ففعل فنبعت عين ماء فقيل له: ﴿هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ شيء يغتسل منه ويشرب، فاغتسل منه وشرب فذهب عنه كل داء.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ [ص: 43] فأحيى الله له من مات من ولده ورزقه مثلهم ﴿رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ إذ السامع لصبره وثوابه يقتدي به ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ [ص: 44] هو ملء الكف من الحشيش ﴿فَاضْرِبْ بِهِ﴾ زوجتك ﴿وَلَا تَحْنَثْ﴾ في يمينك، وكان سبب ذلك أنها أبطأت عنه في بعض حوائجه فحلف ليضربنها مائة سوط، فأمره الله تعالى أن يأخذ ضغثًا يشتمل على مائة عود صغار فضربها بها ضربة واحدة، ولا يحنث في يمينه ففعل ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ﴾ علمناه ﴿صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ﴾ أيوب ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ رجَّاع إلى الله ووصفه بالصبر مع أنه شكا إلى الله تعالى؛ لأن الشكوى إليه سبحانه لا تنافي الصبر.

﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا﴾ [ص: 45] بالجمع للجميع إلا ابن كثير فأفرد ﴿إِبْرَاهِيمَ

وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي﴾ أصحاب القوة في طاعة الله ﴿وَالْأَبْصَارِ﴾ في المعرفة بالله ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ﴾ [ص: 46] بالتنوين لغير المدنيين والحلواني عن هشام؛ أي: جعلناهم خالصين من كل مكر وشائبة؛ أي: بخصلة خالصة لا شوب فيها.

وقوله: ﴿ذِكْرَى الدَّارِ﴾ تفسير لخالصة؛ أي: الدار الآخرة ﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ﴾ [ص: 47] المختارين من بين أبناء جنسهم ﴿الْأَخْيَارِ﴾ جمع خيّر ﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ﴾ هو نبي ﴿وَذَا الْكِفْلِ﴾ [ص: 48] قيل: إنه نبي كفل مائة نبي فروا إليه من القتل ﴿وَكُلٌّ﴾ أي: كلهم ﴿مِنَ الْأَخْيَارِ * هَذَا﴾ [ص: 48 - 49] أي: الذي يتلى عليكم ﴿ذِكْرٌ﴾ وهو القرآن، أو المشار إليه ذكرهم بالثناء الحسن ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾.

﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ [ص: 50] منها ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾.

﴿۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾﴾ [ص: ٥٢ - ٦٢].

﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ [ص: 52] حابسات العين على أزواجهن ﴿أَتْرَابٌ﴾ مستويات السن بنات ثلاث وثلاثين سنة، واحدها ترب ﴿هَذَا﴾ [ص: 53] النعيم ﴿مَا﴾ أي: الذي ﴿تُوعَدُونَ﴾ بالياء غيبًا في أوله لابن كثير وأبي عمرو، والباقون بالخطاب ﴿لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ أي: لأجله بمعنى أنه مدّخر لكم فيه.

﴿إِنَّ هَذَا﴾ [ص: 54] المذكور ﴿لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ انقطاع ﴿هَذَا﴾ [ص: 55] المذكور للمؤمنين ﴿وَإِنَّ﴾ استئناف ﴿لِلطَّاغِينَ﴾ الكفار ﴿لَشَرَّ مَآبٍ﴾ مرجع وهو النار لقوله: ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾ [ص: 56] يدخلون ﴿فَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ الفراش.

﴿هَذَا﴾ [ص: 57] أي: هذا العذاب ﴿فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ﴾ أي: هو حميم؛ أي: ماء حار محرق ﴿وَغَسَّاقٌ﴾ [ص: 58] قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص بتشديد سين «غسَّاق» هنا وفي النبأ، والباقون بالتخفيف فيهما، والمراد ما سأل من غسق أهل النار؛ أي: صديدهم، وقيل: الحميم يحرق حرّه، والغساق يحرق برده ﴿وَآخَرُ﴾ قرأ البصريان وآخر بضم الهمزة من غير مد، والباقون بالفتح والمد؛ أي: وعذاب آخر، أو وعقوبات أخر ﴿مِنْ شَكْلِهِ﴾ أي: شبه المذكور في الشدة ﴿أَزْوَاجٌ﴾ أصناف مختلفة يعذبون بها في النار.

﴿هَذَا فَوْجٌ﴾ [ص: 59] جمع ﴿مُقْتَحِمٌ﴾ واقع ﴿مَعَكُمْ﴾ في النار، قيل: إن الملائكة يضربونهم بالمقامع فيرمون بأنفسهم في النار، وهذا يقال للرؤساء في الكفر إذ ورد عليهم أتباعهم، وإذا سمعوا ذلك قالوا: ﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾ أي: بالأتباع ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ * قَالُوا﴾ [ص: 59 - 60] الأتباع ﴿بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ﴾ أي: الكفر ﴿لَنَا﴾ بمعنى بدأتم به قبلنا فتبعناكم، أو قدمتم لنا هذا العذاب بدعائكم لنا للكفر ﴿فَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ النار.

﴿قَالُوا﴾ [ص: 61] أي: الأتباع أيضًا ﴿رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ﴾ شرع ﴿لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾ أي: اجعل عليه العذاب مثلينا مرتين ﴿وَقَالُوا﴾ [ص: 62] أي: صناديد قريش وهم في النار ﴿مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ﴾ في الدنيا ﴿مِنَ الْأَشْرَارِ﴾ أرادوا فقراء المؤمنين: كسلمان، وصهيب، وعمار، وخباب، وبلال.

﴿ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّـٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠

خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ [ص: ٦٣ - ٧٧].

﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ﴾ [ص: 63] قرأ البصريان وحمزة والكسائي وخلف بوصل الهمزة وابتدائها بالكسر خبرًا، والباقون بقطعها مفتوحة ﴿سِخْرِيًّا﴾ كنا نسخر بهم؛ أي: أمفقودون هم ﴿أَمْ زَاغَتْ﴾ مالت ﴿عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ﴾ فلم نرهم ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ [ص: 64] الذي ذكرت ﴿لَحَقٌّ﴾ واقع ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾.

﴿قُلْ﴾ [ص: 65] يا محمد ﴿إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ﴾ مخوف من أشرك والحصر هنا بمعنى أنه ليس بيدي من الأمر شيء ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا الله الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ [ص: 65 - 66].

﴿قُلْ﴾ [ص: 67] يا محمد لكفار مكة ﴿هُوَ﴾ أي: القرآن ﴿نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ أو المراد: يوم القيامة ﴿أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ [ص: 68] مع أنه لا يعلم إلا بالوحي، ومنه ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى﴾ [ص: 69] وهم الملائكة ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ في شأن آدم لما قال تعالى لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30].

﴿إِنْ﴾ ما ﴿يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا﴾ [ص: 70] بالكسر لأبي جعفر، والباقون بالفتح ﴿أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ بيّن الإنذار، ثم ذكر القصة التي وقع الاختصام فيها بقوله: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا﴾ [ص: 71] هو آدم ﴿مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾ [ص: 71 - 72] أنهيت خلقه ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ أي: أجريت الروح فيه ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [ص: 72 - 73] ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [ص: 74] في علم الله ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: 75] أي توليت خلقه، وذكر اليد في خلق آدم للتشريف له، وإلا فكل مخلوق تولى الله خلقه.

واليد صفة من صفات الله ﷻ تؤول بالقدرة[1] ﴿أَأَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾

---

(1) يقول فخر الإسلام البزدوي: (إثبات اليد والوجه حق عندنا، لكنه معلوم بأصله، متشابه بوصفه، ولا يجوز إبطال الأصل بالعجز عن الوصف بالكيف، وإنما ضلت المعتزلة من هذا الوجه،
=

المتكبرين، والاستفهام للتوبيخ والإنكار، والمراد: أم كنت من المتكبرين فامتنعت من السجود.

﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا﴾ [ص: 76 - 77] أي: من الجنة وقيل: من الشهوات ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ مطرود.

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾ ﴾ [ص: ٧٨ - ٨٨].

﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ [ص: 78] يوم الجزاء ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [ص: 79] أراد أنه لا يموت.

﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ [ص: 80 - 81] وهو النفخة الأولى فيموت في ذلك اليوم ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: 82 - 83].

﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾ [ص: 84] قرأ عاصم وخلف: «والحق» بالرفع، والباقون بالنصب ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ﴾ [ص: 85] المراد منه ومن ذريته ﴿وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ أي: من الناس ﴿أَجْمَعِينَ * قُلْ﴾ [ص: 85 - 86] يا محمد لمن بلَّغته ﴿مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على التبليغ الموحي ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ مال ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ القائلين للشيء من تلقاء نفسي ﴿إِنْ هُوَ﴾ [ص: 87] ما القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عظة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجن ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ﴾ [ص: 88] يا أهل مكة ﴿نَبَأَهُ﴾ خبر صدقه ﴿بَعْدَ حِينٍ﴾ أي: بعد الموت.

=

فإنهم ردوا الأصول لجهلهم بالصفات على الوجه المعقول فصاروا معطلة).

سورة الزمر

مكيّة سوى ثلاث آيات منها، نزلت في المدينة وهي قوله: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ﴾ [الزمر: 53] إلى تمام ثلاث آيات، اثنان، أو ثلاث، أو خمس وسبعون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [الزمر: ١ - ٦].

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾[1] [الزمر: 1] القرآن ﴿مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾.

---

(1) اعلم أن في الآية مسائل: المسألة الأولى: ذكر الفراء والزجاج: في رفع (تَنزِيلَ) وجهين أحدهما: أن يكون قوله: (تَنزِيلَ) مبتدأ وقوله: (مِنَ الله العزيز الحكيم) خبر والثاني: أن يكون التقدير هذا تنزيل الكتاب، فيضمر المبتدأ كقوله: (سورة أنزلناها) أي هذه سورة، قال بعضهم: الوجه الأول لوجوه الأول: أن الإضمار خلاف الأصل، فلا يصار إليه إلا لضرورة، ولا ضرورة هاهنا الثاني: أنا إذا قلنا: (تَنزِيلُ الكتاب مِنَ الله) جملة تامة من المبتدأ والخبر أفاد فائدة شريفة، وهي أن تنزيل =

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ [الزمر: 2] أي: القرآن بالصدق ﴿فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ من الشرك والرياء ونحو ذلك ﴿أَلَا لِلهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ لا يستحقه غيره.

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ﴾ [الزمر: 3] الأصنام ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ معبودين من دون الله،

=

الكتاب يكون من الله، لا من غيره وهذا الحصر معنى معتبر، أما إذا أضمرنا المبتدأ لم تحصل هذه الفائدة الثالث: أنا إذا أضمرنا المبتدأ صار التقدير هذا تنزيل الكتاب من الله، وحينئذ يلزمنا مجاز آخر، لأن هذا إشارة إلى السورة، والسورة ليست نفس التنزيل، بل السورة منزلة، فحينئذ يحتاج إلى أن نقول المراد من المصدر المفعول وهو مجاز تحملناه لا لضرورة. **المسألة الثانية:** القائلون بخلق القرآن احتجوا بأن قالوا إنه تعالى وصف القرآن بكونه تنزيلاً ومنزلاً، وهذا الوصف لا يليق إلا بالمحدث المخلوق والجواب: إنا نحمل هذه اللفظة على الصيغ والحروف. **المسألة الثالثة:** الآيات الكثيرة تدل على وصف القرآن بكونه تنزيلاً وآيات أُخر تدل على كونه منزلاً. **أما الأول:** فقوله تعالى: (وإنه لتنزيل رب العالمين) وقال: (تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) وقال: (حم * تَنزِيلٌ مِّنَ الرحمن الرحيم)، **وأما الثاني:** فقوله: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذكر) وقال: (وبالحق أَنْزَلْنَاهُ وبالحق نَزَلَ) وأنت تعلم أن كونه منزلاً أقرب إلى الحقيقة من كونه تنزيلاً، فكونه منزلاً مجاز أيضًا لأنه إن كان المراد من القرآن الصفة القائمة بذات الله فهو لا يقبل الإنفصال والنزول، وإن كان المراد منه الحروف والأصوات فهي أعراض لا تقبل الانتقال والنزول، بل المراد من النزول نزول الملك الذي بلغها إلى الرسول ﷺ.

المسألة الرابعة: قالت المعتزلة العزيز هو القادر الذي لا يغلب فهذا اللفظ يدل على كونه تعالى قادرًا على ما لا نهاية له والحكيم هو الذي يفعل لداعية الحكمة لا لداعية الشهوة، وهذا إنما يتم إذا ثبت أنه تعالى عالم بجميع المعلومات، وأنه غني عن جميع الحاجات إذا ثبت هذا فنقول كونه تعالى: عزيزًا حكيمًا يدل على هذه الصفات الثلاثة، العلم بجميع المعلومات، والقدرة على كل الممكنات، والاستغناء عن كل الحاجات، فمن كان كذلك امتنع أن يفعل القبيح وأن يحكم بالقبيح، وإذا كان كذلك فكل ما يفعله يكون حكمة وصوابًا، إذا ثبت هذا فنقول الانتفاع بالقرآن يتوقف على أصلين أحدهما: أن يعلم أن القرآن كلام الله، والدليل عليه أنه ثبت بالمعجز كون الرسول صادقًا، وثبت بالتواتر أنه كان يقول القرآن كلام الله فيحصل من مجموع هاتين المقدمتين أن القرآن كلام الله والأصل الثاني: أن الله أراد بهذه الألفاظ المعاني التي هي موضوعة لها، أم بحسب اللغة أو بحسب القرينة العرفية أو الشرعية لأنه لو لم يرد بها ذلك لكان تلبيسًا، وذلك لا يليق بالحكيم فثبت بما ذكرنا أن الانتفاع بالقرآن لا يحصل إلا بعد تسليم هذين الأصلين، وثبت أنه لا سبيل إلى إثبات هذين الأصلين إلا بإثبات كونه تعالى حكيمًا، وثبت أن لا سبيل إلى إثبات كونه حكيمًا إلا بالبناء على كونه تعالى عزيزًا، فلهذا السبب قال: (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم). انظر: [تفسير الرازي (221/13)].

وهم: كفار مكة قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾ قربى، وكانت الكفار إذا سألوا من خلق السماوات والأرض وغير ذلك؟ قالوا: الله، فإذا سألوا عن عبادة الأوثان قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ يوم القيامة ﴿فِي مَا هُمْ﴾ كانوا ﴿فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين، فالمؤمن: للجنة، والكافر: للنار ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ بزعم أن هذه الأوثان تشفع أو تنفع.

﴿لَوْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [الزمر: 4] كما ﴿قَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ [مريم: 88] ﴿لَاصْطَفَى﴾ اختار ﴿مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ واتخذه ولدًا من غير الملائكة وعزيز والمسيح الذين زعمهم الكفار أولاد الله ونزّه نفسه عن ذلك بقوله: ﴿سُبْحَانَهُ هُوَ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾.

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ﴾ [الزمر: 5] يدخل ﴿اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾ بمعنى: ما زاد من أحدهما نقص من الآخر ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي﴾ في فلكه ﴿لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ هو يوم القيامة ﴿أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾.

﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [الزمر: 6] آدم ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حواء، وعبر بـ«ثم» مع أن خلق حواء من آدم سابق على خلقنا منه؛ لأن المراد: الترتيب في الأخبار لا في الإيجاد أو غير ذلك، أو غير ذلك مما في الأصل ﴿وَأَنْزَلَ﴾ أنشأ وخلق ﴿لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ أصناف سبقت في الأنعام ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ نطفة، ثم تنقل الأحوال ﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ ظلمة البطن، والرحم، والمشيمة ﴿ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ عن طريق الحق بعد هذا البيان الذي لا شك فيه.

﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا

يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الزمر: ٧ - ١٠].

﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: 7] وإن أراده من البعض ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ﴾ أي: الشكر وهو: الإيمان ﴿لَكُمْ وَلَا تَزِرُ﴾ نفس ﴿وَازِرَةٌ وِزْرَ﴾ نفس ﴿أُخْرَى﴾ أي: لا تحمله ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فللمطيع: الجنة فضلاً، وللكافر: النار عدلاً ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ القلوب.

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ﴾ [الزمر: 8] أي: الكافر بدليل ما وصفه به من بعد ﴿ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا﴾ راجعًا ﴿إِلَيْهِ﴾ مستغيثًا به ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ﴾ أعطاه ﴿نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ﴾ ترك ﴿مَا﴾ أي: الذي ﴿كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ﴾ وهو: الله ﴿وَجَعَلَ لِلهِ أَنْدَادًا﴾ وهي: الأوثان ﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ دين الإسلام ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﷺ لهذا الكافر: ﴿تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾ في الدنيا؛ لانقضاء الأجل ﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾.

﴿أَمْ مَنْ﴾ [الزمر: 9] قرأ نافع وابن كثير بالتخفيف، والباقون بالتشديد ﴿هُوَ قَانِتٌ﴾ مطيع ﴿آنَاءَ اللَّيْلِ﴾ ساعاته، واحدها: إِنْيٌ ﴿سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ في الصلاة ﴿يَحْذَرُ﴾ يخاف ﴿الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ كمن هو عاصٍ ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لا يستويان، كما لا يستوي العالم والجاهل ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾ يتعظ ﴿أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول.

﴿قُلْ يَا عِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ [الزمر: 10] أي: عذابه بطاعته ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ بالإيمان والأعمال الصالحة ﴿فِي هَذِهِ الدُّنْيَا﴾ بالطاعة ﴿حَسَنَةٌ﴾ وفي الآخرة ﴿وَأَرْضُ اللهِ وَاسِعَةٌ﴾ فهاجروا فيها من بلاد الكفر، والمنكرات إلى بلاد الإسلام وترك المنكرات ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ﴾ على الطاعات وفراق الأوطان وما يبتلون به ﴿أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ بغير مكيال ولا ميزان.

﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾

فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الزمر: ١١ - ٢٠].

﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: 11] التوحيد بلا إشراك.

﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ﴾ [الزمر: 12] أي: بأن ﴿أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾[1] من هذه الأمة.

﴿قُلْ﴾ [الزمر: 13] يا محمد ﷺ: ﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿قُلِ اللهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ [الزمر: 14] من كل شرك.

﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ [الزمر: 15] هو تهديد لهم ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ

---

(1) لا شبهة في أن المراد إني أول من تمسك بالعبادات التي أرسلت بها، وفي هذه الآية فائدتان:

الفائدة الأولى: كأنه يقول إني لست من الملوك الجبابرة الذين يأمرون الناس بأشياء وهم لا يفعلون ذلك، بل كل ما أمرتكم به فأنا أول الناس شروعاً فيه وأكثرهم مداومة عليه.

الفائدة الثانية: أنه قال: ﴿إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ﴾ والعبادة لها ركنان عمل القلب وعمل الجوارح، وعمل القلب أشرف من عمل الجوارح، فقدم ذكر الجزء الأشرف وهو قوله: ﴿مُخْلِصاً لَّهُ الدين﴾ ثم ذكر عقيبه الأدون وهو عمل الجوارح وهو الإسلام، فإن النبي ﷺ فسر الإسلام في خبر جبريل ﵇ بالأعمال الظاهرة، وهو المراد بقوله في هذه الآية: ﴿وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ المسلمين﴾ وليس لقائل أن يقول ما الفائدة في تكرير لفظ ﴿أُمِرْتُ﴾ لأنا نقول ذكر لفظ ﴿أُمِرْتُ﴾ أولاً في عمل القلب وثانيًا في عمل الجوارح ولا يكون هذا تكريرًا.

الفائدة الثالثة: في قوله: ﴿وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ المسلمين﴾ التنبيه على كونه رسولاً من عند الله واجب الطاعة، لأن أول المسلمين في شرائع الله لا يمكن أن يكون إلا رسول الله، لأن أول من يعرف تلك الشرائع والتكاليف هو الرسول المبلغ. انظر: [تفسير الرازي (13 /238)].

الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بالتخليد في النار ﴿وَأَهْلِيهِمْ﴾ المعدة لهم في الجنة لو آمنوا ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ الظاهر.

﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر: 16] طباق وسرادقات ﴿مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ كذلك ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿يُخَوِّفُ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ﴾ المؤمنين؛ ليتقوا ﴿يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾.

﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [الزمر: 17] الأوثان ﴿أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا﴾ رجعوا وأقبلوا ﴿إِلَى اللهِ لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ في العاقبة بالجنة ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِي﴾.

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ﴾ [الزمر: 18] القرآن ﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ وهو الذي فيه كثرة الثواب، أو ما فيه نجاحهم ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول.

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ [الزمر: 19] وهي قوله: ﴿لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [الأعراف: 18] ﴿أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ﴾ تخرج ﴿مَنْ فِي النَّارِ﴾ أي: تنقذ الكفار؛ أي: من أراد الله عذابه لا نقدر على هدايته ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ﴾ أي: منازل مرتفعة فوقها منازل أرفع منها ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي: من تحت الغرف ﴿وَعْدَ اللهِ لَا يُخْلِفُ اللهُ الْمِيعَادَ﴾ وعده.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا

يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الزمر: ٢١ - ٢٥].

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ [الزمر: 21] تعلم ﴿أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ﴾ أدخل ذلك الماء ﴿يَنَابِيعَ﴾ عيونًا ﴿فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ﴾ أي: بالماء ﴿زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ﴾ ييبس ﴿فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا﴾ بعد خضرته ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا﴾ مفتتًا مكسرًا ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى﴾ عظة ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.

﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الزمر: 22] أي: وسعه لقبول الحق ﴿فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ أي: هدى ورشاد؛ أي: هل هو كمن هو قاسي القلب عن الدين؟ والمراد: إنكار استوائهما بدليل قوله: ﴿فَوَيْلٌ﴾ كلمة عذاب، أو وادٍ في جهنم ﴿لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللهِ﴾ أي: من أجل ذكره وهو القرآن ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ظاهر.

﴿اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ [الزمر: 23] وهو القرآن سمَّاه حديثًا؛ لأنه يتحدث به ﴿كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ في الحسن والصدق بعضه يصدق بعضًا ﴿مَثَانِيَ﴾ تثنى فيه الأحكام، والوعد، والوعيد، وغير ذلك ﴿تَقْشَعِرُّ﴾ تنقبض انقباضًا شديدًا ﴿مِنْهُ﴾ أو ترتعد عند ذكر وعيده ﴿جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ فيقف شعرهم بسبب تغيّر الجلد ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ﴾ يزول عنها ذلك الحال ﴿وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ﴾ عند ذكر وعده ﴿ذَلِكَ﴾ أي: القرآن ﴿هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ فضلاً ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ مرشد يرشده.

﴿أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [الزمر: 24] أشده ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ فيجر في النار على وجهه، فأول شيء يلقاها منه وجهه، وتغل يداه إلي عنقه؛ أي: هل هذا كمن أمن العذاب؟ أي: لا يستويان ﴿وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ أي: جزاء كسبكم.

﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الزمر: 25] رسلهم في أن الله ينزل بهم العذاب ﴿فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ من جهة لا يخطر ببالهم وهم آمنون غافلون عنه.

﴿ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا

غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ ۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الزمر: ٢٦ - ٣٢].

﴿فَأَذَاقَهُمُ اللهُ الْخِزْيَ﴾ [الزمر: 26] الهوان ومسخهم وغير ذلك ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ أعظم ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لو كان المكذبون يعلمون ذلك ما كذبوا.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا﴾ جعلنا ﴿لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ أي: جعلنا لهم فيه ذلك ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الزمر: 27] يتعظون ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ [الزمر: 28] لا لبس فيه ولا اختلاف ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الكفر.

﴿ضَرَبَ اللهُ﴾ [الزمر: 29] للمشرك والموحد ﴿مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ﴾[1] متنازعون كل يدَّعي أنه عبده ويطلب منه أن يخدمه ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا﴾ خالصًا ﴿لِرَجُلٍ﴾ قرأ ابن كثير والبصريان «سالمًا» بالألف وكسر اللام، والباقون بغير ألف والفتح؛ أي: ذا سلامة لرجل من الشركة ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ﴾ أي: لا يستويان ﴿مَثَلًا﴾ أي: لا يستوي العبد لجماعة والعبد لواحد، فإن الأول إذا طلب منه مالكوه الخدمة بوقت واحد تحيّر وهو مثل المُشرِك، وما بعده مثل للموحد السالم ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وحده ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما سيصيرون إليه من العذاب فلذلك استمروا على الشرك.

(1) قال الورتجبي الشيرازي: شبَّه الله المتشتتين همومهم المائلين إلى غير الله بالرجل الذي يملكه الشركاء المتشاكسون المتخالفون، وشبَّه المتفردين بنعت الإخلاص بالله ولله وفي الله بالرجل السالم لرجل الخالص له لا يملكه غيره بل عبدٌ قنٌّ له لا يدخل في صحة عبوديته خلل لأجل مدخل غيره، فالأول المحتجب بنفسه عن الحق، والثاني الشاهد بالحق على الحق، لا يحويه غبار العلل، ولا يدخل في قلبه قتام الخلل؛ إذ هو محفوظ برعايته القديمة وحراسته الأبدية، مثل هذا العبد لا يعرفه إلا عبدٌ مثله، ولذلك حمد الله نفسه حيث يجهله أكثر الخلق.

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾ [الزمر: 30] أي: ستموت يا محمد ﷺ ﴿وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ سيموتون، فلا يشمت أحد بموت أحد، نزلت لمَّا استبطأوا موته ﷺ ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: 31] المحق والمبطل، والظالم والمظلوم، وكانت الصحابة ﷺ يقولون: كيف نختصم وديننا واحد وكتابنا واحد؟ فلمَّا قُتل عثمان ﷺ علموا أنها فيهم وفي غيرهم ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللهِ﴾ [الزمر: 32] بالشريك ونحوه؛ أي: لا أظلم منه ﴿وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ﴾ القرآن ﴿إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ﴾ استفهام تقرير ﴿فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ﴾ أي: محل إقامة.

﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الزمر: ٣٣ - ٣٨].

﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾ [الزمر: 33] النبي ﷺ، أو جبريل ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾ هل هم المؤمنون؟ أو النبي ﷺ؛ لأنه تلقاه بالقبول؟ أو أبو بكر الصديق ﷺ؛ لأنه أول الرجال إيمانًا؟ أقوال: **أعمهـــا**: الأول، وجزم المهدوي بالأخير ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ الشرك ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ﴾ [الزمر: 34] أي: هذا الجزاء ﴿جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ بالإيمان.

﴿لِيُكَفِّرَ اللهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ [الزمر: 35] أي: سيئه ﴿وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ﴾ أي: حسن ﴿الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ * أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: 35 - 36] أي: هو كافيه، وقرأ أبو جعفر وحمزة والكسائي وخلف: «عباده» بالجمع، والباقون

بالإفراد، فمن أفرده أراد النبي ﷺ، ومن جمع أراد سائر المؤمنين ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ إذ قالوا له: نخشى عليك أن تقتلك الأصنام، أو تجننك؛ أي: يحصل لك منها جنون ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾.

﴿وَمَنْ يَهْدِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ﴾ [الزمر: 37] استفهام تقرير ﴿اللهُ بِعَزِيزٍ﴾ في ملكه ﴿ذِي انْتِقَامٍ﴾ ممن خالفه؛ أي: هو كذلك ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ [الزمر: 38] وهم الأصنام ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾ أي: هي لا تكشف ولا تمسك، وقرأ البصريان: «كاشفات، وممسكات» بالتنوين، «ضره، ورحمته» بنصب الراء والتاء، والباقون بإضافته إلى ما بعده بلا تنوين وجر الراء والتاء ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ﴾ يتق ﴿الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ الواثقون.

﴿ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الزمر: ٣٩ - ٤٣].

﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ [الزمر: 39] حالتكم ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ على حالتي ﴿فَسَوْفَ﴾ تهديد لهم ﴿تَعْلَمُونَ * مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ [الزمر: 39 - 40] يذله ﴿وَيَحِلُّ﴾ ينزل ﴿عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ دائم، وهذا واقع في النار، والخزي وقع ببدر.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ﴾ [الزمر: 41] إذ ثوابه له ﴿وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ لرجوع الوبال إليه ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ حفيظ ورقيب، والمراد: إنه لا يؤاخذ بما صدر منهم.

﴿اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ﴾ [الزمر: 42] الأرواح ﴿حِينَ مَوْتِهَا﴾ بقبضها عند فناء

أجلها، وذلك واقع بإذنه من ملك الموت ﴿وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ﴾ يتوفاها ﴿فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾ فلا يردها إلى الجسد، وقرأ حمزة والكسائي وخلف: «قُضِيَ» بضم القاف وكسر الضاد وفتح الياء، «الموت» بالرفع، والباقون بفتح القاف والضاد وإسكان الياء ونصب «الموت» ﴿وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى﴾ وهي التي لم يقض عليها بالموت ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ إلى وقت موتها، والنفس نفس تمييز، ونفس حياة، فالأولى تقبض عند النوم وتبقى الثانية ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ القبض والإرسال ﴿لَآيَاتٍ﴾ دلالة على البعث ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيعلمون أن القادر على ذلك قادر على البعث.

﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ شُفَعَاءَ﴾ [الزمر: 43] وهي الأصنام ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﷺ: ﴿أَوَ﴾ يشفعون ﴿لَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا﴾ من الشفاعة ولا من غيرها ﴿وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ أنكم تعبدونهم ولا غير ذلك، والمراد: إنكار ذلك.

﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الزمر: ٤٤ - ٤٨].

﴿قُلْ لِله الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: 44] فلا يشفع أحد إلا بإذنه، فلغيره من الشفاعة الاسم، وله سبحانه المعنى ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ﴾ [الزمر: 44 - 45] من غير ذكر آلهتهم ﴿اشْمَأَزَّتْ﴾ استكبرت ونفرت ﴿قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ وهم الأصنام ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ يفرحون، وذلك في قوله: تلك الغرانيق العلا، كما سبق في الحج.

﴿قُلِ﴾ [الزمر: 46] يا محمد ﷺ: ﴿اللَّهُمَّ﴾ أي: يا الله ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مبدعهما ﴿عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ما غاب وما شوهد ﴿أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ

عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من الأمور كلها أهدني لما اختلف فيه من الحق.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الزمر: 47] أشركوا ﴿مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ﴾ شدة ﴿الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا﴾ ظهر ﴿لَهُمْ مِنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ يظنون في الدنيا ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ [الزمر: 48] أي: مساوئ أعمالهم من شرك وظلم ﴿وَحَاقَ﴾[1] نزل ﴿بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ وهو العذاب.

﴿ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾[الزمر: ٤٩ - ٥٣].

﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ﴾ [الزمر: 49] أراد به الجنس ﴿ضُرٌّ﴾ شدة ﴿دَعَانَا﴾ لكشفها ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ﴾ أعطناه ﴿نِعْمَةً مِنَّا﴾ شيء ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ من الله بأني أهل له ﴿بَلْ هِيَ﴾ أي: تلك النعمة ﴿فِتْنَةٌ﴾ واستدراج من الله تعالى له بها، أو كلمته التي قالها فتنة ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ الناس ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنه فتنة واستدراج.

﴿قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الزمر: 50] كقارون ﴿فَمَا أَغْنَى﴾ دفع ﴿عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من الكفر شيئًا من العذاب ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ [الزمر: 51] أي: جزاء كفرهم ﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ بفائتين.

---

(1) قال الليث (الحيق) ما حاق بالإنسان من مكر أو سوء يعمله فنزل ذلك به، يقول أحاق الله بهم مكرهم وحاق بهم مكرهم، وقال الفرّاء (حاق بهم) عاد عليهم، وقيل (حاق بهم) حل بهم ذلك، وقال الزجاج «حاق» أي أحاط، قال الأزهري: فسّر الزجاج (حاق) بمعنى أحاط وكان مأخذه من الحوق وهو ما استدار بالكمرة. انظر: [تفسير الرازي (6 /228)].

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَبْسُطُ﴾ [الزمر: 52] يُوسّع ﴿الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ يضيق ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ القبض والبسط ﴿لَآيَاتٍ﴾ دلالات على أن الله تعالى يفعل ما يشاء، وإذا أراد شيئًا لا مرد له، ومنه نزول العذاب بمن كفر ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ بأن الله يفعل ذلك لا غيره.

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ [الزمر: 53] بالمعاصي والذنوب ﴿لَا تَقْنَطُوا﴾ لا تيأسوا ﴿مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ بالإسلام وبالتوبة كبائر كانت أو صغائر ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ نزلت في قوم دعاهم النبي ﷺ إلى الإيمان وكانوا زنوا، وقتلوا، وكفروا، وفعلوا الفواحش فقالوا: أنت تُحرّم ذلك وفي شرعك إن فاعله ﴿يَلْقَ أَثَاماً﴾ [الفرقان: 68] فكيف لنا بذلك؟ فلمّا نزلت آمنوا، ونزلت في وحشي قاتل حمزة لمّا دعاه النبي ﷺ إلى الإيمان فقال مثل ذلك، فلمّا نزلت آمن وهي للمسلمين عامة باتفاق.

﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الزمر: ٥٤ - ٥٨].

﴿وَأَنِيبُوا﴾ [الزمر: 54] ارجعوا ﴿إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا﴾ أخلصوا ﴿لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾ تمنعون منه إن لم تتوبوا ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الزمر: 55] وهو القرآن، ونزل منه سبحانه غير ما ذُكر وهو الحسن كالأحاديث القدسية، أو المراد: حسن ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ من أين يأتيكم؟ ولا ممن يأتيكم؟

﴿أَنْ﴾ [الزمر: 56] أي: بادروا قبل أن ﴿تَقُولَ﴾ أو لئلا تقول أو خافوا أن تقول: ﴿نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا﴾ قرأ أبو جعفر «يا حسرتاي» بياء بعد الألف، وفتحها ابن جماز

واختلف عن ابن وردان في الفتح والإسكان، والباقون بغير ياء ﴿عَلَى مَا فَرَّطْتُ﴾ قصرت ﴿فِي جَنْبِ﴾ أي: طاعة ﴿اللهِ وَإِنْ﴾ أي: وإني ﴿كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾ المستهزئين بالدين.

﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللهَ هَدَانِي﴾ [الزمر: 57] لوصلت لطاعته، أو هداني فاهتديت ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ العذاب ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً﴾ [الزمر: 58] رجعة إلى الدنيا ﴿فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ بالإيمان، فلمَّا يقول ذلك يقال له من قبل الله.

﴿ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الزمر: ٥٩ - ٦٤].

﴿بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي﴾ [الزمر: 59] وهي القرآن الذي هو سبب الهداية ﴿فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ﴾ عن الإيمان ﴿وَكُنْتَ﴾ صرت ﴿مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ بها ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: 60] في جهنم، وهم الذين كفروا وزعموا شريكًا وولدًا ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾ مأوى ومحل إقامة ﴿لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ عن الإيمان؛ أي: لهم ذلك.

﴿وَيُنَجِّي اللهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ [الزمر: 61] الشرك ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر «بمفازاتهم» بالألف جمعًا، والباقون بغير ألف إفرادًا؛ أي: بسبب فلاحهم بالعمل الصالح، أو بمكان فوزهم في الجنة بأن يجعلوا فيها ﴿لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: 62] رقيب حافظ

متصرف فيه ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[1] [الزمر: 63] مفاتيح خزائنهما من مطر ونبات وغير ذلك ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ [الزمر: 64] وقرأ ابن كثير وابن ذكوان بخلاف عنه «تأمروني» بتخفيف النون وابن عامر بنونين، والباقون بالتشديد.

﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الزمر: ٦٥ - ٦٩].

﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [الزمر: 65] يا محمد ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ يبطل ويذهب ﴿وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ والنبي ﷺ معصوم فهو خطاب له، والمراد منه غيره، أو المراد: الغرض وإن كان محالاً شرعًا.

﴿بَلِ اللهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: 66].

﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الزمر: 67] أي: ما عرفوه حق معرفته، أو ما عظموه حق عظمته حين أشركوا به غيره وزعموا له ما ليس من وصفه ﴿وَالْأَرْضُ﴾ أي: السبع ﴿جَمِيعًا قَبْضَتُهُ﴾ أي: في قبضة ملكه وتصرفه ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ﴾

---

(1) المقاليد، واحدها مقليد، ومقلاد، أو لا واحد له من لفظه كأساطير، وهي: مفاتيح السماوات، والأرض، والرزق، والرحمة، قاله مقاتل، وقتادة، وغيرهما، وقال الليث: المقلاد الخزانة، ومعنى الآية: له خزائن السماوات، والأرض، وبه قال الضحاك، والسدّي، وقيل: خزائن السماوات المطر، وخزائن الأرض النبات، وقيل: هي عبارة عن قدرته سبحانه، وحفظه لها، والأوّل أولى، قال الجوهري: الإقليد المفتاح، ثم قال: والجمع المقاليد، وقيل: هي لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله وبحمده، وأستغفر الله، ولا حول ولا قوّة إلا بالله، وقيل غير ذلك. [فتح القدير (6 / 301)].

مجموعات ﴿بِيَمِينِهِ﴾ بقدرته ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ معه من الأصنام وغيرها.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ﴾ [الزمر: 68] مات ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ وهي النفخة الأولى ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ﴾ من الحور والولدان وغير ذلك ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ﴾ أي: في الصور نفخة ﴿أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ ينتظرون أمر الله فيهم.

﴿وَأَشْرَقَتِ﴾ [الزمر: 69] أضاءت ﴿الْأَرْضُ﴾ في ذلك الوقت ﴿بِنُورِ رَبِّهَا﴾ عند التجلي لفصل القضاء ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ كتاب أعمال العباد لحسابهم ﴿وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ﴾ صلى الله عليهم وسلم ﴿وَالشُّهَدَاءِ﴾ أمة محمد ﷺ يشهدون للأنبياء بالبلاغ ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ العدل ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ فلا يزاد في السيئات ولا ينقص من الحسنات.

﴿ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الزمر: ٧٠ - ٧٥].

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ﴾ [الزمر: 70] أي: جزاء عملها من خير أو شر ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ من أنفسهم ومن كل أحد، أو عليم، والمراد عليمًا لا يحتاج إلى كتاب ولا شاهد.

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ﴾ [الزمر: 71] بعنف ﴿زُمَرًا﴾[1] جماعات ﴿حَتَّى

(1) قوله: ﴿وَسِيقَ الذين كفروا إلى جَهَنَّمَ زُمَراً﴾ لما شرح أحوال أهل القيامة على سبل الإجمال =

إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ السبعة، وكانت مغلقة قبل ذلك، وإنما فتحت بحضورهم؛ ليبقى حرها إلى الفتح، وقرأ الكوفيون «فتحت» بالتخفيف والباقون بالتشديد ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ توبيخًا لهم: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ أي: من البشر ﴿يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ وهي: ﴿لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: 13].

﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى﴾ [الزمر: 72] مأوى ﴿الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ عن الإيمان جهنم.

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزمر: 73] بلطف ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَ﴾ قد ﴿فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ فتحت لهم قبل مجيئهم؛ كرامة لهم ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾ في الدنيا، أو طابت أعمالكم ﴿فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ فدخلوها هذا هو الجواب.

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِله الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾ [الزمر: 74] بالجنة ﴿وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ﴾ أي: أرض الجنة ﴿نَتَبَوَّأُ﴾ ننزل ﴿مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ أي مكان اخترناه، ويهد الله كل أحد لمنزله فلا يختار سواه، وقيل المراد: إنها لا يختار منها لحسن جميعها مكان على مكان ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ ثواب المطيعين الجنة.

﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ [الزمر: 75] من كل جانب منه ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ تسبيح تلذذ ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ ملتبسين بحمده، أو قائلين: سبحان الله وبحمده ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ بين كل الخلائق ﴿بِالْحَقِّ﴾ العدل، المؤمن للجنة والكافر للنار ﴿وَقِيلَ﴾ من أهل الجنة شكرًا ﴿الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ختم استقرار الفريقين من الملائكة، صلى الله عليهم وسلم بالحمد.

=

وقال: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ بين بعده كيفية أحوال العقاب ثم كيفية أحوال الثواب، فأما شرحُ أحوال العقاب فهو هذه الآية وهذا السَّوْق يكون بالعُنُق والدفع بدليل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ أي: يدفعون دفعًا، وقوله: ﴿وَنَسُوقُ المجرمين إِلى جَهَنَّمَ وِرْداً﴾ قوله: ﴿زُمَراً﴾ و«زُمَرٌ» جمع «زُمْرة» وهي الجماعات في تفرقة بعضها في إثر بعض، و«تَزَمَّرُوا» تجمعوا هذا قول أبي عبيدة والأخفش، وقال الراغب: الزُّمْرة الجماعة القليلة، ومنه شاة زمرة أي قليلة الشعر، ورجل زَمِرٌ أي قليل المروءة، وزَمَرَت النَّعَامَةُ تَزْمُر زَمَارًا ومنه اشتق الزّمر، والزَّمَّارة كناية عن الفاجرة. انظر: [تفسير اللباب لابن عادل (13/454)].

سورة غافر

وتسمى: سورة المؤمن، مكية اثنان، أو ثلاث، أو أربع، أو خمس وثمانون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ ﴾ [غافر: ١ - ٧].

﴿حم﴾ [غافر: 1] الحاء من حليم حكيم، والميم من ملك مؤمن مهيمن.

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [غافر: 2].

﴿غَافِرِ الذَّنْبِ﴾ [غافر: 3] لكل مؤمن ﴿وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ التوبة ﴿شَدِيدِ﴾ مشدد ﴿الْعِقَابِ﴾ لمن لم يقل لا إله إلا الله ﴿ذِي الطَّوْلِ﴾ الإنعام الواسع والغني عن كل أحد، أو الطول القدرة وهو موصوف على الدوام ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ المرجع في الآخرة.

﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِ﴾ [غافر: 4] أي: في دفعها وإخفائها بالإنكار ﴿إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة وغيرهم، وأمَّا الذين آمنوا فيجادلون فيها بالحق ﴿فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ﴾ أي: الكفار، لكسب ﴿فِي الْبِلَادِ﴾ في الدنيا؛ إذ عاقبتهم الهلاك.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ﴾ [غافر: 5] المتحزبين على الأنبياء ﴿مِنْ

﴿بَعْدِهِمْ﴾ أي: من بعد قوم نوح ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ أسيرًا، أو يقتلوه ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا﴾ يبطلوا ﴿بِهِ الْحَقَّ﴾ الذي جاءت به الرسل ﴿فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ بمعنى أنه واقع في محله.

﴿وَكَذَلِكَ﴾ [غافر: 6] أي: مثل ما حقت الكلمة على السابقين ﴿حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ وهي ﴿لأَمْلأَنَّ﴾ [السجدة: 13] ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من قومك ﴿أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾.

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [غافر: 7] والطائفون به، يقال لهم: الكروبيون، وهم سادات الملائكة، وكل يقول سبحان الله وبحمده ﴿وَيُؤْمِنُونَ﴾ يصدقون ﴿بِهِ﴾ بوحدانيته تعالى وصفاته العلية ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ قائلين ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ من المخلوقات ﴿رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ والمراد وسع علمه ورحمته كل شيء ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا﴾ من الشرك ﴿وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ دينك ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾.

﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ ﴾ [غافر: ٨ - ١٢].

﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ [غافر: 8] إقامة ﴿الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾ [غافر: 9] العقوبات الناشئة عن الذنوب ﴿وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ﴾ [غافر: 10] يوم القيامة وهم في النار عند مقتهم

لأنفسهم ﴿لَمَقْتُ اللهِ﴾ أي: بغضه ولعنه لكم ﴿أَكْبَرُ﴾ أعظم وأشد ﴿مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ﴾ في الدنيا ﴿إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾.

﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: 11] لأنهم كانوا أمواتًا في أصلاب آبائهم فأحياهم في الدنيا، ثم أماتهم ثم بعثهم ﴿وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ حياة الدنيا وحياة البعث ﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ وهي الكفر بعد البعث ﴿فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ﴾ من النار ورجوع إلى الدنيا ﴿مِنْ سَبِيلٍ﴾ طريق لنطيع، والجواب: لا.

وقيل لهم: ﴿ذَلِكُمْ﴾ [غافر: 12] العذاب ﴿بِأَنَّهُ﴾ أي: بسبب أنه ﴿إِذَا دُعِيَ﴾ عبد ﴿اللهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ﴾ غيره ﴿تُؤْمِنُوا﴾ تصدقوا الشرك ﴿فَالْحُكْمُ لِلهِ الْعَلِيِّ﴾ على خلقه ﴿الْكَبِيرِ﴾ العظيم.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾ [غافر: ١٣ - ١٧].

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ [غافر: 13] الدلائل الدالة على توحيده ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ وهو المطر الذي هو سبب للرزق ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾ يتعظ بذلك ﴿إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ يرجع إلى الحق.

﴿فَادْعُوا اللهَ﴾ [غافر: 14] أعبدوه وأطيعوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ الطاعة والعبادة ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.

ذلك ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾ [غافر: 15] أي: رافعها للمؤمنين في الجنة، أو عظيم الصفات ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ خالقه ومالكه ﴿يُلْقِي﴾ ينزل ﴿الرُّوحَ﴾ الوحي ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾ قوله أو قضائه ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ﴾ أي: يخوف من ألقي الوحي عليه من أرسل إليهم، وقرأ بالتاء يعقوب؛ أي: لتنذر أنت يا محمد ﷺ ﴿يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ وهو يوم القيامة، تلتقي فيه الأمة وأهل السماء والأرض والمخلوق والخالق والمظلوم والظالم والعابد

والمعبود والمرء وعمله.

﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ﴾ [غافر: 16] من قبورهم، ظاهرون لا يسترهم شيء ﴿لَا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْهُمْ﴾ من أعمالهم وأحوالهم ﴿شَيْءٌ﴾ ويقول الله تعالى في ذلك اليوم: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ ثم يجيب نفسه بقوله: ﴿لِلهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ أو يقول ذلك ويجيبه المؤمنون، وبعد فناء الخلائق يقول ذلك ويجيب نفسه أيضًا.

﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [غافر: 17] المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته ﴿لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْأَزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [غافر: ١٨ - ٢٢]

﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ﴾[1] [غافر: 18] القيامة، من أزف الرحيل ﴿إِذِ﴾ اقترب؛ إذ

---

(1) هو يوم القيامة، يأمر تعالى نبيه أن ينذر العالم ويحذرهم منه ومن أهواله، قاله مجاهد وابن زيد. والآزفة صفة لمحذوف تقديره يوم الساعة الآزفة، أو الطامة الآزفة ونحو هذا. ولما اعتقب كل إنذار نوعًا من الشدة والخوف وغيرهما، حسن التكرار في الآزفة القريبة، كما تقدم، وهي مشارفتهم دخول النار، فإنه إذ ذاك تزيغ القلوب عن مقارها من شدة الخوف. وقال أبو مسلم: يوم الآزفة: يوم المنية وحضور الأجل، يدل عليه أنه يعدل وصف يوم القيامة بأنه يوم التلاق، ويوم بروزهم، فوجب أن يكون هذا اليوم غيره، وهذه الصفة مخصوصة في سائر الآيات، يوم الموت بالقرب أولى من وصف يوم القيامة بالقرب، وأيضًا فالصفات المذكورة بعد قوله: (يوم الآزفة) لائقة بيوم حضور المنية، لأن الرجل عند معاينة ملائكة العذاب لعظم خوفه، يكاد قلبه يبلغ حنجرته من شدّة الخوف، ولا يكون له حميم ولا شفيع يرفع عنه ما به من أنواع الخوف. انظر [تفسير البحر المحيط (407/9)].

﴿الْقُلُوبُ لَدَى﴾ عند ﴿الْحَنَاجِرِ﴾ فزالت عن أماكنها من الخوف، فلا هي تخرج ولا هي تعود ﴿كَاظِمِينَ﴾ ممتلئين عما ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ﴾ صديق ينفعهم ﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ أي: لا يشفع لهم أصلاً.

﴿يَعْلَمُ﴾ [غافر: 19] الله ﴿خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾ وهي خيانتها بمسارقة النظر إلى ما لا يحل النظر إليه ﴿وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ القلوب.

﴿وَاللهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ [غافر: 20] قرأ نافع وابن عامر بخلاف عن ابن ذكوان بالتاء من فوق، والباقون بالياء من أسفل ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ وهم الأوثان ﴿لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ﴾ لعدم علمهم وقدرتهم ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ لا غيره.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [غافر: 21] قرأ ابن عامر «أشد منكم» بالكاف والباقون بالهاء ﴿وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ من قصور وغيرها ﴿فَأَخَذَهُمُ اللهُ﴾ أهلكهم ﴿بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ وَاقٍ﴾ يقيهم عذابه.

﴿ذَلِكَ﴾ [غافر: 22] الأخذ ﴿بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الدلالات الواضحة على ما أرسلوا به ﴿فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾ [غافر: ٢٣ - ٢٨].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ﴾ [غافر: 23] برهان ﴿مُبِينٍ﴾ ظاهر.

﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ﴾ [غافر: 24] أي: موسى ساحر ﴿كَذَّابٌ﴾.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ [غافر: 25] الصدق ﴿مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا﴾ أي: فرعون وقومه ﴿اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ فيكفوا عن الإيمان به ومعاونته ﴿وَاسْتَحْيُوا﴾ استبقوا ﴿نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ﴾ احتيال ﴿الْكَافِرِينَ﴾ فرعون وقومه ﴿إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ بطلان بلا نفع، وكان من قوم فرعون من يمنعه من قتل موسى.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي﴾ [غافر: 26] اتركوني ﴿أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ﴾ موسى ﴿رَبَّهُ﴾ ليمنعه من قتلي ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ﴾ يغيّر ﴿دِينَكُمْ﴾ فتنقلوا من عبادتي لعبادة آلهة ﴿أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿الْفَسَادَ﴾ من قبلكم أو غيره، وقرأ الكوفيون ويعقوب «أو أن» بزيادة ألف قبل الواو وإسكانها، والباقون بفتحها بلا ألف، وقرأ المدنيان والبصريان وحفص «يظهر» بضم الياء وكسر الهاء، «الفساد» بالنصب، والباقون بفتح الياء والهاء ورفع «الفساد».

﴿وَقَالَ مُوسَى﴾ [غافر: 27] لما توعده فرعون بالقتل ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾.

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ [غافر: 28] هل هو قبطي من أبناء عم فرعون أو إسرائيلي؟ قولان، أقربهما الأول، والأكثر على أن اسمه: حزقيل ﴿يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ﴾ أي: لأن ﴿يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ على صدقه ﴿مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾ أي: ضرره، لا يصل إليكم منه شيء ﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ من العذاب، وذكر البعض وأراد به الكل، وقيل: غير ذلك مما في الأصل ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ بالشرك ﴿كَذَّابٌ﴾ على الله.

﴿يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ

ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾﴾ [غافر: ٢٩ - ٣٤].

﴿يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ﴾ [غافر: 29] غالبين ﴿فِي الأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنَا﴾ يمنعنا ﴿مِنْ بَأْسِ﴾ عذاب ﴿اللهِ﴾ إن قتلتم أولياءه ﴿إِنْ جَاءَنَا﴾ وأراد أنه لا ناصر لهم ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ﴾ من الرأي والنصيحة ﴿إِلَّا مَا أَرَى﴾ لنفسي ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ أي: لا أدعوكم إلا إلى الهدى وكذب عدو الله. ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الأَحْزَابِ﴾ [غافر: 30] أي: يوم كل حزب ﴿مِثْلَ دَأْبِ﴾[1] [غافر: 31] جزاء وعادة ﴿قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ ممن عذبوا في الدنيا ﴿وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾ وإذا لم يرده لم يقع.

﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ [غافر: 32] يوم القيامة، ينادي أهل الجنة أهل النار وينادي الملائكة بسعادة السعد أو شقاوة الأشقياء ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ﴾ [غافر: 33] عن موقف الحساب ﴿مُدْبِرِينَ﴾ منصرفين إلى النار ﴿مَا لَكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ مانع يعصمكم من عذابه ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللهَ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾.

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ﴾ [غافر: 34] ابن يعقوب على الأشهر، قيل: وعمَّر إلى زمن موسى، وقيل: يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي: من قبل موسى ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ في قوله: ﴿أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ﴾ [يوسف: 39] أو بالمعجزات الكثيرة ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ﴾ من التوحيد ﴿حَتَّى إِذَا هَلَكَ﴾ مات ﴿قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً﴾ فأقمتم على الكفر وظننتم عدم تحديد الحجة ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل هذا الإضلال ﴿يُضِلُّ اللهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ بالشرك ﴿مُرْتَابٌ﴾ شاك فيما أقامت به الحجة.

---

(1) قال ابن عطية: بدل. وقال الزمخشري: عطف بيان. وقال الزجاج: مثل يوم حزب ودأب عادتهم ودينهم في الكفر والمعاصي. انظر [تفسير البحر المحيط (9 /416)].

﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [غافر: ٣٥ - ٣٩].

﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ﴾ [غافر: 35] أي: المعجزات الواردة منه على أيدي الأنبياء ﴿بِغَيْرِ سُلْطَانٍ﴾ برهان ﴿أَتَاهُمْ كَبُرَ﴾ جدالهم ﴿مَقْتًا عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ﴾ أي: مثل إضلالهم ﴿يَطْبَعُ﴾ يختم ﴿اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ قرأ أبو عمرو وابن كثير بخلاف عنه بتنوين «قلبٍ» والباقون بلا تنوين، وتكبر كل من القلب وصاحبه ملازم للآخر، وعليهما المراد: عموم الضلال لجميع القلب.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا﴾ [غافر: 36] بناء ظاهرًا عاليًا، لا يخفى على الناظر ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾.

﴿أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ﴾ [غافر: 37] أبوابها وطرقها التي توصل إليها ﴿فَأَطَّلِعَ﴾ قرأ حفص بالنصب، والباقون بالرفع ﴿إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ﴾ أظن موسى ﴿كَاذِبًا﴾ في أن له إلهًا غيري، قاله فرعون تمويهًا ﴿وَكَذَلِكَ﴾ مثل هذا التزين ﴿زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾ طريق الحق ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ خسار.

﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: 38] طريق النجاة.

و﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ﴾ [غافر: 39] متعة للانتفاع مدة الحياة ثم تزول ﴿وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ فلا تزول أهلها.

﴿ مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٤٠﴾ ﴾

﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾﴾ [غافر: ٤٠ - ٤٥].

﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غافر: 40] فلا تبعة عليهم فيما أعطوه من النعم مع سعة الرزق.

﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ﴾ [غافر: 41] بالإيمان ﴿وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ بالكفر ﴿تَدْعُونَنِي﴾ بيان لدعائهم للنار ﴿لِأَكْفُرَ بِاللهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾.

﴿لَا جَرَمَ﴾ [غافر: 43] بمعنى حقًا ﴿أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ إلى عبادته ﴿لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ﴾ أي: استجابة دعوة ﴿فِي﴾ الحياة ﴿الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا﴾ مرجعنا ﴿إِلَى اللهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ﴾ المشركين ﴿هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾.

﴿فَسَتَذْكُرُونَ﴾[1] [غافر: 44] عند معاينة العذاب ﴿مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِ إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ لا يخفى عليه شيء من أحوالهم، قال لهم ذلك لما توعدوه، ثم فر منهم فنجا.

فذلك قوله تعالى: ﴿فَوَقَاهُ اللهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾ [غافر: 45] أي: ما أرادوا به من القتل ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ﴾ أشد ﴿الْعَذَابِ﴾ الغرق.

---

(1) قرأ ابن مسعود، وأبو العالية، وأبو عمران الجوني، وأبو رجاء: (فستَذَكَّرونَ) بفتح الذال وتخفيفها وتشديد الكاف وفتحها؛ وقرأ أبيّ بن كعب، وأيوب السختياني: بفتح الذال والكاف وتشديدهما جميعاً. أي: إذا نزل العذاب بكم، ما أقول لكم في الدنيا من النصيحة؟! انظر: [زاد المسير (5/ 294)].

﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦ وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ ٤٧ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ ٤٨ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٤٩ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ٥٠ ﴾ [غافر: ٤٦ - ٥٠].

ثم ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا﴾ [غافر: 46] صباحًا ﴿وَعَشِيًّا﴾ مساء، وكذلك روح كل كافر في القبر، ثم يصير الكل لنار الآخرة ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا﴾ قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وأبو بكر بوصل الهمزة؛ أي: يقال للكفار «ادخلوا» ﴿آلَ﴾ أي: يا آل ﴿فِرْعَوْنَ﴾ معه ﴿أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ عذاب جهنم، والباقون بقطعها مفتوحة وكسر الخاء؛ أي: يقال للملائكة «أدخلوا».

﴿وَإِذْ﴾ [غافر: 47] أي: واذكر يا محمد ﷺ إذ ﴿يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ﴾ أي: لتخاصم الأتباع والقادة فيها ﴿فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ﴾ الأتباع ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ﴾ دافعون ﴿عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ﴾ أي: حزامها.

و﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ [غافر: 48] فصار كل فريق لمحله المؤمن للجنة والكافر للنار، فلا مطمع للكافر بعد ذلك في الجنة.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ﴾ [غافر: 49] لما اشتد عليهم العذاب ﴿لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا﴾ أي: قدره ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾.

﴿قَالُوا﴾ [غافر: 50] أي: خزنة جهنم تهكمًا وتوبيخًا: ﴿أَوَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى﴾ أي: أتونا ولكن لم نؤمن ﴿قَالُوا﴾ أي: الخزنة لهم: ﴿فَادْعُوا﴾ أنتم؛ إذ لا نشفع لكافر، قال تعالى: ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ ذهاب وعدم استجابة.

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ

﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ ﴾ [غافر: ٥١ - ٥٦].

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [غافر: 51] بإظهار الحجة لهم وبالغلبة لبعضهم ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾[1] وهو يوم القيامة، تقوم الحفظة من الملائكة تشهد للرسل بالتبليغ وعلى كل كافر بالتكذيب.

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ﴾ [غافر: 52] قرأ الكوفيون ونافع ورُوي عن ابن وردان بالياء من أسفل في أوله والباقون بالتاء من فوق ﴿الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ اعتذارهم عن كفرهم ﴿وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ البعد عن الرحمة ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ الآخرة، وهو شدة عذابها.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى﴾ [غافر: 53] التوراة والمعجزات ﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ من بعد موسى ﴿الْكِتَابَ﴾ التوراة.

﴿هُدًى﴾ [غافر: 54] هاديًا ﴿وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ تذكرة لأصحاب العقول

---

(1) يعني يوم القيامة، قال زيد بن أسلم: «الأشهاد» أربعة: الملائكة والنبيون والمؤمنون والأجساد، وقال مجاهد والسدي: «الأشهاد» الملائكة تشهد للأنبياء بالإبلاغ وعلى الأمم بالتكذيب، قال قتادة: الملائكة والأنبياء، ثم قيل: «الأشهاد» جمع شهيد مثل شريف وأشراف، وقال الزجاج: «الأشهاد» جمع شاهد مثل صاحب وأصحاب، النحاس: ليس باب فاعل أن يجمع على أفعال ولا يقاس عليه ولكن ما جاء منه مسموعا أدي كما سمع، وكان على حذف الزائد، وأجاز الأخفش والفراء: «ويوم تقوم الأشهاد» بالتاء على تأنيث الجماعة، وفي الحديث عن أبي الدرداء وبعض المحدثين يقول عن النبي ﷺ قال: «**من رد عن عرض أخيه المسلم كان حقا على الله عز وجل أن يرد عنه نار جهنم**» ثم تلا: (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا)، وعنه ﷺ أنه قال: «من حمى مؤمنا من منافق يغتابه بعث الله ﷻ يوم القيامة ملكا يحميه من النار ومن ذكر مسلما بشيء يشينه به وقفه **الله** ﷻ على جسر من جهنم حتى يخرج مما قال» «يوم» بدل من يوم الأول. انظر: [تفسير القرطبي (15/ 322)].

﴿فَاصْبِرْ﴾ [غافر: 55] يا محمد ﷺ على إيذاء المشركين ﴿إِنَّ وَعْدَ اللهِ﴾ الصادق الوعد ﴿حَقٌّ﴾ بنصرك وظهور دينك ونصر أتباعك، ونسخت بآية القتال ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ﴾ صلاة العصر ﴿وَالْإِبْكَارِ﴾ الفجر، أو المراد: الصلوات الخمس.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ﴾ [غافر: 56] القرآن ﴿بِغَيْرِ سُلْطَانٍ﴾ برهان ﴿أَتَاهُمْ إِنْ﴾ ما ﴿فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾ عن الإيمان ﴿مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ أي: بالغي مقتضى الكبر، وهو العلو عليك ﴿فَاسْتَعِذْ﴾ من شرهم ﴿بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر: ٥٧ - ٦٠].

﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [غافر: 57] مع عظمهما ﴿أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ وأراد بعثهم في الآخرة، أو المراد بالناس: الدجال وقومه ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك، فهم كالأعمى ومن يعلمه كالبصير.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى﴾ [غافر: 58] الكافر ﴿وَالْبَصِيرُ﴾ المؤمن ﴿وَ﴾ لا ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وهم المحسنون ﴿وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ قرأ الكوفيون بالتاء من فوق، والباقون بالياء من أسفل؛ أي: تذكرهم قليل لا ينفع ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [غافر: 59].

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي﴾ [غافر: 60] اعبدوني ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ أثبكم ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ صاغرين.

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ

رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦١ - ٦٥].

﴿اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ [غافر: 61] بالنوم ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ مضيئًا للتصرف في الحوائج ﴿إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

﴿ذَلِكُمْ﴾ [غافر: 62] أي: جاعل هذه الأشياء ﴿اللهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ تصرفون عن الحق مع قيام الدلائل ﴿كَذَلِكَ﴾ [غافر: 63] مثل إفك هؤلاء ﴿يُؤْفَكُ﴾ يصرف ﴿الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ﴾.

﴿اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ [غافر: 64] فراشًا أو محل قرار؛ أي: نزول وسكن ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ سقفًا كالقبة ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ أي: من غير رزق الدواب، أو الحلال، أو المستلذ ﴿ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ﴾ [غافر: 65] أعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ الطاعة بلا إشراك ﴿الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال ابن عباس معناه: قولوا لا إله إلا الله والحمد لله.

﴿ ۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ

يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصۡرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلۡكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرۡسَلۡنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [غافر: ٦٦ - ٧٠].

﴿قُلْ﴾ [غافر: 66] يا محمد ﴿إِنّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ أي: تعبدون من غيره ﴿لَمَّا جَاءَنِيَ﴾ من ﴿الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قاله لما دعوه الكفار لعبادة الأوثان.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ [غافر: 67] لخلق آدم منه ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ دم غليظ ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ أي: أطفالاً ﴿ثُمَّ﴾ يحيكم ﴿لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ نهاية قوتكم من الثلاثين إلى الأربعين ﴿ثُمَّ﴾ يحيكم ﴿لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ﴾ أي: من قبل الأشد والشيخوخة ﴿وَلِتَبْلُغُوا﴾ أي: جعل ذلك لما ذكر ولتبلغوا ﴿أَجَلاً مُسَمًّى﴾ وقتًا محددًا، وهو نهاية الأجل ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ دلائل الوحدانية.

﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا﴾ [غافر: 68] أراد إيجاد شيء ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ﴾ [غافر: 69] عن التوحيد.

﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ﴾ [غافر: 70] القرآن ﴿وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة ذلك.

﴿ إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي ٱلۡحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمۡ نَكُن نَّدۡعُواْ مِن قَبۡلُ شَيۡـٔٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمۡ تَفۡرَحُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَمۡرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [غافر: ٧١ - ٧٧].

﴿إِذِ الأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ﴾ [غافر: 71] كذلك في الأعناق

﴿يُسْحَبُونَ﴾[1]. ﴿فِي الْحَمِيمِ﴾ [غافر: 72] جهنم ﴿ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ يوقدون.

﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ﴾ [غافر: 73] توبيخًا: ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾.

﴿مِنْ دُونِ اللهِ قَالُوا ضَلُّوا﴾ [غافر: 74] ذهبوا وغابوا ﴿عَنَّا﴾ فلا نراهم الآن ﴿بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا﴾ إمَّا أن يراد به: احتقار ما عبدوه من الأصنام، كقولك قولان ليس بشيء، أو يراد به: الإنكار، وعلى الثاني يؤتى بآلهتهم في النار ليروها ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل إضلال هؤلاء ﴿يُضِلُّ اللهُ الْكَافِرِينَ﴾.

ويقال لهم أيضًا: ﴿ذَلِكُمْ﴾ [غافر: 75] العذاب الذي نزل بكم ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ﴾ فرح بطر ﴿فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ تتوسعون في فرح البطر.

﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [غافر: 76].

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ﴾ [غافر: 77] بعذابهم ﴿حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ من العذاب في حياتك؛ أي: فقد بلغت مُناك وعلموا هلاكهم بلا ريبة ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل تعذيبهم ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ في الدار الآخرة فيجازيهم.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ

(1) السلاسل: معطوف على الأغلال، والتقدير: إذ الأغلال، والسلاسل في أعناقهم، ويجوز أن يرتفع السلاسل على أنه مبتدأ وخبره محذوف لدلالة في أعناقهم عليه، ويجوز أن يكون خبره (يُسْحَبُونَ فِي الحميم) بحذف العائد، أي: يسحبون بها في الحميم، وهذا على قراءة الجمهور برفع السلاسل، وقرأ ابن عباس، وابن مسعود، وعكرمة، وأبو الجوزاء بنصبها، وقرأوا: (يسحبون) بفتح الياء مبنيًا للفاعل، فتكون السلاسل مفعولاً مقدّمًا، وقرأ بعضهم بجرّ السلاسل. [فتح القدير (6/ 336)].

ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [غافر: ٧٨ - ٨١].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: 78] ومما ورد في عدد الأنبياء أنهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا، والرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ﴾ إرادة ﴿اللهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللهِ﴾ وهو القضاء بين الأنبياء والأمم في الدنيا بنزول العذاب، أو في الآخرة ﴿قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ الكافرون وهم خاسرون، قيل: ولكن الظهور في ذلك الوقت أكبر.

﴿اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا﴾ [غافر: 79] البعض ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ [غافر: 80] في الصوف والشعر والوبر واللبن ﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾ يحمل أثقالكم إلى البلاد ﴿وَعَلَيْهَا﴾ أي: الإبل في السير، ولا يعد للركوب من الأنعام إلا هي ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ في البحر.

﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ [غافر: 81] فيهما للدلالة على وحدانيته ﴿فَأَيَّ آيَاتِ اللهِ تُنْكِرُونَ﴾ أي: لا ينكر منها شيء؛ لأنها في نهاية الوضوح.

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [غافر: ٨٢ - ٨٥].

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ [غافر: 82] من قصور وغيرها ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ يفعلون من ذلك؛ أي: ما دفع عنهم شيئًا.

﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا﴾ [غافر: 83] رضوا ﴿بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ

﴿الْعِلْمِ﴾ في زعمهم وهو إنكار البعث والعذاب، أو ما عند الرسل من العلم فرح استهزاء وبطر ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ وهو العذاب.

﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [غافر: 84] شدة عذابنا ﴿قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾، ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ﴾ [غافر: 85] الكافرين وهي أنهم إذا علموا العذاب آمنوا، ولا ينفع ذلك ﴿وَخَسِرَ﴾ الدنيا والآخرة ﴿هُنَالِكَ﴾ عند نزول العذاب ﴿الْكَافِرُونَ﴾ أي: يبين خسرانهم، وهم خاسرون قبل ذلك في كل وقت.

سورة فصلت

مكية ثلاث وخمسون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٤ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٌ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٌ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٌ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ۝٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٍ ۝٨﴾ [فصلت: ١ – ٨].

﴿حم﴾ [فصلت: 1]

﴿تَنْزِيلٌ﴾ [فصلت: 2] للكتاب ﴿مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾[1] [فصلت: 3] ببيان الأحكام والقصص والمواعظ

---

(1) هذه السورة مكية بلا خلاف، ومناسبتها لما قبلها، أنه قال في آخر ما قبلها: (أفلم يسيروا في الأرض) إلى آخرها، فضمن وعيداً وتهديداً وتقريعاً لقريش، فأتبع ذلك التقريع والتوبيخ والتهديد بتوبيخ آخر، فذكر أنه نزل كتاباً مفصلاً آياته، بشيراً لمن اتبعه، ونذيراً لمن أعرض عنه، وأن أكثر قريش أعرضوا عنه. ثم ذكر قدرة الإله على إيجاد العالم العلوي والسفلي. ثم قال: (فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة)، فكان هذا كله مناسباً لآخر سورة المؤمن من عدم انتفاع مكذبي الرسل حين التبس بهم العذاب، وكذلك قريش حل بصناديدها من القتل والأسر والنهب والسبي، واستئصال أعداء رسول الله ﷺ ما حل بعاد وثمود من استئصالهم، روي أن عتبة بن ربيعة ذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليعظم عليه أمر مخالفته لقومه، وليقبح عليه فيما بينه وبينه، وليبعد ما جاء به. فلما تكلم عتبة، قرأ رسول الله ﷺ: (حم)، ومر في صدرها حتى انتهى إلى قوله: (فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود)، فأرعد الشيخ =

والأمثال، وما اشتمل عليه من أساليب البلاغة ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يفهمون بمفهوم ذلك.

﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [فصلت: 4] سماع طاعة.

﴿وَقَالُوا﴾ [فصلت: 5] أي: الكفار لمحمد ﷺ ﴿قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾ أغطية ﴿مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾ فلا نفقه قولك ﴿وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ﴾ صمم، فلا نسمع ما تقول، والمراد: إنهم جعلوا أنفسهم في ترك القبول بمنزلة من لا يسمع ولا يفهم ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ خلاف في الدين وحاجز فيما استحله ﴿فَاعْمَلْ﴾ على دينك ﴿إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾ على ديننا.

﴿قُلْ﴾ [فصلت: 6] يا محمد ﷺ ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ قال الحسن: علمه الله التواضع بذلك والمثلية في مجرد البشرية ﴿يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ من ذنوبكم ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾.

ووقف شعره، فأمسك على فم رسول الله ﷺ بيده، وناشده بالرحم أن يمسك، وقال حين فارقه: والله لقد سمعت شيئاً ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة، ولقد ظننت أن صاعقة العذاب على رأسي، (تنزيل)، رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف، أي هذا تنزيل عند الفراء، أو مبتدأ خبره (كتاب فصلت)، عند الزجاج والحوفي، وخبر (حم) إذا كانت اسماً للسورة، وكتاب على قول الزجاج بدل من تنزيل. قيل: أو خبر بعد خبر. (فصلت آياته)، قال السدي: بينت آياته، أي فسرت معانيه، ففصل بين حرامه وحلاله، وزجره وأمره، ووعده ووعيده. وقيل: فصلت في التنزيل: أي لم تنزل جملة واحدة. قال الحسن: بالوعد والوعيد. وقال سفيان: بالثواب والعقاب. وقال ابن زيد: بين محمد صلى الله عليه وسلم، ومن خالفه. وقيل: فصلت بالمواقف وأنواع، أو آخر الآي، ولم يكن يرجع إلى قافية ولا نحوها، كالشعر والسجع، وقال أبو عبد الله الرازي: ميزت آياته، وجعل تفاصيل معان مختلفة، فبعضها في وصف ذات الله تعالى، وشرح صفات التنزيه والتقديس، وشرح كمال علمه وقدرته ورحمته وحكمته، وعجائب أحوال خلقه السموات والكواكب، وتعاقب الليل والنهار، وعجائب أحوال النبات والحيوان والإنسان؛ وبعضها في أحوال التكاليف المتوجهة نحو القلب ونحو الجوارح، وبعضها في الوعد والوعيد، والثواب والعقاب، ودرجات أهل الجنة ودركات أهل النار؛ وبعضها في المواعظ والنصائح؛ وبعضها في تهذيب الأخلاق ورياضة النفس؛ وبعضها في قصص الأولين وتواريخ الماضين. وبالجملة، فمن أنصف، علم أنه ليس في بدء الخلق كتاب اجتمع فيه من العلوم والمباحث المتباينة مثل ما في القرآن. انظر [تفسير البحر المحيط (9 /436)].

﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [فصلت: 7] زكاة الأنفس وهي لا إله إلا الله، فالمراد: لا يطهرون أنفسهم من الشرك أو لا يقرون بوجوب الزكاة ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [فصلت: 8] غير مقطوع ولا منقوص.

﴿ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (١٢) فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ (١٣) إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۖ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ (١٤) ﴾ [فصلت: ٩ - ١٤].

﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: 9] الأحد والاثنين ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا﴾ شركاء ﴿ذَلِكَ﴾ الخالق ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿وجَعَلَ فِيهَا﴾ [فصلت: 10] في الأرض ﴿رَوَاسِيَ﴾ جبالاً ثوابت ﴿مِنْ فَوْقِهَا﴾ أي: من فوق الأرض ﴿وَبَارَكَ فِيهَا﴾ أي: في الأرض بخلق البحار والأنهار والثمار والأشجار ﴿وَقَدَّرَ﴾ قسم ﴿فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ من أرزاق العباد والبهائم، وجعل في كل بلد ما لم يجعل في الأخرى؛ ليعيش بعضهم من بعض ﴿فِي﴾ تمام ﴿أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ يوم الثلاثاء والأربعاء مع اليومين قبلهما ﴿سَوَاءً﴾ أي: استوت الأربعة استواء لا يزيد ولا ينقص ﴿لِلسَّائِلِينَ﴾ عن خلق الأرض، قرأ أبو جعفر برفع «سواء» ويعقوب بخفضه والباقون بنصبه.

﴿ثُمَّ اسْتَوَى﴾ [فصلت: 11] قصد ﴿إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ وكان ذلك الدخان بخار الماء ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا﴾ إلى مرادي منكما ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا

طَائِعِينَ﴾.

﴿فَقَضَاهُنَّ﴾ [فصلت: 12] أي: صير السماوات ﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ أي: أتمهن، وذلك في يوم الخميس والجمعة، وانتهى ذلك في آخر ساعة منها، وفيها خلق آدم ووافق ما هنا آيات ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الحديد: 4] ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ من الطاعة والعبادة والأمر والنهي، أو خلق في كل واحدة خلقًا من الشمس والقمر والنجوم ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ كواكب ﴿وَحِفْظًا﴾ أي: وحفظناها حفظًا بالكواكب من الشياطين المسترقين للسمع ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور من ﴿تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ [فصلت: 13] أي: كفار مكة عن الإيمان بعد هذا البيان الجلي ﴿فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ﴾ خوفتكم ﴿صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ أي: هلاكًا مثل هلاكهم.

﴿إِذْ جَاءَتْهُمُ﴾ [فصلت: 14] أي: عادًا وثمود ﴿الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ وهم من أرسل لآبائهم قبلهم ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ الرسل الذين أرسلوا إليهم بعد الرسل إلى آبائهم، فالضمير في «أيديهم» راجع لعاد وثمود، وفي «خلفهم» للرسل، أو المراد: مقبلين بالدعاء لهم ومدبرين عن إعراضهم ﴿أَنْ﴾ بأن ﴿لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ﴾ بدل الرسل من البشر ﴿مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾.

﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[فصلت: ١٥ - ٢٠].

ثم أخذ في ذكر حال الطائفتين فقال: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا﴾ [فصلت: 15] لما هددهم هود بالعذاب ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ فنحن نقدر على

دفع العذاب بقوتنا، وكانوا ذوي أجسام طوال، يقلع الواحد منه الصخرة العظيمة من الجبل فجعلها حيث شاء، فرد الله عليهم بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ يعلموا ﴿أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ [فصلت: 16][1] وهي العاصف، الشديد الصوت، الكثير البرد بلا مطر ﴿فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ﴾ بكسر الحاء لأبي جعفر وابن عامر والكوفيون والباقون بإسكانها؛ أي: مشئومات عليهم ﴿لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ﴾ الذل ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى﴾ أشد خزيًا وإهانة لهم ﴿وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ﴾ لا يمنعون.

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ [فصلت: 17] بيَّنا لهم سبل الهدى ﴿فَاسْتَحَبُّوا﴾ اختاروا ﴿الْعَمَى﴾ وهو الكفر ﴿عَلَى الْهُدَى﴾ وهو الإيمان ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ﴾ ذي الإهانة لهم ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [فصلت: 18].

﴿وَ﴾ [فصلت: 19] اذكر ﴿يَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللهِ﴾ قرأ نافع ويعقوب «نحشر» بالنون وفتحها وضم الشين، «أعداء الله» بالنصب، والباقون بالياء من أسفل مضمومة وفتح الشين ورفع «أعداء» ﴿إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ يجمعون أو يساقون.

﴿حَتَّى إِذَا مَا﴾ [فصلت: 20] زائدة للتأكيد ﴿جَاءُوهَا﴾ أي: النار ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ

---

(1) قال الطبري في «تفسيره»: عن قتادة، في قوله: (رِيحًا صَرْصَرًا) قال: «باردة». وعن السديّ (رِيحًا صَرْصَرًا) قال: «باردة ذات الصوت». وعن الضحاك يقول في قوله: (رِيحًا صَرْصَرًا) يقول: «ريحًا فيها برد شديد». وأولى القولين في ذلك بالصواب قول مجاهد، وذلك أن قوله: (صَرْصَرًا) إنما هو صوت الريح إذا هبت بشدة، فسمع لها كقول القائل: «صرر» ثم جعل ذلك من أجل التضعيف الذي في الراء، فقال: «ثم أبدلت إحدى الراءات صادًا لكثرة الراءات، كما قيل في ردده: «ردرده» وفي نههه: «نهنهه» كما قال رؤبة:

فالْيَوْمَ قَدْ تُنَهْنِهُنِي ... وَأَوَّلُ حِلْمٍ لَيْسَ بِالْمُسَفَّهِ

وكما قيل في كففه: «كفكفه» كما قال النابغة:

أُكَفْكِفُ عَبْرَةً غَلَبَتْ عُدَاتِي ... وَأَوَّلُ حِلْمٍ لَيْسَ بِالْمُسَفَّهِ

وقد قيل: «إن النهر الذي يسمى صرصرًا، إنما سمي بذلك لصوت الماء الجاري فيه، وإنه «فعلل» من صرر نظير الريح الصرصر. انظر [« جامع البيان في تأويل القرآن » (445/21)].

سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا.

﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١) وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ (٢٤)﴾ [فصلت: ٢١ - ٢٤].

﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا﴾ [فصلت: 21] أي: الجلود لهم ﴿أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أي: أراد نطقه ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ في الآخرة، فكما قدر على ذلك قدر على إنطاق الجلود، قيل: هذا من كلام الجلود، وقيل: من كلام الله تعالى.

﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ [فصلت: 22] عند ارتكاب الفواحش؛ أي: تستخفون من ﴿أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ﴾ عند استتاركم ﴿أَنَّ اللهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ﴾ [فصلت: 23] وهو أنه ﴿لاَ يَعْلَمُ﴾ [يونس: 18] إلى آخره ﴿أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ﴾ صرتم ﴿مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

﴿فَإِنْ يَصْبِرُوا﴾ [فصلت: 24] أي: الكفار على العذاب ﴿فَالنَّارُ مَثْوًى﴾ منزل ﴿لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا﴾ يطلبوا العتبى؛ أي: الرضا منه ﴿فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ المرضين؛ أي: لا يرضى عنهم.

﴿۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ (٢٥) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (٢٦) فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٧) ذَٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ

لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فصلت: ٢٥ - ٢٨].

﴿وَقَيَّضْنَا﴾ [فصلت: 25] بعثنا وسببنا ﴿لَهُمْ قُرَنَاءَ﴾ نظراء مقترنين مصاحبين لهم من الشياطين ﴿فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمر الدنيا فآثروه على الآخرة ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمر الآخرة فدعوهم لتكذيبه ﴿وَحَقَّ﴾ وجب ﴿عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ بالعذاب، وهو ﴿لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [السجدة: 13] ﴿فِي أُمَمٍ﴾ أي: في جملتهم، أو معهم ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ مضت ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [فصلت: 26] من أهل مكة لبعضهم ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾ الغطوا بالمكاء والصفير والرجز والشعر، والصياح عند القراءة ﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ عليه فيسكت.

فتوعدهم الله على ذلك بقوله: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ﴾ [فصلت: 27] أقبح ﴿الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا وهو الشرك؛ أي: جزاء ذلك.

﴿ذَلِكَ﴾ [فصلت: 28] العذاب ﴿جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾ الإقامة لا يخرجون من النار ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت: ٢٩ - ٣٣].

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [فصلت: 29] وهم في النار ﴿رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ﴾ وهو إبليس ﴿وَالْإِنْسِ﴾ قابيل بن آدم؛ لأنهما أول من سن المعصية، وهي الكفر والقتل من الطائفتين ﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾ في النار ﴿لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ في

الدرك الأسفل، أو أشد عذابًا منًّا.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ [فصلت: 30] فلم يشركوا، أو أطاعوا بلا معصية، أو أخلصوا العمل له ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ﴾ عند الموت، أو إذا أقاموا من قبورهم، أو عند البعث ﴿الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا﴾ أي: بألّا تخافوا من الموت ولا مما تقدمون عليه ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على ما خلفتم من أهل وولد، فإن تخلفكم في ذلك ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ﴾ [فصلت: 31] وهو من قول الملائكة لهم ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أنصاركم وأحباؤكم فيها ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ أيضًا يكون معكم حتى تدخلون الجنة، وهل هم الحفظة أو جميع الملائكة؟ الأقرب الثاني ﴿وَلَكُمْ فِيهَا﴾ في الجنة ﴿مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ تطلبون ﴿نُزُلًا﴾ [فصلت: 32] رزقًا معدًا لكم ﴿مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: 33] أي: لا أحد أحسن قولاً منه وهل هو كل مسلم أو المؤذن، وعمله الصالح صلاته وصومه، أو صلاته ركعتين بين الأذان والإقامة، أو النبي ﷺ، أقوال، أصحهما الأول.

﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ ﴾ [فصلت: ٣٤ - ٣٨].

﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ [فصلت: 34] في الثواب ﴿ادْفَعْ﴾ أي: السيئة ﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي: بالخصلة التي هي أحسن، كالغضب بالصبر والجهل بالحلم

والإساءة بالعفو، وإذا لقيت المسيء فسلم عليه، وإذا سبَّك فقل: إن كنت صادقًا غفر الله لي وإلا غفر لك ﴿فَإِذَا﴾ فعلت ذلك صار ﴿الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ﴾ ناصر ﴿حَمِيمٌ﴾ قريب في محبته.

﴿وَمَا يُلَقَّاهَا﴾ [فصلت: 35] أي: يؤتى الخصلة التي هي أحسن ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على كظم الغيظ واحتمال الإساءة ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ﴾ ثواب ﴿عَظِيمٍ﴾ وهو الجنة ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ﴾ [فصلت: 36] يصرفنك عن الخير ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ من الإنس والجن ﴿نَزْغٌ﴾ صارف ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللهِ﴾ يدفعه عنك ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[1].

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: 37].

﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا﴾ [فصلت: 38] عن السجود لله وحده ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ وهم الملائكة ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي: يصلون ويسجدون ﴿وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ لا يملون ولا يفترون.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا

---

(1) فهذه ثلاث آيات ليس لهن رابعة في معناها، وهو أن الله يأمر بمصانعة العدو الإنسي والإحسان إليه، ليرده عنه طبعُهُ الطَّيب الأصل إلى الموادة والمصافاة، ويأمر بالاستعاذة به من العدو الشيطاني لا محالة؛ إذ لا يقبل مصانعة ولا إحسانًا، ولا يبتغي غير هلاك ابن آدم، لشدة العداوة بينه وبين أبيه آدم من قبل، كما قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: 27] وقال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: 6] وقال: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: 50] وقد أقسم للوالد إنه لمن الناصحين، وكذب، فكيف معاملته لنا وقد قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: 82 - 83] وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: 98- 99]، قالت طائفة من القراء وغيرهم: «نتعوذ بعد القراءة» واعتمدوا على ظاهر سياق الآية، ولدفع الإعجاب بعد فراغ العبادة، وممن ذهب إلى ذلك حمزة فيما ذكره ابن قلوقا عنه، وأبو حاتم السجستاني، حكى ذلك أبو القاسم يوسف بن علي بن جُبارة الهذلي المغربي في كتاب «الكامل» [انظر: تفسير ابن كثير (110/1)].

يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ﴿٤١﴾ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٖ ﴿٤٣﴾ ﴾ [فصلت: ٣٩ - ٤٣].

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ [فصلت: 39] غير يابسة بلا نبت ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ﴾ تحركت ﴿وَرَبَتْ﴾ علت ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ [فصلت: 40] يميلون ﴿فِي آيَاتِنَا﴾ القرآن عن الحق ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ نزلت في أبي جهل؛ أي: فيجازيهم ﴿أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ﴾ وهو أبو جهل، والعبرة بعموم اللفظ ﴿خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ من العذاب، وهو حمزة أو عثمان أو عمار بن ياسر؛ أي: إلا من خير ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ تهديد لهم ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ عليم، فيجازيكم به.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ﴾ [فصلت: 41] القرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ أي: يجازيهم الله بكفرهم ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي: الذكر ﴿لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ منيع لا يعارض بمثله؛ إذ هو ليس بمخلوق، ولا يمكن الإتيان بمثل نظمه وفصاحته.

﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ [فصلت: 42] فلم يكذبه قبله كتاب ﴿وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ فلن يكذبه بعده كتاب، ولا يمكن الزيادة فيه ولا النقص ولا التبديل؛ لحفظ الله تعالى له ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾.

ثم سلى نبيه ﷺ بقوله: ﴿مَا يُقَالُ لَكَ﴾ [فصلت: 43] من الإيذاء بالتكذيب ﴿إِلَّا﴾ مثل ﴿مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾ إذ كفر بهم قومهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ لكل مؤمن ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ لكل كافر.

﴿ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۚ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ

عَمًى أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكّٖ مِّنْهُ مُرِيبٖ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٖ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِي قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٖ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُۖ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ﴿٤٨﴾ ﴾ [فصلت: ٤٤ - ٤٨].

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ﴾ [فصلت: 44] أي: الذكر ﴿قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا﴾ بغير لغة العرب ﴿لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ﴾ بينت ﴿آيَاتُهُ﴾ بالعربي لنفهمها ﴿أَأَعْجَمِيٌّ﴾ أي: أكتاب أعجمي ﴿وَ﴾ رسول ﴿عَرَبِيٌّ﴾ أي: لقالوه مرادًا به الإنكار ﴿قُلْ هُوَ﴾ أي: الكتاب ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَشِفَاءٌ﴾ من الأدواء الباطنة والظاهرة؛ إذ ثبت أن النبي ﷺ قال في الفاتحة: «وما أدراك أنها رقية»[1] ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾ صمم، فلا يعقلونه وإن سمعوه ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ فلا يفهمونه فهْم انتفاع ﴿أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ أي: حالهم كحال المنادي منه، فلا يسمع ولا يفهم.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ [فصلت: 45] التوراة ﴿فَاخْتُلِفَ فِيهِ﴾ فمن مصدق ومن مكذب كما وقع في القرآن ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ بتأخير الحساب والجزاء للساعة ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ في الدنيا في المختلف فيه ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾ من صدقه ﴿مُرِيبٍ﴾ موقع للريبة.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ [فصلت: 46] عمل ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ إذ الضرر راجع إليه ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ أي: ظالم.

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [فصلت: 47] لا يعلم وقتها إلا هو ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ﴾ بالإفراد بغير ألف للبصريين، وابن كثير وحمزة والكسائي وخلف وأبي بكر

---

(1) رواه البخاري (179/19)، ومسلم (424/14).

والباقون بالألف جمعًا ﴿مِنْ أَكْمَامِهَا﴾ أوعيتها، جمع «كم» بكسر الكاف، والمراد: إلا بعلمه، بدليل قوله: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ﴾ أعلمناك ﴿مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ﴾ الآن بأن لك شريكًا وذلك في يوم القيامة.

﴿وَضَلَّ﴾ [فصلت: 48] ذهب وبطل ﴿عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: يعبدون في الدنيا من الأوثان ﴿وَظَنُّوا﴾ أيقنوا ﴿مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ مهرب من العذاب.

﴿ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾ ﴾ [فصلت: ٤٩ - ٥٤].

﴿لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ﴾ [فصلت: 49] المراد به هنا: الكافر؛ أي: لا يمد ﴿مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾ بكثرة المال والولد والعمر ﴿وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ كجدب ومرض ﴿فَيَئُوسٌ﴾ من رحمة الله ﴿قَنُوطٌ﴾.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ﴾ [فصلت: 50] أتيناه ﴿رَحْمَةً﴾ خيرًا وعافية ﴿مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ﴾ كشدة وبلاء إصابة ﴿لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ أي: بعملي، وأنا حقيق به ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى﴾ أي: الجنة ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ شديد الإيلام لهم.

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ [فصلت: 51] هذه في الجنس كله ﴿أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾ فلا يشكر ويتبختر في مشيته ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ الشدة والبلاء ﴿فَذُو دُعَاءٍ

عَرِيضٍ﴾ كثير.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ﴾ [فصلت: 52] أي: القرآن ﴿مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ كما قال محمد ﷺ ﴿ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ﴾ أي: لا أحد أضل ﴿مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ خلاف للحق بعيد عنه.

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ﴾ [فصلت: 53] أي: في أقطار الأرض وأفاق السماء من نبات وشجر وهلاك أناس وترك دورهم داثرة دلالة عليهم ﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ بما وقع لهم في بدر وفتح مكة، أو المراد: من لطيف خلقتهم وعجيب الصنع فيها ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ﴾ أي: القرآن ﴿الْحَقُّ﴾ فإذا تبين عرفوا بكفرهم وعوقبوا به ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي: أولم يكفهم في صدقك، إن ربك لا يغيب عنه شيء وفهم منه، إنه مطلع عليهم فيجازيهم بما علمه منهم.

﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ﴾ [فصلت: 54] شك ﴿مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ إذ أنكروا البعث ﴿أَلَا إِنَّهُ﴾ تعالى ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ علمًا وقدرة، فيجازي كلاً بعمله.

سورة الشورى

مكية إلا قوله: ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ﴾ [الشورى: 23] الآيات الأربع خمسون أو ثلاث وخمسون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ ﴾ [الشورى: ١ - ٦].

﴿حم﴾ [الشورى: 1].

﴿عسق﴾ [الشورى: 2] إشارة إلى حليم، مقيت، عليم، سميع، قادر.

﴿كَذَلِكَ﴾ [الشورى: 3] مثل الوحي السابق ﴿يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ قرأ ابن كثير بفتح الحاء والباقون بكسرها ﴿اللهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ [الشورى: 4] على كل أحد ﴿الْعَظِيمُ﴾ الكبير.

﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾ [الشورى: 5] فينشق كل واحدة من عظمة الله ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ من المؤمنين ﴿أَلَا إِنَّ اللهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ﴾ [الشورى: 6] الأصنام ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ أربابًا ﴿اللهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ﴾ يحفظ أعمالهم ويجازيهم بها ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ لم توكل بتحصيل المطلوب منهم حتى تؤاخذ بذنوبهم.

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ ﴾ [الشورى: ٧ - ١٠].

﴿وَكَذَلِكَ﴾ [الشورى: 7] مثل الإيحاء السابق ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى﴾[1] مكة؛ أي: أهلها ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ وهي الأرض كلها ﴿وَتُنْذِرَ﴾ الخلق ﴿يَوْمَ الْجَمْعِ﴾ أي: به، وهو يوم القيامة يجمع الله كل حي ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ في الجمع إنه كائن، ثم بعد الجمع يتفرقون ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [الشورى: 8] على دين واحد وهو الإسلام ﴿وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ أي: في دين الإسلام ﴿وَالظَّالِمُونَ﴾ الكافرون ﴿مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ يمنعهم منه.

﴿أَمِ﴾ [الشورى: 9] بل ﴿اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ﴾ من غيره ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ أي: ليس المتخذون وهم الأصنام أولياء ﴿فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾ لا غيره ﴿وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الشورى: 10] من أمر الدين وغيره ﴿فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي: يفصل بينكم فيه في القيامة ﴿ذَلِكُمُ﴾ المجيء الموصوف بالصفات ﴿اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ أرجع.

---

(1) لأن كونه عربياً يليق بحال المنذَرين به وهم أهل مكّة ومَن حولها، فأولئك هم المخاطبون بالدِّين ابتداء لما اقتضته الحكمة الإلهية من اختيار الأمة العربية لتكون أوّل من يتلقّى الإسلام وينشره بين الأمم، ولو روعي فيه جميع الأمم المخاطبين بدعوة الإسلام لاقتضى أن ينزل بلغات لا تُحصى، فلا جرم اختار الله له أفضل اللّغات واختار إنزاله على أفضل البشر. [«التحرير والتنوير» (84/13)].

﴿ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾ [الشورى: ١١ - ١٣].

﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [الشورى: 11] أي: من البشر؛ إذ خلق حواء من ضلع آدم ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾ أصنافًا ذكورًا وإناثًا ﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾ يخلقكم ﴿فِيهِ﴾ في الجعل المذكور بالتأنس ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[1] الكاف زائدة؛ لأنه تعالى لا مثل له ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[2] [الشورى: 12] مفاتيح الرزق فيهما ﴿يَبْسُطُ

---

(1) إن قيل لك المِثل بكسر الميم وسكون الثاء وبفتح الميم والثاء واحد، فكيف الجمع بين قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وبين قوله: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل: 60] وبين قوله: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾ فقل: وما توفيق العبد إلا بالله سيده ومولاه: إن كانا واحدًا لغةً فالمثل قد أُثبت للحقيقة التي هي الهوية بقوله: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾، ولاسم الجلالة بقوله: ﴿وَلله الْمَثَلُ الأَعْلَى﴾، ولنور الله بقوله: ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ ونُفي عن مثل الهوية بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وأثبت المثل للنور بقوله: ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ هذا المشكاة أمرٌ وهميٌّ ليس غير؛ لأنه في الحس فراغ متوهم وخلاء، والخلاء ثابت وهمًا فقط، فهو في الحس والكون لا شيء، فلا يلزم من كونه كائنًا أن يكون ذلك الأمر شيئًا. وإنما قال: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾ [النور: 35]؛ ليثبت أنه ليس له مثل حقيقي؛ إذ الظاهر منه في المظاهر هو بالحقيقة، ومثاله بالوهم ليس إلا كالذي تراه منك بواسطة المرايا الصقيلة، ﴿يَهْدِي الله لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ الله الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ [النور: 35] أي يبين الله الأمثال للناس، فافهم.

(2) ﴿لَّهُ مَقَالِيدُ * السموات والارض﴾ أي: مفاتيحها كما قال ابن عباس، والحسن، وقتادة، وغيرهم فقيل: هو جمع لا واحد له من لفظه، وقيل: جمع مقليد، وقيل: جمع مقلاد من التقليد بمعنى الإلزام ومنه تقليد القضاء، وهو إلزامه النظر في أموره، وكذا القلادة للزومها للعنق، وجعل اسمًا للآلة المعروفة للإلزام بمعنى الحفظ، وهو على جميع هذه الأقوال عربي، والأشهر الأظهر كونه معرباً فهو جمع اقليد معرب إكليد وهو جمع شاذ؛ لأن جمع «افعيل» على «مفاعيل» مخالف =

الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ يضيق للامتحان ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [الشورى: 13] أي: وشرع ما اشتمل عليه القرآن وشرع ﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾ وذلك المشروع ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ﴾ عظم عليهم ﴿مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ من التوحيد ﴿اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ﴾ يوصل إلى العلم به وتوحيده ﴿مَنْ يُنِيبُ﴾ يرجع عن المعاصي.

=

للقياس، وجاء أقاليد على القياس ويقال في اكليد كليد بلا همزة، وذكر الشهاب أنه بلغة الروم اقليدس وكليد واكليد منه، والمشهور أن كليد فارسي، ولم يشتهر في الفارسية اكليد بالهمزة، وله مقاليد كذا قيل: مجاز عن كونه مالك أمره ومتصرفاً فيه بعلاقة اللزوم، ويكنى به عن معنى القدرة والحفظ، وجوز كون المعنى الأول كنائياً لكن قد اشتهر فنزل منزلة المدلول الحقيقي فكنى به عن المعنى الآخر فيكون هناك كناية على كناية وقد يقتصر على المعنى الأول في ازرادة وعليه قيل هنا المعنى لا يملك أمر السماوات والأرض، ولا يتمكن من التصرف فيها غيره ﷻ، والبيضاوي بعد ذكر ذلك قال: هو كناية عن قدرته تعالى وحفظه لها وفيه مزيد دلالة على الاستقلال والاستبداد لمكان اللام والتقديم، وقال الراغب: مقاليد السماوات والأرض ما يحيط بها، وقيل: خزائنها، وقيل: مفاتيحها، والإشارة بكلها إلى معنى واحد وهو قدرته تعالى عليه وحفظه لها انتهى.

وجوز أن يكون المعنى لا يملك التصرف في خزائن السماوات والأرض؛ أي: ما أودع فيها واستعدت له من المنافع غيره تعالى، ولا يخفى أن هذه الجملة إن كانت في موضع التعليل لقوله سبحانه: ﴿وَهُوَ على كُلِّ شَيْء وَكِيلٌ﴾ [الزمر: 62] على المعنى الأول فالأظهر الاقتصار في معناها على أنه لا يملك أمر السماوات والأرض؛ أي: العالم بأسره غيره تعالى، فكأنه قيل: تعالى يتولى التصرف في كل شيء لأنه لا يملك أمره سواه ﷻ، وإن كانت تعليلاً له على المعنى الثاني فالأظهر الاقتصار في معناها على أنه لا قدرة عليها لأحد غيره جل شأنه فكأنه قيل: هو تعالى يتولى حفظه كل شيء لأنه لا قدرة لأحد عليه غيره تعالى، وجوز أن تكون عطف بيان للجملة قبلها وأن تكون صفة ﴿وَكِيلٌ﴾ وأن تكون خبرًا بعد خبر فأمعن النظر في ذلك وتدبر، وأخرج أبو يعلى ، ويوسف القاضي في «سننه». وأبو الحسن القطان في المطولات، وابن السني في عمل اليوم والليلة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم وابن مردويه عن عثمان بن عفان - رضي الله تعالى عنه - قال: «سألت رسول الله ﷺ عن قول الله تعالى: (له مقاليد السموات والأرض) فقال: «لا إله إلا الله، والله أكبر سبحان الله، والحمد لله استغفر الله الذي لا إله إلا هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، يحيى ويميت، وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير». [انظر: تفسير الألوسي (18 /10)].

﴿ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ﴾ [الشورى: ١٤ - ١٦].

﴿وَمَا تَفَرَّقُوا﴾ [الشورى: 14] أي: أهل الملك بأن آمن بعض وكفر بعض ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ أي: التوحيد على ألسنة الرسل عليهم الصلاة والسلام ﴿بَغْيًا﴾ من الكافرين ﴿بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ بتأخير الجزاء ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ وهو الساعة ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ بين المؤمنين والكافرين فعذب الكافرين في الدنيا ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا﴾ أعطوا ﴿الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي: من بعد الأمم السابقة، وهم العرب ﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾ من محمد ﷺ ﴿مُرِيبٍ﴾ موقع للشك العظيم.

﴿فَلِذَلِكَ﴾ [الشورى: 15] التوحيد ﴿فَادْعُ وَاسْتَقِمْ﴾ على الدين ﴿كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ في مخالفته ﴿وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ كِتَابٍ﴾ أي: بالكتب كلها ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ﴾ أي: لأن أعدل ﴿بَيْنَكُمُ﴾ في الحكم ﴿اللهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ فكل يجاز به الله بعمله ﴿لَا حُجَّةَ﴾ لا خصومة ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ ونسخ ذلك بآية القتال ﴿اللهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ وبينكم في المعاد لفصل القضاء ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ المرجع.

﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ﴾ [الشورى: 16] يخاصمون ﴿فِي﴾ دين ﴿اللهِ﴾ نبيه محمدًا ﷺ، وهم اليهود قالوا: نبينا وكتابنا قبل نبيكم وكتابكم ﴿مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ﴾ بالإيمان لظهور معجزته ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ خصومتهم باطلة ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾.

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ

﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [الشورى: ١٧ - ٢١].

﴿اللهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ﴾ [الشورى: 17] القرآن ﴿بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾ العدل ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ يعلمك ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾[1] والمراد: قرب إتيانها، نزلت لما قال الكفار

---

(1) فقوله: (الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان) تمهيد لقوله: (وما يدريك لعل الساعة قريب) لأن قوله: (وما يدريك لعل الساعة قريب) يؤذن بمقدر يقتضيه المعنى، تقديره: فجُعل الجزاء للسائرين على الحق والناكبين عنه في يوم السّاعة فلا محيصٍ للعباد عن لقاء الجزاء وما يدريك لعل الساعة قريب، فهو ناظر إلى قوله: (إن الساعة آتية أكاد أُخْفِيها لتُجزى كلُّ نفسٍ بما تسعى) [طه: 15]. وهذه الجملة موقعها من جملة (والذين يحاجون في الله) [الشورى: 16] موقع الدّليل، والدليلُ من ضروب البيان، ولذلك فصلت الجملة عن التي قبلها لشدة اتصال معناها بمعنى الأخرى.

والإخبار عن اسم الجلالة باسم الموصول الذي مضمون صلته إنزالُه الكتابَ والميزانَ، لأجل ما في الموصولية من الإيماء إلى وجه بناء الخبر الآتي، وأنه من جنس الحق والعدل، مثل الموصول في قوله تعالى: (إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنّم داخرين) [غافر: 60].

ولام التعريف في الكتاب لتعريف الجنس، أي: إنزال الكُتب وهو ينظر إلى قوله آنفاً: (وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب) [الشورى: 15] والباء في (بالحق) للملابسة، أي أنزل الكتب مقترنة بالحق بعيدة عن الباطل.

والحق: كلّ ما يَحق، أي يجب في باب الصلاح عملُه ويصح أن يفسر بالأغراض الصحيحة النافعة.

و (الميزان)حقيقته: آلة الوزن، والوزن: تَقديرُ ثِقَل جسم، والميزان آلة ذات كفتين معتدلتين معلقتين في طرفي قضيب مستوٍ معتدل، له عروة في وسطه، بحيث لا تتدلى إحدى الكفتين على الأخرى إذا أُمسك القضيب من عُروته. والميزان هنا مستعار للعدل والهدْي بقرينة قوله (أنزل)
=

تكذيبًا بها: متى الساعة؟

﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ [الشورى: 18] يقولون: متى تأتي؟ ظنًا منهم أنها غير آتية ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ﴾ خائفون ﴿مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ﴾ يخاصمون ويجادلون ﴿فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ عن الحق.

﴿اللهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ [الشورى: 19] هو اللطيف الرازق لكل بر وفاجر، أو الرفيق، أو البر عبارات متقاربة ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ بلا حجر عليه ﴿وَهُوَ الْقَوِيُّ﴾ على مراده ﴿الْعَزِيزُ﴾ الذي لا يغالب.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ﴾ [الشورى: 20] بعمله ﴿حَرْثَ﴾ كسب ﴿الْآخِرَةِ﴾ وهو الثواب ﴿نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ بمضاعفة الواحد للعشرة إلى ما يشاء الله ﴿وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ الذي قسم له ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ حظ.

وعن أبي هريرة قال: تلا رسول الله ﷺ ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ﴾ [الشورى: 20] ثم قال: «**يقـــول الله: ابن آدم تفرغ لعبادتي، أملأ صدرك غنى وأسد فقرك، وإلّا تفعل ملأت صدرك شغلاً ولم أسد فقرك**»[1].

﴿أَمْ﴾ [الشورى: 21] بل ﴿لَهُمْ﴾ لكفار مكة ﴿شُرَكَاءُ﴾ شياطين ﴿شَرَعُوا﴾ أي: الشركاء ﴿لَهُمْ﴾ للكفار ﴿مِنَ الدِّينِ﴾ الفاسد ﴿مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ﴾ كالشرك ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ﴾ بتأخير العذاب للساعة ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ بأن عذب الكافر في الدنيا ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ المشركين ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة.

﴿ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ

=

فإن الدّين هو المنزل والدّين يدعو إلى العدل والإنصاف في المجادلة في الدّين وفي إعطاء الحقوق، فشبه بالميزان في تساوي رجحان كفتيه. انظر: [التحرير والتنوير(107/13)].

(1) رواه الترمذي (349/9).

غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾﴾ [الشورى: ٢٢ - ٢٦].

﴿تَرَى الظَّالِمِينَ﴾ [الشورى: 22] المشركين يوم القيامة ﴿مُشْفِقِينَ﴾ خائفين على وجل ﴿مِمَّا كَسَبُوا﴾ في الدنيا من القبائح أن يجازوا بها ﴿وَهُوَ﴾ أي: جزاء ما كسبوا ﴿وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ لا بدّ منه ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ﴾ أنزهها وأحسنها ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾[1].

---

(1) قرأ الجمهور: (وإن الظالمين) بكسر الهمزة على الاستئناف. وقرأ مسلم، والأعرج، وابن هرمز بفتحها عطفاً على (كلمة الفصل). (تَرَى الظالمين مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ) أي: خائفين وجلين مما كسبوا من السيئات، وذلك الخوف، والوجل يوم القيامة (وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ) الضمير راجع إلى ما كسبوا بتقدير مضاف قاله الزجاج، أي: وجزاء ما كسبوا واقع منهم نازل عليهم لا محالة أشفقوا، أو لم يشفقوا، والجملة في محل نصب على الحال. ولما ذكر حال الظالمين ذكر حال المؤمنين، فقال: (والذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات فِى روضات الجنات) روضات جمع روضة قال أبو حيان: اللغة الكثيرة تسكين الواو، ولغة هذيل فتحها، والروضة: الموضع النزه الكثير الخضرة، وقد مضى بيان هذا في سورة الروم، وروضة الجنة: أطيب مساكنها كما أنها في الدنيا لأحسن أمكنتها (لَهُم مَّا يَشَاءونَ عِندَ رَبّهِمْ) من صنوف النعم، وأنواع المستلذّات، والعامل في عند ربهم «يشاءون»أو العامل في «روضات الجنات» وهو: الاستقرار، والإشارة بقوله: (ذلك) إلى ما ذكر للمؤمنين قبله، وخبره الجملة المذكورة بعده، وهي (هُوَ الفضل الكبير) أي: الذي لا يوصف، ولا تهتدي العقول إلى معرفة حقيقته.

والإشارة بقوله: (ذَلِكَ الذى يُبَشّرُ الله عِبَادَهُ) إلى الفضل الكبير، أي: يبشرهم به. ثم وصف العباد بقوله: (الذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات)، فهؤلاء الجامعون بين الإيمان، والعمل بما أمر الله به، وترك ما نهى عنه هم: المبشرون بتلك البشارة، قرأ الجمهور: (يبشر) مشدّداً من بشر. وقرأ مجاهد، وحميد بن قيس بضم التحتية، وسكون الموحدة، وكسر الشين من أبشر، وقرأ بفتح التحتية، وضم الشين بعض السبعة، وقد تقدّم بيان القراءات في هذه اللفظة، ثم لما ذكر سبحانه ما أخبر به نبيه صلى الله عليه وسلم من هذه الأحكام الشريفة التي اشتمل عليها كتابه، أمره بأنه يخبرهم بأنه لا يطلب منهم بسبب هذا التبليغ ثواباً منهم، فقال: (قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً) أي: قل يا محمد: لا أطلب منكم على تبليغ الرسالة جعلا، ولا نفعاً (إِلاَّ المودة فِى القربى) هذا الاستثناء يجوز أن يكون متصلاً، أي: إلاّ أن تودّوني لقرابتي بينكم، أو تودّوا أهل قرابتي ويجوز =

﴿ذَلِكَ الَّذِي﴾ [الشورى: 23] ذكر من النعيم ﴿يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على تبليغ الرسالة ﴿أَجْرًا﴾ مالاً ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ الاستثناء منقطع؛ إذ ليس وده ﷺ ود قرابته من الأجر على تبليغها وأقاربه ﷺ بنو هاشم وبنو المطلب وكل قريش، قاله ابن عباس وعليه الجمهور ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ﴾ يكتسب ﴿حَسَنَةً﴾ طاعة ﴿نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ بالتضعيف ﴿إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ للقليل فيضاعفه.

﴿أَمْ﴾ [الشورى: 24] بل ﴿يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ نسبة القرآن إلى الله ﴿فَإِنْ يَشَأِ اللهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾ أي: يربط عليه؛ لتصبر على أذاهم، أو المعنى ينسيك القرآن وما أتاك؛ أي: لو افتريت لفعل لكن لم يقع منك ذلك ﴿وَيَمْحُ اللهُ الْبَاطِلَ﴾ الذي قالوه ﴿وَيُحِقُّ﴾ يثبت ﴿الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ المنزلة وقد فعل فمحى كفرهم وأثبت الإسلام وأعلاه ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما في القلوب.

ولما نزلت الآية التي منها ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: 23] دخل في بعض القلوب منها شيء فأخبر به جبريل النبي ﷺ فذكره فتابوا، فنزل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو﴾ [الشورى: 25] إذا تابوا ﴿عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص ورويس بخلاف عنه «تفعلون» بالتاء من فوق والباقون بالياء من أسفل.

﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الشورى: 26] أي: يجيبهم الله لسؤالهم إذا دعوه أو يثيبهم ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ زيادة على ثواب أعمالهم، ومنه: تشفيعهم في إخوانهم وإخوان إخوانهم ﴿وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾.

=

أن يكون منقطعاً. قال الزجاج: (إلاّ المودّة) استثناء ليس من الأوّل، أي: إلاّ أن تودّوني لقرابتي، فتحفظوني، والخطاب لقريش. وهذا قول عكرمة، ومجاهد، وأبي مالك، والشعبي، فيكون المعنى على الانقطاع: لا أسألكم أجراً قط، ولكن أسألكم المودّة في القربى التي بيني وبينكم، ارقبوني فيها، ولا تعجلوا إليّ، ودعوني والناس، وبه قال قتادة، ومقاتل، والسدّي، والضحاك، وابن زيد، وغيرهم، وهو الثابت عن ابن عباس. وقال سعيد بن جبير، وغيره: هم: آل محمد. [«فتح القدير» (6/ 377)].

﴿ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾ ﴾[الشورى: ٢٧ - ٣١].

﴿وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ﴾ [الشورى: 27] كلهم ﴿لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ بطلبهم منزلة بعد منزلة ومركبًا بعد مركب وملبسًا بعد ملبس وهكذا، وقال خباب بن الأرَتّ: نزلت في هذه الأمة لما تمنت أموالاً كأموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع ﴿وَلَكِنْ يُنَزِّلُ﴾ من الأرزاق ﴿بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ﴾ فيبسط لهذا دون هذا ﴿إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ ففعل لكل ما لاق به عنده سبحانه.

﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ [الشورى: 28] المطر ﴿مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾ يئسوا منه، وذلك أنفى للشرك، وقد حبس الله المطر عن أهل مكة سبع سنين حتى قنطوا ثم أنزله ﴿وَيَنْشُرُ﴾ يبسط ﴿رَحْمَتَهُ﴾ هي المطر هنا ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ﴾ المحسن لأهل طاعته ﴿الْحَمِيدُ﴾ المحمود في أفعاله ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

﴿وَ﴾ [الشورى: 29] خلق ﴿مَا بَثَّ﴾ فرق وكثر ﴿فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ هي كل ما دب على الأرض ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ﴾ للبعث والحساب في القيامة ﴿إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ﴾ [الشورى: 30] بلية وشدة ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ﴾ عملت، بالفاء قبل «بما» للقراء، إلا ابن عامر والمدنيين فبحذفها ﴿أَيْدِيكُمْ﴾ أي: كسبتم من الذنوب ﴿وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾[1] مما كسبت أيديكم فلا تصابون بسببه، وهذا خطاب

(1) قوله تعالى: (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) قرأ نافع وابن عامر(بما كسبت) بغير فاء.
الباقون (فبما) بالفاء، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم للزيادة في الحرف والأجر.
قال المهدوي: إن قدرت أن (ما) الموصولة جاز حذف الفاء وإثباتها، والاثبات أحسن.

للمؤمن وكل ما أذاه مصيبة يقع بها التكفير عنه ولا تعود عقوبة الذنب المصاب بسببه عليه في الآخرة، والبلاء في حق من لم يذنب رفع لدرجته في الآخرة، فاعلم.

﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [الشورى: 31] فائتين من عقاب الله ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ هربًا ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ فلا دافع لعذابه عنكم.

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الشورى: ٣٢ - ٣٩].

=

وإن قدرتها التي للشرط لم يجز الحذف عند سيبويه، وأجازه الاخفش واحتج بقوله تعالى: (وإن أطعتموهم إنكم لمشركون) [الانعام: 121] والمصيبة هنا الحدود على المعاصي، قاله الحسن.

وقال الضحاك: ما تعلم رجل القرآن ثم نسيه إلا بذنب، قال الله تعالى: (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) ثم قال: وأي مصيبة أعظم من نسيان القرآن، ذكره ابن المبارك عن عبد العزيز بن أبي رواد. قال أبو عبيد: إنما هذا على الترك، فأما الذي هو دائب في تلاوته حريص على حفظه إلا أن النسيان يغلبه فليس من ذلك في شيء. ومما يحقق ذلك أن النبي ﷺ كان ينسى الشيء من القرآن حتى يذكره، من ذلك حديث عائشة عن النبي ﷺ: سمع قراءة رجل في المسجد فقال: «ما له رحمه الله لقد أذكرني آيات كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا». وقيل: (ما) بمعنى الذي، والمعنى الذي أصابكم فيما مضى بما كسبت أيديكم. وقال علي ﷺ: هذه الآية أرجى آية في كتاب الله ﷻ. وإذا كان يكفر عني بالمصائب ويعفو عن كثير فما يبقى بعد كفارته وعفوه! وقد روي هذا المعنى مرفوعا عنه رضي الله عنه، قال علي بن أبي طالب ﷺ: ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله حدثنا بها النبي ﷺ: (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) «يا علي ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم» والله أكرم من أن يثني عليكم العقوبة في الآخرة وما عفا عنه. [تفسير القرطبي (30/16)].

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ﴾ [الشورى: 32] السفن جمع جارية وهي السائرة ﴿فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ الجبال، أو القصور في العظم.

﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ﴾ [الشورى: 33] الذي جرت به السفن ﴿فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ﴾ ثوابت ﴿عَلَى ظَهْرِهِ﴾ أي: على ظهر البحر ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[1]

---

(1) قوله تعالى: (ومن ءاياته الجوار في البحر كالاعلام إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور) قوله تعالى: (ومن آياته الجوار في البحر كالاعلام) أي ومن علاماته الدالة على قدرته السفن الجارية في البحر كأنها من عظمها أعلام. والاعلام: الجبال، وواحد الجواري جارية، قال الله تعالى: (إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية) [الحاقة: 11] سميت جارية؛ لأنها تجري في الماء، والجارية: هي المرأة الشابة، سميت بذلك لأنها يجري فيها ماء الشباب. وقال مجاهد: الاعلام القصور، واحدها علم، ذكره الثعلبي، وذكر الماوردي عنه أنها الجبال. وقال الخليل: كل شيء مرتفع عند العرب فهو علم، قالت الخنساء ترثي أخاها صخرًا:

وإن صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

(إن يشأ يسكن الرياح) كذا قرأه أهل المدينة (الرياح) بالجمع (فيظللن رواكد على ظهره) أي فتبقى السفن سواكن على ظهر البحر لا تجري، ركد الماء ركودا سكن، وكذلك الريح والسفينة، والشمس إذا قام قائم الظهيرة، وكل ثابت في مكان فهو راكد، وركد الميزان استوى، وركد القوم هدءوا، والمراكد: المواضع التي يركد فيها الانسان وغيره، وقرأ قتادة (فيظللن) بكسر اللام الاولى على أن يكون لغة، مثل ضللت أضل، وفتح اللام وهي اللغة المشهورة. (إن في ذلك لآيات) أي دلالات وعلامات (لكل صبار شكور) أي صبار على البلوى شكور على النعماء. قال قطرب: نعم العبد الصبار الشكور الذي إذا أعطي شكر وإذا ابتلي صبر، قال عون بن عبد الله: فكم من منعم عليه غير شاكر، وكم من مبتلى غير صابر. قوله تعالى: ﴿أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير * ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص﴾ قوله تعالى: (أو يوبقهن بما كسبوا) أي وإن يشأ يجعل الرياح عواصف فيوبق السفن، أي يغرقهن بذنوب أهلها، وقيل: يوبق أهل السفن (ويعف عن كثير) من أهلها فلا يغرقهم معها، حكاه الماوردي. وقيل: (ويعفو عن كثير) أي: ويتجاوز عن كثير من الذنوب فينجيهم الله من الهلاك. قال القشيري: والقراءة الفاشية (ويعف) بالجزم، وفيها إشكال؛ لأن المعنى: إن يشأ يسكن الريح فتبقى تلك السفن رواكد ويهلكها بذنوب أهلها، فلا يحسن عطف (يعف) على هذا، لأنه يصير المعنى: إن يشأ يعف، وليس المعنى ذلك بل المعنى الإخبار عن العفو من غير شرط المشيئة، فهو إذا عطف على المجزوم من حيث اللفظ لا من حيث المعنى، وقد قرأ قوم (ويعفو) بالرفع، وهي جيدة في المعنى من كل مكان أو بقيت السفن رواكد علموا أنه لا ملجأ لهم سوى الله، ولا دافع لهم إن أراد الله إهلاكهم فيخلصون له العبادة. وقد مضى هذا المعنى في غير موضع ومضى القول في ركوب البحر في البقرة وغيرها بما يغني عن إعادته. انظر [تفسير القرطبي (32/16)].

وهو المؤمن يصبر في الشدة ويشكر في الرخاء.

﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ﴾ [الشورى: 34] يهلكهن بالغرق ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ أي: كسب أهلهن، وهم الركاب فيهن ﴿وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾ من السفن، فلا يغرق أهله.

﴿وَيَعْلَمَ﴾ [الشورى: 35] قرأ المدنيان وابن عامر «ويعلم» برفع الميم والباقون بالنصب ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ مهرب من عذاب الله.

﴿فَمَا أُوتِيتُمْ﴾ [الشورى: 36] أيها الناس ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ من أثاث الدنيا ﴿فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يستمتع به ويزول ﴿وَمَا عِنْدَ اللهِ﴾ وهو الثواب ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ فكل أمورهم لا ينزلونها إلا به، ولا يعتمدون إلا عليه وإن تعاطوا الأسباب، فالباطن مشغول بالله.

﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ﴾ [الشورى: 37] الذنوب، قرأ حمزة والكسائي وخلف «كبير» هنا وفي «النجم» بالإفراد، والباقون بالجمع ﴿وَالْفَوَاحِشَ﴾ ما يوجب الحد كالزنا ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ يتجاوزون عن الذي أغضبهم.

﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ [الشورى: 38] أي: أجابوه لطاعته وكلما دعاهم إليه ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ داوموا عليها مراعين لآدابها ﴿وَأَمْرُهُمْ﴾ الذي يريدون فعله ﴿شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ يتشاورون فيه فلا يعملون بمجرد رأيهم، عن علي ﷺ قال: قلت: يا رسول الله ﷺ، الأمر ينزل بنا بعدك لم ينزل فيه قرآن ولم يسمع منك فيه شيء، قال: «**اجمعوا له العابدين من أمتي واجعلوه بينكم شورى ولا تعصوه برأي واحد**»[1] ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ أعطيناهم ﴿يُنْفِقُونَ﴾ في طاعة الله.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ﴾ [الشورى: 39] الظلم؛ أي: إذا ظلمهم أحد ﴿هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ منه جعل الله الناس على قسمين: قسم يعفو وقسم ينتصر لنفسه، والأول أفضل، فلذلك قدمه، والمراد بالانتصار: الانتقام من الظالم بمثل ظلمه بلا زيادة.

﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى

(1) لم أقف عليه.

ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيّٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ يَقُولُونَ هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ ﴿٤٤﴾﴾ [الشورى: ٤٠ - ٤٤].

دل عليه قوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى: 40] أي: تشابههما في الصورة، وهو في القصاص ظاهر وفي غيره كالشتم شتمة بمثله ﴿فَمَنْ عَفَا﴾ عن الظالم له ﴿وَأَصْلَحَ﴾ ما بينه وبين الناس بالعفو ﴿فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ﴾ بمعنى أنه يعظم أجره ﴿إِنَّهُ﴾ الله الحكم العدل ﴿لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ البادئين بالظلم فيعاقبهم.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ينادي مناد يوم القيامة: لا يقوم اليوم أحد إلا أحد له عند الله يد، فيقول الخلائق: سبحانك، بل لك اليد، فيقول: بلى، من عفا في الدنيا بعد قدرته**»[1].

﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ﴾ [الشورى: 41] أي: ظلم الظالم له ﴿فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ بالمؤاخذة ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ﴾ [الشورى: 42] المؤاخذة ﴿عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾ بالابتلاء بالظلم، فلهم مكافأتهم ﴿وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ يعملون فيها ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ وهو العمل بالمعاصي ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ﴾ [الشورى: 43] فلن ينتصر وتجاوز ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ الصبر والتجاوز ﴿لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ حقها الذي يعزم عليه؛ لفضله على مقابله من الانتصار ولو بالدعاء.

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من دعا على من ظلمه فقد انتصر**»[2]. ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [الشورى: 44] أي: من بعد الله أي: أحد يلي هدايته غيره بعد إضلاله له ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ في

---

(1) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (364/17).

(2) رواه ابن أبي شيبة (74/6، رقم 29576)، والترمذي (554/5، رقم 3552) وقال: «غريب»، والقضاعي (243/1، رقم 387)، والديلمي (552/3، رقم 5728).

الآخرة ﴿يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ﴾ رجوع إلى الدنيا ﴿مِنْ سَبِيلٍ﴾ طريق، فنعمل غير الذي كنا نعمل.

﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًاۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾﴾ [الشورى: ٤٥ - ٤٨].

﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ [الشورى: 45] أي: على النار ﴿خَاشِعِينَ﴾ خاضعين بخوف ووجل ﴿مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ﴾ أي: إلى النار ﴿مِنْ طَرْفٍ﴾ أي: بطرف ﴿خَفِيٍّ﴾ سارقون النظر إليها، خوفًا وذلة في نفوسهم ﴿وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بتخليدهم في النار وعدم وصولهم للحور المعدَّة لهم في الجنة لو آمنوا ﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ﴾ دائم.

﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ﴾ [الشورى: 46] يمنعونهم من العذاب ﴿مِنْ دُونِ اللهِ﴾ أي: من غيره ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ﴾ طريق للهدى.

﴿اسْتَجِيبُوا﴾ [الشورى: 47] أيها الناس ﴿لِرَبِّكُمْ﴾ أجيبوه بالتوحيد والطاعة ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ﴾ هو يوم القيامة ﴿لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ﴾ بمعنى أنه آتٍ من الله ولا يرده أحد ﴿مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ﴾ تلجئون إليه؛ أي: تنتصرون وتستصرخون به ﴿يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾ منكر يغير ما بكم.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ عن الإيمان ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [الشورى: 48] محاسبًا بأعمالهم وما مطلوب بموافقة ما طلبوه ﴿إِنْ﴾ ما ﴿عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ وهذا قبل الأمر بالجهاد ﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ كصحة ويسار ﴿فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ﴾

وهو ضمير الإنسان جمع باعتبار الجنس ﴿سَيِّئَةٌ﴾ مرض وفقر مثلاً ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: ما عملوا من الذنوب ﴿فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ جاحدًا لما تقدم من نعمة الله عليه بأول شدة تلقاه بعدها.

﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الشورى: ٤٩ - ٥٣].

﴿لِلهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا﴾ [الشورى: 49] فلا يكون له ولد ذكر ﴿وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ فلا يولد له غيرهم.

﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ﴾ [الشورى: 50] بمعنى يجعلهم ﴿ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا﴾ فيولد له الذكر والأنثى ﴿وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ فلا يلد إن كان أنثًا، ولا يولد له إن كان ذكرًا ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿قَدِيرٌ﴾ على ما أراد.

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا﴾[1] [الشورى: 51] يوحي إليه في المنام، أو بالإلهام ﴿أَوْ﴾ إلا ﴿مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ كما وقع لموسى ﷺ إذ سمع الكلام ولم ير ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً﴾ ملكًا لجبريل وغيره ﴿فَيُوحِيَ﴾ الملك إلى الرسول من البشر؛ أي: يُلقى ﴿بِإِذْنِهِ﴾ أي: بإذن الله ﴿مَا يَشَاءُ﴾ الله، نزلت لما قال اليهود للنبي ﷺ: إن كنت نبيًا كلم الله وانظر إليه كما وقع لموسى، فنزلت مفيدة لانقسام الناس في تلقي الوحي

---

(1) إذا دخل القلب في عالم الغيب فما يراه فهو كشف، وما يسمعه فهو كلام وما يتكلم به فهو وحي، فيتولد مما يسمع الفهم، وما يتولد مما يبصر فهو بيان وكشف ونظر، وما يتولد مما يتكلم به فهو حكمة ومعرفة وعلم، وما يقع في موضع العقل من القلب فهو علم لدني، وما يقع في الفؤاد وهو الرؤية والإدراك. تقسيم الخواطر (ص95) بتحقيقنا.

وباقيه لنظر موسى الذي ادعوه ﴿إِنَّهُ﴾ إن الله ﴿عَلِيٌّ﴾ عن صفات الحق ﴿حَكِيمٌ﴾ في أفعاله، وقرأ نافع وابن ذكوان بخلاف عنه، «أو يرسل فيوحي» بضم اللام وإسكان الياء، والباقون بنصبها.

﴿وَكَذَلِكَ﴾ [الشورى: 52] أي: مثل إيحائنا لمن سبق ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا﴾ وهو القرآن، به يحيي القلوب ﴿مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي﴾ قبل الوحي ﴿مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ أي: الشرائع المفصلة والأنبياء مؤمنون بالله قبل النبوة، عالمون بأن الله لا شريك له وإنه هو الحق، موحدون له بأدلة عقولهم وتفاصيل الشرائع لا يعلمها أحد منهم إلا بالوحي إلا أن يتبع سنن من قبله في شرعه، كأنبياء بني إسرائيل ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ﴾ أي: الروح ﴿نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي﴾ أي: تدعوا بما أوحينا إليك ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وهو دين الإسلام.

﴿صِرَاطِ اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللهِ تَصِيرُ﴾[1] ترجع

---

(1) قوله تعالى: (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم * صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض ألا إلى الله تصير الامور).

فيه أربع مسائل:

الأولى - قوله تعالى: (وكذلك أوحينا إليك) أي وكالذي أوحينا إلى الانبياء من قبلك أوحينا إليك (روحا) أي نبوة، قاله ابن عباس.

الحسن وقتادة: رحمة من عندنا، السدي: وحيا، الكلبي: كتابا، الربيع: هو جبريل، الضحاك: هو القرآن.

وهو قول مالك بن دينار وسماه روحا لأن فيه حياة من موت الجهل.

وجعله من أمره بمعنى أنزله كما شاء على من يشاء من النظم المعجز والتأليف المعجب.

ويمكن أن يحمل قوله: (ويسئلونك عن الروح) [الاسراء: 85] على القرآن أيضا: (قل الروح من أمر ربي) [الاسراء: 85] أي يسئلونك من أين لك هذا القرآن، قل إنه من أمر الله أنزله علي معجزا، ذكره القشيري.

وكان مالك بن دينار يقول: يا أهل القرآن، ماذا زرع القرآن في قلوبكم ؟ فإن القرآن ربيع القلوب كما أن الغيث ربيع الارض.

الثانية - قوله تعالى: (ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان) أي لم تكن تعرف الطريق إلى الايمان.

وظاهر هذا يدل على أنه ما كان قبل الايحاء متصفا بالايمان.

قال القشيري: وهو من مجوزات العقول، والذي صار إليه المعظم ان الله ما بعث نبيا إلا كان =

﴿الْأُمُورُ﴾ [الشورى: 53].

=

مؤمنا به قبل البعثة، وفيه تحكم، إلا أن يثبت ذلك بتوقيف مقطوع به. قال القاضي أبو الفضل عياض: وأما عصمتهم من هذا الفن قبل النبوة فللناس فيه خلاف، والصواب أنهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكك في شئ من ذلك. وقد تعاضدت الاخبار والآثار عن الانبياء بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا، ونشأتهم على التوحيد والايمان، بل على إشراق أنوار المعارف ونفحات ألطاف السعادة، ومن طالع سيرهم منذ صباهم إلى مبعثهم حقق ذلك، كما عرف من حال موسى وعيسى ويحيى وسليمان وغيرهم عليهم السلام. قال الله تعالى: (وآتيناه الحكم صبيا) [مريم: 12] قال المفسرون: أعطي يحيى العلم بكتاب الله في حال صباه. قال معمر: كان ابن سنتين أو ثلاث، فقال له الصبيان: لم لا تلعب ! فقال: أللعب خلقت! وقيل في قوله: (مصدقا بكلمة من الله) [آل عمران: 39] صدق يحيى بعيسى وهو ابن ثلاث سنين، فشهد له أنه كلمة الله وروحه وقيل: صدقه وهو في بطن أمه، فكانت أم يحيى تقول لمريم إني أجد ما في بطني يسجد لما في بطنك تحية له. وقد نص الله على كلام عيسى لامه عند ولادتها إياه بقوله (لا تحزني) [مريم: 24] على قراءة من قرأ (من تحتها) وعلى قول من قال إن المنادى عيسى ونص على كلامه في مهده فقال: (إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا) [مريم: 30]. [تفسير القرطبي (56/16)].

سورة الزخرف

مكية وقيل إلا قوله: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا﴾ [الزخرف: 45] سبع أو ثمان وثمانون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿حم ۝١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝٤ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ۝٥ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ۝٦ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝٧ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ۝٨ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۝٩ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٠﴾ [الزخرف: ١ - ١٠].

﴿حم﴾[1] [الزخرف: 1].

---

(1) وهي مكية كلها، إنا جعلناه يعني القرآن قرآنا عربيا لعلكم تعقلون لكي تعقلوا وإنه يعني القرآن في أم الكتاب لدينا عندنا لعلي رفيع حكيم محكم وأم الكتاب اللوح المحفوظ وتفسير أم الكتاب جملة الكتاب وأصله قال محمد ومعنى جعلناه بيناه كذلك قال غير يحيى أفنضرب عنكم الذكر يعني القرآن صفحا تفسير الكلبي يقول أنذر الذكر من أجلكم أن كنتم قوما مسرفين مشركين أي لا نذره قال محمد تقرأ إن كنتم بالفتح وبالكسر فمن فتح فالمعنى لأن كنتم ومن كسر فعلى الاستقبال المعنى إن تكونوا مسرفين نضرب عنكم الذكر ويقال ضربت عنه الذكر وأضربت بمعنى واحد إذا امسكت وقوله «صفحا» أي إعراضا يقال صفحت عن فلان أي أعرضت عنه والأصل في ذلك أنك توليه صفحة عنقك تفسير سورة الزخرف من الآية إلى آية وكم أرسلنا من نبي في الأولين أي كثيرا فأهلكنا أشد منهم بطشا يعني أشد من مشركي العرب قوة ومضى مثل الأولين يعني وقائعه في الأمم السالفة بتكذيبهم رسلهم ولئن سألتهم يعني المشركين من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم ثم قال الذي جعل لكم =

﴿وَالْكِتَابِ﴾ [الزخرف: 2] القرآن﴿الْمُبِينِ﴾ الذي بيّن الحق من غيره.

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ﴾ [الزخرف: 3] أي: القرآن﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ تفهمون ما فيه من المعاني؛ لأنه نزل على قوم محمد ﷺ، وهم العرب وغيرهم تبع لهم.

﴿وَإِنَّهُ﴾ [الزخرف: 4] أي: القرآن﴿فِي أُمِّ الْكِتَابِ﴾ وهو اللوح المحفوظ ﴿لَدَيْنَا﴾ عندنا﴿لَعَلِيٌّ﴾ على كل كتاب قبله﴿حَكِيمٌ﴾ ذو حكمة عالية.

﴿أَفَنَضْرِبُ﴾ [الزخرف: 5] نترك ونمسك﴿عَنْكُمُ الذِّكْرَ﴾ القرآن﴿صَفْحًا﴾ إعراضًا عنكم لأجل﴿أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ﴾ مشركين، قرأ المدنيان وحمزة والكسائي وخلف «إن كنتم» بكسر الهمزة والباقون بفتحها؛ أي: لا نترك إنزال الوحي لأجل شرككم.

﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾ [الزخرف: 6] الأمم السالفة.

﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ﴾ [الزخرف: 7] أي: ما كان يأتيهم﴿مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ كما يفعل قومك بك يا محمد ﷺ، فهو تسلية له.

الأرض مهادا أي بساطا وفراشا وجعل لكم فيها سبلا طرقا لعلكم تهتدون لكي تهتدوا الطرق، وعن ابن عباس قال ما عام بأكثر مطرا من عام أو قال ماء ولكن الله يصرفه حيث يشاء فأنشرنا به يعني فأحيينا به بلدة ميتا اليابسة التي ليس فيها نبات كذلك تخرجون يعني البعث يرسل الله مطرا منيا كمني الرجال فتنبت به جسمانهم ولحمانهم كما ينبت الأرض الثرى والذي خلق الأزواج كلها تفسير الحسن يعني الشتاء والصيف والليل والنهار والسماء والأرض وكل اثنين فالواحد منهما زوج قال محمد وقيل معنى الأزواج الأصناف تقول عندي من كل زوج أي من كل صنف وجعل لكم أي خلق لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ظهور ما سخر لكم أي تركبوه وما كنا له مقرنين يعني مطيقين قال تقول أنا مقرن لك أي مطيق لك وقيل إن اشتقاق اللفظة من قولهم أنا قرن لفلان إذا كنت مثله في الشدة فإذا أردت السن قلت قرنه بفتح القاف، قال قتادة قد بين الله لكم ما تقولون إذا ركبتم في البر وما تقولون إذا ركبتم في البحر إذا ركبتم في البر قلتم سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون وإذا ركبتم في البحر قلتم بسم الله مجراها ومرساها الآية يحيى عن إبراهيم بن محمد عن أيوب بن موسى عن سعيد المقبري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقول إذا ركب راحلته بسم الله اللهم ازو لنا الأرض وهون علينا السفر اللهم انت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل اللهم إنا نعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال.انظر [تفسير ابن أبي زمنين (2/ 144)] بتحقيقنا.

﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ [الزخرف: 8] أي: أشد من قومك قوة ﴿وَمَضَى﴾ سبق ﴿مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ في آيات غير هذه الآية وكذلك هؤلاء إن استمروا على الخلاف أهلكناهم كما فعلنا بمن قبلهم.

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: 9] وهذا إخبار بأنهم في نهاية الجهل؛ حيث علموا أنه الخالق العزيز العليم وعبدوا غيره.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ [الزخرف: 10] فراشًا ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ طرقًا ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ بها إلى مصالحكم في أسفاركم ومتاجركم.

﴿ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الزخرف: ١١ - ١٦].

﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ [الزخرف: 11] أي: بقدر الحاجة إليه لا طوفان ﴿فَأَنْشَرْنَا بِهِ﴾ أي: أحيينا بالماء؛ أي: بسبب إنزاله ﴿بَلْدَةً مَيْتًا﴾ فأنبتت بعد يبسها ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل الإحياء ﴿تُخْرَجُونَ﴾ من قبوركم أحياء للآخرة.

﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ﴾ [الزخرف: 12] الأصناف ﴿كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ﴾ السفن ﴿وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ كالإبل.

﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾ [الزخرف: 13] أي: على ظهور ما تركبونه ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ﴾ عليكم في خلقها لكم ﴿إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾[1] مطيقين أو ضابطين.

---

(1) أي: مطيعين، وكم سَخَّرَ لهم الفُلْكَ في البحر، والدوابَّ للركوب، وأعظم عليهم المنة بذلك =

﴿وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: 14] راجعون للمعاد.

﴿وَجَعَلُوا﴾ [الزخرف: 15] أي: الكفار ﴿لَهُ﴾ أي: لله تعالى ﴿مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ أي: نصيبًا في قولهم: الملائكة بنات الله، والجعل هنا: الحكم بالشيء والقول به ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾ أراد به هنا: الكافر ﴿لَكَفُورٌ﴾ لجحود لنعم الله تعالى ﴿مُبِينٌ﴾ بيّن الكفر ظاهره.

﴿أَمِ﴾ [الزخرف: 16] بمعنى: أيقولون ﴿اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾ لنفسه ﴿وَأَصْفَاكُمْ﴾ اختصكم ﴿بِالْبَنِينَ﴾ الذكور، وهذا لازم قولهم: الملائكة بنات الله؛ إذ جعلوا له الأنثى ولم ينسبوا له الذكور التي تولد لهم، وكأنهم جعلوا الذكر خاصة لأنفسهم.

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (١٧) أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ (١٨) وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ (١٩) وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (٢٠) أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ (٢١) بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ (٢٢) ﴾ [الزخرف: ١٧ - ٢٢].

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ﴾ [الزخرف: 17] جعل ﴿لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا﴾ أي: شبهًا؛ إذ الولد يشبه الوالد، والمراد: إذا قيل لأحدهم: ولد لك بنت ﴿ظَلَّ﴾ صار ﴿وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ أي: متغير، نفيرًا، قريبًا منه ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ممتلئ غيظًا، فكيف ينسب الواحد منهم البنات التي يكرهها لله تعالى؟!

فكذلك سَهَّلَ للمؤمنين مركب التوفيق فَحَمَلهم عليه إلى بساط الطاعة، وسهَّلَ للمريدين مركبَ الإرادة فَحَمَلهم عليه إلى عرَصَات الجود، وسَهَّل للعارفين مركبَ الهِمَم فأناخوا بعقْوةِ العِزَّةِ وعند ذلك مَحَطُ الكافة؛ إذ لم تخرق سرادقاتِ العزَّةِ هِمَّةُ مخلوقٍ سواء كان مَلَكاً مُقَرَّباً أو نبيّاً مُرْسَلاً أو وليًّا مُكَرَّماً فعند سطواتِ العِزَّةِ يتلاشى كلُّ مخلوقٍ، ويقف وراءها كلُّ مُحْدَثٍ مسبوق، انظر: «تفسير القشيري» (7/210).

﴿أَوَمَنْ يُنَشَّأُ﴾ [الزخرف: 18] قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين، والباقون بفتح الياء وإسكان النون والتخفيف ﴿فِي الْحِلْيَةِ﴾ الزينة ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ مظهر الحجة لأنوثته، أنكر عليهم جعل الأنثى التي تربى في الحلية ولا حجة لها؛ لقصر باعها في القول لله تعالى، ونسبة الذكر لأنفسهم الذي هو بخلاف ذلك.

﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا﴾ [الزخرف: 19] قرأ المدنيان وابن كثير وابن عامر ويعقوب «عند الرحمن» بالنون بغير ألف مع فتح الدال، والباقون «عباد» بالباء والجمع ﴿أَشَهِدُوا﴾ حضروا ﴿خَلْقَهُمْ﴾ أي: لم يشهدوا ذلك، فكيف يقولون ﴿مَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ﴾ [الحج: 71] وهو توبيخ لهم، وقرأ المدنيان «أأشهدوا خلقهم» بهمزتين الأولى مفتوحة والثانية مضمومة مسهلة بين بين؛ أي: بين الهمزة المفتوحة والواو وإسكان الشين، والباقون بهمزة واحدة وفتح الشين ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ﴾ قولهم بأنهم إناث ﴿وَيُسْأَلُونَ﴾ عن شهادتهم في الآخرة.

﴿وَقَالُوا﴾ [الزخرف: 20] أي: الكفار ﴿لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ فعبادتهم بمشيئته وجعلوا المشيئة مقتضية للرضا، فلذا رد عليهم بقوله: ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ﴾ الذي قالوا من رضاه بعبادتها ﴿مِنْ عِلْمٍ إِنْ﴾ ما ﴿هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يكذبون، فالإرادة والمشيئة لا يستلزمان الرضا.

﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ﴾ [الزخرف: 21] أي: من قبل القرآن بعبادة غير الله ﴿فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ أي: لم يكن شيء من ذلك.

﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: 22] دين وملة ﴿وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾ وكذبوا في أن الهدى باتّباع الآباء.

﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ٢٣ ۞ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٢٤ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٢٥ ﴾ [الزخرف: ٢٣ - ٢٥].

﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾ [الزخرف: 23]

المتنعمون من أهلها ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾ دين ﴿وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ بهم في عبادة غير الله، وهذا تسلية للنبي ﷺ؛ أي: وكما وقع هذا لك مع قومك وقع لغيرك من الأنبياء، صلى الله عليهم وسلم.

﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ﴾ [الزخرف: 24] قرأ ابن عامر وحفص «قال أولوا» والباقون أمرًا، وقرأ أبو جعفر «جئناكم» بنون وألف جمعًا، والباقون بتاء مضمومة إفرادًا، والمعنى: أتتبعون آباءكم ولو جئتكم ﴿بِأَهْدَى﴾ بدين أصوب ﴿مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾ أنت ومن قبلك ﴿كَافِرُونَ﴾.

ثم خوفهم تعالى بقوله: ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: 25] لتكذيبهم الرسل قبلك ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾
[الزخرف: ٢٦ - ٣٢].

﴿وَإِذْ﴾ [الزخرف: 26] أي: اذكر إذ ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ﴾ أي: بريء ﴿مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾.

﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف: 27] خلقني ﴿فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ يرشدني لدينه.

﴿وَجَعَلَهَا﴾ [الزخرف: 28] أي: هذه الكلمة ﴿كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ في ذريته، فلا يزال فيهم من يعبد الله ويوحده ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي: أهل مكة ﴿يَرْجِعُونَ﴾ عن الكفر إلى الإيمان دين أبيهم إبراهيم.

﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ﴾ [الزخرف: 29] المشركين في الدنيا ﴿وَآبَاءَهُمْ﴾ فلم أعجل عليهم بالعقوبة فورًا ﴿حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ القرآن ﴿وَرَسُولٌ مُبِينٌ﴾ يظهر لهم الأحكام

كلها، وهو نبينا محمد ﷺ وكان من حق هذا الإنعام الطاعة، ولكنهم عصوا كما قال عنهم.

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ [الزخرف: 30] القرآن ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ﴾ [الزخرف: 31] الذي يزعم محمد ﷺ ﴿عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ﴾ مكة والطائف ﴿عَظِيمٍ﴾ والمراد: عقبة بن ربيعة من مكة، أو الوليد بن المغيرة منها، وعروة بن مسعود الثقفي من الطائف، أو حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي منها.

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: 32] النبوة؛ أي: ليس لهم ذلك ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ فجعلنا هذا غنيًا وهذا فقيرًا، وهذا ملكًا وهذا مملوكًا ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ﴾ كالغني ﴿بَعْضًا﴾ كالفقير ﴿سُخْرِيًّا﴾ مسخرًا في عمله له بأجره ﴿وَرَحْمَةُ رَبِّكَ﴾ وهي الجنة ﴿خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ في الدنيا والآخرة لكل مؤمن.

﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الزخرف: ٣٣ - ٣٨].

﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [الزخرف: 33] على الكفر ﴿لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فَضَّةٍ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر «سقفًا» بفتح السين وإسكان القاف والباقون بضمهما ﴿وَمَعَارِجَ﴾ مصاعد ودرجات من فضة ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ يعلون ويرتفعون.

﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا﴾ [الزخرف: 34] من فضة ﴿وَسُرُرًا﴾ من فضة ﴿عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ﴾.

﴿وَزُخْرُفًا﴾ [الزخرف: 35] وهو الذهب، والمعنى: لولا خوف الكفر على المؤمن لأتينا الكافر ذلك؛ لقلة اعتبار الدنيا عندنا، وعدم حظه في الآخرة من النعيم ﴿وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يتمتع به فيها ويزول ﴿وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿وَمَنْ يَعْشُ﴾ [الزخرف: 36] يعرض ﴿عَنْ ذِكْرِ﴾ قرآن ﴿الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ﴾ بالياء ليعقوب والعليمي عن أبي بكر والباقون بالنون؛ أي: نسبب ﴿لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ مقارن لا يفارقه.

﴿وَإِنَّهُمْ﴾ [الزخرف: 37] أي: الشياطين ﴿لَيَصُدُّونَهُمْ﴾ أي: المعرضين ﴿عَنِ السَّبِيلِ﴾ طريق الهدى ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾.

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَنَا﴾ [الزخرف: 38] قرأ المدنيان وابن كثير وابن عامر وأبو بكر «جاءانا» بألف بعد الهمزة؛ أي: الكافر مع قرينه يوم القيامة، والباقون بغير ألف إفرادًا ﴿قَالَ﴾ أي: الكافر للقرين ﴿يَا﴾ للتنبيه ﴿لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ هو للتغليب؛ أي: المشرق والمغرب، أو المراد: مشرق الشتاء والصيف ﴿فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾ أنت أيها الشيطان.

﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الزخرف: ٣٩ - ٤٥].

ثم دلَّ تعالى أن هذا لا ينفع، فقال: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ﴾ [الزخرف: 39] أيها العاشون الندم والتمني ﴿الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ﴾ أشركتم في الدنيا ﴿أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ القرناء والكفار.

﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ﴾ [الزخرف: 40] عن سماع الحق ورؤيته

﴿وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ أنكر هدايته ﷺ لمن أراد الله له أنه لا يؤمن.

﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ [الزخرف: 41] بأن نميتك قبل عذابنا لهم ﴿فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾ بالقتل بعدك، أو العذاب في الآخرة.

﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ﴾ [الزخرف: 42] في حياتك، فنعذبهم قبل موتك ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِمْ﴾ أي: على عذابهم وغيره ﴿مُقْتَدِرُونَ﴾ قادرون لا يعجزنا ذلك.

﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ [الزخرف: 43] وهو القرآن ﴿إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ طريق حق وهو الإسلام.

﴿وَإِنَّهُ﴾ [الزخرف: 44] أي: القرآن ﴿لَذِكْرٌ﴾ شرف ﴿لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ العرب وأشرفهم قريش لنزوله بلغتهم ﴿وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ عن القيام بحقه في القيامة.

﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: 45] والمراد: سؤال مؤمني أهل الكتاب؛ لأنهم يعلمون دين رسلهم، فالسؤال منهم كسؤالهم، وقيل: هو على ظاهره؛ لأن الله جمع له الرسل ليلة الإسراء، وليس هو سؤال استخبار، بل هو سؤال توبيخ للمشركين وتقرير؛ لأن الله لم يأمر بذلك ولا أباحه في ملة من الملل.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِۦ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِآيَاتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الزخرف: ٤٦ - ٥٠].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزخرف: 46].

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا﴾ [الزخرف: 47] الدالة على نبوته ﴿إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ استهزاء.

﴿وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ﴾ [الزخرف: 48] من آيات العذاب كالجراد وما سبق ذكره

في «الأعراف» وغيرها ﴿إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ أعظم من قرينتها التي قبلها ﴿وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن كفرهم.

﴿وَقَالُوا﴾ [الزخرف: 49] لموسى لما عاينوا العذاب ﴿يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ﴾ العالم الكامل، قالوه تعظيمًا؛ لأن السحر كان أجل العلوم عندهم ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾ وهو الذي أخبرتنا به من أن إذا آمنا كشف عنَّا العذاب، فاسأله ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾ مؤمنون.

فدعا فكشف، فلم يؤمنوا كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ [الزخرف: 50] ينقضون عهدهم الأول بالإصرار على الكفر.

﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَـٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْـَٔاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾

[الزخرف: ٥١ - ٥٦].

﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ﴾ [الزخرف: 51] افتخارًا و﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ﴾ التي من النيل ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾ تحت قصوري، أو بين يدي في البساتين، أو بأمري ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ شدة ملكي وقوته، وأراد به أنه أفخر من موسى بدليل قوله: ﴿أَمْ﴾ [الزخرف: 52] بمعنى: بل ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾ ضعيف حقير؛ يعني: موسى عليه السلام ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ يفصح بالنطق لما في لسانه من اللثغة.

﴿فَلَوْلَا﴾ [الزخرف: 53] فهلا ﴿أُلْقِيَ عَلَيْهِ﴾ إن كان صادقًا ﴿أَسْوِرَةٌ﴾ قرأ يعقوب وحفص «سورة» بإسكان السين من غير ألف، والباقون بفتح السين وألف بعدها، وانفرد ابن العلاف بذلك عن رويس ﴿مِنْ ذَهَبٍ﴾ كعادتهم حينئذ فيمن يسود على الناس أن يلبسونه أسورة ذهب ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ متتابعين يشهدون بصدقه ويعينونه على أمره.

وقال تعالى: ﴿فَاسْتَخَفَّ﴾ أي: فرعون ﴿قَوْمَهُ﴾ القبط ﴿فَأَطَاعُوهُ﴾[1] على تكذيب موسى عليه السلام ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: فرعون والقبط ﴿كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ كافرين.

﴿فَلَمَّا آسَفُونَا﴾ [الزخرف: 55] أغضبونا ﴿انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا﴾ [الزخرف: 56] جمع سالف؛ أي: سابقين غيرهم، قرأ حمزة والكسائي بضم السين واللام، والباقون بفتحهما ﴿وَمَثَلًا﴾ عبرة ﴿لِلْآخِرِينَ﴾ الذين أتوا من بعدهم يعتبرون بحالهم، فلا يقدمون على تكذيب الرسل.

﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ يَخۡلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسۡتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الزخرف: ٥٧ - ٦٢].

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ﴾ [الزخرف: 57] جعل ﴿ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ وهو عيسى عليه السلام لما نزل ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: 98] قال الكفار: رضينا أن تكون آلهتنا مع المسيح في النار؛ لأنه عبد من دون الله ﴿إِذَا قَوْمُكَ﴾ المشركون ﴿مِنْهُ﴾ أي: من المثل ﴿يَصِدُّونَ﴾ قرأ ابن كثير والبصريان وعاصم وحمزة بكسر الصاد،

---

(1) فيه إشارتان: الأولى: إن القلب إذا كان خفيفًا؛ فالقوي أيضًا كذلك؛ لأنها تابعة له كما أن الرعايا تابعة للسلطان، كما قيل: الناس على دين ملوكهم، وثقله، ومتانته، إنما هو من خوف الله تعالى، فإن الخائف من الله لا يميل إلى المنكرات؛ بل يثبت عندما عُيِّن له من الشرائع، وبقدر الخوف والعمل بمقتضاه، يُعرف مقادير الناس، ومراتبهم في التقوى.

والثانية: إن الملوك لا بد لهم من الرزانة، والوقار، والحياء في الصورة بلا تقليد، وتلوين، ورياء، فإن ذلك مما يدلُّ على ما في قلوبهم من المعاني والحقائق، وقد طلب بعض الأولياء من الله تعالى أن يلقي في قلوب الناس هيبته في حقه؛ لكون ذلك أقرب لقبول ما عنده من الحق؛ فكأنه طلب أن يُلقى ذلك في قلبه، فإنه إذا كانت حقائق الصفات والأحوال في باطن الإنسان؛ فظاهره يكون أهول وأهيب.

والباقون بالضم؛ أي: يعرضون عنك، أو يفرحون لقولك: إن المعبود حصب جهنم.

﴿وَقَالُوا آَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ [الزخرف: 58] الضمير لعيسى؛ أي: إذا كانت في النار وعيسى في النار فهو خير منها، أو الضمير لمحمد ﷺ، وأرادوا بذلك أن آلهتهم خير منه فيعبدونها ولا يطيعون النبي ﷺ ﴿مَا ضَرَبُوهُ﴾ أي: المثل ﴿لَكَ إِلَّا جَدَلاً﴾ خصومة بالباطل لعلمهم إن «ما» لغير العاقل، فعلم أن عيسى عليه السلام ليس في النار، وإن المراد: الأصنام ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ جدلون بالباطل.

﴿إِنْ﴾ [الزخرف: 59] ما ﴿هُوَ﴾ أي: عيسى ﴿إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ بالنبوة والكتاب ﴿وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا﴾ دليلاً ﴿لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ على قدرة الله تعالى، وفي ذلك دليل على أنه لا يدخل النار؛ لأن المنعم عليه لا يدخلها.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ﴾ [الزخرف: 60] أي: بدلاً منكم، أو بدلكم ﴿مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ أي: يخلفونكم فيها.

﴿وَإِنَّهُ﴾ [الزخرف: 61] أي: عيسى عليه السلام ﴿لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ يعلم به قربها؛ أي: نزوله من أشراطها الكبار، ولا يبقى في زمنه إلا الإسلام ويحكم بشريعة محمد ﷺ ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ لا تسكن فيها ﴿وَاتَّبِعُونِ﴾ أي: قل لقومك اتبعوني فيما جئت به من التوحيد ﴿هَذَا﴾ الذي جئت به وأمرتكم به ﴿صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.

﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ﴾ [الزخرف: 62] يصرفنكم ﴿الشَّيْطَانُ﴾ عن دين الله ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ مظهرًا لعداوة، أو بيّنها.

﴿ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدۡ جِئۡتُكُم بِٱلۡحِكۡمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي تَخۡتَلِفُونَ فِيهِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٦٤﴾ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الزخرف: ٦٣ - ٦٨].

﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الزخرف: 63] المعجزات والشرائع ﴿قَالَ قَدْ

جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ﴾ النبوة ﴿وَلأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ من أحكام التوراة، وما تحتاجون إليه من أمر الدين دون ما لا تحتاجونه ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ﴾.

﴿إِنَّ اللهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا﴾ [الزخرف: 64] أي: عبادته وحده ﴿صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.

﴿فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ [الزخرف: 65] في أمر عيسى فقالت فرقة: هو الله، وآخرون: هو ابنه، وآخرون: ثالث ثلاثة ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كفروا بقولهم المذكور ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ [الزخرف: 66] أي: ما ينظر كفار مكة ﴿إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ بوقت مجيئها قبله.

﴿الأَخِلَّاءُ﴾ [الزخرف: 67] على المعصية من المؤمنين والكافرين في الدنيا ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ المتحابين على طاعة الله تعالى فهم أصدقاء.

﴿يَا عِبَادِ﴾ [الزخرف: 68] أي: يقال لهم يا عبادي ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾.

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [الزخرف: ٦٩ - ٧٦].

﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا﴾ [الزخرف: 69] القرآن ﴿وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾.

يقال لهم: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ﴾ [الزخرف: 70] زوجاتكم ﴿تُحْبَرُونَ﴾ تسرون بكثرة الكرامة،

﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ﴾ [الزخرف: 71] جمع صحفة، وهو: الواسع من

القصاع ﴿مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ جمع كوب، وهو: الإناء المستدير المدور الرأس الذي لا عرى له، يشرب منه الشارب حيث شاء ﴿وَفِيهَا﴾ أي: في الجنة ﴿مَا تَشْتَهِيهِ﴾ بإسقاط الهاء إلا المدنيين وابن عامر وحفص، فأثبتوها وقرأوا تشتهي ﴿الْأَنْفُسُ﴾ تلذذًا ﴿وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ نظرًا؛ أي: بالنظر إليه ﴿وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا﴾ [الزخرف: 72] أي: منازلاً ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ والدخول نفسه بالرحمة والفضل.

﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [الزخرف: 73] وكلما أكل أخلف بدله لوقته على الشجرة التي اقتطف منها ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾.

﴿لَا يُفَتَّرُ﴾ [الزخرف: 75] لا يخفف ﴿عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ آيسون من الرحمة.

﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ [الزخرف: 76] لأنفسهم.

﴿ وَنَادَوْاْ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَـٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓاْ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَـٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَـٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَـٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [الزخرف: ٧٧ - ٨٣].

﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ﴾ [الزخرف: 77] هو خازن النار ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا﴾ يميتنا ﴿رَبُّكَ﴾ فنستريح ﴿قَالَ﴾ مالك جوابًا لهم بعد ألفي سنة: ﴿إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾ مقيمون.

ثم قال تعالى لأهل مكة: ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ﴾ [الزخرف: 78] على لسان محمد ﷺ ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾.

﴿أَمْ أَبْرَمُوا﴾ [الزخرف: 79] أحكموا؛ أي: كفار مكة ﴿أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ محكمون أمرًا في مجازاتهم، وكانوا أبرموا كيد النبي ﷺ فأبرم الله الحكم بإهلاكهم.

﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ﴾ [الزخرف: 80] الذي يسرونه من غيرهم

﴿وَنَجْوَاهُمْ﴾ بينهم ﴿بَلَى﴾ نسمع ذلك أو نعلم ﴿وَرُسُلُنَا﴾ أيضًا الحفظة ﴿لَدَيْهِمْ﴾ عندهم ﴿يَكْتُبُونَ﴾[1] ذلك.

﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ﴾ [الزخرف: 81] في قولكم أيها الكفار وزعمكم ﴿فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ وقاله على سبيل إرخاء العنان مع الخصم والفرض، وإلا فهو عالم قطعًا إن الله منزه عن الولد، فانتفت عبادته.

﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ﴾ [الزخرف: 82] مالك ﴿الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ من الولد والشريك.

﴿فَذَرْهُمْ﴾ [الزخرف: 83] اتركهم ﴿يَخُوضُوا﴾ في باطلهم ﴿وَيَلْعَبُوا﴾ في الدنيا ﴿حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ بالعذاب فيه، وهو يوم القيامة، وقرأ أبو جعفر «حتى يلقوا» هنا وفي «الطور» و«المعارج» بفتح الياء وإسكان اللام وفتح القاف من غير ألف قبلها، والباقون بضم الياء والألف بعد اللام وضم القاف، وملاقاته: موافاته.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [الزخرف: ٨٤ - ٨٩].

﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ﴾ [الزخرف: 84] فيعبد فيها ﴿وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾

---

(1) وصف الله سبحانه نفسه وإحاطته ببطون المغيبات وحقائق المضمرات بالعلم القديم، وسماعه حركات صميم أسرار الخلق بسمعه القديم المنزه عن الإصغاء، وكيف يخفى عليه ما أبدع وأوجد في بطون القلوب والغيوب! بل له كرامٌ كحَّل عيونهم بنور نوره، حتى يروا حقائق الأمور الغيبية كما قال ﷺ: «اتقوا فِراسةَ المؤمنِ، فإنَّه ينظرُ بنورِ الله»، والملائكة يسمعون من الحق بالإلهام بعد ما وقع الغيب لله الخاص له. والعارف الصادق له درجتان في ذلك: درجة الملائكة التي هي الإلهام، ولهم خاصية الرؤية والفراسة بنور الله، وهو أن يكون متصفًا بعلمه وصفاته، وهذه الآية وعيدٌ وتحذيرٌ لمن كان له قلبٌ يخطر عليه شيءٌ غير ذكر الله.

فيعبد فيها ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ في تدبير الخلق ﴿الْعَلِيمُ﴾ بمصالحهم.

﴿وَتَبَارَكَ﴾ [الزخرف: 85] تعاظم ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ﴾ قيام ﴿السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وخلف ورويس بالياء من أسفل في أوله والباقون بتاء الخطاب.

﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ [الزخرف: 86] أي: يعبد الكفار كعيسى، أو غيره ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي: من دون الله ﴿الشَّفَاعَةَ﴾ لأحد من الخلق ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ أي: قال لا إله إلا الله، محمد رسول الله ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم، فخرج إسلام المنافق.

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف: 87] يصرفون عن عبادته.

﴿وَقِيلِهِ﴾ [الزخرف: 88] قرأ حمزة وعاصم «وقيله» بالخفض أي: وعنده علم قيله، والباقون بالنصب؛ أي: يكتبون ذلك وقيله، والمراد: قول محمد ﷺ ﴿يَا رَب إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

فقال تعالى: ﴿فَاصْفَحْ﴾ [الزخرف: 89] أعرض ﴿عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ﴾ تترك منالكم، وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[1] تهديدًا لهم، قرأ المدنيان وابن

---

(1) (لا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون). ولا يملك آلهتهم الذين يدعون من دون الله الشفاعة كما زعموا أنهم شفعاؤهم عند الله ولكن من "شهد بالحق "وهو توحيد الله وهو يعلم ما يشهد به عن بصيرة وإيقان وإخلاص: هو الذي يملك الشفاعة وهو استثناء منقطع. ويجوز أن يكون متصلا لأن في جملة الذين يدعون من عون الله: الملائكة وقرئ تدعون بالتاء وتدعون بالتاء وتشديد الدال

(وقيله يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون)

قرئ بالحركات الثلاث وذكر في النصب عن الأخفش أنه حمله على: أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم وقيله: وعنه: وقال قيله، وعطفه الزجاج على محل الساعة كما تقول: عجبت من ضرب زيد وعمرا وحمل الجر على لفظ الساعة والرفع على الابتداء والخبر ما بعده وجوز عطفه على علم الساعة على تقدير حذف المضاف. معناه: وعنده علم الساعة وعلم قيله. والذي قالوه ليس بقوي في المعنى مع وقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يحسن اعتراضا ومع تنافر النظم. وأقوى

=

عامر «تعلمون» بالخطاب، والباقون بالغيب.

=

من ذلك وأوجه: أن يكون الجر والنصب على إضمار حرف القسم وحذفه والرفع على قولهم: أيمن الله وأمانة الله ويمين الله ولعمرك ويكون قوله: (إن هؤلاء قوم لا يؤمنون) جواب القسم كأنه قيل: وأقسم بقيله يا رب، أو وقيله يا رب قسمي إن هؤلاء قوم لا يؤمنون (فاصفح عنهم) فأعرض عن دعوتهم يائسا عن إيمانهم وودعهم وتاركهم (وقل) لهم (سلام) أي تسلم منكم ومتاركة (فسوف تعلمون)، وعيد من الله لهم وتسلية لرسوله ﷺ. والضمير في (وقيله) لرسول الله ﷺ، وإقسام الله بقيله رفع منه وتعظيم لدعائه والتجائه إليه. وعن النبيﷺ: «من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيامة يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب» انظر الكشاف (1178/1).

سورة الدخان(1)

(1) واختلف أهل التأويل في تلك الليلة، أيّ ليلة من ليالي السنة هي؟ فقال بعضهم: هي ليلة القدر.
* ذكر من قال ذلك:
حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة(إِنَّا أَنزلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ): ليلة القدر، ونزلت صحف إبراهيم في أوّل ليلة من رمضان، ونزلت التوراة لستّ ليال مضت من رمضان، ونزل الزَّبور لستّ عشرة مضت من رمضان، ونزل الإنجيل لثمان عشرة مضت من رمضان، ونزل الفُرقَان لأربع وعشرين مضت من رمضان.
حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله(فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ) قال: هي ليلة القدر.
حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله عزّ وجلّ(إِنَّا أَنزلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ) قال: تلك الليلة ليلة القدر، أنزل الله هذا القرآن من أمّ الكتاب في ليلة القدر، ثم أنزله على الأنبياء في الليالي والأيام، وفي غير ليلة القدر.
وقال آخرون: بل هي ليلة النصف من شعبان.
والصواب من القول في ذلك قول من قال: عنى بها ليلة القدر، لأن الله جلّ ثناؤه أخبر أن ذلك كذلك لقوله تعالى(إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ) خلقْنا بهذا الكتاب الذي أنزلناه في الليلة المباركة عقوبتنا أن تحلّ بمن كفر منهم، فلم ينب إلى توحيدنا، وإفراد الألوهة لنا.
وقوله(فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) اختلف أهل التأويل في هذه الليلة التي يُفرق فيها كلّ أمر حكيم، نحو اختلافهم في الليلة المباركة، وذلك أن الهاء التي في قوله(فِيهَا) عائدة على الليلة المباركة، فقال بعضهم: هي ليلة القدر، يقضي فيها أمر السنة كلها من يموت، ومن يولد، ومن يعزّ، ومن يذل، وسائر أمور السنة.
* ذكر من قال ذلك: عن ربيعة بن كلثوم، قال: كنت عند الحسن، فقال له رجل: يا أبا سعيد، ليلة القدر في كلّ رمضان؟ قال: إي والله، إنها لفي كلّ رمضان، وإنها الليلة التي يُفرق فيها كل أمر حكيم، فيها يقضي الله كلّ أجل وأمل ورزق إلى مثلها.
وعن ربيعة بن كلثوم، قال: قال رجل للحسن وأنا أسمع: أرأيت ليلة القدر، أفي كل رمضان هي؟ قال: نعم والله الذي لا إله إلا هو، إنها لفي كل رمضان، وإنها الليلة التي يُفرق فيها كل أمر حكيم، يقضي الله كلّ أجل وخلق ورزق إلى مثلها. وعن عمر مولى غفرة، قال: يقال: ينسخ لملك الموت من يموت ليلة القدر إلى مثلها، وذلك لأن الله عزّ وجلّ يقول: (إِنَّا أَنزلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ)، وقال: (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) قال: فتجد الرجل ينكح النساء، ويغرس الغرس واسمه في الأموات.
وعن أبي مالك، في قوله: (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) قال: أمر السنة إلى السنة ما كان من خلق أو رزق أو أجل أو مصيبة، أو نحو هذا. وعن هلال بن يساف، قال: كان يقال: انتظروا القضاء
=

مكية، وقيل إلا قوله: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا العَذَابِ﴾ [الدخان: 15]ست، أو سبع، أو تسع وخمسون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الدخان: ١ - ٩].

﴿حم﴾ [الدخان: 1].

﴿وَالْكِتَابِ﴾ [الدخان: 2] القرآن ﴿الْمُبِينِ﴾ المظهر للأحكام.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ [الدخان: 3] أي: الكتاب ﴿فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ هي ليلة القدر، أنزل فيها من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا في بيت العزة جملة، وقيل: ليلة النصف من شعبان ﴿إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾.

﴿فِيهَا﴾ [الدخان: 4] أي: في الليلة المذكورة ﴿يُفْرَقُ﴾ يفصل ﴿كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ محكم من رزق وأجل وغيره إلى تمام سنة، وهي الليلة مثلها إلا الشقاوة والسعادة، فإنهما لا يتبدلان، والمعنى بذلك أمرًا لله لملائكته بما يكون في ذلك العام.

﴿أَمْرًا﴾ [الدخان: 5] تقديره أنزلناه أمرًا ﴿مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ للرسل.

﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ [الدخان: 6] لأقوال الخلق ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأفعالهم.

﴿رَبِّ﴾ [الدخان: 7] قرأ الكوفيون بالخفض، والباقون بالرفع ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ بذلك فآمنوا به وبرسوله ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي

-

في شهر رمضان.

وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾.

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ﴾ [الدخان: 9] من الساعة ﴿يَلْعَبُونَ﴾ استهزاء منهم بمحمد ﷺ.

﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الدخان: ١٠ - ١٦].

﴿فَارْتَقِبْ﴾ [الدخان: 10] أي: النعمة النازلة عليهم ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ ظاهر وهو الحاصل من الجوع الكائن بدعائه ﷺ على قريش لما قال: «**اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف**»[1] فأتاهم جوع عظيم فصار أحدهم إذا رفع رأسه إلى السماء لا يرى إلا الدخان من شدة الجوع ﴿يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾[2] [الدخان: 12] مصدقون بالأنبياء.

﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى﴾ [الدخان: 13] أي: لا تكون نافعة لهم ﴿وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾ قبل نزول العذاب بهم.

﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ﴾ [الدخان: 14] أي: يعلمه القرآن إنسان آخر ﴿مَجْنُونٌ﴾.

﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ﴾ [الدخان: 15] وهو الجوع ﴿قَلِيلًا﴾ أي: زمنًا قليلاً، فرفع عنهم ﴿إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ لكفركم، فعادوا.

﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ﴾ [الدخان: 16] الأخذ بالقوة ﴿الْكُبْرَى﴾ وهي يوم بدر ﴿إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ من الكفار.

---

(1) رواه البخاري (335/15).

(2) ضعف الإيمان ما يكون عند نزول البليات، بل الإيمان الأصلي ما يكون أعظم في العافية مما يكون في البلاء، ولا ينكشف العذاب والحجاب إلا بصدق الافتقار والحياء من الله في النظر إلى غيره.

﴿ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الدخان: ١٧ - ٢٩].

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾ [الدخان: 17] بلونا ﴿قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ عند الله وهو موسى عليه السلام.

﴿أَنْ﴾ [الدخان: 18] أي: جاءهم بأن ﴿أَدُّوا﴾ أسلموا ﴿إِلَيَّ عِبَادَ اللهِ﴾ بني إسرائيل، أو المراد: أظهروا إيمانكم بالطاعة لي يا عباد الله ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ على ما أرسلت به؛ أي: مأمون على ذلك.

﴿وَأَنْ لا تَعْلُوا﴾ [الدخان: 19] تنكروا وتجبروا ﴿عَلَى اللهِ﴾ عن الإيمان به ﴿إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ برهان ظاهر على صدق النبوة والرسالة، ولما قال لهم ذلك وعدوه بالرجم، وقال ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ﴾.

﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي﴾ [الدخان: 21] أي: لم تصدقوني ﴿فَاعْتَزِلُونِ﴾ دعوني بلا إيذاء منكم، فلم ينتهوا عن أذاه.

﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ﴾ [الدخان: 22] أي: بأن ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ﴾ كافرون.

فأمره بما ذكر بقوله: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي﴾ [الدخان: 23] وهم بنو إسرائيل ﴿لَيْلاً إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾ يتبعكم فرعون وقومه.

﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ﴾ [الدخان: 24] بضربك بالعصا ﴿رَهْوًا﴾ طريقًا يابسًا، أو اترك إذا قطعته مع صحبك مفرجًا حتى يدخله القبط ﴿إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ﴾ فاطمأن بذلك فأغرقوا.

﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ﴾ [الدخان: 25] بساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾ أنهار تجري.

﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ﴾ [الدخان: 26] مجلس ﴿كَرِيمٍ﴾ حسن.

﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾ [الدخان: 27] ناعمين بالتمتع فيها.

﴿كَذَلِكَ﴾ [الدخان: 28] أي: الأمر كذلك ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾ أي: تلك النعم ﴿قَوْمًا آخَرِينَ﴾ وهم بنو إسرائيل.

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ﴾ [الدخان: 29] أي: الكفار ﴿السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾[1] لأن المؤمن إذا مات تبكي عليه الأرض والسماء، أو مصلاه من الأرض ومصعد عمله من السماء أربعون صباحًا، وبكاء السماء حمرة أطرافها ﴿وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ مؤخرين حين أخذهم العذاب لتوبة ولا لغيرها.

﴿ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَٰهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الدخان: ٣٠ - ٣٧].

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [الدخان: 30] وهو قتل الأبناء وترك النساء وغير ذلك.

﴿مِنْ فِرْعَوْنَ﴾ [الدخان: 31] أي: من عذابه ﴿إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾.

﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ﴾ [الدخان: 32] أي: بني إسرائيل المؤمنين ﴿عَلَى عِلْمٍ﴾ منَّا بحالهم ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ الذين كانوا في زمنهم.

---

(1) قال الشيرازي البقلي: كيف تبكي السماء والأرض على من يدَّعي الأنائية في ساحة كبرياء الأزل، والسماوات والأرضون في عظمها تصير هناك أقل من خردلة من هيبة عزة جبروته وملكوته، فغارت عليهم السماوات والأرض؛ إذ ادَّعوا ما ليس لهم في أمر الربوبية، وهي تبكي على العارفين الذين لا يجترئون أن يصفوا معروفهم بجميع الألسنة حياءً منه، إذا فارقوا من الدنيا تبكي السماوات والأرض بمفارقتهم حين لا تصعد عليهم أنوار أنفاسهم ولا يجري عليها بركات آثارهم كما روي في الحديث أن: «السماءُ والأرضُ تبكي بموت العلماء».

﴿وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ﴾ [الدخان: 33] كفلق البحر والمن والسلوى ﴿مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ﴾ نعمة ظاهرة.

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾ [الدخان: 34] كفار مكة ﴿لَيَقُولُونَ * إِنْ﴾ [الدخان: 34 - 35] ما ﴿هِيَ﴾ أي: الموتة التي بعدها حياتنا ﴿إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى﴾ أي: وهم نطف ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ﴾ بمبعوثين بعد موتتنا الثانية.

﴿فَأْتُوا﴾ [الدخان: 36] قاله الكفار للنبي ﷺ وصحبه ﴿بِآبَائِنَا﴾ أحياء بعد موتهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أنَّا نبعث بعد الموت.

ثم خوفهم الله تعالى بحال من سبقهم بقوله ﴿أَهُمْ خَيْرٌ﴾ [الدخان: 37] أي: أقوى ﴿أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ وهو رجل صالح أسلم، أو نبي ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ لكفرهم وليسوا أقدر منهم، أفلا يعتبرون ويعلمون أنَّا إذا أقدرنا على إهلاك المذكورين قدرنا على إهلاكهم؟! ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾.

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الدخان: ٣٨ - ٥٠].

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾[1] [الدخان: 38] بخلق ذلك.

---

(1) قال البقلي: «كان في علم الله في أزل أزله أنه يوجد الكون من العدم، فأوجده بحق العلم السابق، وذلك الحق حقُّ سوابق إرادته الأزلية على وجود الأكوان والحدثان؛ لتحقق بأنوار حقائق اصطناعه حقائق أنوار قلوب العارفين، وليتطرقوا بوسائط الشواهد إلى مشاهد جلاله وجماله؛ لئلا يحترقوا بالبديهة في بروز سطوات قدسه وكبريائه».

﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الدخان: 39] أي: محقين في ذلك لما أريد بهما من الاستدلال على القدرة وإيصال النفع وغير ذلك ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ أي: مشركو مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ إذ لو علموا لآمنوا.

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ [الدخان: 40] هو يوم القيامة ﴿مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ لعذابهم الدائم.

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي﴾ [الدخان: 41] لا ينفع ﴿مَوْلًى عَنْ مَوْلًى﴾ قرين، أو صديق عن مماثلة ﴿شَيْئًا﴾ من عذاب الله تعالى ﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ يمنعون من العذاب.

﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ﴾ [الدخان: 42] من المؤمنين، فإنه يشفع بعضهم لبعض بإذن الله تعالى ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ﴾ [الدخان: 43] قال بعضهم: هي أخبث المر، نبتت بتهامة وينبتها الله في الجحيم.

﴿طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾ [الدخان: 44] أي: صاحب الإثم الكثير كأبي جهل.

﴿كَالْمُهْلِ﴾ [الدخان: 45] وهو دردي الزيت إذا كان شديد السواد ﴿يَغْلِي﴾ قرأ ابن كثير وحفص «يغلي» بالياء من أسفل والباقون بالتاء من فوق ﴿فِي الْبُطُونِ﴾.

﴿كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾ [الدخان: 46] وهو الماء الحار إذا اشتد غليانه.

ويقال للزبانية يوم القيامة عند رؤيتهم للأثيم: ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ﴾ [الدخان: 47] بضم التاء لنافع وابن كثير وابن عامر ويعقوب، والباقون بكسرها، ارفعوه ﴿إِلَى سَوَاءِ﴾ وسط ﴿الْجَحِيمِ﴾.

﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾ [الدخان: 48].

وعندما نصب فوق رأسه يقال له: ﴿ذُقْ﴾ [الدخان: 49] أي: هذا العذاب ﴿إِنَّكَ﴾ قرأ الكسائي بفتح الهمزة، والباقون بكسرها ﴿أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ عند قومك بزعمك، والمقول له: أبو جهل؛ لأنه كان يقول في الدنيا: أنا أعز أهل الوادي وأكرمهم.

ويقال للمشركين في النار: ﴿إِنَّ هَذَا﴾ [الدخان: 50] العذاب الذي رأيتم ﴿مَا﴾ أي: الذي ﴿كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾ تشكون في الدنيا.

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن

سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ ۖ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾
[الدخان: ٥١ - ٥٩].

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [الدخان: 51] أمنوا فيه من الخوف، قرأ المدنيان وابن عامر بضم ميم «مقام»؛ أي: إقامة، والباقون بفتحها؛ أي: يجلس ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾.

﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ﴾ [الدخان: 53] وهو: ما رقَّ من الديباج ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ ما غلظ منه ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾ فلا ينظر بعضهم إلى قفا بعض، تدور بهم الأرائك.

﴿كَذَلِكَ﴾ [الدخان: 54] أي: الأمر كذلك، أو نفعل بالمتقين فعلاً كذلك ﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ والحور: البيض، والعين: الواسعات الأعين الحسان.

﴿يَدْعُونَ﴾ [الدخان: 55] خدمهم؛ أي: يطلبونهم ليحضروا لهم ﴿فِيهَا﴾ في الجنة ﴿بِكُلِّ فَاكِهَةٍ﴾ أرادوا ﴿آمِنِينَ﴾ من كل مخوف، ومنه: انقطاع الفاكهة وصعوبة أخذها ونحوه.

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا﴾ [الدخان: 56] في الجنة ﴿الْمَوْتَ إِلَّا﴾ لكن ﴿الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾[1] في الدنيا، أو بعد الموتة الأولى ﴿وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾.

---

(1) قال البقلي: افهم يا فَهِم لو تدرك حقائق أمور المعارف لا تتهمني بالجهل فيما أقول لك؛ فإن الموت الأصلي هو العدم، وكيف يموت من أوجده الحق بنور القدم، الموتة الأولى هي عدمهم قبل وجودهم، فبعد الوجود لا يكون القدم بالحقيقة، إنما يجري عليهم أطوار فنون امتحانات الحق كالذهب ساعة في طين، وساعة في نار، وساعة في بوتقة، وساعة في سواد، وساعة في بياض حتى يعود إلى ما خرج من المعدن ،فأطوار الخليقة إلى الأبد في تقلبها بقاء في بقاء، وكيف يفنى بالحقيقة من أوجده الحق من مكمن الغيب إلى قضاء ربوبيته، فإذا أحضرهم في ساحة كبريائه ويتجلى لهم بالبداهة من عين الجبارية والقهارية يكونون في محل الفناء وفي فناء الفناء من عليات سطوات ألوهيته، فإذا صاروا فانين ألبسهم الله لباس بقائه؛ فيبقون ببقائه أبد الآبدين، فإذا الاستثناء وقع على التحقيق لا على التأويل فيأرب موت هناك؛ ويأرب حياة هناك؛
=

﴿فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الدخان: 57].

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ﴾ [الدخان: 58] سهلناه، والضمير للقرآن ﴿بِلِسَانِكَ﴾ بلغتك؛ ليفهم العرب عنك ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ أي: يتعظون فيؤمنون، ولكنهم لا يؤمنون.

﴿فَارْتَقِبْ﴾ [الدخان: 59] انتظر نزول العذاب بهم ﴿إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ﴾ منتظرون قهرك بزعمهم والأمر له بأن يرتقب منسوخ بآية الجهاد.

= لأن الحدث لا يستقيم عند بروز حقائق بواطن القدم، ألا ترى إلى إشارة النبي ﷺ كيف قال: «حجابُه النورُ، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه».

سورة الجاثية

ويقال لها: سورة الشريعة، مكية إلا قوله: ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا﴾ [الجاثية: 14]، ست أو سبع وثلاثون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [الجاثية: ١ - ٦].

﴿حم﴾ [الجاثية: 1].

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ [الجاثية: 2] القرآن ﴿مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾.

﴿إِنَّ فِي﴾ [الجاثية: 3] خلق ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ﴾ من النجوم والبحار وغير ذلك، كلها دالة على قدرة الله تعالى ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ إذ هم المتقون بها.

﴿وَفِي خَلْقِكُمْ﴾ [الجاثية: 4] على الترتيب من النطفة إلى الانتهاء ﴿وَ﴾ خلق ﴿مَا يَبُثُّ﴾ فرق في الأرض ﴿مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[1] نبعثهم بعد الموت.

﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [الجاثية: 5] بالذهاب والمجيء وغيرهما ﴿وَمَا أَنْزَلَ

---

(1) قال الورتجيبي: أي: ما بان في السماوات والأرض بان في خلق الإنسان والحيوان أيضًا، فما بان في السماوات والأرض للمؤمنين بان في خلق الإنسان والحيوان للموقنين؛ لأن ما بان في خلق الإنسان حقيقة مباشرة الصفة في الفعل، وذلك يوجب حقيقة اليقين، وبين اليقين والإيمان فروقٌ كثيرةٌ، وحقيقة الإيمان هو اليقين؛ حين باشر الأسرار بظهور الأنوار، ألا ترى كيف سأل النبي ﷺ بقوله: «اللهمَّ إنِّي أسألُك إيمانًا يباشرُ قلبِي ويقينًا ليس بعده كفرٌ». قال بعضهم: في شواهد القدرة وآثار الصنع دلالاتٌ وآياتٌ على وحدانيته، فمن استشهد بها على وحدانيته فهو الموحِّد، ومن كان نظره إلى القادر الصانع المبدي لها ثم يرجع إلى الصنع والقدرة فهو العارف.

الله مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ﴾ من ماء ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ بأن أنبتت ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي: يبسها ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ﴾ تقليبها كباردة وحارة ﴿آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ إنها دالة على وحدانية الله تعالى فيؤمنون، قرأ حمزة والكسائي «آيات لقوم» كلاهما بكسر التاء فيهما والباقون بالرفع فيهما.

﴿تِلْكَ﴾ [الجاثية: 6] إشارة للآيات السابقة ﴿آيَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا﴾ نقصها ﴿عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﷺ ﴿بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللهِ﴾ أي: بعد حديث الله، وهو القرآن ﴿وَآيَاتِهِ﴾ الدالة على وحدانيته ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ قرأ المدنيان وابن كثير وأبو عمرو وروح وحفص «يؤمنون» بالياء من أسفل، والباقون بالتاء من فوق.

﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا هُدًى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [الجاثية: ٧ - ١١].

﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ﴾ [الجاثية: 7] كثير الإفك، وهو الكذب ﴿أَثِيمٍ﴾ كثير الإثم.

﴿يَسْمَعُ آيَاتِ اللهِ﴾ [الجاثية: 8] وهي القرآن ﴿تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا﴾ عن الإيمان ﴿كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا﴾ [الجاثية: 9] القرآن ﴿شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا﴾ يستهزأ بها ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ذو إهانة.

﴿مِنْ وَرَائِهِمْ﴾ [الجاثية: 10] من أمامهم ﴿جَهَنَّمُ﴾ لأنها في الآخرة وهم في الدنيا ﴿وَلَا يُغْنِي﴾ لا يدفع ﴿عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا﴾ ما عملوا من أعمالهم في الدنيا ﴿شَيْئًا﴾ في الآخرة ﴿وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ﴾ وهم الأصنام ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿هَذَا﴾ [الجاثية: 11] إشارة إلى القرآن ﴿هُدًى﴾ من الضلال ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ﴾ وهو أشد العذاب، أو حظ من عذاب ﴿أَلِيمٌ﴾.

﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ

تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الجاثية: ١٢ - ١٥].

﴿اللهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ﴾ [الجاثية: 12] السفن ﴿فِيهِ بِأَمْرِهِ﴾ بإذنه ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ بالتجارات ونحوها ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾ [الجاثية: 13] سبحانه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيها فيؤمنون.

﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ﴾ [الجاثية: 14] لا يخافون ﴿أَيَّامَ﴾ وقائع ﴿اللهِ﴾ نزلت في تحمل أذى المشركين قبل الأمر بالقتال، فنسخت بالأمر به، أو نزلت في كافر شتم عمر بن الخطاب فأمر بالعفو ﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف «لنجزي» بالنون والباقون بالياء، وأبو جعفر بضم الياء وفتح الزاي، والباقون بالفتح والكسر.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ [الجاثية: 15] ثواب عمله ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ إثم عمله ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ فيجازي كلا بعمله.

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ ۖ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۖ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الجاثية: ١٦ - ٢٠].

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴾ [الجاثية: 16] التوراة ﴿وَالْحُكْمَ﴾ بين الناس

﴿وَالنُّبُوَّةَ﴾ فمنهم موسى وهارون وغيرهما ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ كالمن والسلوى ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ من أهل زمانهم.

﴿وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ﴾ [الجاثية: 17] أي: من الدين وبعثة نبينا ﷺ ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا﴾ أي: في بعثة نبينا محمد ﷺ ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ أي: لبغي حدث بينهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من ذلك ومن غيره.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ﴾ [الجاثية: 18] طريقة ﴿مِنَ الْأَمْرِ﴾ في الدين والخطاب لمحمد ﷺ ﴿فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ في عبادة غير الله تعالى.

﴿إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا﴾ [الجاثية: 19] يدفعوا ﴿عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ أي: الكفار ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ﴾ أنصار وأعوان ﴿بَعْضٍ وَاللهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ ناصرهم وحافظهم ومعينهم.

﴿هَذَا﴾ [الجاثية: 20] أي: القرآن ﴿بَصَائِرُ لِلنَّاسِ﴾ يبصرهم بالدين وأحكامه ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ بالبعث.

﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الجاثية: ٢١ - ٢٤].

﴿أَمْ﴾ [الجاثية: 21] بمعنى همزة الإنكار ﴿حَسِبَ﴾ ظن ﴿الَّذِينَ اجْتَرَحُوا﴾ اكتسبوا ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ من كفر وغيره ﴿أَنْ نَجْعَلَهُمْ﴾ أي: نصيرهم ﴿كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ المعنى: أظنوا أن تسوى بينهم وبينهم في الآخرة في رغد العيش كما أوتيه الكفار في الدنيا حيث قالوا للمؤمنين: إن بعثنا لنؤتين مثل ما تعطون؛ أي: لا يكون ذلك، وقرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص «سواء» بالنصب،

والباقون بالرفع ﴿سَاءَ﴾ ليس ﴿مَا يَحْكُمُونَ﴾ أي: الكفار في استواء المذكور فالمؤمن في الجنة بطاعته والكافر في النار بعصيانه.

﴿وَخَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ [الجاثية: 22] وهو الدلالة على وحدانيته ﴿وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ أي: خلقهما؛ ليدل بهما على قدرته ﴿وَلِتُجْزَى﴾ إلى آخره ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ فلا يزال في سيئات كافر ولا ينقص من حسنات مؤمن.

﴿أَفَرَأَيْتَ﴾ [الجاثية: 23] أخبرني ﴿مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ وهو ما أحبه من حجر بعد حجر يراه أحسن ﴿وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ منه تعالى بأنه من أهل الضلال قبل خلقه، أو أضله في حال علم الكافر بأنه ضلال ﴿وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف «غشوة» بفتح الغين وإسكان الشين من غير ألف، والباقون بكسر الغين وألف بعد الشين، والمراد: الظلمة؛ أي: منعه الله تعالى من وصوله إلى الهدى، فلم يسمعه ولم يعقله ولم يبصره ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ﴾ أي: لا هادي له من بعده ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ تتعظون بذلك.

﴿وَقَالُوا﴾ [الجاثية: 24] أي: منكروا البعث ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ أي: حياتنا فيها ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي: بعضنا يموت والبعض الآخر يحيا وهكذا ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ أي: مرور الزمان فرد عليهم الله بقوله: ﴿وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ﴾ الذي قالوه ﴿مِنْ عِلْمٍ إِنْ﴾ ما ﴿هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾.

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٢٥) قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢٦) وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ (٢٧) وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨) هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٩) فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ (٣٠) ﴾ [الجاثية: ٢٥ - ٣٠].

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ [الجاثية: 25] أي: الكفار ﴿آيَاتُنَا﴾ وهي القرآن ﴿بَيِّنَاتٍ﴾

واضحات ﴿مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ﴾ برفع التاء في رواية ابن العلاف عن رويس، والباقون بكسرها ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا﴾ أحياء ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في البعث.

﴿قُلِ اللهُ يُحْيِيكُمْ﴾ [الجاثية: 26] بعد إن كنتم نطفًا ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ﴾ بعد الموت أحياء ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وهم قائلون ذلك.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الجاثية: 27] أنفسهم بالنار، وأموالهم بعدم الثواب على إنفاقها، ومنازلهم التي كانت لهم لو آمنوا في الجنة.

﴿وَتَرَى﴾ [الجاثية: 28] يوم القيامة ﴿كُلَّ أُمَّةٍ﴾ أهل دين ﴿جَاثِيَةً﴾ جالسة على الركب مجتمعة وهذه جلسة المخاصم بين يدي الحاكم لانتظار فصل القضاء ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا﴾[1] أي: إلى قراءة كتاب أعمالها، قرأ يعقوب بنصب اللام، والباقون برفعها، ويقال لهم: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا؛ أي: جزاء ذلك.

﴿هَذَا كِتَابُنَا﴾ [الجاثية: 29] أي: ديوان الحفظة ﴿يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ﴾ نكتب ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ﴾ [الجاثية: 30] وهي: الجنة ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ﴾ الظفر ﴿الْمُبِينُ﴾ الظاهر.

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ

---

(1) قال الشيخ ابن عجيبة: فهي عامة للناس في حال الموقف قبل التواصل إلى الثواب والعقاب، فإن أهل الموقف جاثون على الرُّكب، كما هو المعتاد في مقام التفاؤل والخصام، قلت: ولعل هذا فيمن يُناقش الحساب، وأما غيرهم فيلقى عليهم سحابة كنفه، ثم يقررهم بذنوبهم ويسترهم. «البحر المديد (3/479).

﴿اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٣٥) فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٦) وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣٧)﴾ [الجاثية: ٣١ - ٣٧].

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الجاثية: 31] فيقال لهم: ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي﴾ وهي القرآن ﴿تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾ عن الإيمان ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ كافرين.

﴿وَإِذَا قِيلَ﴾ [الجاثية: 32] أي: لكم أيها الكفار ﴿إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ﴾ برفعها للقراء إلا حمزة فنصبها ﴿لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ﴾ ما نحن ﴿نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ أو التقدير: إن نظن إلا أنكم تظنون ظنًا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ إن الساعة آتية.

﴿وَبَدَا لَهُمْ﴾ [الجاثية: 33] في الآخرة ﴿سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ في الدنيا؛ أي: جزاء ذلك ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ وهو العذاب.

﴿وَقِيلَ﴾ [الجاثية: 34] لهم ﴿الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ﴾ نترككم في النار ﴿كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ كترككم العمل له ﴿وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ مانعين منها.

﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللهِ هُزُوًا﴾ [الجاثية: 35] وهي القرآن ﴿وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ فقلتم لا حساب ولا بعث ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا﴾ من النار ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ لا يطلب منهم إرضاء الرب؛ لأنه محال.

﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ﴾ [الجاثية: 36] على خزي المكذبين ونصر المؤمنين ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ﴾ [الجاثية: 37] العظمة ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

سورة الأحقاف

مكية إلا آيات الأولى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللهِ﴾ [الأحقاف: 10]، الثانية: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: 35]، الثالثة: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ [الأحقاف: 15] أربع، أو خمس وثلاثون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ حمٓ (١) تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ (٢) مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ (٣) قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ هَـٰذَآ أَوْ أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ (٤) وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ (٥) ﴾ [الأحقاف: ١ - ٥].

﴿حم * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * مَا خَلَقْنَا السَّموَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [الأحقاف: 1: 3] بقائهما ليوم القيامة ثم يحصل لهما الفناء ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا﴾ به وهو القرآن المنذر بالبعث وغيره ﴿مُعْرِضُونَ﴾ لا يؤمنون بذلك.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ [الأحقاف: 4] أخبرني ﴿مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ من الأصنام ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ أي: لم يخلقوا شيئًا ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾ أي: مشاركة في خلقها؛ أي: ليس لهم شرك ﴿ائْتُونِي﴾ أيها المدعون بخلاف ما أقول ﴿بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ أنزل عليكم يدل على ما ذكرتم ﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي: بغية منه تؤثر عن الأولين بصحة عبادة الصنم والتقرب بذلك إلى الله ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في دعواكم.

﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾ [الأحقاف: 5] معناه لا أضل ﴿مِمَّنْ يَدْعُو﴾ يعبد ﴿مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ﴾ الأصنام لا يجيبون دعاء ﴿عَنْ دُعَائِهِمْ﴾ أبدًا

وهم؛ أي: الأصنام عن دعائهم عبادة الكفار لهم ﴿غَافِلُونَ﴾ لا يعقلون ذلك.

﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝﴾ [الأحقاف: ٧ - ١٠].

﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ﴾ [الأحقاف: 6] يوم القيامة ﴿كَانُوا﴾ أي: الأصنام ﴿لَهُمْ﴾ أي: لعابديها ﴿أَعْدَاءً وَكَانُوا﴾ أي: الأصنام ﴿بِعِبَادَتِهِمْ﴾ أي: بعبادة المشركين لهم ﴿كَافِرِينَ﴾ يجحدون ذلك، فيخلق الله فيها في ذلك اليوم ما تقول به تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ [الأحقاف: 7] أي: على كفار مكة ﴿آيَاتُنَا﴾ القرآن ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ واضحات ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ﴾ وهو القرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ ظاهر.

﴿أَمْ﴾ [الأحقاف: 8] بمعنى همزة الإنكار ﴿يَقُولُونَ﴾ لمحمد ﷺ ﴿افْتَرَاهُ﴾ أي: القرآن ﴿قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ﴾ هو من باب الفرض ﴿فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللهِ شَيْئًا﴾ أي: لا تقدرون على رد عذابه عني ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ﴾ تقولون ﴿فِيهِ﴾ في القرآن من قولهم كذب وسحر ونحوه ﴿كَفَى بِهِ﴾ أي: بالله ﴿شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: 9] أي: لست بأول المرسلين، قد بعث قبلي كثير من الأنبياء، والمعنى: إذا كنت كذلك فكيف تنكرون نبوتي وقد جاءكم قبل من هو داع إلى الله تعالى ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ في الدنيا، أأموت قبل إيمانكم أو بعده؟ أو تخرجون من داري أم لا؟ ولا أدري ما يفعل بكم فيها، هل تعدون أم تمهلون للآخرة؟ هذا معنى الآية وإلا فمصيره ﷺ إلى أعلى الجنة ومصير الكفار إلى

النار، وهذا قطعي يعلمه النبي ﷺ وكل مؤمن ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ وهو القرآن ولا أفتري ﴿وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ بما أوتيت به، أو بين الإنذار.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ [الأحقاف: 10] أخبروني ﴿إِنْ كَانَ﴾ القرآن ﴿مِنْ عِنْدِ اللهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ هو عبد الله بن سلام ﴿عَلَى مِثْلِهِ﴾ أي: على القرآن إنه من عند الله ﴿فَآمَنَ﴾ عبد الله بن سلام الشاهد ﴿وَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾ عن الإيمان، والمعنى: إن كان القرآن من عند الله وكفرتم به ألستم ظالمين ودل على ذلك ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الأحقاف: ١١ - ١٤].

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الأحقاف: 11] من بني غفار وأسلم وغيرهم؛ أي: في حقهم لمَّا آمنوا ﴿لَوْ كَانَ﴾ أي: الإيمان ﴿خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ﴾ أي: الكفار إلى القرآن ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ أي: الكفار ﴿هَذَا﴾ أي: القرآن ﴿إِفْكٌ﴾ كذب ﴿قَدِيمٌ﴾ كقولهم: ﴿أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ [المطففين: 13].

﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ [الأحقاف: 12] أي: من قبل القرآن أنزل ﴿كِتَابُ مُوسَى﴾ التوراة ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ للمؤمنين به من بني إسرائيل ﴿وَهَذَا﴾ أي: القرآن ﴿كِتَابٌ مُصَدِّقٌ﴾ للكتب قبله ﴿لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ﴾ قرأ ابن عامر ويعقوب والبزي بخلاف عنه «لتنذر» بالخطاب، والباقون بالغيب ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ وهم الكفار ﴿وَبُشْرَى﴾ أي: والقرآن بشرى ﴿لِلْمُحْسِنِينَ﴾ بالإيمان.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ [الأحقاف: 13] على الطاعة ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً﴾ [الأحقاف: 14] أي: يجزون ذلك جزاء ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأحقاف: ١٥ - ١٦].

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ [الأحقاف: 15] وقرأ الكوفيون «إحسانًا»؛ أي: أمرناه أن يحسن إليهما ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ بفتح الكاف وضمها فيهما؛ أي: على مشقة وشدة ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ﴾ قرأ يعقوب «وفصله» بفتح الفاء وإسكان الصاد بلا ألف، والباقون بكسر الفاء وفتح الصاد وألف، والمراد: انتهاء مدة الرضاع ﴿ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ ستة أشهر للحمل والباقي للرضاع أخذًا بالأقل في الأول والأكثر في الثاني، أو أن الباقي من ثلاثين للرضاع إن كان الحمل تسعة مثلاً ﴿حَتَّى﴾ غاية لحمله؛ أي: عاش حتى ﴿إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ نهاية قوته وهو ما بين ثماني عشر سنة إلى تمام أربعين ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ نزلت الآية في الصديق لمَّا بلغ أربعين بعد سنتين من مبعث النبي ﷺ آمن به، ثم أبواه، ثم ابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن أبو عتيق ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾ ألهمني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ بالإسلام ﴿وَعَلَى وَالِدَيَّ﴾ بالإسلام أيضًا؛ إذ آمن هو وأبوه وأمه ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ فلم يرد من الخير شيئًا إلا سهل له وأعتق تسعة يعذبون في الله ﷻ ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ فاستجب له ذلك فصار ابنه عبد الرحمن من أكابر الصحابة وولده محمد صحابي أيضًا، ولا يوجد في بيت من الصحابة أربعة ذكور كلهم صحابي على نسق واحد إلا في بيته، وهم: محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق بن عثمان ﷺ فأكره الله بإجماع أبويه في الإسلام وأولاده، ولجدنا عبد الرحمن ولدًا آخر اسمه عبد الله ونحن من ذريته، وهو من أكابر التابعين، واتفقوا على توثيقه ﴿إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

﴿أُولَئِكَ﴾ [الأحقاف: 16] أبو بكر وذريته ومن عمل مثل ذلك ﴿الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ

عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ أي: حسنة ﴿وَنَتَجاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص «نتقبل» و«نتجاوز» بالنون ونصب «أحسن»، والباقون بالياء من أسفل في أولهما ورفع «أحسن» ﴿فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾ أي: كائنين في جملتهم ﴿وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ﴾ [التوبة: 72].

﴿ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأحقاف: ١٧ - ١٩].

﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ﴾ [الأحقاف: 17] نزلت في كافر عاق لوالديه، ومن قال إنه عبد الرحمن بن أبي بكر فقد كذب؛ لقوله تعالى في آخر القصة: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ [الأحقاف: 18] وعبد الرحمن آمن وصار من كبار الصحابة ﴿أُفٍّ﴾ تبًا وقبحًا ﴿لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ﴾ من قبري حيًا ﴿وَقَدْ خَلَتِ﴾ مضت ﴿الْقُرُونُ﴾ الأمم الكثيرة في الأزمنة الماضية ﴿مِنْ قَبْلِي﴾ لم يبعث أحد منهم ﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللهَ﴾ أي: يستصرخان به عليه ويقولان له ﴿وَيْلَكَ آمِنْ﴾ بالله ﴿إِنَّ﴾ يبعث الله الأموات ﴿وَعْدَ اللهِ حَقٌّ﴾ بالبعث ﴿فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾.

﴿أُولَئِكَ﴾ [الأحقاف: 18] أي: قائلين هذا القول حال كونهم مصرين عليه ﴿الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ وجب عليهم العذاب، فهو دليل على أن الآية فيمن علم الله عدم إيمانه ﴿فِي أُمَمٍ﴾ مع أمم ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾.

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾ [الأحقاف: 19] للمؤمنين منازل متفاوتة بحسب أعمالهم في الجنة وللكافرين منازل متفاوتة بحسب أعمالهم في النار ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ﴾ الله ﴿أَعْمَالَهُمْ﴾ بالياء من أسفل للبصريين وابن كثير وعاصم والحلواني عن هشام، والباقون بالنون؛ أي: جزاء أعمالهم ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ فلا يزاد على المسيء ولا

ينقص من حسنات المحسن.

﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ ۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأحقاف: ٢٠ - ٢٣].

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ [الأحقاف: 20] بأن تكشف لهم ويقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ﴾ لذاتكم وتمتعكم بها ﴿فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ الذل والخزي ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ تتكبرون عن الإيمان ﴿فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾.

﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾ [الأحقاف: 21] هود عليه السلام ﴿إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾ وهو واد بين عمان ومهرة التي تنسب إليها الإبل المهرية باليمن، وكانوا من قبيلة إرم، والأحقاف: جمع حقف، وهو المستطيل المعوج من الرمال أو المستدير منه ﴿وَقَدْ خَلَتِ﴾ مضت ﴿النُّذُرُ﴾ الرسل ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ من قبل هود ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ من بعده أن؛ أي: بأن قال لهم ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ إن عبدتم غيره.

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا﴾ [الأحقاف: 22] لتصرفنا ﴿عَنْ آلِهَتِنَا﴾ عن عبادتها ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ من العذاب ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فيه.

﴿قَالَ﴾ [الأحقاف: 23] هود لهم: ﴿إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ﴾ إليكم ﴿وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ باستعجالكم العذاب.

﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا

لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الأحقاف: ٢٤ - ٢٦].

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ [الأحقاف: 24] أي: العذاب ﴿عَارِضًا﴾ سحابًا معترضًا في ناحية السماء ﴿مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾ لمَّا أبطأ المطر عنهم ﴿قَالُوا﴾ استبشارًا ﴿هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا﴾ فقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ﴾ من العذاب ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿تُدَمِّرُ﴾ [الأحقاف: 25] تهلك ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ مرت عليه من رجال عاد وأموالها وأهلها ﴿بِأَمْرِ﴾ بإذن ﴿رَبِّهَا﴾ وعرفوا أنه عذابًا بأنهم رأوا الريح تحمل الرجل منهم وتطير به بين السماء والأرض، فدخلوا البيوت وأغلقوا الأبواب، فغلقت الريح الأبواب وأهالت عليهم الرمال ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ﴾ [الحاقة: 7] كما يأتي إن شاء الله تعالى في «الحاقة»، ثم كشف الله الرمل عنهم وأمر الريح فاحتملتهم فألقتهم في البحر ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾ قرأ يعقوب وعاصم وجعفر وخلف بياء مضمومة من أسفل، «مساكنهم» بالرفع، والباقون بتاء مفتوحة ونصب «مساكنهم» ولم يلق بعد هذا العذاب إلا هو ومن آمن معه ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: كما جزينا قومه ﴿نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ المشركين.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾ [الأحقاف: 26] التقدير: ولقد مكناهم في الذي ما مكناكم فيه؛ أي: أتيناهم قوة ومالاً أكثر منكم يا أهل مكة ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً﴾ قلوبًا ﴿فَمَا أَغْنَى﴾ دفع ﴿عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: شيئًا ﴿إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ﴾ حجج ﴿اللهِ وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ من العذاب.

﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا

كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبۡ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيۡسَ بِمُعۡجِزٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَيۡسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءُۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأحقاف: ٢٧ - ٣٢].

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ﴾ [الأحقاف: 27] يا أهل مكة ﴿مِنَ الْقُرَى﴾ من أهلها كعاد وثمود وقوم لوط ﴿وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ﴾ كررنا الحجج مبينة ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن الكفر للإيمان.

﴿فَلَوْلَا﴾ [الأحقاف: 28] هلا ﴿نَصَرَهُمُ﴾ منعهم من العذاب ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ﴾ من غير الله ﴿قُرْبَانًا﴾ أي: اتخذوهم قربانًا يتقربون بهم إلى الله ﴿آلِهَةً﴾ والمراد: الأصنام ﴿بَلْ ضَلُّوا﴾ غابوا ﴿عَنْهُمْ﴾ فلم ينفعهم عند نزول العذاب ﴿وَذَلِكَ﴾ أي: اتخاذ الأصنام... إلى آخره ﴿إِفْكُهُمْ﴾ كذبهم ﴿وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

﴿وَ﴾ [الأحقاف: 29] اذكر ﴿إِذْ صَرَفْنَا﴾ أي: أملنا ﴿إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ﴾ هل هم سبعة بتقديم السين من جن نصيبين اليمن استمعوا لقراءته ﷺ في صلاة الفجر بـ «بطن نخلة» لمَّا صرف الشيطان جنوده لينظروا ماذا حال بينهم وبين خبر السماء، فلما سمعوا ذلك عرفوا أنه الحائل بينهم وبين خبرها ﴿يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾ أي: حضروا المحل الذي نقرأ فيه ﴿قَالُوا﴾ أي: قال بعضهم لبعض ﴿أَنْصِتُوا﴾[1] لاستماعه ﴿فَلَمَّا قُضِيَ﴾ فرغ من تلاوته ﴿وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ مخوفين داعين لهم للرشد بأمر الرسول ﷺ وكانوا يهودًا.

﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا﴾ [الأحقاف: 30] هو القرآن ﴿أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ما سبقه كالتوراة ﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ الإسلام ﴿وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي: طريقه.

---

(1) وصف الله أهل معرفته من الجن كيف حبست ألسنتهم هيبة الخطاب وحشمة المشاهدة، وهكذا من ألبس أنوار الهيبة والعظمة يخرس لسانه عن الانبساط والمخاطبة وإفشاء السر، وهذا بعد شهود القلوب أنوار الغيوب بنعت إصغاء الأسرار إلى وقوع الخطاب وكشف النقاب.

﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ﴾ [الأحقاف: 31] للإسلام وهو محمد ﷺ ﴿وَآمِنُوا بِهِ﴾ برسالته وما جاء به ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾ الله به ﴿مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ هي للتبعيض، والبعض الآخر كالمظالم لا تغفر إلا برضا صاحبه ﴿وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ولما قالوا لقومهم ذلك استجاب لهم منهم نحو من سبعين رجلاً فوافوه، فقرأ عليهم القرآن وأنذرهم وأمرهم ونهاهم.

﴿وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ﴾ [الأحقاف: 32] لله؛ أي: لا يفوته ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ بالهرب منه ولا بغيره ﴿وَلَيْسَ لَهُ﴾ أي: لمن لا يجيب ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي: من غير الله ﴿أَولِيَاءُ﴾ أنصار يدفعون عذاب الله عنه ﴿أُولَئِكَ﴾ أي: من لم يجب ﴿فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ظاهر.

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحقاف: ٣٣ - ٣٥].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ [الأحقاف: 33] يعلموا؛ أي: الكفار المنكرون للبعث ﴿أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ﴾ لم يصبه تعب ﴿بِخَلْقِهِنَّ﴾ ولم يعجز عنه ﴿بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى﴾ هو قادر على ذلك ﴿إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ [الأحقاف: 34] للعذاب بها ويقال لهم: ﴿أَلَيْسَ هَذَا﴾ التعذيب ﴿بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى﴾ هو الحق ﴿وَرَبِّنَا﴾ فاعترفوا حيث لم ينفعهم ذلك ﴿قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ أي: بسبب كفركم.

﴿فَاصْبِرْ﴾ [الأحقاف: 35] على أذى الكفار ﴿كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ﴾ الثبات والصبر ﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾ وهم إبراهيم وموسى ونوح وعيسى ومحمد ﷺ، وقيل: كلهم أولو عزم ﴿وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ أي: لقومك المكذبين بنزول العذاب؛ لأنه نازل بهم لا محالة، قيل: كأنه ضجر منهم فأحب نزول العذاب لهم فأمر بذلك ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾ من العذاب في الآخرة ﴿لَمْ يَلْبَثُوا﴾ في الدنيا ﴿إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ﴾ لأن زمن

المعاصي وإن طال كأقل الزمن إذا زال ﴿بَلَاغٌ﴾ أي: هذا القرآن بلاغ؛ أي: تبليغ لكم عن الله تعالى ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ﴾ إذا نزل العذاب ﴿إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ أي: لا يهلك بالعذاب غيرهم.

سورة القتال

ويقال لها سورة محمد ﷺ

مدنية على الأصح، وقيل: مكية، وقوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ [محمد: 13] مكي ثمان، أو تسع وثلاثون، أو أربعون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (٢) ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ (٣) فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (٤) ﴾ [محمد: ١ - ٤].

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [محمد: 1] من أهل مكة وغيرهم ﴿وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ أي: صدوا غيرهم عن الإيمان ﴿أَضَلَّ﴾ الله؛ أي: أحبط ﴿أَعْمَالَهُمْ﴾ فلا ثواب لهم عليها، وملاذهم في الدنيا استدراج.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [محمد: 2] وهم المهاجرون والأنصار وغيرهم ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ﴾ ﷺ؛ أي: فلم يخالفوه في شيء وإلا فهو داخل في الإيمان الأول فلا يعصونه ﴿وَهُوَ﴾ أي: المنزل عليه ﷺ ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ حالهم.

﴿ذَلِكَ﴾ [محمد: 3] المذكور من إحباط عمل الكافر وأصلح بال المؤمن ﴿بِأَنَّ﴾ بسبب ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ﴾ وهو الشيطان ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ وهو القرآن.

﴿كَذَلِكَ﴾ [محمد: 4] أي: مثل ذلك البيان ﴿يَضْرِبُ اللهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ فللكافر البوار وللمؤمن ترادف المبار ﴿فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ أي: أضربوا أعناقهم ﴿حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ﴾ بالإكثار في القتل وقهرتموهم ﴿فَشُدُّوا الْوَثَاقَ﴾ ما يوثق به الأسرى، تجعلوهم أسرى لكم، والأسر لا يكون إلا بعد المبالغة في القتل، وأمروا به خشية تغلبهم علينا إذا انفلتوا ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ أي: إمَّا تمنون منًّا أو تفادون فداء، أو الأول الإطلاق بغير عوض منهم والثاني لمفاداة بمال، أو أسرى من المسلمين والإمام مخير في البالغين الأحرار من الكفار، إذا أسرهم بين القتل والمن وهو الإطلاق بلا عوض والاسترقاق والمفاداة ﴿حَتَّى﴾ غاية للقتل والأسر؛ أي: اقتلوهم وأسروهم حتى ﴿تَضَعَ الْحَرْبُ﴾ أي: أهلها ﴿أَوْزَارَهَا﴾ أثقالها من السلاح وغيره، فإذا أسلموا أو دخلوا في العهد تركنا قتلهم كما نترك أسرهم ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الأمر ذلك؛ أي: كما ذكر ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ بلا قتال ﴿وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ﴾ أي: أمر بذلك ليبلوا ﴿بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ في قتالهم فالمقتول منهم للنار والمقتول منا للجنة ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا﴾ بضم القاف وكسر التاء بلا ألف لحفص والبصريين، والباقون بفتحهما وألف بينهما؛ أي: قاتلوا ﴿فِي سَبِيلِ اللهِ فَلَنْ يُضِلَّ﴾ يذهب ﴿أَعْمَالَهُمْ﴾ أي: ثوابها.

﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾ ﴾ [محمد: ٥ - ١١].

﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾ [محمد: 5] في الدنيا ومنازلهم في الجنة ﴿وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ حالهم، والهداية في الدنيا والآخرة لمن لم يقتل وفي الآخرة لمن قتل؛ إذ لا يهتدي في الدنيا بعد قتله، ونزلت الآية لمَّا كثرت الجراحات والقتل في يوم أحد.

﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا﴾ [محمد: 6] بينها؛ أي: الجنة ﴿لَهُمْ﴾ فيهتدون لمنازلهم وخدمهم بلا استدلال.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ﴾ [محمد: 7] أي: تنصروا دينه ورسوله

﴿يَنْصُرْكُمْ﴾[1] على الأعداء ﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ عند لقائهم في الحرب.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ﴾ [محمد: 8] أي: هلاكًا وخيبة ﴿وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾.

﴿ذَلِكَ﴾ [محمد: 9] أي: نفسهم وإضلالهم ﴿بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ وهو القرآن الذي فيه التكاليف؛ أي: لم يأتمروا به ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ بسبب ذلك.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ﴾ [محمد: 10] آخر أمر ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللهُ عَلَيْهِمْ﴾ وجميع مالهم ﴿وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾ أي: أمثال تلك العاقبة.

﴿ذَلِكَ﴾ [محمد: 11] المشار إليه من نصر المؤمنين وإهلاك الكافرين ﴿بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى﴾ أي: ولي وناصر وحافظ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم ﴿١٤﴾ ﴾ [محمد: ١٢ - ١٤].

﴿إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ﴾ [محمد: 12] في دنياهم ﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾ لا يهمهم غير بطونهم وفرحهم، فلا التفات لهم للآخرة ﴿وَالنَّارُ مَثْوًى﴾ منزل ومقام ﴿لَهُمْ﴾.

﴿وَكَأَيِّنْ﴾ [محمد: 13] بمعنى: كم ﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾ أي: أهلها ﴿هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ﴾ مكة ﴿الَّتِي أَخْرَجَتْكَ﴾ أهلها ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ﴾ نافع ﴿لَهُمْ﴾ من إهلاكنا.

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ﴾ [محمد: 14] حجة واضحة ﴿مِنْ رَبِّهِ﴾ وهو المؤمن ﴿كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ فرآه حسنًا ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ في عبادة الأوثان؛ أي: أن

---

(1) نصرة العبد لله أن يجاهد نفسه وهواه وشيطانه؛ فإنهم أعداء الله؛ فإذا خاصمها يقويه الله وينصره عليهم، بأن يدفع شرهم عنه، ويجعله مستقيمًا في طاعة الله، ويجازيه بكشف جماله حتى يثبت في مقام العبودية وانكشاف أنوار الربوبية.

المؤمن والكافر لا يستويان.

﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ (١٥) وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (١٦) ﴾ [محمد: ١٥ - ١٦].

﴿مَثَلُ﴾ [محمد: 15] صفة ﴿الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ وما فيها من النعم ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ قرأ ابن كثير «أسن» بقصر الهمزة، والباقون بالمد، والآسن: المتغير، وماء الجنة لا يغير فيه بخلاف ماء الدنيا ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾ بخروج من ضرع بخلاف لبن الدنيا ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ﴾ بمعنى لذيذة ﴿لِلشَّارِبِينَ﴾ بخلاف خمر الدنيا؛ إذ هي مكروهة عند الشرب ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ لا قذى فيه ولا شمع بخلاف عسل الدنيا ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ أي: أصناف من كلها ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ فهو راض مع إحسانه بخلاف الإحسان في الدنيا، أو قد يكون معه السخط نسأل الله العافية؛ أي: ﴿كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ﴾ أي: آمن هو من هذا القسم كمن هو خالد في النار ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا﴾ اشتد حره ﴿فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ جمع معىً، وهي: ما في البطن من الحوايا وهي المصارين.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ [محمد: 16] وهم المنافقون، كانوا إذا سمعوا خطبة أو غير ذلك وخرجوا من عنده، قالوا: ﴿مَاذَا قَالَ آنِفاً﴾ استهزاء بما سمعوه منه، فذلك قوله ﴿حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ كابن عباس وابن مسعود: ﴿مَاذَا قَالَ﴾ محمد ﴿آنِفًا﴾ أي: الآن من الإئتناف، وهو الابتداء، أو قرأ البزي بخلاف عنه «أنفًا» بالقصر، والباقون بالمد، والمراد: الكناية عن كذبهم لا ليرجعون إليه ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ في النفاق واستمروا على الكفر.

﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ (١٧) فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ (١٨) فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا

ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾﴾ [محمد: ١٧ - ٢١].

﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا﴾ [محمد: 17] وهم من آمن ﴿زَادَهُمْ هُدًى﴾ بالتوفيق للعمل ﴿وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ أي: ثوابها، أو ألهمهم ما يتقون به النار.

﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾ [محمد: 18] أي: ما ينظر كدار مكة ﴿إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ علاماتها كبعثة محمد ﷺ وانشقاق القمر والدخان وغير ذلك وظهور علاماتها في هذا الزمن كثير ﴿فَأَنَّى﴾ من أين ﴿لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ أي: تذكرهم، بمعنى أن التذكر لا ينفع عند المعاينة.

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ﴾ [محمد: 19] والمراد اثبت على التوحيد ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾[1] أمر به ﷺ لتستنَّ به أمته وإلا فهو معصوم، وكان يعد عليه في المجلس

(1) أمر تعالى بالعلم مع أنه هو العالم، كما أنه هو الشاهد في قوله: ﴿شَهِدَ اللهُ﴾ والرامي في قوله: ﴿وَلَكِنَّ الله رَمَى﴾ إشارة إلى ذنب الوجود المغفور؛ ولذا قال عقيبه: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ [محمد: 19]، وهي نسبة الوجود التي بها أضيف العلم إليه، فإذا غفر وستر؛ كان الوجود وما يتبعه لله تعالى؛ وإنما أمره بالعلم مع أن هذه الشهادة أول ما صدر منه ﷺ، وهو في مرتبة العقل الأول، إشارة إلى الفرق بين مرتبتي الروح والجسد، فمرتبة الروح لكونها مرتبة التجرُّد؛ لا تحتاج إلى التذكير والأمر بالعلم، وأمَّا مرتبة الجسد فكونها مرتبة التعلُّق؛ تحتاج إلى ذلك؛ ولذا لمَّا خلقه الله تعالى، وهو أول المبدعات قال: (لا إله إلا الله)، ولم يقل: وأنا العبد؛ لأن تلك المرتبة ليست مرتبة العبودية؛ بل مرتبة الحامدية بلسان الروح، ولمَّا وقع المعراج، ودخل على الله تعالى قال: (لا إله إلا الله أنا العبد) فأثبت العبودية حينئذ لِما يقتضيه الموطن، فلكلٍ من المواطن اعتبار غير اعتبار الآخر، ولمَّا كانت الألوهية من الإضافات؛ لأنها تقتضي إلوهية العبد؛ وقع عليها العلم الذي هو نسبة من النسب أيضًا، وليس فوق مرتبة العلم والألوهية إضافة أصلاً؛ لأن ما فوقها ذات بحت لا اسم هناك، ولا رسم، ولا وصف، فإلى مرتبة الألوهية ينتهي علوم العلماء، ومكاشفة المكاشفين، ومن ثَمَّ حكم على العالم؛ بل المكاشف أيضًا بالحيرة لكنها هي الحيرة الممدوحة الناشئة عن علم وتجلِّي، لا عن جهل واحتجاب، والله الهادي إلى عين ذاته.

الواحد قول: رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم مائة مرة ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ إكرامًا لهم؛ إذ في استغفاره ﷺ مزيد كرامتهم ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ﴾ في تصرفكم لاشتغالكم نهارًا ﴿وَمَثْوَاكُمْ﴾ بالليل للمضاجع، أو المتقلب في الدنيا والمثوى في الآخرة، أو الأول التنقل من الصلب والبطن والثاني المقام في الأرض، وهو عالم بجميع أحوالكم فاحذروه أيها السامعون.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [محمد: 20] حرصًا على الجهاد ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿نُزِّلَتْ﴾ تأمرنا به ﴿فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ﴾ أي: طلبه ﴿رَأَيْتَ﴾ يا محمد ﷺ ﴿الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ شك وهم المنافقون ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ أي: لنظر من شخص بصره خوفًا من العدو وجبنًا عن لقائه ﴿فَأَوْلَى لَهُمْ﴾ كلمة تهديد ووعيد.

﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ [محمد: 21] وهو الحسن في محادثة النبي ﷺ، أو المعنى ذلك أمثل لهم وأولى بهم ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ أي: لزم فرض القتال ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللهَ﴾ أي: أطاعوه بامتثال أمره ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾.

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى ۙ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ ﴾ [محمد: ٢٢ - ٢٦].

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ [محمد: 22] أي: لعلكم ﴿إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أعرضتم عن الإيمان، قرأ رويس بضم تاء «توليتم» وواو وكسر اللام، والباقون بفتحهن ﴿أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ أي: لا يتوقع منك إلا العود للإفساد وأمر الجاهلية، وقرأ يعقوب «وتقطعوا» بفتح التاء وفتح القاف وكسر الطاء مشددة وضم العين، من التقطيع.

﴿أُولَئِكَ﴾ [محمد: 23] الباغون المفسدون ﴿الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾ عن استماع الحق ورؤيته، بمعنى: عدم انتفاعهم بذلك.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [محمد: 24] يتفهمون ما فيه من المواعظ، يتعرفوا الحق ﴿أَمْ﴾ بمعنى: بل ﴿عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ والمراد: قلوب الكفار منعت من فهم القرآن.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ﴾ [محمد: 25] لكفرهم بنفاقهم ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ﴾ زين ﴿لَهُمْ﴾ القبيح فرأوه حسنًا ﴿وَأَمْلَى لَهُمْ﴾ قرأ البصريان بضم الهمزة «أُملي» وكسر لامه، وأبو عمرو بفتح الياء وسكنها يعقوب، والباقون بفتح الهمزة واللام، والمملي الشيطان بإرادة الله تعالى.

﴿ذَلِكَ﴾ [محمد: 26] أي: ضلالهم ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللهُ﴾ وهم المشركون ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ من تثبيط الناس عن الإيمان والجهاد وعلى عداوة محمد ﷺ وإصرار ذلك ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ بفتح الهمزة لغير حمزة والكسائي وخلف وحفص وبكسرها.

﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ ﴾ [محمد: ٢٧ - ٣١].

﴿فَكَيْفَ﴾ [محمد: 27] أي: حالهم ﴿إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ﴾ أي: الملائكة منهم ﴿وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ ظهورهم بمقامع من حديد ﴿ذَلِكَ﴾ [محمد: 28] أي: الضرب، أو التوفي على الحالة المذكورة ﴿بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾ وهو العمل بما يقتضي ذلك ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ أبطل ثوابها ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [محمد: 29] نفاق ﴿أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللهُ أَضْغَانَهُمْ﴾ يظهرها بمحمد ﷺ وصحبه، والضغن: الحقد أو الحسد.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ﴾ [محمد: 30] أي: عرفناك بهم ﴿فَلَعَرَفْتَهُمْ﴾ أي: فعرفتهم ﴿بِسِيمَاهُمْ﴾ علامتهم؛ أي: لو نشاء جعلنا عليهم علامة يعرفون بها، ولم يخف على رسول الله ﷺ بعد هذه الآية شيء من أحوال المنافقين ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ﴾ أي: والله لتعرفهم ﴿فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ أي: معناه وقصده، واللحن يكون للصواب والخطأ، وكان الأصل

فيه إزالة الكلام عن أصل وضعه، والمعنى: إنه ﷺ يعرفهم فيما يعرضون به، المنافق لا يتكلم بعد ذلك إلا عرفه ﷺ استدلالاً بفحوى كلامه على معناه ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ فيجازي كلاً بما علمه منه.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ [محمد: 31] نختبرنكم بالأوامر والنواهي ﴿حَتَّى نَعْلَمَ﴾ أي: علم ظهور ﴿الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ على أداء المأمورات وترك المنهيات ﴿وَنَبْلُوَ﴾ بمعنى نظهر ﴿أَخْبَارَكُمْ﴾ من الطاعة وغيرها، روى أبو بكر «وليبلونكم» حتى يعلم، «ويبلو» بالياء من أسفل في الثلاثة، والباقون بالنون، وروى رويس «ونبلوا أخباركم» بإسكان الواو وانفرد به ابن مهران عن روح، والباقون بالفتح.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـࣰٔا وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٣٢﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارࣱ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴿٣٥﴾ ﴾ [محمد: ٣٢ - ٣٥].

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ [محمد: 32] الحق دين الإسلام وشرائعه ﴿وَشَاقُّوا﴾ خالفوا ﴿الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى﴾ وهو الإسلام ﴿لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئًا﴾ لأن ضرر ذلك راجع إلى أنفسهم فقط ﴿وَسَيُحْبِطُ﴾ يبطل ﴿أَعْمَالَهُمْ﴾ في الآخرة، فلا ثواب لهم فيها، ونزلت في الذي أنفق من الكفار يوم بدر عليهم في إطعامهم واستمر على كفره، وقيل: في قريظة والنضير.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [محمد: 33] محمدًا ﷺ ﴿وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ بالمعاصي فيها كالرياء والسمعة ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ [محمد: 34] طريقه، وهو الهدى ﴿ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ﴾ نزلت في أصحاب القليب، وحكمها عام.

﴿فَلَا تَهِنُوا﴾ [محمد: 35] في القتال؛ أي: تضعفوا ﴿وَتَدْعُوا﴾ الكفار ﴿إِلَى السَّلْمِ﴾ الصلح معهم عند اللقاء ﴿وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ الأعليون القادرون لهم ﴿وَاللهُ مَعَكُمْ﴾ بعونه ونصرته ﴿وَلَنْ يَتِرَكُمْ﴾ ينقصكم ﴿أَعْمَالَكُمْ﴾ أي: لا ينقصكم من

ثوابها شيئًا.

﴿ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَـٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَـٰلَكُم ﴿٣٨﴾ ﴾ [محمد: ٣٦ - ٣٨].

﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ [محمد: 36] أي: الاشتغال بها ﴿لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ باطل ﴿وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا﴾ وذلك من أمر الآخرة ﴿يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾ كلها، بل الزكاة الواجبة.

﴿إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ﴾ [محمد: 37] أي: يبالغ في سؤالها؛ أي: طلبها ﴿تَبْخَلُوا﴾ بها ﴿وَيُخْرِجْ﴾ بها، أو يخرج البخل ﴿أَضْغَانَكُمْ﴾ لدين الإسلام.

﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾ [محمد: 38] أي: يا هؤلاء ﴿تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ المراد: تدعون للإنفاق المفروض ﴿فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ﴾ أي: عليها ﴿وَاللهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ إليه في كل حال ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا﴾ تعرضوا عن طاعته ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ يأتي بهم بدلكم بعد إذهابكم ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ في ترك الطاعة، بل يكونوا مطيعين لله ﷻ وهل هم كندة أو العجم أو فارس والروم؟ أقوال، أقربها الثاني.

سورة الفتح

مدنية، نزلت بعد رجوع النبي ﷺ من الحديبية، قال ابن مالك، وقال المسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم: نزلت بين مكة والمدينة، تسع وعشرون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٤ لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٥﴾ [الفتح: ١ - ٥].

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ [الفتح: 1] يا محمد ﷺ ﴿فَتْحًا مُبِينًا﴾ أي: قضينا لك قضاء بينًا بفتح مكة وغيرها من البلاد عنوة بجهادك الأكبر، قيل: إن المراد به: صلح الحديبية.

﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[1] [الفتح: 2] منه، والأنبياء معصومون من الذنوب فالآية مؤولة على مغفرة ذنوب أمته، أو ذنب آدم وحواء حين أكلا من الشجرة، أو محمولة على ترك الأفضل ﴿وَيُتِمَّ﴾ بالفتح المذكور ﴿نِعْمَتَهُ﴾ أي: إنعامه بالنبوة والحكمة ﴿عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ يثبتك على دين الإسلام، أو يزيدك هداية.

---

(1) قال البقلي: نبّهنا الله في ذلك من سرٍّ عجيبٍ، وهو أن أبواب كشف القدم مسدودةٌ على أهل الحدثان، ولم يظهر لأحدٍ عين ذات الأزل، ففتح الله أبوابه لعين محمد ﷺ حتى رآه كفاحًا، فتح سمعه فأسمعه كلامه شفاهًا، وفتح باب قلبه وروحه وسرَّه، فعرف نفسه لها، حتى وجدت أبواب خزائن علومه الغيبية مفتوحة، وفتح الله جميع أبواب وجود حبيبه ﷺ حتى الشعرة على بدنه وجعلها عيونًا مفتوحة بمفاتيح توحيده وأنوار حقيقته حتى رآه بجميع عيون وجوده، وذلك الفتح ظاهرٌ من وجوده حتى لا يراه أحدٌ إلا ويرى نور الصمدية ينتشر من بشريته، لكن كان محجوبًا من عيون الأغيار.

﴿وَيَنْصُرَكَ اللهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾[1] [الفتح: 3] لا ذل فيه ولا معه.

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ﴾ [الفتح: 4] الطمأنينة والوقار ﴿فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لئلا تنزعج نفوسهم لما يرد عليهم ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ بتكرار التصديق بشرائع الإسلام التي تجدد فرضها بعد أصل الرسالة ﴿وَلِله جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لا يحتاج إلى أحد لنصرة دينه، فلو شاء لنصر دينه بغير البشر ﴿وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ وكان الله للداوم والاستمرار.

﴿لِيُدْخِلَ﴾ [الفتح: 5] أي: أمر بالجهاد ليدخل ﴿الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ﴾ الإدخال والتكفير ﴿عِنْدَ اللهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ ﴾ [الفتح: ٦ - ٩].

﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾ [الفتح: 6] لتخلفهم عن الجهاد ﴿الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ وهو ظنهم أنه لا ينصر محمد ﷺ والمؤمنين ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ بالذل والعذاب في الدنيا والآخرة ﴿وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ﴾ فأدخلهم النار خالدين فيها ﴿وَلَعَنَهُمْ﴾ باعدهم عن رحمته ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ مرجعًا.

---

(1) قال ابن عطاء: جمع الله للنبي ﷺ في هذه الآية من نعم مختلفة: بين الفتح المبين وهو من أعلام الإجابة، والمغفرة وهي من أعلام المحبة، وتمام النعمة وهي من أعلام الاختصاص، والهداية وهي من التحقق بالحق، والنصر وهو من أعلام الولاية، والمغفرة تبرئة من العيوب، وتمام النعمة إبلاغ الدرجة الكاملة من الحق، والهداية هي الدعوة إلى المشاهدة، والنصرة هي رؤية الكل من الحق من غير أن يرجع إلى سواه. وقال الواسطي: فتح عين رسوله ﷺ لمشاهدته في المسرى، وفتح سمعه لفهم كلامه كفاحًا بعد أن قوّاه لذلك وأكرمه به.

﴿وَلِله جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: 7].

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾ [الفتح: 8] يا محمد ﷺ ﴿شَاهِدًا﴾ على أمتك في الآخرة ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ لهم بالجنة في الدنيا ﴿وَنَذِيرًا﴾.

﴿لِتُؤْمِنُوا﴾ [الفتح: 9] أي: من بشرتهم وأنذرتهم ﴿بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾ محمد ﷺ ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ ينصروه ويعينوه ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ يعظموه، وضمير «تعزروه وتوقروه» إمَّا لله، والمراد: ينصرون دينه ويعترفون بعظمته، أو لرسوله ﷺ ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ أي: الله ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ بالغداة والعشي، قرأ ابن كثير وأبو عمرو: «ليؤمنوا بالله، ويعزروه، ويوقروه، ويسبحوه» بالياء من أسفل في أول الأربعة، والباقون بالتاء من فوق.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الفتح: ١٠ - ١٢].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ [الفتح: 10] يا محمد ﷺ يوم الحديبية، وهي بيعة الرضوان ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ﴾ لأنهم باعوا أنفسهم منه بالجنة ﴿يَدُ اللهِ﴾ بالوفاء بما وعدهم من الخير ﴿فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ على ما صنعوا معك، وكان الرجل منهم ﷺ يأخذ بيد رسول الله ﷺ ويبايعه ﴿فَمَنْ نَكَثَ﴾ نقض البيعة؛ بمعنى: لم يفِ بما بايع عليه ﴿فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ إذ وبال نقضه راجع إليه ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ﴾ بالياء من أسفل للكوفيين ورويس، وانفرد به ابن مهران عن روح، والباقون بالنون ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ [الفتح: 11] غفار ومزينة وجهينة والنخع وأشجع وأسلم تخلفوا لما سار رسول الله ﷺ إلى مكة عام الحديبية معتمرًا بعد أن

استنصرهم؛ لأنه خشي حصول حرب من قريش، وأحرم بالعمرة وساق الهدي؛ إعلامًا للناس بأنه لا يريد القتال ﴿شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا﴾ النساء والذراري؛ أي: عن اللحوق بك لعدم من يخلفنا فيهم ﴿فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ الله في تخلفنا، فكذبهم الحق تعالى بقوله: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ في الاعتذار وطلب الاستغفار ﴿مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ فكذبوا فيهما ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا﴾ بفتح الضاد للقراء إلا حمزة والكسائي وخلف فبالضم ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾ أي: لا أحد يملك ذلك ﴿بَلْ كَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فيجازيكم عليه وهي للاستمرار، و«بل» للانتقال من غرض لآخر كما في قوله: ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ﴾ [الفتح: 12] يرجع ﴿الرَّسُولُ﴾ محمد ﷺ ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ فقلتم: يستأصلون بالقتل قبل رجوعهم ﴿وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ وهو ما ذكر وغيره ﴿وَكُنْتُمْ﴾ في علم الله ﴿قَوْمًا بُورًا﴾ جمع: بائر؛ أي: هلكى لا تصلحون لخير.

﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾﴾ [الفتح: ١٣ - ١٥].

﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الفتح: 13] ﷺ ﴿فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ وهو النار الشديدة ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ فضلاً ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الفتح: 14] عدلاً ﴿وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ﴾ [الفتح: 15] السابق ذكرهم ﴿إِذَا انْطَلَقْتُمْ﴾ سرتم أيها المؤمنون ﴿إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا﴾ وهي غنائم خيبر ﴿ذَرُونَا﴾ اتركونا ﴿نَتَّبِعْكُمْ﴾ إلى خيبر؛ لنشهد قتال أهلها فنأخذ من مغانمها، وكان رسول الله ﷺ أخبر بذلك أصحابه، وجعل غنائمها لمن شهد الحديبية عوضًا عن غنائم أهل مكة إذا انصرفوا عن أهلها على صلح ﴿يُرِيدُونَ﴾ أي: المخلفون ﴿أَنْ يُبَدِّلُوا﴾ يغيروا ﴿كَلَامَ اللهِ﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف «كلم» بفتح الكاف وكسر اللام من غير ألف، والباقون بفتح اللام

وإثبات الألف؛ أي: يغيروا ما وعد الله أهل الحديبية بغنيمة خيبر لهم خاصة ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﷺ: ﴿لَنْ تَتَّبِعُونَا﴾ إلى خيبر ﴿كَذَلِكُمْ قَالَ اللهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل مرجعنا إليكم؛ أي: من اختصاص الغنيمة بمن ذكر ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ أي: المخلفون ﴿بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ عن أن نصيب من الغنائم معكم فقلتم ذلك ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ﴾ لا يعلمون من الدين ﴿إِلَّا قَلِيلاً﴾ منهم، وهم من صدق الله ورسوله.

﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾﴾ [الفتح: ١٦ - ١٩].

﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ [الفتح: 16] وهم من سبق ﴿سَتُدْعَوْنَ﴾ اختبارًا وابتلاءًا ﴿إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ وهم بنو حنيفة لما ارتدوا، والداعي لذلك أبو بكر الصديق ﷺ بالإجماع، وقيل: هم فارس والروم والأول عليه الأكثر ﴿تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ﴾ هم ﴿يُسْلِمُونَ﴾ فلا تقاتلونهم، والمدعو إليه في المعنى القتال ﴿فَإِنْ تُطِيعُوا﴾ إلى قتالهم من دعاءكم ﴿يُؤْتِكُمُ اللهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا﴾ تعرضوا وتمتنعوا من قتالهم ﴿كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ عن الخروج مع الرسول ﷺ ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ لعصيانكم بالتخلف، وهذه الآية دالة على أن خلافة الصديق حق، والإجماع قائم عليه.

﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [الفتح: 17] في ترك الجهاد ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ محمدًا ﷺ ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ﴾ [الفتح: 18] بالحديبية ﴿تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ وهي سمرة ذهبت بعد ذلك، وقيل: طلبت فلم يدر مكانها، وكانوا ألفًا

وأربعمائة، وقيل: وسبعمائة، وقيل: وثلاثمائة، وقيل: ستمائة، وقيل: خمسمائة وعشرون، وبايعوه تحتها على ألَّا يفروا من قريش وأن يناجزوهم.

وكان سبب البيعة أن رسول الله ﷺ خرج معتمرًا عام الحديبية وأرسل خِراش بن أمية الخزاعي لقريش؛ ليعلمهم بما جاء ﷺ له، فعقروا جمله وأرادوا قتله، فمنعه الأحابيش، فرجع وأخبره ﷺ، فأرسل لهم عثمان مخبرًا لهم بما جاء به، فأجاره أبان بن سعيد بن العاص حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ، ثم حبسوه عندهم فشاع في الناس أنه قتل، ولم يبرح رسول الله ﷺ من المكان الذي بلغه فيه ذلك حتى أتاه الخبر أن عثمان لم يقتل ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من الصدق والوفاء ﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ الطمأنينة والرضا في قلوبهم ﴿وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ وهو فتح خيبر بعد الانصراف من الحديبية ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ [الفتح: 19] من خيبر، وكانت ذات أموال وعقار، فقسمها رسول الله ﷺ بينهم ﴿وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفتح: ٢٠ - ٢٣].

﴿وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ [الفتح: 20] بالفتوحات إلى يوم القيامة ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ يعني: خيبر ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ﴾ والمراد بالناس: بنو أسد وغطفان، هموا بأخذ ذراري المسلمين وأموالهم من المدينة لما قصد رسول الله ﷺ خيبر وحاصر أهلها، فكفوا بإلقاء الرعب في قلوبهم أو المراد: يد أهل مكة بالصلح، أو اليهود كف الله أيديهم عن جماعتكم في غيبتكم لما هموا بأخذهم ﴿وَلِتَكُونَ﴾ أي: لتشكروه ولتكون هذه المعجزة ﴿آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ على صدق الرسول ﷺ ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ من التوكل عليه والتفويض إليه والثبات على الإسلام، وكانت الحديبية سنة ست ورجع رسول الله ﷺ من الحديبية للمدينة وأقام بها بقية ذي الحجة وبعض المحرم، ثم خرج في بقيته إلى فتح خيبر سنة سبع.

﴿وَأُخْرَى﴾ [الفتح: 21] التقدير: ووعدكم الله بمغانم أخرى، أو ومغانم أخرى ﴿لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللهُ بِهَا﴾ أي: حفظها؛ لتكون لكم لا محالة، وهي من فارس والروم على الأشهر، ولم يكن العرب تقدر على قتالهم ﴿وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾.

﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الفتح: 22] كأهل خيبر وأسد وغطفان ﴿لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ﴾ منهزمين ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ معينًا لهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾.

﴿سُنَّةَ اللهِ﴾ [الفتح: 23] في نصر المؤمنين وهزم الكافرين ﴿الَّتِي قَدْ خَلَتْ﴾ مضت ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ مع الأنبياء وأممهم ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا﴾ منه، وهي نصر أوليائه وقهر أعدائه.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الفتح: ٢٤ - ٢٦].

﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ [الفتح: 24] بالحديبية، وكانوا ثمانين رجلاً أو سبعين، هبطوا على رسول الله ﷺ من التنعيم بالسلاح يريدون اغتيالهم، فأخذوا وأتي بهم إلى رسول الله ﷺ، فعفا عنهم وخلى سبيلهم، وكان ذلك سبب الصلح، فذلك قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بالياء من أسفل لأبي عمرو، وبالتاء من فوق لمن بقي ﴿بَصِيرًا﴾.

﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الفتح: 25] أي: عن الوصول إليه ﴿وَالْهَدْيَ﴾ أي: وصدوا الهدى عن أن ينحر في محله؛ أي: صدوكم عن

نحره فيه ﴿مَعْكُوفًا﴾ محبوسًا ﴿أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ﴾ مكانه الذي ينحر فيه من الحرم عادة، والذبح وقع في الحرم لا في المحل المعتاد منه ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ﴾ موجودون بمكة مع الكفار عند مسيركم إليها ﴿لَمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ بصفة الإيمان ﴿أَنْ تَطَئُوهُمْ﴾ تقتلوهم مع الكفار لو أذن لكم في الفتح ﴿فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ﴾ إثم، أو قول الكفار قتلوا أهل دينهم ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ منكم بذلك، والتقدير: لولا ذلك لأذن لكم في الفتح في ذلك الوقت لكن لم يأذن فيه حينئذ ﴿لِيُدْخِلَ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ بالسلامة من القتل ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ كالمؤمنين المذكورين، وهنا تم الكلام ثم ابتدأ فقال: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ أي: تميزوا المؤمنون عن الكفار ﴿لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾ أي: من أهل مكة حينئذ ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ شديدًا بتسليطكم عليهم.

﴿إِذْ جَعَلَ﴾ [الفتح: 26] متعلق بـ «عذبنا» ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ﴾ فلم يقروا بالدين ﴿حَمِيَّةَ﴾ في ﴿الْجَاهِلِيَّةِ﴾ فصدوا عن المسجد الرسول ﷺ وصحبه، والحمية: الأنفة من الشيء ﴿فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ فوقع الصلح بينهم على أن يعود رسول الله ﷺ من قابل، ويمكنوه وصحبه من الدخول، وكان ذلك بعد أن بركت ناقة رسول الله ﷺ به فقال: «**والذي نفسي بيده لا تسألني قريش خُطَّةً يعظمون فيها حرمات الله وفيها الرحم إلا أعطيتهم إياها**»[1] ﴿وَأَلْزَمَهُمْ﴾ أي: المؤمنين ﴿كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ وهي لا إله إلا الله محمدًا رسول الله، وقيل: هي بسم الله الرحمن الرحيم التي لم يرضَ بها الكفار، وقيل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأضيفت إلى التقوى؛ لأنها سبب التقوى ﴿وَكَانُوا﴾ أي: المؤمنين ﴿أَحَقَّ بِهَا﴾ أي: بكلمة التقوى من الكفار ﴿وَأَهْلَهَا﴾ في علم الله تعالى؛ لأنه اختارهم لدينه ﴿وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾.

﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم

(1) لم أقف عليه.

مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾[الفتح: ٢٧ - ٢٩].

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ﴾ [الفتح: 27] محمدًا ﷺ ﴿الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ﴾ أتى بذلك للتبرك وتعليمًا للعباد ﴿آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ﴾ وهو أفضل، ولذا قدَّمه ﴿وَمُقَصِّرِينَ﴾ وهذا دون الأول؛ أي: البعض يفعل ذلك هذا، والبعض يفعل هذا ﴿لَا تَخَافُونَ﴾[1] أبدًا عدوًا أو أن يخرجكم منه أحد في المستقبل ﴿فَعَلِمَ﴾ من وجود المسلمين المختلطين بهم المقتضي للصلح ﴿مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ من ذلك، فناسب تأخير تأويل الرؤيا للعام القابل ﴿فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ أي: الدخول ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾ وهو فتح خيبر للسعة على المسلمين.

ونزلت الآية؛ لأن رسول الله ﷺ رأى قبل خروجه أنه يدخل وصحبه كما سبق، وقيل: كانت الرؤيا بالحديبية وهو أقرب، قاله مجاهد، وأخبر بذلك النبي ﷺ أصحابه وفرحوا به، فلما نحر الهدي بالحديبية قالت له أصحابه: أين رؤياك يا رسول الله؟ فنزلت الآية، وكان تصديق رؤياه في السنة المقبلة.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [الفتح: 28] أي: ليظهر دين الحق وهو دين الإسلام على سائر الأديان ﴿وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا﴾ إنك مرسل بما ذكر.

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [الفتح: 29] وهم أصحابه ﴿أَشِدَّاءُ﴾ أغلاظ ﴿عَلَى الْكُفَّارِ﴾ فلا يرحموهم ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[2] والتراحم: التواد والتعاطف كالوالد

---

(1) إشارة الآية مع المشتاقين إلى مشاهدة الحق بأنهم يدخلون حرم الربوبية آمنين عن جريان العبودية عليهم، آمنين من ذل الحجاب بعد كشف النقاب، والاستتار وقع على المشيئة الأزلية السابقة بحسن العناية لهم، وفي نفس الآية أنه لو يريد أن يلبسهم وصف الصمدية حتى لا يفنوا في الوحدانية لقدر، وهو هكذا يفعل، لكن رمز الاستتار يورث هيبة الحق؛ إذ صار عروس القدر غير منكشف لأهل الحدث، أدَّب الجمهور برؤية الله مع رؤية القدر السابق؛ حتى لا يسقط عنهم شروط الهيبة والمراقبة.

(2) اعلم أنه قد اجتمع حروف المعجم التسعة والعشرون في كل من الآيتين المذكورتين، وأول الحروف في الآية الأولى: الثاء المثلثة في ثم، وآخرها: الصاد المهملة في صدروكم، وأولها في الثانية: الميم في محمد، وآخرها: الصاد أيضًا في الصالحات، وليس في القرآن آية حوت =

مع ولده.

وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد وأبو داود، والترمذي وحسنه، وابن حبان والحاكم والبيهقي عن أبي هريرة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لَا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ**»[1].

﴿تَرَاهُمْ﴾ تبصرهم ﴿رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ﴾ يطلبون ﴿فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ﴾ علاماتهم ﴿فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ وتلك العلامة نور يوم القيامة، ومنها ظهور أثر ذلك بإضاءة الوجه في الدنيا ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة للوصف المذكور لمحمد ﷺ وصحبه ﴿مَثَلُهُمْ﴾ صفتهم ﴿فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ﴾ فأشداء إلى آخره في التوراة، وكزرع إلى آخره في الإنجيل ﴿أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ قرأ ابن كثير وابن عامر «شطأه» بفتح الطاء، والباقون بإسكانها، وهو فراخ الزرع، منه أشطأت الشجرة إذا أخرجت أغصانها ﴿فَآزَرَهُ﴾ روى ابن ذكوان والدجواني عن هشام «فأزره» بالقصر، والباقون بالمد؛ أي: قوَّاه وأعانه ﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾ ذلك الزرع؛ أي: غلظ ﴿فَاسْتَوَى﴾ تم وتلاحق نباته ﴿عَلَى سُوقِهِ﴾ أصوله ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ الزارعين له فهو مثل لأصحاب النبي ﷺ؛ أي: إنهم يكونون قليلاً في الأول ثم يزدادون ويكثرون وتحصل لهم قوة بعد الضعف الأول ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ والمعنى: قواهم كما ذكر، أو شبههم به ليغيظ، ومن ذلك قول عمر ﷺ لأهل مكة: «لا يعبد الله سرًا بعد اليوم».

﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ﴾ للبيان؛ أي: إنهم كلهم وعدوا بذلك ﴿مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ وهو الجنة، وذلك لمن بعدهم أيضًا كما دل عليه بقية آي القرآن.

=

الحروف كلها غيرهما، ومَن دعا الله تعالى بهما؛ استجيب له. والمراد: من قرأهما، ودعا عندهما؛ استجيب له؛ لأنهما لجمعهما الحروف كلها؛ كانت بمنزلة القرآن كله، وقد صحَّ أن الدعاء مستجاب، مستجاب عند ختم القرآن، ولمَّا كانت هذه الحروف مما أنزله الله تعالى على آدم ﷺ، وكان آدم قد تكلَّم بسبعمائة ألف لغة على ما جاء في بعض الروايات: كان مَن تكلَّم بتلك الحروف؛ كمَن تكلَّم بتلك اللغات كلها؛ لأن كلاً منها مشتملة على تلك الحروف، وقد ضم إليها الحروف الأربعة الفارسية التي هي: الباء، والجيم، والزاي، والكاف المعجمة التي تكلَّم بها بعض القبائل؛ ولذا كانت اللغة الفارسية ملحقة باللغة العربية؛ فجُعلت كل منهما لسان أهل الجنة.

(1) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (1/156).

سورة الحجرات

مدنية ثماني عشر آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣) ﴾ [الحجرات: ١ - ٣].

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا**﴾ [الحجرات: 1] قرأ يعقوب بفتح التاء والدال، والباقون بضم التاء وكسر الدال؛ فالأول من التقدم؛ أي: **لا** تقدموا، والثاني من التقديم ﴿**بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ**﴾ محمد ﷺ؛ أي: لا تسبقوا النبي ﷺ بقول أو فعل إلا بإذنه، ونزلت في مجادلة الصديق وعمر - رضي الله عنهما - لما قدم ركب من بني تميم في تأمير القعقاع بن معبد والأقرع بن حابس، فقال بالأول أبو بكر، وبالثاني عمر، فقال كلٌّ للآخر: ما أردت إلا خلافي ﴿**وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ ونزلت فيمن رفع صوته عنده ﷺ.

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ**﴾[1] [الحجرات: 2] عند نطقكم ﴿**فَوْقَ**

---

(1) أعلمنا الله سبحانه بهذا التأديب أن خاطر حبيبه من كمال لطافته ومراقبته، جمال ملكوته كان يتغير من الأصوات الجهرية، وذلك من غاية شغله بالله وجمع همومه بين يدي الله، فإذا صوت أحد بالجهر عنده خاصة أن يكلم كان يتأذى قلبه من صوته، ويضيق صدره من ذلك، كأنه يتقاعد سره لحظة عن السير في ميادين الأزل والأبد، فخوَّفهم من ذلك؛ فإن تشويش خاطره ﷺ سبب بطلان أعمالكم.
وقال ابن عجيبة: شروع في النهي عن التجاوز في كيفية القول عند النبي ﷺ، بعد النهي عن
=

صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ محمد ﷺ إذا نطق ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ﴾ إذا حدثتموه ﴿كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ أي: بل دون ذلك؛ تعظيمًا لجنابه ﷺ ﴿أَنْ﴾ أي: خشية أو كراهة أن ﴿تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ﴾ تبطل وتذهب ثوابها ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ بذلك البطلان المسبب عن رفع الصوت المذكور، فكان أبو بكر ﷺ لا يكلم رسول الله ﷺ بعدها إلا كأخي السرار، وكان عمر ﷺ لا يبين قوله من شدة الخفض حتى يستفهمه رسول الله ﷺ، وكان ثابت بن قيس رفيع الصوت لا عن قصد ولا علم بذلك، فلما نزلت حبس نفسه خشية أن تكون الآية فيه، فأرسل رسول الله ﷺ له وبشره بأنه يعيش حميدًا ويقتل شهيدًا أو يدخل الجنة، فقتل يوم اليمامة شهيدًا، ورؤي في النوم وأخبر بأن فلان سرق درعه وأن عليه دين فليقض من ثمن الدرع، وأنه أعتق عبده الفلاني، فوجد الدرع كما قال، فقضى الصديق - كرم الله وجهه - منه الدين وأجاز وصيته في العبد، ونزل فيمن كان يخفض صوته عند رسول الله ﷺ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ﴾ ﷺ [الحجرات: 3] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ﴾ اختبر ﴿اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾ أي: لظهورها منهم ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٦﴾ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ ﴾ [الحجرات: ٤ - ٨].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾ [الحجرات: 4] قرأ أبو جعفر بفتح

=

التجاوز في نفس القول والفعل، وإعادة النداء مع قرب العهد؛ للمبالغة في الإيقاظ والتنبيه، والإشعار باستقلال كل من الكلامين باستدعاء الاعتناء بشأنه؛ أي: لا تبلغوا بأصواتكم وراء حدٍّ يبلغه صوته ﷺ، بل يكون كلامه عالياً لكلامكم، وجهره باهراً لجهركم، حتى تكون مزيّته عليكم لائحةً، وسابقته لديكم واضحة. البحر المديد (6 / 101).

الجيم، والباقون بضمها، والحجرة: ما حجر؛ أي: حوط عليه من الأرض بحائط ونحوه، ونزلت لما قدم بنو العنبر بعد سبي ذراريهم على رسول الله ﷺ وهو قائل في الظهيرة، ونادوا من ورائها بأن نادى كل واحد منهم خلف حجرة لعدم علمهم بالحجرة التي هو ﷺ فيها بغلظة وجفاء، وقالوا: يا محمد اخرج إلينا حتى أيقظوه من نومه، فخرج إليهم، فسألوه مفاداة الذراري، فحكم بينه وبينهم سبرة بن عمرو، ففوض إلى عبد الأعور بن بشامة فرضوا، فحكم بمفاداة النصف وعتق الباقي، فكان كذلك ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الآداب مع جنابك الرفيع وما يليق به من التفخيم العظيم.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا﴾ [الحجرات: 5] أي: حبسوا أنفسهم عن النداء المذكور ﴿حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ﴾ الصبر المذكور ﴿خَيْرًا لَهُمْ﴾ من النداء المذكور ﴿والله غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لمن تاب منهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ﴾ بخبر ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: 6] وسبق في النساء قراءة «فتبينوا» أي: في أمر خبره أو تبينوا صدقه من كذبه ﴿أَنْ﴾ أي: خشية أن ﴿تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾ أي: جاهلين ﴿فَتُصْبِحُوا﴾ المراد به: الصيرورة ﴿عَلَى مَا فَعَلْتُمْ﴾ من الخطايا ﴿نَادِمِينَ﴾ نزلت في الوليد بن عقبة بعثه رسول الله ﷺ مصدقًا على بني المصطلق، فلما قاربهم هابهم لنفس بينهم كانت في الجاهلية، فرجع مخبرًا لرسول الله ﷺ بمنعهم الزكاة، فغضب فجاءوا معتذرين مكذبين للوليد، فأرسل لهم رسول الله ﷺ خالد بن الوليد أمرًا له أن ينظر في أمرهم، فإن رأى الخير أخذ الزكاة وإن رأى أمارات غيره فعل بهم كفعله بالكفار، فرأى الخير بسماعه لأذاني صلاة المغرب والعشاء، فأخذ الزكوات منهم، فنزلت الآية معلمة بأن من أخبر لا نعمل بخبره إلا إذا ثبت.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ﴾ [الحجرات: 7] محمد ﷺ ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ﴾ الرسول ﴿فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ﴾ الذي تخبرونه فيحكم برأيكم ﴿لَعَنِتُّمْ﴾ أثمتم وهلكتم؛ لتسببكم إلى باطن لا يعلمه الرسول ﷺ ﴿وَلَكِنَّ اللهَ﴾ شروع في بيان من غايرت صفته من سبق ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ﴾ بأن خلق حبه وحسنه ﴿فِي قُلُوبِكُمْ﴾ وغفر لكم ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ بأن خلق في القلوب بغض ذلك ﴿أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ والرشد الاستقامة في طريق الحق.

﴿فَضْلاً مِنَ اللهِ وَنِعْمَةً والله عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحجرات: 8].

﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحجرات: ٩ - ١٠].

﴿**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا**﴾ [الحجرات: 9] ونزلت لما ذهب رسول الله ﷺ راكبًا على حمار عبد الله بن أُبي، فبال الحمار، فسدَّ ابن أُبي أنفه، وقال: إليك عني، فوالله لقد أذاني ريح حمارك، فقال ابن رواحة: لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحًا منك، فغضب رجال من الطائفتين فاقتتلوا بالأيدي والجريد والنعال، أمره بالصلح لقوله: ﴿**فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ**﴾[1] استطالت وظلمت ﴿**إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ**﴾ ترجع ﴿**إِلَى أَمْرِ اللهِ**﴾ الحق ﴿**فَإِنْ فَاءَتْ**﴾ رجعت الفئة الباغية ﴿**فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا**﴾ بين الفئة الباغية والعادلة ﴿**بِالْعَدْلِ**﴾ وهو الإنصاف ﴿**وَأَقْسِطُوا**﴾ أعدلوا ﴿**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ**﴾ يثيب ﴿**الْمُقْسِطِينَ**﴾ العادلين.

﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾ [الحجرات: 10] في الدين ﴿**فَأَصْلِحُوا**﴾ أيها المؤمنون ﴿**بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ**﴾ بفتح الهمزة والخاء وياء ساكنة قرأ الكل إلا يعقوب فبكسر الهمزة وإسكان الخاء وتاء مكسورة ﴿**وَاتَّقُوا اللهَ**﴾ فلا تميلوا عن العدل إلى غيره ﴿**لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ ونزل تأديبًا لهذه الأمة ونهيًا عن أفعال الجاهلية واتباع أهواء النفس الباطلة،

---

(1) قال الشيرازي: إشارة الحقيقة في الآية أن وقائع الغيب عند كشوفها في صدور الأولياء على خلاف مذاق الروح والقلب والعقل والسر؛ لوجود إتيانها من الغيب بالبديهة، فبعضها للروح، وبعضها للسر، وبعضها للعقل، وبعضها للقلب فما وقع في السر فهو أعظم مما وقع على الروح، وما وقع على الروح أعظم مما وقع على القلب، وما وقع على القلب أعظم مما وقع على العقل؛ لأن واقعة السر كشف الأولية والآخرية من الأزل والأبد، ونوادره الشطح والعلم المجهول، وما وقع على الروح من كشف الجمال والجلال وعجائبه الشوق والمحبة والسكر والانبساط، وما وقع على القلب من كشف العظمة ولطائفه الهيبة والإجلال وعلوم الصفات وحكم الربوبية، وما وقع على العقل من كشف نور الأفعال ونتائجها الأذكار والأفكار والمعاملة والعبودية، وهذه الأحكام عند أربابها مختلفةٌ باختلاف كواشفها، ولبعضها على بعض معارضة من جهة غرائبها؛ فإصلاح بينهم لا يكون إلا بالكتاب والسنة وموازينهما؛ لا أن يعلمها بفرق بيان موارد الأسرار وعجائب الأنوار.

ونزل في وفد تميم لما سخروا من فقراء المسلمين.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢ ﴾ [الحجرات: ١١ - ١٢].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ﴾ [الحجرات: 11] يستهزئ ﴿قَومٌ مِنْ قَوْمٍ﴾ لصغرهم أو رزيتهم أو خبلهم أو نقص بنيتهم مثلاً ﴿عَسَى أَنْ يَكُونُوا﴾ الذي سخر منهم ﴿خَيْرًا مِنْهُمْ﴾ أي: من الذين سخروا بهم ﴿وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا﴾ تعيبوا ﴿أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: لا يعب بعضكم بعضًا ﴿وَلَا تَنَابَزُوا﴾ تلقبوا وتطعنوا بعضكم ﴿بِالْأَلْقَابِ﴾ جمع: لقب؛ وهو يسمى به الإنسان مما يكره سماعه، أمَّا المحمود فحسن واقع كعتيق والصديق والفاروق، وأسد الله حمزة، وسيف الله كخالد ﷺ ﴿بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ بأن يقول لمسلم: يا يهودي ونحوه، أو المعنى: بئس اسم تكتسبونه بعصيانكم بالألقاب فتكونون فساقًا بمعصيته بعد إيمانكم ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ﴾ من هذه الأخلاق الذميمة ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ لأنفسهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا﴾ [الحجرات: 12] باعدوا ﴿كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ﴾ فلا تعملوا به ولا تخبروا بما وقع بسببه في القلب ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ أي: كذب، وهو موقع في الإثم، وذلك كثير كظن السوء بمن ظاهره الخير، وبعضه ليس بإثم كأن يظن بمن يظهر الفسق ما يليق بما أظهره، وقد يجب العمل بالظن كظن العاصي المذكور إنما إذا اعتقده أو تكلم به ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ نهي عن تتبع عورات الناس ومعانيهم واستكشاف ما ستروه ﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ بلسانه بأن يذكر ما فيه مما يكره ذكره؛ أي: إلا عند انتفاء قصدها في تعريف أو تظلم أو استفتاء أو رفع للقاضي واستشارة في خاطب، أو جرح أو عند مجاهرة بالفسق، وإذا ذكر بلا سبب منها حرم وكانت صغيرة، والتحلل منها إن بلغت المغتاب واجب وإلَّا استغفر له وتاب بأن يقلع

عنها ويعزم ألا يعود ويندم، وذكره بغير ما فيه كبيرة اتفاقًا وهي بالقلب كاللسان ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ فليكره نظيره وهو الاغتياب؛ لأن اغتيابه في حياته كأكل لحمه بعد مماته، قال بعضهم: كراهية هذا اللحم يدعو إليها الطبع، وكراهية الغيبة يدعو إليها العقل وهو أحق أن يجاب ﴿وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ فوسع لكم الرجوع.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [الحجرات: ١٣ - ١٤].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ﴾ [الحجرات: 13] آدم ﴿وَأُنْثَى﴾ حواء؛ أي: فأنتم سواء فلا ينقص بعضكم بعضًا ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا﴾ جمع شعب؛ وهو الطبقة الأولى من طبقات النسب ﴿وَقَبَائِلَ﴾ جمع قبيلة؛ وهي أول الطبقات بعد الشعوب ثم القبيلة تجمع العمائر، والعمارة تجمع البطون، والبطن تجمع الأفخاذ، والفخذ يجمع الفصائل، مثاله خزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة - بكسر العين - وقصي بطن، وهاشم فخذ والعباس فصيلة ﴿لِتَعَارَفُوا﴾ ليعرف بعضكم نسب بعض، فلا ينتسب آباءه ولا يتفاخروا بعلو النسب؛ إذ الفخر بالتقوى بدليل قوله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ﴾ أفضلكم وأقربكم ﴿عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾ لا من شرفت آباؤه ولا تقوى له ﴿إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا﴾ [الحجرات: 14] هم بنو أسد بن خزيمة قبيلة كانت تجاور المدينة أظهرت الإسلام وأخفت ضمائر خبيثة، وأرادوا أن ينتسبوا للمهاجرين فميزوا بالأعراب ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا﴾ لم تصدقوا بقلوبكم ﴿وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ انقدنا بظواهرنا ولم تصدق البواطن؛ إذ الإسلام اللغوي الانقياد والاستسلام، وهذه الآية واردة على المفهوم اللغوي، وأمَّا المفهوم الشرعي فالإسلام والإيمان فيه واحد؛ إذ هما شرعًا مختلفان، مفهومًا متحدان ما صدقا كما مر ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ توقيت لما أمر أن يقولوه كأنه قيل: ولكن قولوا أسلمنا حيث لم يوافق الباطن الظاهر ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ بالإيمان وسائر الطاعات ﴿لَا يَلِتْكُمْ﴾ بهمزة ساكنة للبصريين، الياء واللام، وأبو عمرو على أصله من الإبدال فيبدله، والباقون بحذف

الهمزة؛ أي: لا ينقصكم ﴿مِنْ أَعْمَالِكُمْ﴾ من ثوابها ﴿شَيْئًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحجرات: ١٥ - ١٨].

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الحجرات: 15] الصادقون ﴿الَّذِينَ آمَنُوا باللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ في الإيمان ﴿وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ في قولهم: آمنا بصدق لا من قالوا: آمنا ولم تؤمن قلوبهم.

﴿قُلْ﴾ [الحجرات: 16] لهم يا محمد ﷺ: ﴿أَتُعَلِّمُونَ اللهَ بِدِينِكُمْ﴾ توبيخ لهم على إظهار ما الباطن بخلافه ﴿واللهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ومن عدم الصدق منهم ﴿واللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم﴾ فيجازي عليه.

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ﴾ [الحجرات: 17] أي: هؤلاء القوم ﴿أَنْ أَسْلَمُوا﴾ ظاهرًا من غير قتال ﴿قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ﴾ أي: به ﴿بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ﴾ أي: بأن ﴿هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ الذي زعمتموه ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في زعمكم.

﴿إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحجرات: 18] ما غاب فيهما عنَّا ﴿واللهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بالياء لابن كثير، والباقون بالخطاب.

سورة ق

مكية إلَّا ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ..﴾ [ق: 38] فهي مدنية، خمس وأربعون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ قٓ ۚ وَالْقُرْءَانِ الْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ۝٣ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ۝٤ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِالْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥ ﴾ [ق: ١ - ٥].

﴿ق﴾ [ق: 1] قسم، أو اسم للجبل المحيط بالأرض، أو مقتطع من قادر وقدير وقاهر ﴿وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾[1] الكريم على الله ما آمن كفار مكة بمحمد ﷺ.

---

(1) الذي هو مخبرٌ عن جميع الذات والصفات، المشتمل على حكميات الأفعال، المقدس عن تغاير الأزمنة والدهور، الذي كشف بيان ما يقع لأرواح العارفين وأسرار الواصلين، وقلوب المحبين، وعقول الصديقين، وصدور المقربين، ظاهره ظاهر البيان من حيث العبودية، وباطنه باطن العيان من حيث الربوبية، وحرف القاف كنايةٌ عن كل اسمٍ فيه القاف، مثل القديم والقادر والباقي والقيوم والقوي والقاهر والمقتدر والقريب أي: بقربي عن قلوب العارفين، وقرب أرواحهم وأسرارهم من مشاهدة بقائي وقدمي، وبقصد كل ذي قصد بنعت الإرادة والشوق إلى مشاهدتي، وأيضًا أي: بقيامي على كل ذرة من العرش إلى الثرى، وبقيامهم بقيوميتي إلى الأبد، وأيضًا أي: بالقلم القادر الذي رقَّم القرآن على أوراق لوح الملكوت، وأيضًا أي: بحرقة قلوب العاشقين والشائقين والمشتاقين إلى جمالي، والقرآن الذي يشوقهم إلى قربي، وأيضًا أي: بقسمي الاصطفائية لأنبيائي وأوليائي والمقربين في سوابق علوم قِدمي، أنا أقرب إلى قلوب الفرَّارين مني من عروق قلوبهم، أكشف بكشف جمالي قساوة قلوبهم، وأقرِّبهم مني حتى يشتاقوا إليَّ، وأيضًا بقربك مني يا محمد يا قرة عيون الأنبياء والأولياء والمرسلين والعارفين والصديقين وما أنزلت إليك من القرآن المجيد قف عند قوام كبريائي، ولا تغص في قاموس «قلزم» قِدمي؛ حتى لا تستغرق في قعر بحر بقائي، فينقطع منك قوافل الحدثان، ويبقوا عن محل القربان، بل قف في مقابلة قمر جمالي؛ لتشرب قهوات ودادي وعشقي في مشاهدة برقان جلالي، وتبقى ببقائي، وتلقى عجائب قرآني المجيد على قلوب القائمين في مقام الاستقامة، يا فَهِم إنما يتعلق بحرف =

﴿بَلْ عَجِبُوا﴾ [ق: 2] أي: كفار مكة ﴿أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ وهو محمد ﷺ ﴿فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا﴾ الإنذار ﴿شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ غريب متعجب من شأنه.

﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ [ق: 3] نُبعث ﴿ذَلِكَ﴾ الرجوع إلى الحياة ﴿رَجْعٌ﴾ رد إليها ﴿بَعِيدٌ﴾ أرادوا غير كائن؛ لبعده عن العادة.

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ [ق: 4] أي: تأكل من أجسادهم بعد الموت، أو علمنا من يموت منهم ﴿وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾ هو اللوح المحفوظ فيه كل مقدر، وهو حافظ لتفاصيل الأشياء محفوظ عن التغيير.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾ [ق: 5] بالقرآن والنبي ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ﴾ في شأن ذلك الحق ﴿فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾ مضطرب بقولهم مرة ساحر وسحر، وشاعر وشعر، وكاهن وكهانة.

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾ ﴾ [ق: ٦ - ١١].

﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا﴾ [ق: 6] بالعين مع الاعتبار بالقلب ﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾ كائنة ﴿فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾ بغير عمد ﴿وَزَيَّنَّاهَا﴾ بالكواكب ﴿وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ شقوق تعيبها.

﴿وَالْأَرْضَ﴾ [ق: 7] كيف ﴿مَدَدْنَاهَا﴾ بسطناها على وجه الماء ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ جبالاً ثوابت تثبتها ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ﴾ صنف ﴿بَهِيجٍ﴾ حسن كريم

القاف ما يكون فيه القاف من جميع كلمات الله، وما كان وما يكون في أفعاله، فهذا القاف القاسم عليه رمز جميعًا، فإذا قال سبحانه: ﴿قٓ﴾: أعلم بذلك حبيبه ﷺ جميع معانيها من خبر الذات والصفات والأفعال، وهو عرف بالله ما قال الله فيه بأقل لمحة، فإنها تنبئ عن جميعها، وهذا رمز بين المحب والحبيب.

يبتهج به ويسر من رآه ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَى﴾ [ق: 8] أي: فعلنا ذلك ليتبصر به ويتذكر من ذكر في قوله: ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾[1] رجّاع إلينا بالرجوع إلى طاعتنا.

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ [ق: 9] مطرًا ﴿مُبَارَكًا﴾ كثير البركة والخير؛ إذ به حياة كل شيء ﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ الزرع المحصود ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾ [ق: 10] طوال، أو مستويات ﴿لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ متراكب بعضه فوق بعض ما دام في كمامه ﴿رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ﴾ [ق: 11] أي: بالمطر ﴿بَلْدَةً مَيْتًا﴾ بالإنبات ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ما فعلنا من الإحياء بالمطر ﴿الْخُرُوجُ﴾ من القبور؛ أي: فكيف ينكرونه.

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [ق: ١٢ - ١٨].

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ﴾ [ق: 12] هو بئر كانوا مقيمين عليها لعبادة الأصنام ونبيهم، قيل: حنظلة بن صفوان، وقيل: غيره ﴿وَثَمُودُ﴾ قوم صالح ﴿وَعَادٌ﴾ [ق: 13] قوم هود ﴿وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ * وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ [ق: 13 - 14] الغيضة قوم شعيب ﴿وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾ الحميري كان باليمن وأسلم ودعا قومه للإسلام، فأبوا وكذبوه ﴿كُلٌّ﴾ من هؤلاء القوم ﴿كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ كقريش ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ وجب لهم عذابي.

﴿أَفَعَيِينَا﴾ [ق: 15] أي: لم نعجز ﴿بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ الذي أقر الكفار بأنه حق، فكذلك الإعادة ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ﴾ شك ﴿مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ وهو البعث.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ﴾ [ق: 16] أي: ونحن نعلم ﴿مَا تُوَسْوِسُ﴾ تحدث

---

(1) أي: راجع بقلبه إلى ربه، مطيع له تعالى، إذ المنيب لا يخلو من النظر في آيات الله، فيعتبر، ويعلم أن مَن قدر على إنشاء هذه الأجرام العظام، قادر على إحياء الأموات وبعثها، وحسابها وعقابها.

﴿بِهِ نَفْسُهُ﴾ قلبه، والمراد ما يخطر بالبال ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ بالعلم ﴿مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ هو عرق العنق، والوريدان عرقان بصفحتي العنق، والحبل هو الوريد، وأعضاء تحجب بعضها بعضًا، وعلم الله لا يحجبه شيء.

﴿إِذْ يَتَلَقَّى﴾ [ق: 17] يأخذ ويثبت ﴿الْمُتَلَقِّيَانِ﴾ الملكان الموكلان يتلقيان ما يعمله ﴿عَنِ الْيَمِينِ﴾ منه كاتب الحسنات ﴿وَعَنِ الشِّمَالِ﴾ منه كاتب غيرها ﴿قَعِيدٌ﴾ أي: قاعد.

﴿مَا يَلْفِظُ﴾ [ق: 18] ما يتكلم ﴿مِنْ قَوْلٍ﴾ كلام ﴿إِلَّا لَدَيْهِ﴾ عنده ﴿رَقِيبٌ﴾ حافظ ﴿عَتِيدٌ﴾ حاضر، وهل يكتبان كل الكلام أو ما يتعلق به الثواب والعقاب؟ قولان، الأول لمجاهد، وهو أقرب لمعنى الآية.

﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩) وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ (٢٠) وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ (٢١) لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ (٢٢) وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ (٢٣) أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (٢٤) مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ (٢٥) ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ (٢٦) ﴾ [ق: ١٩ - ٢٦].

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ﴾ [ق: 19] غمرته وشدته التي تغيب العقل ﴿بِالْحَقِّ﴾ من أمر الآخرة وهو الشدة حتى يراه المنكر للآخرة عيانًا، أو المراد: بحقيقته، أو ما يؤول إليه أمر الإنسان، ويقال للإنسان عندها: ﴿ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ تميل أو تهرب.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ [ق: 20] نفخة البعث ﴿ذَلِكَ﴾ النفخ ﴿يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ للكفار.

﴿وَجَاءَتْ﴾ [ق: 21] ذلك اليوم ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ﴾ إلى المحشر من الملائكة ﴿وَشَهِيدٌ﴾ يشهد عليها بعملها إمَّا من أعضائها أو من الملائكة أو منهما.

ويقال للكافر: ثم ﴿لَقَدْ كُنْتَ﴾ [ق: 22] في الدنيا ﴿فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا﴾ النازل

بك اليوم ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ﴾[1] الذي كان في الدنيا على قلبك وسمعك وبصرك ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ نافذ، تبصر ما كنت تنكر في الدنيا؛ أي: تدركه.

﴿وَقَالَ قَرِينُهُ﴾ [ق: 23] ملكه الموكل به: ﴿هَذَا﴾ إشارة إلى كتاب الأعمال ﴿مَا لَدَيَّ﴾ عندي ﴿عَتِيدٌ﴾ حاضر في كتاب أعماله، فيقال له: ﴿أَلْقِيَا﴾ [ق: 24] أمر للسائق والشهيد أو للمتلقيين، أو المراد: ألقِ ألقِ ﴿فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ معاند للحق.

﴿مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ﴾ [ق: 25] وهو الحق الواجب في المال كالزكاة ﴿مُعْتَدٍ﴾ ظالم، لا يقر بالتوحيد ﴿مُرِيبٍ﴾ شاكٍ في التوحيد ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾ [ق: 26].

﴿ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ [ق: ٢٧ - ٣٥].

﴿قَالَ قَرِينُهُ﴾ [ق: 27] من الشياطين: ﴿رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ﴾ ما أضللته ﴿وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ عن الحق، فدعوته فاستجاب لي، فيقول الكافر: بل هو أطغاني بدعائه.

---

(1) قوله: ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ﴾ أي: عن ذاتك، وهو الصورة، وبكشف هذا الغطاء تدرك حقيقة الغطاء، وإنه عين الذات؛ إذ لا غطاء للذات إلا عين الذات، جلَّت الذات أن يسترها شيء غيرها، فسبحان الذي ما أبطنه إلا ظهوره، وما ظهر إلا الصورة، فالصورة عين الباطن المستور، ولذا قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ﴾ [الإسراء: 45] أي: الصورة المحمدية التي هي عين غيب الحقيقة ﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: 45].

أقول: من كشف عنه الغطاء علم يقينًا أن الذات المحمدية - عليها صلوات الله وسلامه - أحق وأولى باسم الله الجامع من اسم محمد أو أحمد أو محمود؛ لأن التسمية لها بالاسم الله تسمية إلهية قرآنية لم يشبها ولم يخالطها كون من الأكوان، فهي منزلة في القرآن من الكريم المنان، وذلك محقق عند أهل الإيمان.

﴿قَالَ﴾ [ق: 28] تعالى: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾ عندي ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ﴾ في الدنيا ﴿بِالْوَعِيدِ﴾ في القرآن بالعذاب في الآخرة إن لم تؤمنوا، فالخصام لا فائدة له؛ إذ العذاب لا بدّ منه.

﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ [ق: 29] في وعيدي ووعدي ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ﴾ بذي ظلم ﴿لِلْعَبِيدِ﴾.

﴿يَوْمَ نَقُولُ﴾ [ق: 30] بالنون لغير نافع وأبي بكر، ولهما بالياء ﴿لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ﴾ استفهام تحقيق لملأها؛ لأنه ﷺ وعدها به ﴿وَتَقُولُ﴾ هي بصورة الاستفهام بمعنى السؤال ﴿هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ في، أو المراد: قد امتلأت، فلا أسع غير ما امتلأت به.

﴿وَأُزْلِفَتِ﴾ [ق: 31] قربت ﴿الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ﴾ أي: مكانًا غير ﴿بَعِيدٍ﴾ منهم.

ويقال لهم: ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ﴾ [ق: 32] بياء الغيبة لابن كثير، والباقون بتاء الخطاب، والمراد: هذا ما توعدون في الدنيا ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ رجّاع لطاعة الله ﴿حَفِيظٍ﴾ حافظ لحدوده.

﴿مَنْ خَشِيَ﴾ [ق: 33] خاف ﴿الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾ أي: ولم يره ﴿وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ مقبل على طاعة الله تعالى. ويقال للمتقين مع ما سبق: ﴿ادْخُلُوهَا﴾ [ق: 34] أي: الجنة ﴿بِسَلَامٍ﴾ أي: سالمين من كل خوف ﴿ذَلِكَ﴾ اليوم الحاصل فيه الدخول وما معه ﴿يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ الدوام في الجنة. ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا﴾ [ق: 35] دائمًا ﴿وَ﴾ لهم مما ﴿لَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ زيادة في النعيم مما لم يخطر ببالهم، ومنه النظر لوجه الله الكريم.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ (٣٦) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (٣٧) وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ (٣٨) فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ (٣٩) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ (٤٠)﴾ [ق: ٣٦ - ٤٠].

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ﴾ [ق: 36] أي: قبل كفار قريش ﴿مِنْ قَرْنٍ﴾ من الكفار

﴿هُمْ﴾ أي: المهلكين قبله ﴿أَشَدُّ مِنْهُمْ﴾ أي: من كفار قريش ﴿بَطْشًا﴾ قوة ﴿فَنَقَّبُوا﴾ فتشوا أصله من النقب، وهو الطريق ﴿فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ مفر من الموت لهم، أو لغيرهم، فلم يجدوا.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ [ق: 37] الذي ذكرت من العبر وإهلاك القرى ﴿لَذِكْرَى﴾ تذكرة وعظة ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾ استمع للقرآن والوعظ ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[1] حاضر القلب.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [ق: 38] أولها الأحد وآخرها الجمعة ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ إعياء وتعب، نزلت ردًا على اليهود حيث قالوا: إن الله استراح يوم السبت. ﴿فَاصْبِرْ﴾ [ق: 39] يا محمد ﷺ ﴿عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ أي: الكفار من كذبهم وتشبيههم، وهذا قبل الأمر بقتالهم.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ صلِّ حامدًا له ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ الصبح ﴿وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ صلاتي الظهر والعصر.

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ [ق: 40] صلاتي المغرب والعشاء ﴿وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾ بكسر الهمزة «إدبار» للمدنين، وابن كثير وحمزة وخلف مصدر، والباقون بالفتح جمع؛

---

(1) قال البقلي: أثبت الله سبحانه رؤية أنوار حكمته الأزلية وسناء الكبرياء والعظمة وظهور قهر الجبارية لمن له قلب، وله إلقاء السمع، وله شهود السرّ، والقلب عبارةٌ عن نقطة دائرة الفطرة القدسية التي خلقها الله من نور فعله الخاص، وهو يتجلى لها من نور صفته ونور ذاته، وهناك لطيفة كبرى، وهي سر النقطة، حولها دائرة العقل، وراء الدائرة حواشي فعله، ألقي تحتها ستر الصفات، ثم تحت ذلك الستر ظهور الذات لها، فهو بذاته وصفاته حافظ فعله الخاص، أليس ستر الفعل العام على غاشيتها، وحولها عالم الملك والشهادة، وباطنها كشف الصمدية وجلال الأزلية، وبينها وبين الحق لم يبق حجاب امتناع قدمه عن إحاطتها، وذلك الكشف والعيان من بدو وجودها إلى أبد الأبد لا ينقطع؛ لذلك قال الشبلي: وقتي مسرمدٌ، وتجري بلا شاطئ، سقط عنها أضداد التجلي؛ إذ لم يبق بين الحق وبينها جريان الحوادث، ولتلك اللطيفة عيون وأسماع؛ إذ كل وجودها سمع وبصر، فجميع سمعها وبصرها مشغولٌ بخطاب الله ورؤيته، فألقت سمعها لأصوات وصلة الأزلية، شهدت أبصارها بمشاهدة القديم، ثم نورث الهيكل بالحضور والخدمة، وطلب مزيد الصفاء والقرابة، وجعلتها مركب سيرانها وطيرانها إلى عالم الملكوت، ورأت من روزنة البصر ما رأت بلا واسطة، وسمعت بسمع الظاهر ما سمعت بلا وسيلة، فإذا رأى صاحب هذا القلب شيئًا من عجائب صنعه صار خاضعًا لعظمته، خاشعًا لهيبته، مطيعًا لأمره، جعلنا الله وإياكم من أصحاب القلوب، وأقرَّ عيوننا بأنوار الغيوب.

أي: صلِّ النوافل المسنونة عقب الفرائض، وقيل: المراد حقيقة التسبيح والحمد في هذه الأوقات.

﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ ﴾ [ق: ٤١ - ٤٥].

﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِي﴾ [ق: 41] هو إسرافيل ينادي للحشر ﴿مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ من السماء وهو صخرة بيت المقدس أقرب موضع للسماء من الأرض بثمانية عشر ميلاً، يقول: أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء.

﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ﴾ [ق: 42] أي: الخلق كلهم ﴿الصَّيْحَةَ﴾ النفخة الثانية من إسرافيل ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: ملتبسين ﴿ذَلِكَ﴾ أي: يوم النداء والسماع ﴿يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ من القبور.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾ [ق: 43].

﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ [ق: 44] أي: فيخرجون مسرعين ﴿ذَلِكَ﴾ الإحياء بعد الفناء، والجمع للحساب والعرض ﴿حَشْرٌ﴾ جمع ﴿عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾.

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [ق: 45] أي: كفار قريش ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ يجبرهم على الإيمان، وهذا قبل الأمر بالجهاد ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ وهم المؤمنون. قال ابن عباس: قالوا: يا رسول الله لو ذكرتنا، فنزلت.

سورة الذاريات

مكية، ستون آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الذاريات: ١ - ١٤].

﴿وَالذَّارِيَاتِ﴾ [الذاريات: 1] هي الرياح تذرو التراب وكل شيء ﴿ذَرْوًا﴾[1] المعنى: تهب به.

﴿فَالْحَامِلَاتِ﴾ [الذاريات: 2] هي السحب تحمل الماء ﴿وِقْرًا﴾ ثقلاً.

﴿فَالْجَارِيَاتِ﴾ [الذاريات: 3] هي السفن تجري على وجه الماء ﴿يُسْرًا﴾ بسهولة.

﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾ [الذاريات: 4] هي الملائكة تقسم الأرزاق والأمطار بين العباد والبلاد.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ [الذاريات: 5] أي: إن الوعد بالبعث وغيره لوعد صادق.

---

(1) أقسم الله سبحانه بعواصف تجلي عظمته وكواشف أنوار كبريائه التي تفرق أسرار العارفين في هواء القدم، والبقاء حتى لا يبقى من وجودها من صولة ظهور القيومية في سماء الهوية أثر؛ لغلبة القدم على الحدث وبشمال جماله الذي يأتي بنسيم الوصلة إلى قلوب المحبين، وينشق طيب نسائم الدنو أرواح الشائقين ومحمل أنين العاشقين إلى بساتين الملكوت، ويطيبها بطيب الجبروت.

﴿وَإِنَّ الدِّينَ﴾ [الذاريات: 6] الجزاء بعد الحساب ﴿لَوَاقِعٌ﴾ لا محالة.

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ [الذاريات: 7] صاحبة الطرق، جمع حابكة في الخلقة، كالطرق في الرمل وهو معنى قول ابن عباس: ذات خلق الحسن المستوي، وقيل: الحبك الزينة، وجواب القسم ﴿إِنَّكُمْ﴾ [الذاريات: 8] يا أهل مكة في شأن النبي ﷺ ﴿لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ فقيل: شاعر ساحر كاهن، وقيل في القرآن المنزل عليه ﷺ: شعر سحر كهانة.

﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ﴾ [الذاريات: 9] يصرف عنه؛ أي: عن محمد ﷺ وكتابه وشرعه ﴿مَنْ أُفِكَ﴾ المعنى: يصرف عن ذلك من الكفار من صرف بغلبة شقاوته.

﴿قُتِلَ﴾ [الذاريات: 10] دعاء عليهم، وقيل: المعنى لُعن ﴿الْخَرَّاصُونَ﴾ الكذابون، وهل هم الكهنة أو هم الذين اقتسموا عقاب مكة ليصرفوا الناس عن الإسلام؟ قولان.

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ﴾ [الذاريات: 11] هي ما يغشي الإنسان ويغطيه كغمرة الماء، والمراد: فرط جهلهم ﴿سَاهُونَ﴾ لاهون غافلون عن أمر الآخرة.

﴿يَسْأَلُونَ﴾ [الذاريات: 12] النبي ﷺ ﴿أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾ أي: متى مجيئه؟ وجوابه: يجيء ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذاريات: 13] أي: يقع يوم إلى آخره، ويقال لهم: ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ [الذاريات: 14] تعذيبكم ﴿هَذَا﴾ المشار إليه العذاب ﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ في الدنيا.

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الذاريات: ١٥ - ٢٣].

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ﴾ [الذاريات: 15] بساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾ تجري في الجنات.

﴿آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ﴾ [الذاريات: 16] أعطاهم ﴿رَبُّهُمْ﴾ من الثواب ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا

﴿قَبْلَ ذَلِكَ﴾ أي: قبل دخولهم الجنة ﴿مُحْسِنِينَ﴾ في الدنيا لإجابة الطاعة وترك المنهي.

﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات: 17] اشتغالاً بالعبادة وينامون أقله ﴿وَبِالْأَسْحَارِ﴾ [الذاريات: 18] جمع سحر، وهو السدس الأخير من الليل ﴿هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ يصلون أو يقولون: اللهم اغفر لنا.

﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ﴾ [الذاريات: 19] على وجه الندب رتبوه على أنفسهم اعتيادًا للمعروف لا نذرًا، ولا يقال هو الزكاة؛ إذ فرضها بالمدينة والسورة مكية ﴿لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ الذي لا سهم له في الغنيمة، ولا يجري عليه من الغي شيء، هو الذي لا يسأل لتعففه.

﴿وَفِي الْأَرْضِ﴾ [الذاريات: 20] في كل موجود فيها ﴿آيَاتٌ﴾ دلالات على قدرة الله ووحدانيته ﴿لِلْمُوقِنِينَ﴾ إذا نظروا معتبرين ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ﴾ [الذاريات: 21] أيضًا آيات من مبدأ خلقكم لنهايته ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ذلك فتستدلون به على قدرة الله تعالى.

﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ [الذاريات: 22] هو المطر والمسبب عنه النابت الذي هو رزق، أو القضاء والقدر ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾[1] توعدون في الآخرة من ثواب وعقاب؛ أي: ذلك مكتوب في السماء.

﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ﴾ [الذاريات: 23] أي: ما توعدون ﴿لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾ أي: حقيقته مثل حقيقة نطقكم، فهو في غاية الوضوح لا نفع فيه ليس كالرؤية والسمع ونحوه، وقرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر برفع «مثل»، والباقون بالنصب.

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ

(1) أي تفرغوا لعبادتي ولا يشغلكم طلب الرزق عنا، فإنا نرزقكم، ثم قال: إن الله رضي عنكم بعبادة يوم فارضوا عنه برزق يوم بيوم. قال: وفيها وجه آخر: ﴿وَفِي السماء رِزْقُكُمْ﴾ أي: من الذكر وثوابه. تفسير التستري (67/2).

أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الذاريات: ٢٤ - ٣٠].

﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ [الذاريات: 24] خطاب له ﷺ، والاستفهام للتقرير ﴿حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ وهم من الملائكة اثنا عشر، أو عشرة، أو ثلاثة منهم جبريل.

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ﴾ [الذاريات: 25] في نفسه: ﴿سَلامٌ﴾ هؤلاء ﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ لا نفرقهم ﴿فَرَاغَ﴾ [الذاريات: 26] مال سرًا ﴿إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ مشوي.

﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ﴾ [الذاريات: 27] فأمسكوا عنه ﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ عرض الأكل عليهم عند امتناعهم.

﴿فَأَوْجَسَ﴾ [الذاريات: 28] أضمر ﴿مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ إنا رسل ربك ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ ذي علم كثير، وهو إسحاق.

﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ﴾ [الذاريات: 29] سارة ﴿فِي صَرَّةٍ﴾ أي: صيحة ﴿فَصَكَّتْ﴾ لطمت ﴿وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ لم تلد قط، وكان عمرها تسع وتسعون سنة - بتقديم التاء الفوقية فيهما - وعمر إبراهيم ﷺ مائة سنة، أو مائة وعشرون، وعمرها تسعون بتقديم التاء الفوقية.

﴿قَالُوا كَذَلِكِ﴾ [الذاريات: 30] أي: مثل قولنا في البشارة ﴿قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾.

﴿ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الذاريات: ٣١ - ٣٧].

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ [الذاريات: 31] شأنكم ﴿أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾.

﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾ [الذاريات: 32] وهم قوم لوط ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ [الذاريات: 33] طبخ بالنار ﴿مُسَوَّمَةً﴾ [الذاريات: 34] معلمة بأسماء من هي له ﴿عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ المشركين الفاعلين بالذكور.

﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا﴾ [الذاريات: 35] أي: في قرى قوم لوط ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وهم من أوحى للوط في الإسراء بهم.

﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ﴾ [الذاريات: 36] أي: أهل بيت ﴿مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ وهم لوط عليه السلام وابنتاه.

﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا﴾ [الذاريات: 37] أي: في مدينة لوط ﴿آيَةً﴾ عبرة ﴿لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ فليخشَ من أصر على الكفر عاقبة حاله.

﴿ وَفِي مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الذاريات: ٣٨ - ٤٥].

﴿وَفِي مُوسَى﴾ [الذاريات: 38] أي: جعلنا في شأن القرية وفي قصة موسى آية ﴿إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ بحجة واضحة ﴿فَتَوَلَّى﴾ [الذاريات: 39] أدبر وأعرض عن الإيمان ﴿بِرُكْنِهِ﴾ جمعه وجنوده الذي كان يتقوى بهم ﴿وَقَالَ﴾ لموسى هو ﴿سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾.

﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ﴾ [الذاريات: 40] طرحناهم ﴿فِي الْيَمِّ﴾ البحر فغرقوا ﴿وَهُوَ﴾ أي: فرعون ﴿مُلِيمٌ﴾ مرتكب لما يلام عليه من الكفر ودعوى الربوبية.

﴿وَفِي﴾ [الذاريات: 41] إهلاك ﴿عَادٍ﴾ آية ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ هي التي لا خير فيها ولا بركة، لا تلقح شجرًا ولا تحمل مطرًا، وهي الدبور.

﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الذاريات: 42] نفس أو مال ﴿أَتَتْ﴾ مرت ﴿عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾ الشيء البالي المتفتت كالتراب المدقوق.

﴿وَفِي﴾ [الذاريات: 43] إهلاك ﴿ثَمُودَ﴾ آية ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ﴾ بعد عقر الناقة

﴿تَمَتَّعُوا﴾ ثلاثة أيام ﴿حَتَّى حِينٍ﴾ أي: انقضاء آجالهم.

﴿فَعَتَوْا﴾ [الذاريات: 44] تكبروا ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ فلم يمتثلوا ﴿فَأَخَذَتْهُمُ﴾ بعد الثلاثة ﴿الصَّاعِقَةُ﴾ أي: الصيحة المهلكة، قرأ الكسائي «الصعقة» بإسكان العين من غير ألف، وهو الصوت الذي يكون من الصاعقة، والباقون بالألف وكسر السين ﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ نهارًا.

﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا﴾ [الذاريات: 45] ما قدروا عند ذلك ﴿مِنْ قِيَامٍ﴾ من نهوض، أو المعنى: من قيام بالأمر ﴿وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ﴾ على من أهلكهم.

﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات: ٤٦ - ٥١].

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ [الذاريات: 46] بخفض الميم لأبي عمرو وحمزة والكسائي وخلف، والباقون بالنصب ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي: من قبل إهلاك هؤلاء المذكورين ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾.

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ [الذاريات: 47] بقوة ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ قادرون من أوسع الرجل إذا صار ذو سعة وقوة.

﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾ [الذاريات: 48] مهدناها ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ نحن.

﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: 49] صنفين كالذكر والأنثى والسماء والأرض ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فتعلمون أن خالق الأزواج فرد فلا يعبد غيره.

﴿فَفِرُّوا إِلَى اللهِ﴾ [الذاريات: 50] أي: فروا لثوابه من عقابه بأن يطاع فلا يعصى ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ بيّن الإنذار.

﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الذاريات: 51].

﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ

أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٢ - ٦٠].

﴿كَذَلِكَ﴾ [الذاريات: 52] أي: كما كذبك قومك وقالوا: ساحر أو مجنون ﴿مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا﴾ هو ﴿سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾.

﴿أَتَوَاصَوْا﴾ [الذاريات: 53] كلهم ﴿بِهِ﴾ أي: أتواصوا الأولون والآخرون بهذا القول حتى قالوه جميعًا متفقين عليه، لا ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ جمعهم على هذا القول الطغيان. ﴿فَتَوَلَّ﴾ [الذاريات: 54] اعرض ﴿عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ لأنك بلغت الرسالة ﴿وَذَكِّرْ﴾ [الذاريات: 55] عظ بالقرآن ﴿فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ من علم تعالى إنه مؤمن.

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56] وما ينافيه عدم العبادة من البعض؛ إذ حصول الغاية غير لازم، كبَرَيْتُ القلم لأكتب.

﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾ [الذاريات: 57] لا لي ولا لأنفسهم ولا لغيرهم ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾ ولا أنفسهم ولا غيرهم.

﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[1] [الذاريات: 58].

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الذاريات: 59] كفروا من أهل مكة وظلموا غيرهم ﴿ذَنُوبًا﴾ نصيبًا من العذاب ﴿مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾ الذين أهلكوا قبل في قوم نوح وعاد وثمود ﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾ بالعذاب؛ لأنه أخرهم ليوم القيامة بدليل قوله: ﴿فَوَيْلٌ﴾ [الذاريات: 60] شدة العذاب ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ﴾ أي: في يومهم ﴿الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ هو يوم القيامة، وقيل: يوم بدر.

---

(1) هذه الآية وأمثالها هي التي غسلت الأمراض والشكوك من قلوب الصدّيقين، حتى حصل لهم اليقين الكبير، فسكنت نفوسهم، واطمأنت قلوبهم، فهم في روح وريحان. والأحاديث في ضمان الرزق كثيرة، وأقوال السلف كذلك. البحر المديد (156/6).

سورة الطور

مكية، ثمان أو تسع وأربعون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الطور: ١ - ١٤].

﴿وَالطُّورِ﴾ [الطور: 1] هو الجبل الذي كلم الله تعالى موسى عليه السلام بالأرض المقدسة.

﴿وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ﴾ [الطور: 2] هل هو التوراة؟ أو اللوح المحفوظ؟ أو صحف بني آدم المكتوبة؟ أو القرآن؟ أقوال.

﴿فِي رَقٍّ﴾ [الطور: 3] هو ما يكتب فيه ﴿مَنْشُورٍ﴾ مبسوط.

﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ [الطور: 4] هو في السماء السابعة بحيال الكعبة، يزوره كل يوم سبعون ألف ملك بالطواف والصلاة لا يعودون إليه، وقيل: هو في الثالثة أو السادسة.

﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ [الطور: 5] هو السماء.

﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ [الطور: 6] هل هو المملوء، أو الذي ذهب ماؤه، أو المختلط العذب بالمالح؟ أقوال، أقربها الأول.

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ [الطور: 7] نازل بمستحقه ﴿مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾ [الطور: 8] عن مستحقه.

﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ﴾ [الطور: 9] تتحرك وتدور ﴿مَوْرًا﴾.

﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾ [الطور: 10] فتزول عن أماكنها، وتصير هباء منثورًا، وذلك في يوم القيامة.

﴿فَوَيْلٌ﴾ [الطور: 11] شدة العذاب ﴿يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ للأنبياء.

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ﴾ [الطور: 12] باطل ﴿يَلْعَبُونَ﴾.

﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ﴾ [الطور: 13] يدفعون بشدة وإهانة ﴿إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ ويقال لهم تبكيتًا: ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [الطور: 14] في الدنيا.

﴿ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الطور: ١٥ - ٢٠].

﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا﴾ [الطور: 15] وذلك كانوا ينسبون محمدًا ﷺ للسحر، فيؤخذوا بهذا القول ﴿أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾.

﴿اصْلَوْهَا﴾ [الطور: 16] أي: قاسوا شدة النار ﴿فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾ الصبر والجزع؛ لأن صبركم لا ينفعكم ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: جزاء عملكم.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ * فَاكِهِينَ﴾ [الطور: 17 - 18] متلذذين معجبين ﴿بِمَا آتَاهُمْ﴾ أعطاهم ﴿رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ ويقال لهم: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾ [الطور: 19] متهنئين ﴿بِمَا﴾ أي: بسبب الذي ﴿كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الخيرات في الدنيا، وتفاوت رتب الجنة بسحب الأعمال وأمَّا دخولها فبرحمة الله تعالى.

﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ﴾ [الطور: 20] بعضها بجنب بعض ﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ﴾ قرناهم ﴿بِحُورٍ عِينٍ﴾ جمع: عيناء، أو هي الكبيرة العين مع الجمال، وقيل: العيناء البيضاء.

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم

﴿مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الطور: ٢١ - ٢٩].

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ﴾ [الطور: 21] صغارًا وكبارًا ﴿بِإِيمَانٍ﴾ من الكبار ومن الآباء في الصغار؛ إذ الولد تابع للأشرف دينًا ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ في الجنة فيكونون في درجتهم وإن لم يعملوا بعملهم تكرمة للآباء باجتماع إليهم، هذا أصح الأقوال وعليه الجمهور، وقرأ أبو عمرو «وأتبعناهم» بقطع الهمزة وتشديد الباء وفتح العين وتاء ساكنة بعدها، وقرأ البصريان وابن عامر «ذرياتهم» جمعًا والباقون بغير ألف، ونصب أبو عمرو «الذرية» بكسر التاء، والباقون ضموها ﴿وَمَا أَلَتْنَاهُمْ﴾ نقصناهم بفتح اللام لغير ابن كثير وبكسرها له، والضمير يرجع على الآباء، وروى ابن شنبوذ عن قنبل حذف الهمزة، والباقون بإثباتها ﴿مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ زدناه في عمل الأولاد ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ﴾ عمل من خير أو شر ﴿رَهِينٌ﴾ مرهون، يجازى بعمله إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر.

﴿وَأَمْدَدْنَاهُمْ﴾ [الطور: 22] زدناهم في وقت بعد وقت ﴿بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ وإن لم يصرحوا بطلبه.

﴿يَتَنَازَعُونَ﴾ [الطور: 23] يتناولون، ويتعاطون ﴿فِيهَا﴾ في الجنة ﴿كَأْسًا﴾ خمرًا ﴿لَا لَغْوٌ﴾ خصام ﴿فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ إثم به بخلاف خمر الدنيا.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ [الطور: 24] لخدمتهم ﴿غِلْمَانٌ﴾ أرقاء ﴿لَهُمْ كَأَنَّهُمْ﴾ حسنًا ولطافة ﴿لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ﴾ مصون في الصدق.

قيل: يا رسول الله ﷺ، فكيف المخدوم؟ قال ﷺ: «**والذي نفسي بيده إن فضل ما**

بينهم كفضل القمر ليلة البدر على النجوم»[1].

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الطور: 25] عما كانوا عليه وما وصلوا إليه تلذذًا واعترافًا بنعمة الله عليهم.

﴿قَالُوا﴾ [الطور: 26] إشارة لعملهم المقبول ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا﴾ في الدنيا ﴿مُشْفِقِينَ﴾ خائفين من عذاب الله ﴿فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا﴾ [الطور: 27] بالوصول لما نحن فيه ﴿وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ النار، وسميت بذلك لدخولها في المسام ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ﴾ [الطور: 28] في الدنيا ﴿نَدْعُوهُ﴾ نعبده ﴿إِنَّهُ﴾ فتح الهمزة للمدنين والكسائي، والباقون بالكسر ﴿هُوَ الْبَرُّ﴾ هو المحسن الصادق في وعده ﴿الرَّحِيمُ﴾ العظيم الرحمة.

﴿فَذَكِّرْ﴾ [الطور: 29] دم على التذكير، وإن قال لك الكفار: كاهن ونحوه ﴿فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾.

﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ (٣٠) قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ (٣١) أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٣٢) أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَا يُؤْمِنُونَ (٣٣) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (٣٤) أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥)﴾ [الطور: ٣٠ - ٣٥].

﴿أَمْ﴾ [الطور: 30] بل ﴿يَقُولُونَ﴾ أي: الكفار عن محمد ﷺ هو ﴿شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ حوادث الدهر فيموت، والمنون: الدهر أو الموت، سميا بذلك؛ لقطعهما الأجل.

﴿قُلْ تَرَبَّصُوا﴾ [الطور: 31] هلاكي ﴿فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾ المنتظرين هلاككم، فأهلكوا يوم بدر بالسيف.

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ﴾ [الطور: 32] لا تأمرهم ﴿أَحْلَامُهُمْ﴾ عقولهم ﴿بِهَذَا﴾ أي: نسبة محمد ﷺ للسحر والكهانة والشعر والجنون ﴿أَمْ﴾ بل ﴿هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ بعبادتهم.

﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ﴾ [الطور: 33] أي: اختلق القرآن من تلقاء نفسه ليس كما

---

(1) رواه الفاكهي في «أخبار مكة» (2/404).

زعموا ﴿بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ استكبارًا بأن قالوا: اختلقه.

﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ﴾ [الطور: 34] مختلق ﴿مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ في قولهم.

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ [الطور: 35] أي: من غير خالق ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ أنفسهم لا فيهما؛ إذ لا يعقل مخلوق بغير خالق، ولا معدوم يخلق.

﴿ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الطور: ٣٦ - ٤٣].

﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الطور: 36] أي: لم يفعلوا ﴿بَل لا يُوقِنُونَ﴾ به؛ إذ لو أيقنوا به لآمنوا بمحمد ﷺ.

﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ﴾ [الطور: 37] المراد: النبوة والرسالة أو الرزق والمطر؛ أي: ليس ذلك بيدهم حتى يخصوا من شاءوا ﴿أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ﴾ المسلطون الجبارون، فلا يكونون تحت أمر ونهي، روى هشام «المسيطرون» هنا و«مسيطر» في الغاشية بالسين وكذا قنبل، وابن ذكوان بخلاف عنه بالصاد في الحرفين أشم الصاد زايًا فيهما، وخلف عن حمزة وخلاد بخلاف عنه.

﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ﴾ [الطور: 38] مرقى ومصعد إلى السماء ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ أي: عليه الوحي، أو كلام الملائكة حتى يمكنهم منازعة النبي ﷺ إن ادعوا ذلك بزعمهم ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ حجة واضحة.

﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ﴾ [الطور: 39] بزعمكم ﴿وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾ تعالى عن ذلك.

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾ [الطور: 40] على ما جئتم به ﴿فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ﴾ غرم لك ﴿مُثْقَلُونَ﴾ فلا يؤمنون خشية من ثقل الغرامة؟ لا.

﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾ [الطور: 41] أي: علمه ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ ذلك سنة وشرعة للناس؟ لا.

﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ [الطور: 42] بك ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ أي: المغلوبون المهلكون - يحفظك الله منهم - ففعل، ثم أهلكهم ببدر؟

﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الطور: 43] به من الإله؟

﴿ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَـٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَـٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الطور: ٤٤ - ٤٩].

﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا﴾ [الطور: 44] قطعًا ﴿مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا﴾ عليهم على وفق اقتراحهم أن ينزل من السماء عليهم كسفًا لبلغ بهم العتو والجهل أن يغالطوا أنفسهم وغيرهم حتى ﴿يَقُولُوا﴾ هذا ﴿سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾ أي: كثيف قد تراكم بعضه فوق بعض ولا يؤمنوا.

﴿فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ [الطور: 45] يموتون، وهو منسوخ بآية السيف، وقرأ أبو جعفر «يلقوا» والباقون «يلاقوا» وسبق، وقرأ ابن عامر وعاصم «يصعقون» بضم الياء، والباقون بفتح الياء.

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ [الطور: 46] يمنعون من عذاب الآخرة.

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ [الطور: 47] أي: قبل عذاب الآخرة يكون في الدنيا، وهل هو القتل يوم بدر؟ أو الجوع؟ أو القحط سبع سنين؟ أو عذاب القبر؟ أقوال، أولها لابن عباس وعليه الجمهور ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن العذاب ينزل لهم.

﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ [الطور: 48] بإمهالهم، ولا يضق صدرك ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[1] بمرأى منا نراك ونحفظك، فلا يصلون لمكرهك ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ

(1) أي: بأعيننا ترانا. قال سهل: ما نظهره عليك من فعل وقدرة تتولى جملتك بالرعاية والكلاءة =

تَقُومُ﴾ من مجلسك، فقل: «سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا الله أستغفرك وأتوب إليك»، وهي كفارة لما يكون في المجلس من كل ذنب، أو المراد: حين تقوم في الصلاة فتقول: «سبحان الله وبحمده» بعد تكبيرة الإحرام، أو حين تقوم من الفرش في الليل ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ [الطور: 49] حقيقة ﴿وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ عقب غروبها.

=

بالرضا والمحبة والحراسة من الأعداء. وقال ابن عطاء: فإنك بأعيننا أي: مغمور في حفظنا، وغريق في فضلنا، ومستور بحفظنا، ومن اختصَّ بالله كان في حفظه، ومن كان في حفظه كان في مشاهدته، ومن كان في مشاهدته استقام معه ووصل إليه، ومن وصل إليه انقطع عما سواه، ومن انقطع عما سواه عاش معه عيش الربانيين. وقال الحسين: اصبر؛ فإن صبرك بتوفيقنا وبشهود عيوننا؛ فلذلك حصلت العيون منك عيونًا؛ إذ أنت الناظر إلينا بنا، ولم تنظر إلينا بما لنا وعنا، فتكون بذلك محجوبًا عن واجبنا. وقال جعفر: عند هذا الخطاب سهَّل عليه معالجة الصبر واحتمال مؤنه، وكذلك كل حال يرد على العبد في حال المشاهدة.

سورة النجم

مكية ثنتان وستون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾﴾ [النجم: ١ - ١٦].

﴿وَالنَّجْمِ﴾ [النجم: 1] هو الثريا ﴿إِذَا هَوَى﴾[1] غاب.

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ [النجم: 2] محمد ﷺ عن طريق الهداية ﴿وَمَا غَوَى﴾ ما لابس الغي، وهو جهل عن اعتقاد فاسد.

---

(1) أقسم الله بالنجم، وذلك النجم إلهام قلوب الملهمين حين يسقط من صحائف الغيوب إلى معادن القلوب، وأيضًا أي: بأنوار تجلي جماله وجلاله إذا وقع على أرواح العاشقين، وأيضًا بألحان بلابل علومه اللدنية التي تترنم بحقائق ما كنز الحق في كنوز القدم إذا جلست على أغصان ورد بساتين أسرار العارفين، فتكلموا، وأخبروا بها من مكنون غرائب علوم الصفات والذات، وأيضًا أي: بواردات الجذبية التي تبدو بأنوارها من الغيوب لفهوم المحبين، وتسقط على أسرار الواصلين، وتزعجها إلى مشاهدة رب العالمين حقائقها المواجيد والحالات والكشف والمشاهدات وأيضًا أي: بالأرواح العاشقة الشائقة إذا صعدت إلى ملكوت الغيب، وتسقط إلى بحر جبروت الرب، وتحمل مياه حياة القدم من بحر البقاء، وتأتي سكرى إلى معادن الأشباح، وتضوع نفحاتها في بساتين العقول ورياض القلوب، وأيضًا بما نبت في بساتين قلوب الأولياء من عجائب أصناف أزهار الحكم والمعارف والعلوم والفهوم، أي: بهذه المقسمات الشريفة والنيرات الواضحة ما ضلَّ حبيبي عني لمحة وما احتجب بشيء دوني لحظة، وما اعوجَّ عن طريق استقامته قط.

﴿وَمَا يَنْطِقُ﴾ [النجم: 3] بما أتاه به ﴿عَنِ الْهَوَى﴾ أي: هوى نفسه.

﴿إِنْ هُوَ﴾ [النجم: 4] ما نطقه في الدين أو بالقرآن ﴿إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ إليه ﴿عَلَّمَهُ﴾ [النجم: 5] ملك ﴿شَدِيدُ الْقُوَى﴾ أي: شديد قواه.

﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ [النجم: 6] قوة، أو منظر حسن ﴿فَاسْتَوَى﴾ استقر ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾ [النجم: 7] بأفق الشمس؛ أي: عند مطلعها فرآه ﷺ على صورته التي خلق عليها بـ «حراء» قد سد الأفق، فخرَّ مغشيًا عليه، وكان قدسًا له أن يريه نفسه على صورته التي خلق عليها فواعده بـ «حراء»، ثم بعد ذلك نزل له جبريل في صورة بني آدم.

﴿ثُمَّ دَنَا﴾ [النجم: 8] قرب منه جبريل ﴿فَتَدَلَّى﴾ زاد في الدنو والقرب ﴿فَكَانَ﴾ [النجم: 9] منه ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾[1] من ذلك، حتى أفاق وسكن روعه، والقاب: نصف الأصبع.

﴿فَأَوْحَى﴾ [النجم: 10] تعالى ﴿إِلَى عَبْدِهِ﴾ جبريل ﴿مَا أَوْحَى﴾ جبريل للنبي ﷺ، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: هو محمد ﷺ، دنى فتدلى إلى ربه، وعليه فالمراد: محمد ﷺ، وهو المناسب لما صح عند الفقهاء والمحدثين والجمهور من رؤية محمد ﷺ لربه بعين رأسه، وثبت القول به عن ابن عباس، ونسبة الدنو والتدلي لله والتمثيل بقاب قوسين مؤول بأنه قرب معنوي باللطف والرحمة والتكريم.

﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ﴾ [النجم: 11] بالتخفيف لغير أبي جعفر وهشام، ولهما

---

(1) قال البقلي: أي: بيني وبينه قوس الحدوثية وقوس الأفعالية، فبقي بين القوسين عن إدراك العين بالحقيقة بالعين والقلب، وأيضًا ظن أنه وصل؛ إذ لا فصل هناك ولا وصل ولا قرب ولا بعد، فإن ساحة الكبرياء منزَّهةٌ عن هذه العلل، فبيَّن له الحق أن بينه وبين الحق قوسين: قوس الأزل، وقوس الأبد، ومن يصل إلى من بعد منه من الأزل إلى الأبد أي: الحدث بعيدٌ مني بقدر الأزل والأبد؛ إذ لا قدر في الأزل والأبد، وكيف يصل إلى من تنزيهه أبعده بالأزل والأبد من ذاته وصفاته، فإذا كان كذلك استحال قرب الحدث من ذاته وصفاته من حيث المسافة، وأيضًا رمى الحق سهم الدنو من قوس الأزل، ورمى سهم التدلي من قوس الأبد من كناية الذات والصفات إلى قلب حبيبه ﷺ، فجرحه بسهم المحبة وسهم المعرفة، فكان في تلك الليلة مطروحًا في ميدان الأزل، مجروحًا في ميدان الأبد. قال جعفر: انقطعت الكيفية عن الدنو، ألا ترى أن الله حجب جبريل من دنوه ودنو ربه منه.

بالتشديد؛ فمن خفف أراد ما كذب فؤاد محمد ﷺ ﴿مَا رَأَى﴾ بعينه.

﴿أَفَتُمَارُونَهُ﴾ [النجم: 12] تجادلونه، بضم التاء وألف بعد الميم للقراء إلا حمزة والكسائي لغير يعقوب فقرأوا «أفتمارونه» بفتح التاء وإسكان الميم من غير ألف والأولون؛ أي: تجحدونه ﴿عَلَى مَا يَرَى﴾.

﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾ [النجم: 13] أي: رأى النبي ﷺ جبريل على صورته ﴿نَزْلَةً﴾ مرة ﴿أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ [النجم: 13 - 14] لما أسري به في السموات، وهي شجرة عن يمين العرش إليها ينتهي علم الخلائق ليس لأحد وراءها علم.

﴿عِنْدَهَا﴾ [النجم: 15] أي: عند السدرة ﴿جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ هي دار الثواب، يأوي إليها الملائكة وأرواح الشهداء، قيل: والمتقون.

﴿إِذْ﴾ [النجم: 16] حين ﴿يَغْشَى السِّدْرَةَ﴾ وقت ما غشي السدرة ما ذكر ﴿مَا يَغْشَى﴾ من طير أو غيره من الملائكة، أو هو فراش من ذهب، فرآها محمد ورأى ربه ثانيًا، فالضمير في رآه على هذا يعود على الله؛ أي: إن محمدًا ﷺ رأى ربه مرتين: أول ما أسري به، وبعد ما راجعه في تخفيف الصلاة على مذهب ابن عباس، والجنة في السماء السابعة العليا.

﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ ﴾ [النجم: ١٧ - ٢٣].

﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ﴾ [النجم: 17] من النبي ﷺ؛ أي: مال ﴿وَمَا طَغَى﴾ عن مرتبته؛ أي: ما جاوزه تلك الليلة.

﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم: 18] العظام، وكان مما رآه رفرفًا أخضر من الجنة سد أفق السماء، وجبريل له ستمائة جناح.

﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ﴾ [النجم: 19 - 20] قبلها ﴿الْأُخْرَى﴾ صفة ذم للثالثة؛ أي: المتأخرة الوضيعة، وهي أصنام من حجارة كان المشركون

يعبدونها زاعمين أنها تشفع لهم عند الله، واللات: كانت لثقيف بالطائف وهي سمرة، وبعث إليها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها، داعية ويلها، واضعة يدها على رأسها، فجعل يضربها بالسيف حتى قتلها، ومناة: صخرة كانت لهذيل وخزاعة، وقيل: لثقيف، وسميت بذلك لما كان يمني؛ أي: يراق عندها من الدماء للتبرك، وروى رويس «اللات» بتشديد التاء مريدًا به اسم رجل كان عند الصنم يلت السويق ويطعمه الحاج، والباقون بتخفيفها على إنه اسم الصنم، وقرأ ابن كثير «مناة» همزة بعد الألف؛ لأنهم كانوا يستمطرون الأنواء عندها تبركًا، والباقون بترك الهمزة.

ولما زعم الكفار أن الملائكة بنات الله مع كراهتهم البنات قال تعالى: ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ﴾ [النجم: 21] تعالى ﴿الْأُنْثَى﴾.

﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ [النجم: 22] جائرة وهمز «ضيزى» ابن كثير فقط من ضازة.

﴿إِنْ هِيَ﴾ [النجم: 23] ما هذه المذكورات ﴿إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾ أي: سميتم أنتم تبعًا لآبائكم أصنامًا تعبدونها ﴿مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا﴾ بعبادتها ﴿مِنْ سُلْطَانٍ﴾ حجة ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ﴾ في عبادتها ﴿إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ مما زينه الشيطان لهم من أنها تشفع لهم ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ البيان بالكتب والرسل أنها ليست بآلهة، وأن العبادة لا تصلح إلا لله وحده، فلم يرجعوا عما هم عليه.

﴿ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ ﴾ [النجم: ٢٤ - ٣٠].

﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ﴾ [النجم: 24] ليس للإنسان ﴿مَا تَمَنَّى﴾ من أن الأصنام تشفع له، ليس الأمر كما قالوا ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾ [النجم: 25] لا يملك أحد منهما شيئًا

إلا بإذنه.

﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ﴾ [النجم: 26] ممن يعبدهم هؤلاء الكفار على رجاء شفاعتهم ﴿لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا﴾ مع عظم كرامتهم على الله؛ أي: كثير من الملائكة ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ﴾ لهم في الشفاعة ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ من عباده ﴿وَيَرْضَى﴾ عنه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى﴾ [النجم: 27] من قولهم: الملائكة بنات الله.

﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ﴾ [النجم: 28] أي: بهذا القول ﴿مِنْ عِلْمٍ إِنْ﴾ ما ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ فيه ﴿إِلَّا الظَّنَّ﴾ من قولهم الذي تخيلوه ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ﴾ أي: لا يغني عن ﴿الْحَقِّ﴾ العلم ﴿شَيْئًا﴾ فلا يغني ظن عن شيء طلب فيه علم.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا﴾ [النجم: 29] وهو القرآن ﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ونسخ ذلك بالأمر بالجهاد.

﴿ذَلِكَ﴾ [النجم: 30] أي: طلبهم الدنيا ﴿مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ فنهاية علمهم إن أثروا الدنيا على الأخرى ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى﴾ فهو عالم بهما فيهديهما.

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى (٣١) ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ (٣٢) أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ (٣٣) وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ (٣٤) أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ (٣٥) أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ (٣٦) وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ (٣٧) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ (٣٨) ﴾ [النجم: ٣١ - ٣٨].

﴿وَلله مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [النجم: 31] يضل من يشاء ويهدي من يشاء ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا﴾ من شرك وغيره ﴿وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ بالطاعة ﴿بِالْحُسْنَى﴾ الجنة.

وبيَّن المحسنين بقوله: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ [النجم: 32] هي صغار الذنوب كنظرة وقبلة، المعنى: لكن اللمم يغفر باجتناب الكبائر ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ﴾ أي: عالم ﴿بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ أي: خلق آدم من تراب ﴿وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ﴾ جمع: جنين ﴿فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾ لا تمدحوها معجبين، فالتزكية مدح النفس على جهة الإعجاب، وهو على سبيل الاعتراف بالنعمة حسن ﴿هُوَ أَعْلَمُ﴾ أي: عالم ﴿بِمَنِ اتَّقَى﴾ ونزلت كما قال مقاتل في قوم يعملون الطاعات ثم يعجبون بها.

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾ [النجم: 33] عن الإيمان، نزلت في الوليد بن المغيرة، كان تبع الإسلام فعير فقال: إني خشيت عذاب الله، فضمن له الذي عاتبه إن هو وافقه، فرجع للكفر أن يعطيه قدرًا من ماله ويحمل عنه عذاب الله، فرجع الوليد لشركه وأعطاه أيضًا من بعض المال، فذلك قوله: ﴿وَأَعْطَى قَلِيلاً﴾ [النجم: 34] من المال ﴿وَأَكْدَى﴾ بخل بالباقي.

﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى﴾ [النجم: 35] ما غاب عنه ويعلم أن صاحبه يتحمل عنه العذاب؛ أي: ليس عنده علم الغيب ﴿أَمْ﴾ [النجم: 36] بل ﴿لَمْ يُنَبَّأْ﴾ لم يخبر ﴿بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى﴾ التوراة ﴿وَ﴾ [النجم: 37] في صحف ﴿إِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ تمم وأكمل ما أمر به، أو تمم ما في صحف موسى بقوله: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ﴾ [النجم: 38] لا تحمل حاملة ﴿وِزْرَ أُخْرَى﴾ فلا تؤخذ نفس بذنب غيرها.

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ ﴾ [النجم: ٣٩ - ٤٧].

﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: 39] إلا ما عمل من خير، فليس له من سعي غيره في الخير شيء إلا ما ورد الشرع به من صدقه ودعا للميت وحج من الغير بشرطه، والآية مخصوصة بغير ما ذكر.

﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾ [النجم: 40] في ميزانه في الآخرة ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ

﴿الْأَوْفَى﴾ [النجم: 41] الأكمل.

﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ [النجم: 42] منتهى الخلق ومصيرهم إليه.

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ [النجم: 43] من شاء أفرحه ومن شاء أحزنه.

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ﴾ [النجم: 44] في الدنيا ﴿وَأَحْيَا﴾ للبعث.

﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ﴾ [النجم: 45] الصنفين ﴿الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ [النجم: 46.45] تصب في الرحم.

﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ﴾ [النجم: 47] بالمد لأبي عمرو، والقصر لغيره ﴿الْأُخْرَى﴾ الخلق الثاني للبعث.

﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعْبُدُواْ ۩ ﴿٦٢﴾ ﴾ [النجم: ٤٨ - ٦٢].

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى﴾ [النجم: 48] ما شاء بماله ﴿وَأَقْنَى﴾ أكسب ما يقتنى، أو أفقر.

﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى﴾ [النجم: 49] وهو كوكب خلف الجوزاء كانت العرب تعبده في الجاهلية.

﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾ [النجم: 50] وهي قوم هود، والأخرى قوم صالح ﴿وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى﴾ [النجم: 51] منهم أحدًا ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ﴾ [النجم: 52] أي: عاد وثمود أهلكهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى﴾ من عاد وثمود؛ لطول لبث نوح بينهم، فلم يؤمنوا به ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ﴾ [النجم: 53] قرى قوم لوط ﴿أَهْوَى﴾ أسقطها بعد رفعها إلى السماء مقلوبة للأرض بأمر لجبريل ﷺ بذلك.

﴿فَغَشَّاهَا﴾ [النجم: 54] بعد ذلك من الحجارة ﴿مَا غَشَّى﴾ إنهم تهويلاً

على السامع.

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ﴾ [النجم: 55] نعم ﴿رَبِّكَ﴾ أيها الإنسان، أو الخطاب للوليد بن المغيرة ﴿تَتَمَارَى﴾ تشكك، أو تكذب.

﴿هَذَا﴾ [النجم: 56] إشارة إلى النبي ﷺ ﴿نَذِيرٌ مِنَ﴾ جنس ﴿النُّذُرِ الْأُولَى﴾ فهو رسول كالرسل قبله.

﴿أَزِفَتِ﴾ [النجم: 57] قربت ﴿الْآزِفَةُ﴾ القيامة ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ كَاشِفَةٌ﴾ [النجم: 58] الهاء فيه للمبالغة، أو المراد: نفس كاشفة.

﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ﴾ [النجم: 59] القرآن ﴿تَعْجَبُونَ﴾ تكذيبًا ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ [النجم: 60] استهزاءًا ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ لسماع وعده ووعيده ﴿وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ﴾ [النجم: 61] لاهون غافلون.

﴿فَاسْجُدُوا لِلهِ وَاعْبُدُوا﴾ [النجم: 62] أي: اعبدوه، ولا تسجدوا للأصنام ولا تعبدوها، وهذه سجدة تلاوة عندنا.

سورة القمر

مكية إلا قوله: ﴿سَيُهْزَمُ الجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر: 45] خمس وخمسون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ (١) وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ (٢) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ (٣) وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (٤) حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ (٥) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ (٦) خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ (٧) مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ ۖ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ (٨) ﴾ [القمر: ١ - ٨].

﴿**اقْتَرَبَتِ**﴾ [القمر: 1] قربت ﴿**السَّاعَةُ**﴾ القيامة ﴿**وَانْشَقَّ الْقَمَرُ**﴾ انفلق فلقتين: فلقة على أبي قبيس وأخرى على قعيقعان، وعن أنس أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما، ولا ينافي الأول، ولما رأوا ذلك قال لهم ﷺ: «**اشهدوا**»[1].

﴿**وَإِنْ يَرَوْا**﴾ [القمر: 2] أي: كفار قريش ﴿**آيَةً**﴾ معجزة له ﷺ كانشقاق القمر ﴿**يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا**﴾ هذا ﴿**سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ**﴾ قوي، أو دائم.

﴿**وَكَذَّبُوا**﴾ [القمر: 3] رسول الله ﷺ ﴿**وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ**﴾ الباطلة ﴿**وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ**﴾ بأهله في الجنة أو النار، أو لكل حديث منتهى، أو لكل مقدر كائن، وقرأ أبو جعفر «مستقر» بكسر الراء، والباقون بالرفع.

﴿**وَلَقَدْ جَاءَهُمْ**﴾ [القمر: 4] أي: كفار قريش ﴿**مِنَ الْأَنْبَاءِ**﴾ أخبار من سلف ﴿**مَا**

---

(1) رواه البخاري (435/10).

فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ نهي وعظة.

﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ﴾ [القمر: 5] تنفع فيه ﴿النُّذُرُ﴾ جمع نذير بمعنى منذر؛ أي: الأمور المنذرة لهم لا تنفع فيهم.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ [القمر: 6] والآية منسوخة بآية القتال، وهنا تم الكلام ثم ابتدأ فقال: ﴿يَوْمَ يَدْعُو الدَّاعِي﴾ هو إسرافيل ﴿إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ﴾ بضم الكاف للكل إلا لابن كثير، والمراد شيء تنكره النفوس؛ لكراهيتها له وشدته، وهو الحساب.

﴿خُشَّعًا﴾ [القمر: 7] ذليلاً، بألف بعد الخاء وكسر الشين مخففتين لحمزة والكسائي وخلف والبصريين، والباقون بضم الخاء وتشديد الشين مفتوحة بلا ألف ﴿أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ القبور ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ منبث، حيارى لا يدرون أين يتوجهون.

﴿مُهْطِعِينَ﴾ [القمر: 8] أي: مسرعين، مادي أعناقهم ﴿إِلَى الدَّاعِي﴾ وهو صوت إسرافيل عليه السلام ﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ﴾ منهم؛ أي: ممن دعي: ﴿هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ أي: صعب على الكافر.

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ (٩) فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ (١٠) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢) وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٣) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ (١٤) وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (١٥) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (١٦) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (١٧) ﴾[القمر: ٩ - ١٧].

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ [القمر: 9] قيل: كفار قريش ﴿قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ نوحًا ﷺ ﴿وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾ أي: زجروه عن مقالته في الدعاء إلى الله بالشتم وغيره.

﴿فَدَعَا﴾ [القمر: 10] نوح ﴿رَبَّهُ أَنِّي﴾ أي: بأني ﴿مَغْلُوبٌ﴾ مقهور ﴿فَانْتَصِرْ﴾ انتقم لي منهم ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ [القمر: 11] منصب انصبابًا شديدًا لم ينقطع أربعين يومًا، وطبق ما بين السماء والأرض ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾ [القمر: 12] أي: عيون الأرض بالنبع ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ﴾ ماء السماء وماء الأرض ﴿عَلَى أَمْرٍ﴾

حال ﴿قَدْ قُدِرَ﴾ قُضي به في الأزل وهو هلاكهم بالغرق.

﴿وَحَمَلْنَاهُ﴾ [القمر: 13] يعني: نوحًا ﴿عَلَى﴾ سفينة ﴿ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾ الدسر: صدرها الذي يلقى الموج، أو المسامير وغيرها بما شد به ألواح السفينة.

﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: 14] بمرأى منَّا؛ أي: بحفظنا، أو بأمرنا ﴿جَزَاءً﴾ أي: أغرقوا انتصارًا ﴿لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾ وهو نوح ﷺ.

﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا﴾ [القمر: 15] أبقينا هذه الفعلة ﴿آيَةً﴾ فقيل: بقي من السفينة ما أدركه أوائل هذه الأمة، وقيل: المراد: شاع خبرها واستمر، وهو الأقرب ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ معتبر، متعظ بذلك.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر: 16] أي: إنذاري، والمراد: أقروا بأن الواقع بقوم نوح في محله.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ [القمر: 17] سهلناه للحفظ ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ متعظ به، وليس في كتب الله ما يحفظ عن ظهر قلب غيره، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - في هذه الآية: لولا أن الله يسره على لسان الأميين ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلم كلام الله.

﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [القمر: ١٨ - ٢٢].

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ [القمر: 18] هودًا نبيهم، فعذبهم الله ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ أي: إنذاري لهم بالعذاب.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ [القمر: 19] شديد الهبوب، أو الصوت ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ﴾ شؤم ﴿مُسْتَمِرٍّ﴾ دائم الشؤم، أو المستمر القوي، وكان يوم الأربعاء آخر الشهر؛ أي: إنه يوم نحس مستمر على من وقع عليه العذاب، وهذا التشاؤم يوجد للفرس والأعاجم، ونسب لجعفر بن محمد ﷺ القول بدوامه، وقال ابن عطية: عياذًا بالله أن يصح ذلك عنه.

﴿تَنْزِعُ النَّاسَ﴾ [القمر: 20] تقلعهم من حفر الأرض المندسين فيها وتصرعهم

على رءوسهم فتندق رقابهم، فتفصل الرأس عن الجسد ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ وحالهم ما ذكر ﴿أَعْجَازُ﴾ أصول ﴿نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ متعلق من مكانه ساقط على الأرض.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾[القمر: 21].

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [القمر: 22].

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ ﴾[القمر: ٢٣ - ٣١].

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾ [القمر: 23] بما أنذرهم به نبيهم صالح.

﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ﴾ [القمر: 24] أي: كيف نتبع واحدًا ونحن جماعة كثيرة وليس بملك؛ والمعنى: لا نتبعه ﴿إِنَّا إِذًا﴾ أي: إذا اتبعناه ﴿لَفِي ضَلَالٍ﴾ عن الصواب ﴿وَسُعُرٍ﴾ عذاب، أو جنون.

﴿أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ﴾ [القمر: 25] أي: أنزل الوحي عليه ﴿مِنْ بَيْنِنَا﴾ استفهام معناه النفي؛ أي: لم يوحِ إليه ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ﴾ في قوله: إنه أوحي إليه ﴿أَشِرٌ﴾ بطر متكبر.

قال تعالى: ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ [القمر: 26] بتاء الخطاب لابن عامر وحمزة، والباقون بالغيب، وانفرد عن روح بالتخبير ﴿غَدًا﴾ أي: يوم القيامة ﴿مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ﴾ وهو هم.

﴿إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ﴾ [القمر: 27] أي: باعثوها ومخرجوها من الهضبة التي سألوها منها؛ وذلك لأنهم تعنتوا على صالح فسألوه أن يخرج لهم من صخرة ناقة حمراء عشرًا، فقال تعالى: إنا مرسلوها كما سألوا ﴿فِتْنَةً﴾ محنة ﴿لَهُمْ﴾ لنختبرهم ﴿فَارْتَقِبْهُمْ﴾ فانتظر ما هم صانعون يا صالح ﴿وَاصْطَبِرْ﴾ على ارتقابهم، أو على ما يصيبك من الأذى.

﴿وَنَبِّئْهُمْ﴾ [القمر: 28] أخبرهم ﴿أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ﴾ مقسوم ﴿بَيْنَهُمْ﴾ وبين الناقة، لهم يوم ولها يوم ﴿كُلُّ شِرْبٍ﴾ نصيب ﴿مُحْتَضَرٌ﴾ يحضره القوم يومهم والناقة يومها، فتمادوا على ذلك ثم هموا بقتل الناقة ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى﴾ [القمر: 29] تناول الناقة بسيفه ﴿فَعَقَرَ﴾ أي: قتلها موافقة لهم.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر: 30] أي: هو واقع موقعه، وبينها بقوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ [القمر: 31] صاحها جبريل عليهم ﴿فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾(1) وهو الرجل الذي يجعل لغنمه حظيرة من الشجر والشوك دون السباغ، فما سقط من ذلك فداسته الغنم فهو الهشيم، وقيل: هو الشجر اليابس البالي الذي ذرته الريح، والمعنى: إنهم صاروا كيابس الشجر.

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ [القمر: ٣٢ - ٤٠].

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ * كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ * إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾ [القمر: 32: 34] ريحًا ﴿حَاصِبًا﴾ ترميهم بالحصباء وهي صغار الحجارة ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾ هو وابنتاه ﴿نَجَّيْنَاهُمْ﴾ من العذاب ﴿بِسَحَرٍ﴾ من الأسحار؛ أي: وقت الصبح من يوم غير معين ﴿نِعْمَةً﴾ [القمر: 35] إنعامًا ﴿مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ﴾ مثل ذلك الجزاء ﴿نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ أنعمنا فلا نعذبه.

﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا﴾ [القمر: 36] أخذنا إياهم بالعقوبة ﴿فَتَمَارَوْا﴾ شكوا ﴿بِالنُّذُرِ﴾ بالإنذار وكذبوا.

---

(1) يعني: صارت القوى التي جمعتها قوة النفسية لاحتضار غنم الأخلاق الحميدة القالبية المكتسبة الغير المزكاة بنور اللطيفة، مثل الشجرة البالية التي ذرتها الريح العاصفة.

﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ﴾ [القمر: 37] فطلبوا أن يسلم أضيافه لهم - وهم ملائكة في صورة البشر - ليفعلوا بهم الفاحشة ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ عميناها بأن صفقها جبريل عليه السلام بجناحه، فصارت بلا شق كباقي الوجه، وقيل: المراد بالطمس هنا: إنهم لما راودوه عند رؤيتهم الملائكة طلبوهم فلم يروهم ﴿فَذُوقُوا﴾ أي: قلنا لهم: ذوقوا ﴿عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ أي: إنذاري والمراد ذوقوا ثمرته وفائدته.

﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً﴾ [القمر: 38] جاءهم وقت الصبح من يوم غير معين ﴿عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ﴾ دائم فيهم متصل بعذاب الآخرة، أو عذاب حق.

﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ * وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [القمر: 39،40].

﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ (٤١) كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ (٤٢) أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ (٤٣) أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ (٤٤) سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (٤٥) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ (٤٦) إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (٤٧) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (٤٨)﴾ [القمر: ٤١ - ٤٨].

﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ﴾ [القمر: 41] أي: قومه معه ﴿النُّذُرُ﴾ الإنذار على لسان موسى وهارون، صلى الله عليهما وعلى سائر الأنبياء خصوصًا نبينا محمدًا ﷺ.

﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [القمر: 42] التسع ﴿كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ﴾ بعذابنا ﴿أَخْذَ عَزِيزٍ﴾ قوي ﴿مُقْتَدِرٍ﴾ قادر لا يعجزه شيء.

ثم خوف أهل مكة فقال: ﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾ [القمر: 43] معشر قريش ﴿خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ﴾ المذكورين من قوم نوح ومن بعدهم ﴿أَمْ لَكُمْ﴾ يا كفار قريش ﴿بَرَاءَةٌ﴾ من العذاب ﴿فِي الزُّبُرِ﴾ الكتب؛ أي: ليس الأمر كذلك.

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ [القمر: 44] أي: كفار قريش ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ﴾ جمع ﴿مُنْتَصِرٌ﴾ على محمد ﷺ، ولما قال أبو جهل - لعنه الله - يوم بدر: أنا جمع منتصر نزل ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ﴾ [القمر: 45] أي: الكفار، وانفرد ابن مهران عن روح فقرأ «سنهزم» بالنون مفتوحة، والباقون بالياء مضمومة، والجمع رفع ﴿وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ الأدبار، فهزموا

يوم بدر.

﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ [القمر: 46] بالعذاب ﴿وَالسَّاعَةُ﴾ أي: عذابها ﴿أَدْهَى﴾ أعظم بلية ﴿وَأَمَرُّ﴾ أشد مرارة من الأسر والقتل يوم بدر، ومن كل عذاب الدنيا.

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ﴾ [القمر: 47] المشركين ﴿فِي ضَلَالٍ﴾ بعد عن الحق، أو هلاك في الدنيا، أو ذهاب عن طريق الجنة ﴿وَسُعُرٍ﴾ نار مسعرة عليهم في الآخرة.

﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾ [القمر: 48] ويقال لهم: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ إصابة جهنم لكم.

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر: ٤٩ - ٥٥].

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: 49] بتقدير ﴿وَمَا أَمْرُنَا﴾ [القمر: 50] لشيء إذا أردنا تكوينه ﴿إِلَّا﴾ أمرة ﴿وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ في السرعة وهو كن فيؤخذ.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾ [القمر: 51] في الكفر من الأمم الماضية ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ أي: اتعظوا.

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ﴾ [القمر: 52] أي: العباد، مكتوب ﴿فِي الزُّبُرِ﴾ الكتب مع الحفظة، أو كل شيء فعله الخلق موجود في اللوح المحفوظ ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ [القمر: 53] من الذنب والعمل ﴿مُسْتَطَرٌ﴾ مكتوب في اللوح المحفوظ.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ﴾ [القمر: 54] بساتين ﴿وَنَهَرٍ﴾ أنهار في الجنة يشربون منها كما سبق ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ [القمر: 55] مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم، وأريد به الجنس ﴿عِنْدَ﴾ إشارة للمرتبة ﴿مَلِيكٍ﴾ عزيز الملك واسعه ﴿مُقْتَدِرٍ﴾ قادر، لا يعجزه شيء، فهو الله تعالى.

قال الصادق عليه السلام: مدح الله المكانة بالصدق، لا يقعد فيه إلا أهل الصدق.

سورة الرحمن

مكية، وقيل: هي مكية إلا قوله: ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ..﴾ [الرحمن: 29] فمدني، ست، أو سبع، أو ثمان وسبعون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾ ﴾ [الرحمن: ١ - ٩].

﴿الرَّحْمَنُ﴾ [الرحمن: 1] (1).

﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرحمن: 2] من شاء من خلقه.

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ [الرحمن: 3] يعني آدم عليه السلام، أو المراد: الجنس.

﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: 4] النطق.

﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: 5] يجريان بحسبان معلوم ومنازل معروفة.

﴿وَالنَّجْمُ﴾ [الرحمن: 6] وهو: ما لا ساق له من النبات ﴿وَالشَّجَرُ﴾ ما له ساق

---

(1) قدسية رحمانية إسلام أبدية مختومة بختام المسك مما ينافسه المتنافسون وفيه يرغب الراغبون، وله يزهد الزاهدون، وإليه يتوجه المتوجهون، وبه يسلك السالكون، ومعه يطرب المطربون ويرقص الراقصون، ومنه يستريح المستريحون، طوبى لمن نظر فيها بعين العبرة وانتفع منه الخير، وحمل على جند النفس حمله أهل الغيرة؛ ليخلص من بيداء الحساب ويخرج من تيه الحيرة، ويخلص نفسه من رق الشيطان ويدخله في زمرة عباد الرحمن، ويقرأ سورة الرحمن ويتدبر في هذا البيان الذي جاء من حضرة القرآن، ونقش على صحيفة الجنان؛ ليشاهد حقيقة بعين العيان، ويعرف حقيقة بحق الإيقان.

﴿يَسْجُدَانِ﴾ يخضعان لله تعالى، وسجودهما بسجود ظلهما كما في النحل، وقيل: النجم: الكوكب، وسجوده طلوعه.

﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا﴾ [الرحمن: 7] فوق الأرض ﴿وَوَضَعَ﴾ أثبت ﴿الْمِيزَانَ﴾ أي: العدل. ﴿أَلَّا تَطْغَوْا﴾ [الرحمن: 8] أي: لأجل ألَّا تجوروا ﴿فِي الْمِيزَانِ﴾ الذي يوزن به.

﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾ [الرحمن: 9] بالعدل ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ لا تنقصوها بنقص الموزون، أو المراد: لا تطففوا في الكيل ولا تنقصوا الموزون، فترك المكيل اكتفاء بنظيره.

﴿ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ ﴾ [الرحمن: ١٠ - ١٦].

﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا﴾ [الرحمن: 10] خلقها وأثبتها ﴿لِلْأَنَامِ﴾ الخلق الإنس والجن وغيرهم.

﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ﴾ [الرحمن: 11] كل ما يتفكه به ﴿وَالنَّخْلُ﴾ المعروف ﴿ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ واحدها كم وهي: الأوعية التي يكون فيها الطلع.

﴿وَالْحَبُّ﴾ [الرحمن: 12] جمع الحبوب كالحنطة والشعير وغيرهما ﴿ذُو الْعَصْفِ﴾ هل هو ورق الزرع؟ أو ورقه إذا قطعت رءوسه ويبس؟ أو التين؟ أقوال، أقربها الأخير ﴿وَالرَّيْحَانُ﴾ الرزق أو المشموم، وقرأ ابن عامر «والحب، والعصف، والريحان» بنصب الثلاثة، ولذا كتب «ذا» بالألف في مصاحف الشام، والباقون برفعها سوى حمزة والكسائي وخلف فبخفض «الريحان».

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: 13] ذكرت في هذه السورة إحدى وثلاثين مرة، والمراد أقروا بنعمه، ويندب أن نقول عند سماعها، أو قراءتها: ولا شيء من نعمك ربنا تكذب، فلك الحمد.

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ [الرحمن: 14] آدم ﴿مِنْ صَلْصَالٍ﴾ طين يابس يسمع له

صلصلة، وهي الصوت إذا أنقر ﴿كَالْفَخَّارِ﴾ وهو ما طبخ من الطين.

﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ﴾ [الرحمن: 15] أبو الجن وهو إبليس ﴿مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾ هو لهبها الخالص من الدخان المخلط من اللهب الأحمر والأصفر والأخضر ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: 16].

﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الرحمن: ١٧ - ٢٥].

﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ [الرحمن: 17] مشرق الصيف ومشرق الشتاء ﴿وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ مغرب الصيف ومغرب الشتاء ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: 18].

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ [الرحمن: 19] العذب والمالح؛ أي: أرسلهما ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾ وكلاهما في رأي العين واحد.

﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ [الرحمن: 20] حاجز من قدرة الله تعالى ﴿لَا يَبْغِيَانِ﴾[1] لا يختلطان ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: 21].

﴿يَخْرُجُ﴾ [الرحمن: 22] بضم الياء وفتح الراء للبصريين والمدنيين ﴿مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ عطف عليه، والباقون بفتح الياء وضم الراء وخروجهما من الملح دون العذب، والمراد: خروجه من مجموعهما الصادق بأحدهما، وهل اللؤلؤ ما عظم من الدر والمرجان صفاره؟ أو عكسه؟ أو المرجان الخرز الأحمر؟ أقوال متقاربة ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: 23].

---

(1) أي: حاجز يمنعهما أن يتغيرا؛ يعني: إن لم يكن حاجز القلب بين القوى العلوية والسفلية لتغير مزاج القوى النورانية العلوية من دخان القوى الظلمانية السفلية، ويصل أيضًا حاصبات القوى السفلية من غلبات أنوار القوى العلوية؛ لأن القوى السفلية ضعيفة عاجزة عن حمل الأنوار العلوية إن لم يكن بينهما واسطة اللطف من القوى السفلية وأكثر من القوى العلوية، كما أن - القصرون - ألين من العظم وأخشن من اللحم.

﴿وَلَهُ الْجَوَارِي﴾ [الرحمن: 24] السفن ﴿الْمُنْشَآتُ﴾ بكسر الشين لحمزة وأبي بكر بخلاف عنه على الإسناد، والباقون بفتح الشين ﴿فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ كالجبال في العظم والارتفاع ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: 25].

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا ۚ لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الرحمن: ٢٦ - ٣٤].

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا﴾ [الرحمن: 26] أي: على الأرض ﴿فَانٍ﴾ هالك.

﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾[1] [الرحمن: 27] ذات ربك ﴿ذُو الْجَلَالِ﴾ العظمة ﴿وَالْإِكْرَامِ﴾ الإنعام على المؤمنين ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: 28].

﴿يَسْأَلُهُ﴾ [الرحمن: 29] يدعوه ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من ملك وإنس وجن، فأهل السماء يسألون المغفرة لهم والرزق لأهل الأرض، وأهل الأرض يسألونها

(1) يعني: من يكون على أرض البشرية فانٍ، والفناء إشارة إلى فناء المركبات، كما أن الهلاك إشارة إلى هلاك المفردات، ولأجل هذا إشارة في الفناء إلى تجلي الصفات، وفي الهلاك إلى تجلي الذات، وأطلق الهلاك على كل شيء حيث قال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ [القصص: 88]، وأضاف الوجه إلى هويته، وأطلق الفناء على من على وجه الأرض البشرية من المركبات بقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ وأضاف الوجه إلى الصفة حيث قال: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾؛ يعني: صاحب تجلي الجمال والجلال؛ يعني: بتجلي الجلال الصوب الكثيفة، ويبقى بتجلي الجمال المعاني المكتسبة اللطيفة من الصورة الكثيفة، والفرق بين الهلاك والفناء بين فناء نور القمر عند حجاب الأرض له عن أخذ النور من الشمس وهلاك أنوار الكواكب عند طلوع الشمس، وأبين لك فرق أظهر من هذا في صورة النبات، إذا وضعته في قدح فيه ماء يفني تركيب الصورة النباتية القائمة ثلاثة قوائم، ويهلك معنى حلاوة في الماء؛ لغلبة الماء عليه، وفي الهلاك والفناء أسرار سوى هذا يتعلق بعضها تجد القرآن وبعضها بمطلع القرآن، ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ يعني: أيتها القوتان، أبنعمة إفناء الصور الكثيفة، أم بنعمة إبقاء المعاني اللطيفة المكتسبة من الصور الكثيفة في دار الكتب تكذبان؟

والرزق لأنفسهم؛ إذ الكل محتاج للإمداد بما يناسبه ﴿كُلَّ يَوْمٍ﴾ وقت ﴿هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ أمر يظهره على وفق ما قدره في الأزل من إحياء وإماتة، وإعزاز وإذلال، وإغناء وإعدام، وإجابة داعٍ وإعطاء سائل، وتفريج كربة وشفاء مريض، وفك عان وغير ذلك، فله في كل يوم إلى خلقه بر جديد وفضل عديد، وتذكير بالوعد والوعيد ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: 30].

﴿سَنَفْرُغُ﴾ [الرحمن: 31] بالنون إلا حمزة والكسائي وخلف فبالياء من أسفل، وليس المراد الفراغ عن شغل، فإن الله تعالى لا يشغله شأن عن شأن، وإنما المراد: إبقاء مدة مدِّه الدنيا، فجعل فراغًا على طريق التهديد ﴿لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾ الجن والإنس، أو المراد: للحساب والجزاء عقبه ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: 32].

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا﴾ [الرحمن: 33] تخرجوا ﴿مِنْ أَقْطَارِ﴾ جهات ونواحي ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا﴾ اخرجوا، أمر تعجيز ﴿لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ بقوة؛ أي: لا قوة لكم على ذلك ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: 34].

﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الرحمن: ٣٥ - ٤٢].

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ﴾ [الرحمن: 35] بكسر الشين لابن كثير، والباقون بضمها ﴿مِنْ نَارٍ﴾ وهو لهبها الذي له دخان، وقيل: الخالص منه ﴿وَنُحَاسٌ﴾ بالخفض لابن كثير وأبي عمرو وروح، والباقون بالرفع؛ أي: يرسل عليهما نحاس؛ أي: دخان، وقيل: المراد به: الصفر المذاب يصب على رءوسهم ﴿فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾ تمتنعان من ذلك ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: 36].

﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ [الرحمن: 37] انفرجت أبوابًا لنزول الملائكة ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾ أي: كلون الوردة في الاحمرار ﴿كَالدِّهَانِ﴾ الجلد الأحمر على خلاف العهد بها، وجواب إذا محذوف تقديره: فما أعظم الهول ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: 38].

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ﴾ [الرحمن: 39] إنسي ﴿وَلَا جَانٌّ﴾ جني يسأل عن ذنبه، والمراد لا يسألون سؤال علم؛ لأن الله تعالى علمها منهم، وتسألون في وقت آخر لقوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ..﴾ [الحجر: 92]، ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: 40].

﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾ [الرحمن: 41] بعلاماتهم، وهي سواد الوجه وزرقة العين ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي﴾ جمع ناصية، وهي: الرأس ﴿وَالْأَقْدَامِ﴾ فتجعل الأقدام مضمومة للنواصي من خلف، وقيل: من قدام، ويلقون في النار ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: 42].

﴿ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الرحمن: ٤٣ - ٥٣].

ويقال لهم: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ [الرحمن: 43] المشركون.

﴿يَطُوفُونَ﴾ [الرحمن: 44] يسعون ﴿بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ﴾ ماء حار ﴿آنٍ﴾ شديد الحرارة يسقونه إذا استغاثوا من حر النار زيادة في العذاب ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: 45].

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ [الرحمن: 46] فترك العصيان، أو تاب منه ﴿جَنَّتَانِ﴾ هل المراد جنة عدن وجنة النعيم؟ أو جنة بخوفه وجنة بترك الشهوة؟ قولان، والأقرب أن المراد له: بيتان، أو محلان في الجنة كما ورد في السنة ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا

تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: 47].

﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ [الرحمن: 48] أغصان؛ أي: كل جنة صاحبة أغصان ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: 49].

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ [الرحمن: 50] السلسبيل والتسنيم، أو الماء والخمر ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: 51].

﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ﴾ [الرحمن: 52] في الدنيا؛ أي: من كل مفكه به ﴿زَوْجَانِ﴾ نوعان: رطب ويابس، وكل الثمار التي في الدنيا في الجنة حتى الحنظل، لكن يكون حلوًا ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: 53].

﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ ﴾ [الرحمن: ٥٤ - ٦١].

﴿مُتَّكِئِينَ﴾ [الرحمن: 54] التقدير: يتنعمون حال كونهم متكئين ﴿عَلَى فُرُشٍ﴾ جمع فراش ﴿بَطَائِنُهَا﴾ وهي: ما تحت الظهارة مما يلي الأرض ﴿مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ وهو: ما غلظ من الديباج، ترك وصفه؛ لأنه ليس يعرف مما هي، قاله ابن عباس وسعيد بن جبير ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ﴾ ثمرهما ﴿دَانٍ﴾ قريب يناله القائم والقاعد والنائم، لا يردهم عنه بعد ولا شوك ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: 55].

﴿فِيهِنَّ﴾ [الرحمن: 56] في الجنتين وما فيهما من القصور ﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ على أزواجهن من الإنس والجن، فلا ينظرن لغيرهم ولا يرونه شيئًا ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾ يفتضهن وهن من الحور، أو من نساء الدنيا المنشآت، وقرأ الكسائي بخلاف عنه بضم ميم «يطمثهن» والباقون بالكسر، ونقل عن الكسائي التخيير ﴿إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾[1]

---

(1) يعني: في هذه الجنان صور حسنة خالدة من صور الأعمال الصالحة، يقصر طرفهن على =

أي: إنسي ولا جني، أو لم يطمث الإنسيات إنسي ولا الجنيات جني ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: 57].

﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ﴾ [الرحمن: 58] صفًا ﴿وَالْمَرْجَانُ﴾ أي: اللؤلؤ بياضًا ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: 59].

﴿هَلْ﴾ [الرحمن: 60] ما ﴿جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ فمن أحسن لنفسه بالطاعات أحسن الله له بالنعم ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: 61].

﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾﴾ [الرحمن: ٦٢ - ٦٩].

﴿وَمِنْ دُونِهِمَا﴾ [الرحمن: 62] أي: من دون الجنتين الأوليتين ﴿جَنَّتَانِ﴾ أخريان لمن خاف مقام ربه أيضًا، والمراد: إنهما دون السابقتين في الفضل، وورد أن الأولين وما فيهما من ذهب، وإن الأخريين من فضة ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: 63].

﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ [الرحمن: 64] ناعمتان سوداوان من شدة خضرتهما ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: 65].

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ [الرحمن: 66] فوارتان بالماء لا ينقطع ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: 67].

﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: 68] خُصا لفضلهما على غيرهما ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: 69].

=

صاحبها ولا يقدر أن ينظرن إلى غير صاحبها، وكل ما ينظر إلى صاحبها يريد في عينها جمال صاحبها، لم يمسهن يد قوة علوية ولا سفلية قبل يد صاحبها، وحسنهن من حسن الأعمال، وزيادة حسنهن في كل نظرة من حسن النية والصدق والإخلاص في العمل.

﴿ فِيهِنَّ خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ ٧٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٧١ حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ ٧٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٧٣ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ٧٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٧٥ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٖ وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ ٧٦ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٧٧ تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٧٨ ﴾ [الرحمن: ٧٠ - ٧٨].

﴿فِيهِنَّ﴾ [الرحمن: 70] أي: في الجنتين وما فيهما من قصور ﴿خَيْرَاتٌ﴾ في الأخلاق ﴿حِسَانٌ﴾ في الوجوه ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: 71].

﴿حُورٌ﴾ [الرحمن: 72] شديد سواد العين وبياضها ﴿مَقْصُورَاتٌ﴾ مستورات ﴿فِي الْخِيَامِ﴾ من در مجوف مضافة للقصور نسبة الخدر ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: 73].

﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ﴾ [الرحمن: 74] قبل أزواجهن ﴿وَلَا جَانٌّ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: 74 - 75].

﴿مُتَّكِئِينَ﴾ [الرحمن: 76] أي: يتنعمون متكئين ﴿عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ وهل هي البسط؟ أو المرافق؟ أو الثياب العريضة؟ أقوال متقاربة ﴿وَعَبْقَرِيٍّ﴾ جمع عبقرية، وهي: الثياب الجليلة النفيسة كالطنافس المخملة ﴿حِسَانٍ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: 76].

﴿تَبَارَكَ﴾ [الرحمن: 78] تعاظم ﴿اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ قرأ ابن عامر «ذو» بالواو، والباقون بالياء.

سورة الواقعة

مكية إلَّا: ﴿أَفَبِهَٰذَا الحَدِيثِ..﴾ [الواقعة: 81]، ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ..﴾ [الواقعة: 13] ست، أو سبع، أو تسع وتسعون آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الواقعة: ١ - ١٦].

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [الواقعة: 1] قامت القيامة ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ [الواقعة: 2] لا تكذب نفس بوقوعها.

﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ [الواقعة: 3] أي: القيامة مظهرة لخفض قوم بدخولهم النار، ولرفع آخرين بدخولهم الجنة.

﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا﴾ [الواقعة: 4] حركت حركة شديدة ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾ [الواقعة: 5] فتت فتًّا ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً﴾ [الواقعة: 6] غبار ﴿مُنْبَثًّا﴾ منتشرًا.

﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا﴾ [الواقعة: 7] أصنافًا في القيامة ﴿ثَلَاثَةً﴾.

﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ [الواقعة: 8] وهم الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم ﴿مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ هو تعظيم لشأنهم.

﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ [الواقعة: 9] وهم الذين يؤتون كتبهم بشمالهم وهو تحقير لشأنهم.

﴿وَالسَّابِقُونَ﴾ [الواقعة: 10] إلى الخير، وهم الأنبياء والصدِّيقون ﴿السَّابِقُونَ﴾.

﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ [الواقعة: 11: 13] جماعة من الأمم الماضية ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: 14] من أمة محمد ﷺ، وهم سابقوا كل أمة، وقيل: الطائفتان من هذه الأمة وقد يوجه ﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ﴾ [الواقعة: 15] منسوجة بقضبان الذهب والجواهر﴿مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾ [الواقعة: 16] لا ينظر بعضهم في قفا بعض.

﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿١٨﴾ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الواقعة: ١٧ - ٢٦].

﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ [الواقعة: 17] لخدمتهم ﴿وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾ على شكل الأولاد لا يهرمون ﴿بِأَكْوَابٍ﴾ [الواقعة: 18] جمع كوب، وهو القدح المستدير الفم الذي لا أذن له ﴿وَأَبَارِيقَ﴾ جمع إبريق وهي: ذوات الخراطيم والآذان ﴿وَكَأْسٍ﴾ إناء شرب الخمر ﴿مِنْ﴾ منفجر ﴿مَعِينٍ﴾ جارية من منبع لا ينقطع أبدًا.

﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ [الواقعة: 19] أي: لا تصدع رءوسهم عن شربها؛ أي: منه ﴿وَلَا يُنْزِفُونَ﴾ لا تذهب عقولهم بخلاف خمر الدنيا فيهما.

﴿وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ [الواقعة: 20] يختارون ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الواقعة: 21] باعتبار ما يخطر على قلوبهم ويتمنون ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ [الواقعة: 22] ضخام الأعين، وقرأ أبو جعفر وحمزة والكسائي «وحور عين» بخفض الاسمين، والباقون بالرفع ﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ [الواقعة: 23] المخزون في الصدف ﴿جَزَاءً﴾ [الواقعة: 24] أي: جزيناهم ذلك جزاء ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ [الواقعة: 25] أي: في الجنة ﴿لَغْوًا﴾ فاحشًا من الكلام ﴿وَلَا تَأْثِيمًا﴾ ما يأثمون به ﴿إِلَّا﴾ [الواقعة: 26] لكن ﴿قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ أي: إلا هذا، فإنهم يسمعونه من الله تعالى ومن الملائكة ومن بعضهم تحية.

﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ٢٧ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ٢٨ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ٢٩ وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ٣٠ وَمَآءٖ مَّسۡكُوبٖ ٣١ وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ٣٢ لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ ٣٣ وَفُرُشٖ مَّرۡفُوعَةٍ ٣٤ إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ٣٥ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ٣٦ عُرُبًا أَتۡرَابٗا ٣٧ لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٣٨ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ٣٩ وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ٤٠ ﴾ [الواقعة: ٢٧ - ٤٠].

﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة: 27] تعجيب من عظيم شأنهم.

﴿فِي سِدْرٍ﴾ [الواقعة: 28] شجر النبق ﴿مَخْضُودٍ﴾ لا شوك فيه ولا أذى ﴿وَطَلْحٍ﴾ [الواقعة: 29] موز عند الأكثر، وقيل: هو طلع النخل، وقيل: شجر عظام ظلها بارد لا شوك فيها ﴿مَنْضُودٍ﴾ موقر حملاً من أسفله إلى أعلاه ﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾ [الواقعة: 30] دائم عليهم ﴿وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ﴾ [الواقعة: 31] حار دائمًا ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لَا مَقْطُوعَةٍ﴾ [الواقعة: 32 - 33] بزمن ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ بثمن ﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة: 34] على الأسرة، أو بعضها فوق بعض.

﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ﴾ [الواقعة: 35] أي: الحور ﴿إِنْشَاءً﴾ المراد: إيجادهم بلا ولادة ﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ﴾ [الواقعة: 36] خلقناهن ﴿أَبْكَارًا﴾ عذارى، كلما دنى رجل لواحدة وجدها عذراء بلا ألم عليها ولا مشقة عليه.

﴿عُرُبًا﴾ [الواقعة: 37] جمع عروب، وهي: المتحببة لزوجها عشقًا، أو الملقة، أو الغنجة، أو الحسنة الكلام ﴿أَتْرَابًا﴾ مستويات السن.

﴿لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة: 38] وأصحاب اليمين ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ [الواقعة: 39] من سبق في زمنه ﷺ ﴿وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: 40] فهما جميعًا من هذه الأمة.

﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ٤١ فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ ٤٢ وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ٤٣ لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ ٤٤ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُتۡرَفِينَ ٤٥ وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلۡحِنثِ ٱلۡعَظِيمِ ٤٦ وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ٤٧ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ٤٨ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ ٤٩ لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ

﴿مَّعۡلُومٖ ٥٠﴾ [الواقعة: ٤١ - ٥٠].

﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ * فِي سَمُومٍ﴾ [الواقعة: 41 - 42] ريح حارة من النار تنفذ في مسامهم ﴿وَحَمِيمٍ﴾ ماء شديد الحر ﴿وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾ [الواقعة: 43] دخان شديد السواد ﴿لَا بَارِدٍ﴾ [الواقعة: 44] كغيره من الظلال ﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾ حسن المنظر.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ﴾ [الواقعة: 45] في الدنيا ﴿مُتْرَفِينَ﴾ متنعمين بلا تعب في الطاعة ﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ﴾ [الواقعة: 46] الذنب ﴿الْعَظِيمِ﴾ وهو الشرك وحلفهم على نفي البعث ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ [الواقعة: 47 - 48].

قالوا تعجبًا واستهزاء ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: 49] ﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ﴾ [الواقعة: 50] وقت ﴿يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ وهو يوم القيامة.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمۡ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلۡمُكَذِّبُونَ ٥١ لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرٖ مِّن زَقُّومٖ ٥٢ فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ٥٣ فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡحَمِيمِ ٥٤ فَشَٰرِبُونَ شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ ٥٥ هَٰذَا نُزُلُهُمۡ يَوۡمَ ٱلدِّينِ ٥٦ نَحۡنُ خَلَقۡنَٰكُمۡ فَلَوۡلَا تُصَدِّقُونَ ٥٧ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تُمۡنُونَ ٥٨ ءَأَنتُمۡ تَخۡلُقُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ٥٩ نَحۡنُ قَدَّرۡنَا بَيۡنَكُمُ ٱلۡمَوۡتَ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ٦٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمۡثَٰلَكُمۡ وَنُنشِئَكُمۡ فِي مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٦١ وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُولَىٰ فَلَوۡلَا تَذَكَّرُونَ ٦٢﴾ [الواقعة: ٥١ - ٦٢].

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ * لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ﴾ [الواقعة: 51 - 52] بيان للشجر ﴿فَمَالِئُونَ مِنْهَا﴾ [الواقعة: 53] من الشجر ﴿الْبُطُونَ * فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ﴾ [الواقعة: 53 - 54] أي: الزقوم ﴿مِنَ الْحَمِيمِ﴾.

﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾ [الواقعة: 55] وهي: الإبل العطاش الذين أصابهم داء، فلا يزالون يشربون إلى الهلاك، وقرأ المدنيان وعاصم وحمزة بضم شين «شرب» والباقون بفتحها.

﴿هَذَا نُزُلُهُمْ﴾ [الواقعة: 56] أي: الذي أعد لهم ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ يوم القيامة.

﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ﴾ [الواقعة: 57] أوجدناكم من عدم ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلا ﴿تُصَدِّقُونَ﴾ بالبعث؛ أي: صدقوا؛ لأن القادر على البدء قادر على الإعادة.

﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾ [الواقعة: 58] يرتعون من المني في أرحام النساء ﴿أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ﴾ [الواقعة: 59] أي: المني بشرًا ﴿أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾.

﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا﴾ [الواقعة: 60] بتخفيف الدال لابن كثير، والباقون بتشديدها ﴿بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ بعاجزين ﴿عَلَى﴾ [الواقعة: 61] بمعنى عن ﴿أَنْ نُبَدِّلَ﴾ نجعل ﴿أَمْثَالَكُمْ﴾ مكانكم ﴿وَنُنْشِئَكُمْ﴾ نخلقكم ﴿فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من الصور، كالقردة والخنازير كما فعل بمن سبق، فنسأل الله السلامة آمين.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى﴾ [الواقعة: 62] الخلقة الأولى، ولم تكونوا شيئًا ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلا ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ إنا قادرون على إعادتكم.

﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الواقعة: ٦٤ - ٧٤].

﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ [الواقعة: 63] تثيرون من الأرض وتلقون فيها من البذر ﴿أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ﴾ [الواقعة: 64] تنبتونه ﴿أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ المنبتون.

﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾ [الواقعة: 65] نباتًا يابسًا لا حب فيه ﴿فَظَلْتُمْ﴾ أي: أقمتم نهارًا ﴿تَفَكَّهُونَ﴾ تعجبون مما برزعكم، وتقولون: ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ [الواقعة: 66] نفقة زرعنا؛ لعدم حصول الفائدة.

﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ [الواقعة: 67] ممنوعون رزقًا.

﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ﴾ [الواقعة: 68 - 69] السحاب ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ * لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾ [الواقعة: 69 - 70] شديد

الملوحة، أو مرًا ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلَّا ﴿تَشْكُرُونَ﴾ نعمنا عليكم بأن تؤمنوا وتطيعوا.

﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ [الواقعة: 71] تقدحون وتستخرجون من الزند، أو من الشجر الأخضر كالمرخ والعفار ﴿أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾ [الواقعة: 72].

﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً﴾ [الواقعة: 73] بنار جهنم ﴿وَمَتَاعًا﴾ بلغة ومنفعة ﴿لِلْمُقْوِينَ﴾ النازلين بالبوادي من المسافرين وغيرهم، والاستفهام فيما مر؛ لتقرير أنه هو المنعم بذلك.

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: 74] أي: نزّه ربك.

﴿ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الواقعة: ٧٥ - ٨٧].

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ [الواقعة: 75] أي: أقسم بمغاربها ومساقطها، أو بنزول القرآن منجمًا به، وقرأ حمزة والكسائي وخلف «بموقع النجوم» بإسكان الواو، والباقون بالجمع ﴿وَإِنَّهُ﴾ [الواقعة: 76] أي: القسم بها ﴿لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: لو كنتم من ذوي العلم ﴿عَظِيمٌ﴾.

﴿إِنَّهُ﴾ [الواقعة: 77] أي: المتلو عليكم ﴿لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ عزيز مكرم على الله تعالى يأتي بالخير الكثير ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾ [الواقعة: 78] مصون، وهو المصحف ﴿لَا يَمَسُّهُ﴾ [الواقعة: 79] خبر بمعنى النهي ﴿إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ الذي طهروا أنفسهم من الحدث، وقال جمع: المراد بالكتاب: اللوح المحفوظ والمراد بالمطهرين: الملائكة.

﴿تَنْزِيلٌ﴾ [الواقعة: 80] أي: هو تنزيل؛ أي: منزل ﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ [الواقعة: 81] القرآن ﴿أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ﴾ جمع مدهن، وهو

المكذب ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ [الواقعة: 82] حظكم ونصيبكم من القرآن ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ به.

﴿فَلَوْلَا﴾ [الواقعة: 83] فهلَّا ﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾ الروح وقت النزع ﴿الْحُلْقُومَ﴾ وهو مجرى الطعام ﴿وَأَنْتُمْ﴾ [الواقعة: 84] خطاب لحاضري الميت ﴿حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ﴾ إليه ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ [الواقعة: 85] بالعلم ﴿مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ لا تعلمون ذلك.

﴿فَلَوْلَا﴾ [الواقعة: 86] فهلَّا ﴿إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ مجزيين بأعمالكم في الدار الآخرة بألا تبعثوا على زعمكم ﴿تَرْجِعُونَهَا﴾ [الواقعة: 87] تردون الروح إلى الجسد بعد بلوغ الحلقوم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في زعمكم عدم البعث؛ أي: فانفوا الموت إن كنتم صدقتم في نفي البعث.

﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ (٨٩) وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ (٩٠) فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ (٩١) وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (٩٤) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ (٩٥) فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ (٩٦) ﴾ [الواقعة: ٨٨ - ٩٦].

﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ﴾ [الواقعة: 88] الميت ﴿مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ﴾ [الواقعة: 88 - 89] أي: فله استراحة، وروى رويس «فروح» بضم الراء، وانفرد به ابن مهران عن روح، والباقون بالفتح ﴿وَرَيْحَانٌ﴾ رزق حسن ﴿وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾.

﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ﴾ [الواقعة: 90] الميت ﴿مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * فَسَلَامٌ لَكَ﴾ [الواقعة: 90 - 91] يا محمد ﴿مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ أي: لا تهتم لهم؛ لأنهم سلموا من عذاب الله ﷻ.

﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ﴾ [الواقعة: 92] الميت ﴿مِنَ الْمُكَذِّبِينَ﴾ بالبعث ﴿الضَّالِّينَ﴾ عن الهدى، وهم أصحاب المشأمة ﴿فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾ [الواقعة: 93] أي: الذي يعد لهم حميم جهنم ﴿وَتَصْلِيَةُ﴾ إدخال ﴿جَحِيمٍ﴾ [الواقعة: 94] نار عظيمة.

﴿إِنَّ هَذَا﴾ [الواقعة: 95] المذكور من أحوال المحتضرين ﴿لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ أي: حق معين ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: 96].

سورة الحديد

مكية أو مدينة، وعلى الأول استثني آخرها، فهو مدني بلا خلاف، ثمان، أو تسع وعشرون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢) هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣) هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤)﴾ [الحديد: ١ - ٤].

﴿سَبَّحَ لِلهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَ﴾ [الحديد: 1] ما في ﴿الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي﴾ [الحديد: 2] بالإنشاء ﴿وَيُمِيتُ﴾ بعده، وخُصَّا من بين وجوه التصرف؛ لأنهما أعظم وأبهر ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ شاء ﴿قَدِيرٌ﴾ وكل الممكنات تتعلق بها قدرته.

﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ [الحديد: 3] الذي لا ابتداء لوجوده ﴿وَالْآخِرُ﴾ بلا نهاية، فهو قبل كل شيء وبعده ﴿وَالظَّاهِرُ﴾ بالأدلة عليه، أو الغالب العالي على كل شيء ﴿وَالْبَاطِنُ﴾ عن إدراك الحواس ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الحديد: 4] من أيامنا، أولها الأحد وآخرها الجمعة ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ وهو غير الكرسي استواء يليق به ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ﴾ يدخل ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ من مطر وأموات ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ كنبات ومعدن ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ كرحمة وعذاب ﴿وَمَا يَعْرُجُ﴾ يصعد ﴿فِيهَا﴾ كعمل صالح وسيئ ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ بعلمه ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ واللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم به.

﴿ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [الحديد: ٥ - ٨].

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [الحديد: 5] الموجودات كلها.

﴿يُولِجُ﴾ [الحديد: 6] يُدخل ﴿اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ فما زاد في أحدهما نقص من الآخر ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ما فيها من سر واعتقاد.

﴿آمِنُوا﴾ [الحديد: 7] دوموا على الإيمان ﴿بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾ محمد ﷺ ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ من المال، فهم خلف عن الماضيين قبلهم فيه، وسيخلفهم فيه من بعدهم، نزلت بسبب الإنفاق في غزوة تبوك، وهي العسيرة ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا﴾ إشارة لعثمان ﷺ؛ إذ أنفق فيها ألف دينار ﴿لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾.

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ﴾ [الحديد: 8] خطاب للكفار ﴿بِاللهِ وَالرَّسُولُ﴾ محمد ﷺ ﴿يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾ قرأ أبو عمرو «أُخذ» بضم الهمزة وكسر الخاء، «ميثاقكم» بالرفع، والباقون بفتح الهمزة والخاء والنصب؛ والمراد: إن الله أخذ الميثاق على الإيمان، وأخذه على أرواحنا في عالم الذر حيث ﴿أَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [الأعراف: 172] ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ مريدين الإيمان فبادروا إليه.

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحديد: ٩ - ١٠].

﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ﴾ [الحديد: 9] محمد ﷺ ﴿آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ يعني: القرآن ﴿لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمان ﴿وَإِنَّ اللهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿وَمَا لَكُمْ﴾ [الحديد: 10] بعد إيمانكم ﴿أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلِلهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فيصل إليه مالكم بلا أجر إنفاق بخلاف ما إذا أنفقتم فتؤجرون ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ﴾ بمكة ﴿وَقَاتَلَ﴾ قبل ذلك، ومن أنفق وقاتل بعد ذلك ﴿أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا﴾ من الفريقين بفتح اللام إلا ابن عامر فرفعه ﴿وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى﴾ الجنة ﴿واللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ فيجازيكم على أعمالكم.

﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ ﴾[الحديد: ١١ - ١٣].

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ﴾ [الحديد: 11] بإنفاقه ماله في سبيل الخير ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ بأن ينفقه لله بلا منّة ﴿فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾ من عشرة إلى أكثر من سبعمائة ﴿وَلَهُ﴾ مع المضاعفة ﴿أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ مقترن به من الرضا والإقبال.

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الحديد: 12] أمامهم ﴿وَ﴾ يكون النور ﴿بِأَيْمَانِهِمْ﴾ وتقول لهم الملائكة: ﴿بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ﴾ والمراد دخولها ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا﴾ [الحديد: 13] قرأ حمزة بقطع الهمزة وكسر الظاء جعله من الانتظار وهو الإمهال، والباقون بوصل الهمزة وضمها قطعًا وضم الظاء؛ أي: انظرونا؛ لأنه يسعى بهم إلى الجنة كالبرق الخاطف على ركاب تزف بهم وهؤلاء مشاة، أو من النظر؛ أي: انظرونا بأعينكم ﴿نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ نأخذ القبس أو النظر؛ لتحصيل النور لهم، فكأنهم أخذوه ﴿قِيلَ﴾ لهم استهزاء بهم:

﴿ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ فرجعوا ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ﴾ وبين المؤمنين ﴿بِسُورٍ﴾ قيل: هو سور الأعراف ﴿لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ﴾ من جهة المؤمنين ﴿فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ﴾ من جهة المنافقين ﴿مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾.

﴿ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الحديد: ١٤ - ١٦].

﴿يُنَادُونَهُمْ﴾ [الحديد: 14] أي: المنافقون ينادون المؤمنين ﴿أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ في الدنيا على الطاعة ﴿قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ بالنفاق ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ بالمؤمنين دوائر السوء ﴿وَارْتَبْتُمْ﴾ شككتم في دين الإسلام ﴿وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ﴾ الأطماع ﴿حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللهِ﴾ الموت ﴿وَغَرَّكُمْ باللهِ الْغَرُورُ﴾ هو الشيطان.

﴿فَالْيَوْمَ لا يُؤْخَذُ﴾ [الحديد: 15] بالتاء الفوقانية لأبي جعفر وابن عامر ويعقوب، والباقون بالياء التحتية ﴿مِنْكُمْ فِدْيَةٌ﴾ أي: مال، أو غيره عوضًا عن العذاب ﴿وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: من المشركين ﴿مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾ صاحبكم وأولى بكم؛ لذنوبكم السالفة ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ هي، ونزل في شأن المؤمنين وهم أصحاب الرسول ﷺ لما كثر عليهم الرزق وحصل لهم خفض العيش بالنسبة لحالهم السابق وفتروا بعض الفترة.

﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾ [الحديد: 16] يحن، بفتح الياء وكسر الحاء ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ﴾ تخضع وتلين ﴿قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ هو القرآن، بتخفيف الزاي لنافع وجعفر وأبي الطيب عن رويس، والباقون بالتشديد ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ﴾ وهم اليهود والنصارى ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ﴾ الزمان بينهم وبين أنبيائهم ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ بالميل إلى الدنيا والإعراض عن مواعظ الله، فلم تلن للذكر والذكرى ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ بترك الإيمان.

﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقۡرَضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعَفُ لَهُمۡ وَلَهُمۡ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٩﴾ ﴾ [الحديد: ١٧ - ١٩].

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يُحْيِي الْأَرْضَ﴾ [الحديد: 17] بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ فكذلك يفعل بالقلوب فيردها للخشوع من القسوة ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ الدلالات على القدرة ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ﴾ [الحديد: 18] هو مأخوذ من التصدق ﴿وَالْمُصَّدِّقَاتِ﴾ بتخفيف الصاد فيهما، والباقون بالتشديد ﴿وَأَقْرَضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد: 19] المبالغون في التصديق، وعينهم بعضهم، فقال: هم أبو بكر وعلي وزيد بن ثابت وعثمان وطلحة والزبير وسعد وحمزة، وألحق الله بهم عمر بن الخطاب لما علم من صدق نيته، وأفضلهم الصديق، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي ﷺ ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ قيل: هو على ظاهره، وقيل: هم الأنبياء؛ لشهادتهم على الأمم ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ بما عملوا ﴿وَنُورُهُمْ﴾ على الصراط ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ الدالة على الوحدانية ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ النار.

﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ

ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحديد: ٢٠ - ٢١].

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ﴾ [الحديد: 20] باطل لا حاصل له ﴿وَلَهْوٌ﴾ فرح ينقضي ﴿وَزِينَةٌ﴾ منظر يتزين به ﴿وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ﴾ فيفخر البعض على البعض ﴿وَتَكَاثُرٌ﴾ مباهاة ﴿فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ أي: بذلك، وأمَّا الطاعات وما يعين عليها فمن أمور الآخرة، ومثل في ذلك ثم زوالها ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾ مطر ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ﴾ الزراع ﴿نَبَاتُهُ﴾ الناشئ عنه ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ ييبس ﴿فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا﴾ بعد خضرته ﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾ يتحطم ويتكسر بعد يبسه ويفنى، فكذلك الدنيا في اللعب وما بعده، ثم يفنى ويضمحل ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ لأعداء الله ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٌ﴾ لأحباب الله الذين لم يؤثروا الدنيا ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ ما التمتع فيها ﴿إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾.

﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا﴾ [الحديد: 21] سعتها ﴿كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ لو وصلت إحداهم بالأخرى ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[1].

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحديد: ٢٢ - ٢٤].

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ [الحديد: 22] من قحط مطر وقلة نبات ونقص ثمر ﴿وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ كمرض وفقد ولد ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ هو اللوح المحفوظ ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ نخلق الأرض والأنفس، ويقال في النقمة كذلك ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ أي:

---

(1) يقول القشيري في تفسيره: وفي ذلك ردٌّ على من يقول: «إن الجنة مُسْتَحقَّةٌ على الطاعات، ويجب على الله إيصالُ العبدِ إليها». لأن الفضلَ لا يكون واجباً. ويقال: لمَّا سمعت أسرار المؤمنين هذا الخطاب ابتدرت الأرواحُ مُقْتَضِيةً المسارعة من الجوارح، وصارت الجوارحُ مستجيبةً للمُطالَبةِ، مُستبشرة برعاية حقوق الله؛ لأنها علمت أن هذا الاستدعاءَ من جانب الحقِّ سبحانه. تفسير القشيري (391/7).

إثباته في الكتاب مع كثرته ﴿عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾ هين.

﴿لِكَيْ لَا﴾ [الحديد: 23] أي: أعلمكم تعالى بذلك؛ لئلا ﴿تَأْسَوْا﴾ تحزنوا ﴿عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ من الدنيا ﴿وَلَا تَفْرَحُوا﴾ تبطروا ﴿بِمَا آتَاكُمْ﴾ بالقصر لأبي عمرو؛ أي: جاءكم، وبالمد لغيره؛ أي: أعطاكم ﴿واللهُ لَا يُحِبُّ﴾ لا يثيب ﴿كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ متكبر بما أوتي ﴿فَخُورٍ﴾ به على الناس.

﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ [الحديد: 24] بالواجبات ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾ عما يجب عليه ﴿فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن غيره ﴿الْحَمِيدُ﴾ لأوليائه، وقرأ المدنيان وابن عامر «فإن الله الغني» بإسقاط هو، والباقون بإثباتها.

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢٥) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٦) ﴾ [الحديد: ٢٥ - ٢٦].

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الحديد: 25] الحجج القاطعة ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ أي: الكتب ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ العدل، ومنه الذي يوزن به لما فيه من العدل، أنزله جبريل عليه السلام فدفعه إلى نوح عليه السلام وقال له: مُر قومك يزنوا به، أو المراد: العقد ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل بينهم ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ أخرجناه من معدنه ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ قوة شديدة للحرب ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ كسكين وفأس وإبرة ﴿وَلِيَعْلَمَ اللهُ﴾ أي: الإنزال لقيام العدل، وليعلم الله ﴿مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ بآلات الحرب، بأن يخرج بها للجهاد مثلاً ﴿وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾ أي: غائبًا عنهم في الدنيا فينصرونه ﴿إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [الحديد: 26] أي: الكتب الأربعة التوارة والإنجيل والزبور والفرقان ﴿فَمِنْهُمْ﴾ أي: من الذرية المنزل عليهم الكتب ﴿مُهْتَدٍ﴾ للخير ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ كفروا باستحبابهم العمى على الهدى.

﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ

ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الحديد: ٢٧ - ٢٩].

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ [الحديد: 27] على دينه ﴿رَأْفَةً﴾ أشد الرأفة، روى ابن شنبوذ عن قنبل «رأفة» بفتح الهمزة وألف بعدها على وزن فعالة، والباقون بإسكان الهمزة ﴿وَرَحْمَةً﴾ وكانوا رحماء بينهم ﴿وَرَهْبَانِيَّةً﴾ هي ترك النساء واتخاذ الصوامع ﴿ابْتَدَعُوهَا﴾ من قبل أنفسهم ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ ما أمرناهم بها ﴿إِلَّا﴾ لكن فعلوها ﴿ابْتِغَاءَ﴾ طلب مرضاة ﴿رِضْوَانِ اللهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ لترك كثير منهم ذلك مع الكفر والدخول في دين الملوك، وبقي على دين عيسى منهم جمع، فآمنوا بنبينا محمد ﷺ ﴿فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ كافرون.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحديد: 28] بموسى وعيسى ﴿اتَّقُوا اللهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ محمد ﷺ ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾ نصيبين ﴿مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ أي: من الأجر؛ لأجل الإيمان بالنبيين ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ على الصراط ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ﴾ [الحديد: 29] التقدير: علمكم بذلك، ليعلم ﴿أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ التوراة، أن التقدير: إنهم ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ﴾ يعطيه ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ فأتى المؤمنين أجرهم مرتين ﴿واللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

سورة المجادلة

ويقال لها: سورة الظِّهار، هي مدنية إلا قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ..﴾ [المجادلة: 7] إحدى، أو اثنان وعشرون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ ﴾ [المجادلة: ١ - ٢].

﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ﴾[1] [المجادلة: 1] تراجعك أيها النبي ﴿فِي

---

(1) بإظهارِ الدالِ وَقُرِىءَ بإدغامِهَا في السِّينِ ﴿قَوْلَ التى تُجَادِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾ أيْ: تراجعكَ الكلامَ في شأنِهِ وفيمَا صدرَ عنْهُ في حَقِّهَا من الظهارِ وَقُرِىءَ تُحاوركَ وَتُحاولكَ أيْ تسائلكَ ﴿وَتَشْتَكِى إِلَى اللهِ﴾ عطفٌ عَلَى تجادلكَ أيْ تتضرعُ إليهِ تَعَالَى وَقيلَ حالٌ منْ فاعله أيْ تجادلكَ وَهيَ مُتضرعةٌ إليهِ تَعَالَى وَهِيَ خَوْلَة بنتُ ثَعْلبةَ بنِ مالكِ بنِ خُزامةَ الخزرجيةُ، ظاهرَ عنْهَا زوجُهَا أَوْسُ بْنُ الصامتِ أَخُو عُبَادةَ ثُمَّ ندِمَ عَلَى مَا قالَ فقالَ لَها مَا أظنكَ إلاَّ قَدْ حرمتِ عليَّ فشقَّ عَلَيْهَا ذلكَ فاستفتتْ رسولَ الله ﷺ فقالَ حرُمتِ عليهِ، فقالتْ: يا رسولَ الله ما ذكرَ طَلَاقاً فقالَ حرمتِ عليهِ، وَفي روايةٍ: مَا أُراكِ إلا قدْ حرمتِ عليه في المرارِ كُلِّها فقالتْ أشكُو إلى الله فَاقتِي وَوَجْدِي وجعلتْ تراجعُ رسولَ الله ﷺ وَكُلَّما قالَ ﷺ: حرمتِ عليهِ هتفتْ وشكتْ إلَى الله تَعَالَى فنزلتْ وَفي كلمةِ قَدْ إشعارٌ بأنَّ الرسولَ ﷺ والمجادلةَ كانَا يتوقعانِ أنْ يُنزلَ الله تعالَى حكَم الحادثةِ ويفرجَ عَنْهَا كَرْبَهَا كَمَا يلوحُ بهِ مَا رُويَ أنَّه ﷺ قالَ لها عندَ استفتائِها: مَا عندِي في أمركِ شيءٌ وَأَنَّها كانتْ ترفعُ رأْسَهَا إلى السماءِ وتقولُ: اللهمَّ أني أشكُو إليكَ فأنزلْ عَلى لسانِ نبيكَ ومَعنَى سَمْعِهِ تَعَالَى لقولِهَا إجابةُ دُعائِها لاَ مجردَ علمِهِ تَعَالى بذلكَ كما هُوَ المَغْنِيُّ بقولِهِ تَعَالَى: ﴿والله يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُما﴾ أيْ: يعلُم تراجعَكُمَا الكلامَ وَصيغةُ المضارعِ للدلالةِ على استمرار السمعِ حسَبُ استمرارِ التحاورِ وتجددِهِ وَفي نَظْمِها في سلك الخطابِ تغليباً تشريفٌ لَهَا منْ جهتينِ وَالجملةُ استئنافٌ جارٍ مَجْرَى التعليلِ لِمَا قبلَهُ فإنَّ إلحافَهَا في المسألةِ ومبالغَتَها في التضرع إلى الله تَعَالَى ومدافعتَهُ ﷺ إيَّاهَا بجوابٍ منبىءٍ عنِ التوقفِ وترقبِ الوحِي وَعِلمَهُ تَعَالَى بحالِهِمَا منْ =

﴿زَوْجِهَا﴾ المظاهر منها نزلت بسبب ظهار أوس بن الصامت من زوجته خولة بنت ثعلبة، فجاءت وسألت النبي ﷺ عن ذلك بصوت خفي؛ بسبب أن أوسًا أراد إن يطأها بعد الظهار لعدم نزول حكم إسلامي فيه قبل ظهاره، فأبت حتى تراجع الرسول **﴿وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ﴾** وحدتها وفاقتها وصبية صغارًا، إن ضممتهم إليه ضاعوا، أو إليها جاعوا **﴿واللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾** تراجعكما **﴿إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾**.

﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ﴾ [المجادلة: 2] قرأ عاصم «يظاهرون» بضم الياء وتخفيف الظاء والهاء وكسرها وألف بينهما في الموضعين، وأبو جعفر وابن عامر والكسائي وحمزة وخلف بفتح الياء وتشديد الظاء وألف بعدها وتخفيف الهاء وفتحها، وكذا الباقون ولكنهم بتشديد الهاء من غير ألف **﴿مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ﴾** بالظهار **﴿لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾** كذبًا **﴿وَإِنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾**.

﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٣ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٤ ﴾ [المجادلة: ٣ - ٤].

﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ [المجادلة: 3] أمي فيه بأن يمسكها عند الشافعي بعد الظهار زمن إمكان فرقة **﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾** عنقها بشرط إيمانها **﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾** بالوطء فتجوز المباشرة بشهوة قبل الكفارة **﴿ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ واللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾**.

=

دَواعي الإجابةِ وَقيلَ هيَ حالٌ وهُوَ بعيدٌ وَقولُهُ ﷻ: **﴿إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾** تعليلٌ لِمَا قبلَهُ بطريق التحقيقِ أيْ مبالغٌ في العلمِ بالمسموعات والمبصَراتِ وَمنْ قضيتِهِ أنْ يسمعَ تحاورَهُمَا ويَرَى ما يقارنُهُ منَ الهيئاتِ التي منْ جُملتَها رفعُ رأسِهَا إلى السماءِ وسائرُ آثارِ التضرعِ، وإظهارُ الاسمِ الجليلِ في الموقعينِ لتربيةِ المهابةِ وتعليلِ الحكمِ بوصفِ الألوهيةِ وتأكيدِ استقلالِ الجملتينِ. انظر: [تفسير أبي السعود (6 /285)].

﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ﴾ [المجادلة: 4] الصوم ﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ عليه من قبل التماس، لكل مسكين مد مما يجزي في الفطرة، وهو غالب قوت البلد في غالب السنة ﴿ذَلِكَ﴾ التخفيف المذكور ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾ محمد ﷺ ﴿وَتِلْكَ﴾ الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ اللهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ وَقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ ۝٥ يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ۝٦ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ۝٧ ﴾ [المجادلة: ٥ - ٧].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ﴾ [المجادلة: 5] يخالفون ﴿اللهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا﴾ أذلوا وأهينوا ﴿كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الكفار ﴿وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ واضحة الدلالة على صدق الرسول ﷺ ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾ بذلك ﴿عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ إهانة لهم.

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللهُ وَنَسُوهُ واللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * أَلَمْ تَرَ﴾ [المجادلة: 6 - 7] تعلم ﴿أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى﴾ مسارة ﴿ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ بعلمه ﴿وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ وقرأ أبو جعفر «ما تكونوا» بالتأنيث، والباقون بالتذكير بالياء التحتية، وقرأ يعقوب «ولا أكثر» بالرفع، والباقون بالنصب.

﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجۡوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَيَتَنَٰجَوۡنَ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِۖ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمُ يَصۡلَوۡنَهَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [المجادلة: ٨ - ٩].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾ [المجادلة: 8] نزلت في اليهود؛ لتحدثهم سرًا بحضرة المؤمنين مع نظرهم للمؤمنين؛ لإيقاع الريبة في قلوبهم، وقرأ حمزة ورويس «ويتناجون» بنون ساكنة بعد الياء ثم تاء مفتوحة وضم الجيم، وكذا روى رويس «فلا يتنجوا» ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ﴾ أيها النبي ﴿حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللهُ﴾ من قولهم: السام عليك يريدون الموت ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا﴾ هلا ﴿يُعَذِّبُنَا اللهُ بِمَا نَقُولُ﴾ من التحية، ولو كان نبيًا لعذبنا فجازاهم الله عن ذلك لقوله: ﴿حَسْبُهُمْ﴾ كافيهم ﴿جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[1] هي.

---

(1) فيه ثلاث مسائل: **الأولى**: قوله تعالى: (ألم ترالى الذين نهوا عن النجوى) قيل: إن هذا في اليهود والمنافقين حسب ما قدمناه. وقيل: في المسلمين. قال ابن عباس: نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم، وينظرون للمؤمنين ويتغامزون بأعينهم، فيقول المؤمنون: لعلهم بلغهم عن إخواننا وقرابتنا من المهاجرين والانصار قتل أو مصيبة أو هزيمة، ويسؤهم ذلك فكثرت شكواهم إلى النبي ﷺ فنهاهم عن النجوى فلم ينتهوا فنزلت. وقال مقاتل: كان بين النبي ﷺ وبين اليهود موادعة، فإذا مر بهم رجل من المؤمنين تناجوا بينهم حتى يظن المؤمن شرا، فيعرج عن طريقه، فنهاهم رسول الله ﷺ فلم ينتهوا فنزلت. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: كان الرجل يأتي النبي ﷺ فيسأله الحاجة ويناجيه والأرض يومئذ حرب، فيتوهمون أنه يناجيه في حرب أو بلية أو أمر مهم فيفزعون لذلك فنزلت.

الثانية: روى أبو سعيد الخدري قال: كنا ذات ليلة نتحدث إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «**ما هذه النجوى ألم تنهوا عن النجوى**» فقلنا: تبنا إلى الله يارسول الله، إنا كنا في ذكر المسيخ - يعني الدجال - فرقا منه. فقال: «**ألا أخبركم بما هو أخوف عندي منه**» قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «**الشرك الخفي أن يقوم الرجل يعمل لمكان رجل**» ذكره الماوردي، وقرأ حمزة وخلف ورويس عن يعقوب (وينتجون) في وزن يفتعلون وهي قراءة عبد الله وأصحابه، وقرأ الباقون (ويتناجون) في وزن يتفاعلون، وأختاره أبو عبيد وأبو حاتم، لقوله تعالى: (إذا تناجيتم) و(تناجوا)، النحاس: وحكى سيبويه أن تفاعلوا وافتعلوا يأتيان بمعنى واحد، نحو تخاصموا واختصموا، وتقاتلوا واقتتلوا فعلى هذا (يتناجون) و(ينتجون) واحد، ومعنى (بالاثم والعدوان) أي الكذب والظلم، (ومعصية الرسول) أي مخالفته، وقرأ الضحاك ومجاهد وحميد (ومعصيات الرسول) بالجمع.

الثالثة: قوله تعالى: (وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله) لا خلاف بين النقلة أن المراد بها =

=

اليهود، كانوا يأتون النبي ﷺ فيقولون: السام عليك، يريدون بذلك السام ظاهرًا وهم يعنون الموت باطنًا، فيقول النبي ﷺ: (عليكم) في رواية، وفي رواية أخرى (وعليكم)، قال ابن العربي: وهي مشكلة، وكانوا يقولون: لو كان محمد نبيًا لما أمهلنا الله بسبه والاستخفاف به، وجهلوا أن الباري تعالى حليم لا يعاجل من سبه، فكيف من سب نبيه، وقد ثبت أن النبي ﷺ قال: «**لا أحد أصبر على الأذى من الله يدعون له الصاحبة والولد وهو يعافيهم ويرزقهم**» فأنزل الله تعالى هذا كشفًا لسرائرهم، وفضحًا لبواطنهم، معجزة لرسوله ﷺ وقد ثبت عن قتادة عن أنس أن يهوديًا أتى على رسول الله ﷺ وعلى أصحابه فقال: السام عليكم، فرد عليه النبي ﷺ وقال: «**أتدرون ما قال هذا**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**قال كذا ردوه علي**» فردوه، قال: «**قلت السام عليكم**» قال: نعم، فقال النبي ﷺ عند ذلك: «**إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا عليك ما قلت**» فأنزل الله تعالى: (وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله) **قلت:** خرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح، وثبت عن عائشة أنها قالت: جاء أناس من اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم، فقلت: السام عليكم وفعل الله بكم وفعل، فقال ﷺ: «**مه يا عائشة فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش**» فقلت: يا رسول الله ألست ترى ما يقولون ؟ ! فقال: «**ألست ترين أرد عليهم ما يقولون أقول وعليكم**» فنزلت هذه الآية (بما لم يحيك به الله) أي: إن الله سلم عليك وهم يقولون السام عليك، والسام الموت، خرجه البخاري ومسلم بمعناه، وفي «الصحيحين» من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «**إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم**» كذا الرواية (**وعليكم**) بالواو تكلم عليها العلماء، لأن الواو العاطفة يقتضي التشريك فيلزم منه أن يدخل معهم فيما دعوا به علينا من الموت، أو من سامه ديننا وهو الملال، يقال: سئم يسأم سامه وسآما، فقال بعضهم: الواو زائدة، وقال بعضهم: هي للاستئناف، كأنه قال: والسام عليكم، وقال بعضهم: هي على بابها من العطف ولا يضرنا ذلك، لانا نجاب عليهم ولا يجابون علينا، كما قال النبي ﷺ روى الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: سلم ناس من يهود على رسول الله ﷺ فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم، فقال: (وعليكم) فقالت عائشة وغضبت: ألم تسمع ما قالوا ؟ قال: (بلى قد سمعت فرددت عليهم وإنا نجاب عليهم ولا يجابون علينا) خرجه مسلم، ورواية الواو أحسن معنى، وإثباتها أصح رواية وأشهر، وقد اختلف في رد السلام على أهل الذمة هل هو واجب كالرد على المسلمين، وإليه ذهب ابن عباس والشعبي وقتادة، للأمر بذلك، وذهب مالك فيما روى عنه أشهب وابن وهب إلى أن ذلك ليس بواجب فإن رددت فقل عليك، وقد اختار ابن طاوس أن يقول في الرد عليهم: علاك السلام أي أرتفع عنك، واختار بعض أصحابنا: السلام بكسر السين يعني الحجارة، وما قاله مالك أولى اتباعًا للسنة، والله أعلم، وروى مسروق عن عائشة قالت: أتى النبي ﷺ ناس من اليهود، فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم، قال: «وعليكم» قالت عائشة: قلت بل عليكم السام والذام، فقال رسول الله ﷺ: «**يا عائشة لا تكوني فاحشة**» فقالت: ما سمعت ما قالوا! فقال: «أو ليس **قد رددت عليهم الذي قالوا قلت وعليكم**»، وفي رواية قال: ففطنت بهم عائشة فسبتهم، فقال رسول الله ﷺ: «**مه يا عائشة فإن الله لا يحب الفحش والتفحش**» وزاد فأنزل الله تبارك وتعالى: (وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله) إلى آخر

=

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المجادلة: 9] فيجازيكم على فعلكم.

﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ [المجادلة: ١٠ - ١١].

﴿إِنَّمَا النَّجْوَى﴾ [المجادلة: 10] بالإثم ونحوه ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ بغروره ﴿لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بسببها ﴿وَلَيْسَ﴾ هو ﴿بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ﴾ إلا منه ﴿وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا﴾ [المجادلة: 11] توسعوا ﴿فِي الْمَجَالِسِ﴾ مجلس النبي ﷺ أو الذكر والعلم، وكل حيز ليجلس من جاءكم، وقرأ عاصم «المجالس» جمعًا، والباقون إفرادًا ﴿فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ﴾ في الجنة ﴿وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا﴾ قوموا للخير والصلاة ﴿فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾ بالطاعة في ذلك ﴿وَ﴾ يرفع ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ في الجنة ﴿واللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ فيجازيكم به.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةًۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ

=

الآية، الذام بتخفيف الميم هو العيب، وفي المثل (لا تعدم الحسناء ذامًا) أي عيبا، ويهمز ولا يهمز، يقال: ذأمه يذأمه، مثل ذأب يذأب، والمفعول مذءوم مهموزا، ومنه (مذءوما مدحورا) ويقال: ذامه يذومه مخففًا كرامه يرومه. انظر [تفسير القرطبي (17 /291)].

وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المجادلة: ١٢ - ١٤].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ﴾ [المجادلة: 12] أردتم الحديث معه ﴿فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ﴾ قبلها ﴿صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ لذنوبكم من ترك ذلك ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا﴾ ما يتصدق به ﴿فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فلا عليكم من المناجاة بلا صدقة[1]، وهذا منسوخ بقوله: ﴿أَأَشْفَقْتُمْ﴾ [المجادلة: 13] أخفتم من ﴿أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ﴾ للفقراء ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ الصدقة ﴿وَتَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ﴾ بأن رجع بكم عن الإلزام بالصدقة ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ بالدوام على ذلك ﴿وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا﴾ [المجادلة: 13 - 14] هم المنافقون، تولوا اليهود بأن والوهم وتحابوا بينهم ﴿غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ﴾ أي: المنافقون ﴿مِنْكُمْ﴾ من المؤمنين لعدم إيمانهم بالقلب ﴿وَلَا مِنْهُمْ﴾ ولا من اليهود؛ لعدم اعتقادهم دينهم، بل هم مذنبون ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ﴾ هو دعواهم الإيمان ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم كاذبون فيه.

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا

---

(1) قال ابن العربي المعافري: يروى أن عليًا بن أبي طالب قال: لما نزلت الآية قال لي رسول الله ﷺ: «تصدق بدينار». قلت: لا أطيقه. قال: «فنصف دينار». قلت لا أطيقه. فقال: «بكم؟» قلت: بشعيرة، فنزل قوله تعالى: ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ﴾. والمراد: وزن شعيرة. وقد دلت الآية على نسخ العبادات قبل فعلها، وعلى القياس في المقدرات. قال مجاهد: وأول من تصدق علي، فإنه تصدق بدينار. ثم ناجى، وقد كان رسول الله ﷺ لا يمنع أحدًا من مناجاته فكان الشيطان يقول: إن محمدًا ناجاه فلان، لأن جموعًا أتت لقتال المدينة فيحزن المسلمين ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وكان المنافقون يقولون: إن محمدًا يسمع من كل أحد يناجيه، فأنزل الله: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾. ثم أنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ﴾.

يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾﴾ [المجادلة: 15 - 21].

﴿أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [المجادلة: 15] من الذنوب ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ [المجادلة: 16] سترًا ستروا به عن قتلهم ﴿فَصَدُّوا﴾ بذلك المؤمنين ﴿عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ المراد منعهم عن جهادهم بقتل واحد قال: ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ذو إهانة.

﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا﴾ [المجادلة: 17] من الإغناء ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ﴾ [المجادلة: 17 - 18] أنهم مؤمنون ﴿كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ على إيمانهم ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ من نفع الحلف في الآخرة كالدنيا قبل الاطلاع عليهم ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾.

﴿اسْتَحْوَذَ﴾ [المجادلة: 19] غلب واستولى ﴿عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾[1] فأطاعوه ﴿فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ﴾ أي: الإيمان ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾ أتباعه ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ﴾ [المجادلة: 19 - 20] يخالفون ﴿اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ محمد ﷺ ﴿أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ المغلوبين الأسفلين في الدنيا والآخرة.

﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا

---

(1) قال البقلي: إذ رأى الشيطان أن ينبت في سبخة أرض النفس الأمَّارة حنظل الشهوة يثبت إليها، ويغريها إلى إنفاذ مرادها، فتكون النفس مركبة، فيهجم على بلد القلب ويخربه، بأن يُدْخل فيه ظلمات الطبيعة وظلمات الشيطان، ولا يرى عن القلب مسلك الذكر وصفاته، فلمَّا احتجب عن الذكر صار وطن إبليس وجنوده، غلب الملعون عليه، وهذا يكون بإرادة الله سبحانه، وسببه اشتراء غرور الملعون وتزيينه، بأنْ يلابس أمر الدين بأمر الدنيا، ويغويه من طريق العلم، فإذا لم يعرف دقائقه صار فريسة الشيطان.

ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ المجادلة: [٢١ - ٢٢].

﴿كَتَبَ﴾ [المجادلة: 21] قضى ﴿اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ بالحجة السيف ﴿إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ * لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ﴾[1] [المجادلة: 21 - 22] يصادقون ﴿مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا﴾ أي: المحادون ﴿آبَاءَهُمْ﴾ أي: المؤمنين ﴿أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ بل ينافرونهم مع القصد بالسوء، والقتال جهادًا في سبيل الله، ووقع هذا الجمع من الصحابة منهم: أبا عبيدة قتل أباه يوم أحد، ودعا أبو بكر ابنه للبراز يوم بدر، ومصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد، وعمر ﷺ قتل من عشيرته خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر ﴿أُولَئِكَ﴾ الذين لا يوادُّونهم ﴿كَتَبَ﴾ اثبت الله ﴿فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ﴾ بنور ﴿مِنْهُ﴾[2] تعالى ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ ورضاه بطاعتهم ورضاهم بالثواب ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ﴾ يتبعون الله ويخشون نهيه ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون لا حزب الشيطان.

---

(1) قال ابن العربي المعافري: يروى أن أبا عبيدة بن الجراح تصدى له أبوه يوم بدر، فكان أبو عبيدة يحيد عنه، فلما كثر تصديه له، قتله أبو عبيدة، فنزلت الآية إلى: ﴿وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ﴾ الآية. وقال مالك: لا تجالسوا القدرية، وعادوهم في الله، قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ الآية. واعلم: أن القدرية تدعي أنها تخلق أفعالها، وتأتي ما يكره الله تعالى، ولا يقدر على رده. ويروى أن مجوسيًا ناظر قدريًا، فقال له القدري: ما لك لا تؤمن بالله؟ فقال له المجوسي: لو شاء الله لآمنت، فقال له القدري: قد شاء الله، ولكن صدك الشيطان، فقال له المجوسي: فدعني مع أقواهما.

(2) هو الصدق في الطلب وحسن الإرادة المنتجة من بذر يحبهم ويحبونه وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وإلا فمن خصوصية طبيعة الإنسان أن يمرق من الدين كما يمرق السهم من الرمية، وان كانوا يصلون ويصومون ويزعمون أنهم مسلمون؛ ولكن بالتقليد لا بالتحقيق، اللهم إلا من شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه انتهى. تفسير حقي (14/263).

سورة الحشر

مدنية أربع وعشرون آية، وتسمى سورة النضير؛ لأنها نزلت في إجلائهم إلى الشام أول مرة، وهو حشرهم إليها.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ (٢) وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (٣) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤) ﴾ [الحشر: 1 - 4].

﴿سَبَّحَ لِلهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الحشر: 1] أي: نزهه ما فيهما ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ﴾[1] [1، 2]

---

(1) ﴿هُوَ الذى أَخْرَجَ الذين كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الكتاب مِن ديارهم لأَوَّلِ الحشر﴾ هم بنو النضير، وهم، رهط من اليهود من ذرية هارون، نزلوا المدينة في فتن بني إسرائيل انتظاراً منهم لمحمد ﷺ فغدروا بالنبيّ ﷺ بعد أن عاهدوه، وصاروا عليه مع المشركين، فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى رضوا بالجلاء. قال الكلبي: كانوا أوّل من أجلي من أهل الذمّة من جزيرة العرب، ثم أجلي آخرهم في زمن عمر بن الخطاب، فكان جلاؤهم أوّل حشر من المدينة، وآخر حشر إجلاء عمر لهم. وقيل: إن أوّل الحشر إخراجهم من حصونهم إلى خيبر، وآخر الحشر إخراجهم من خيبر إلى الشام، وقيل: آخر الحشر هو حشر جميع الناس إلى أرض المحشر، وهي الشام. قال عكرمة: من شك أن المحشر يوم القيامة في الشام، فليقرأ هذه الآية، وأن النبيّ ﷺ قال لهم: «اخرجوا»، قالوا: إلى أين؟ قال: « إلى أرض المحشر » قال ابن العربي: الحشر أوّل وأوسط وآخر، فالأوّل إجلاء بني النضير، والأوسط إجلاء أهل خيبر، والآخر يوم القيامة، وقد أجمع =

مساكنهم بالمدينة، بنو النضير من اليهود كانوا صالحوا النبي ﷺ على ترك القتال إلى أن غزا أحدًا فنقضوا وحالفوا قريشًا بمكة بين أستار الكعبة على ذلك، فأخبر جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ بذلك، فأمر رسول الله ﷺ بقتل كعب بن الأشرف فقتله محمد بن مسلمة، ثم أذنهم بالقتال فقال لهم منافقو المدينة عبد الله بن أُبي وأصحابه لا تخرجوا فنحن معكم ولننصرنكم، وإن أخرجتم لنخرجن معكم فحصنوا أزقتهم وحصونهم، وأرادوا الغدر برسول الله ﷺ، حيث سألوه أن يجتمع بهم في ثلاثة من أصحابه ويخرج إليهم ﷺ فرجع، ثم حاصرهم ﷺ إحدى وعشرين ليلة، فألقى الله الرعب بقلوبهم فصالحوه على الجلاء، وإن لهم ما حملت إبلهم إلا السلاح فخرجوا ﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ وهو حشرهم إلى الشام وآخره أن أجلاهم عمر رضي الله عنه في خلافته من خيبر، وقيل: الحشر الثاني يوم القيامة؛ لأنه محل الحشر، وقيل: هو القيام من القبور ﴿مَا ظَنَنْتُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿أَنْ يَخْرُجُوا﴾ لاجتماع كلمتهم ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللهِ﴾ أي: من عذابه ﴿فَأَتَاهُمُ اللهُ﴾ أي: أمره وعذابه ﴿مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ لم يخطر ببالهم من جهة المؤمنين ﴿وَقَذَفَ﴾ ألقى ﴿فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ الخوف بقتل سيدهم كعب بن الأشرف ﴿يُخْرِبُونَ﴾ بالتشديد لأبي عمرو، والباقون بالتخفيف ﴿بُيُوتَهُمْ﴾ لينقلوا المستحسن من خشب ونحوه ﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾ من الباطن ﴿وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ من الظاهر ﴿فَاعْتَبِرُوا﴾

= المفسرون على أن هؤلاء المذكورين في الآية هم بنو النضير، ولم يخالف في ذلك إلاّ الحسن البصري فقال: هم بنو قريظة، وهو غلط، فإن بني قريظة ما حشروا، بل قتلوا بحكم سعد بن معاذ لما رضوا بحكمه، فحكم عليهم بأن تقتل مقاتلتهم، وتسبى ذراريهم، وتغنم أموالهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد: «لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة » واللام في (لأوّل الحشر) متعلقة بـ (أخرج)، وهي لام التوقيت كقوله: ﴿لِدُلُوكِ الشمس﴾ ﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ﴾ هذا خطاب للمسلمين، أي: ما ظننتم أيها المسلمون أن بني النضير يخرجون من ديارهم؛ لعزتهم، ومنعتهم، وذلك أنهم كانوا أهل حصون مانعة، وعقار، ونخيل واسعة، وأهل عدد وعدّة ﴿وَظَنُّواْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مّنَ اللهِ﴾ أي: وظنّ بنو النضير أن حصونهم تمنعهم من بأس الله، وقوله: ﴿مَّانِعَتُهُمْ﴾ خبر مقدّم، و(حصونهم) مبتدأ مؤخر، والجملة خبر (أنهم)، ويجوز أن يكون (مانعتهم) خبر (أنهم)، و(حصونهم) فاعل (مانعتهم)، ورجح الثاني أبو حيان، والأوّل أولى ﴿فأتاهم الله مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ﴾ أي: أتاهم أمر الله من حيث لم يخطر ببالهم أنه يأتيهم أمره من تلك الجهة، وهو أنه سبحانه أمر نبيه ﷺ بقتالهم وإجلائهم وكانوا لا يظنون ذلك، وقيل: هو قتل رئيسهم كعب بن الأشرف، قاله ابن جريج، والسديّ، وأبو صالح، فإنّ قتله أضعف شوكتهم. انظر: [فتح القدير (7 /182)].

اتعظوا ﴿يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ القلبية.

﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ﴾ [الحشر: 3] قضى ﴿اللهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ﴾ الخروج من وطنهم ﴿لَعَذَّبَهُمْ﴾ قتلاً وسبيًا ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ كبني قريظة من اليهود ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ * ذَلِكَ﴾ [الحشر: 3 - 4] أي: الأمر ذلك، أو فعلنا بهم ذلك ﴿بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا﴾ خالفوا الله ﴿اللهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللهَ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر: 5 - 7].

﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ﴾ [الحشر: 5] نزلت لأمره ﷺ بقطع نخلهم وإحراقها عند تحصينهم فشق عليهم وقالوا: زعمت يا محمد، إرادة الإصلاح وهذا فساد ﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا﴾ بلا قطع ﴿فَبِإِذْنِ اللهِ﴾ أي: إرادة الإصلاح خيركم في ذلك ﴿وَلِيُخْزِيَ﴾ بالإذن في قطعها ﴿الْفَاسِقِينَ﴾(1) اليهود.

﴿وَمَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ﴾ [الحشر: 6] أي: من بني النضر من المسلط عليه ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ﴾ أسرعتم ﴿عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ إبل؛ أي: لم تقاسوا مشقة في

---

(1) لمَّا أمر سولُ الله ﷺ بقَطْع بعض نخيل بني النضير قالت اليهود: ما فائدة هذا؟! فبقي المسلمون عن الجواب، فأنزل الله تعالى هذه الآية ليوضِّح أن ذلك بإذن الله... فانقطعَ الكلامُ. وفي هذا دليلٌ على أن الشريعةَ غيرُ مُعَلّلةٍ، وأنَّ الأمرَ الشرعيَّ إذا جاء بَطَلَ التعليلُ، وسَكَتَتْ الألسنةُ عن المطالبة ب «لِمَ؟» وخُطُورُ الاعتراضِ أو الاستقباحِ خروجٌ عن حَدِّ العرفان. والشيوخُ. قالوا: مَنْ قال لأستاذِه وشيخه: « لِمَ؟ » لا يفلح. وكلُّ مريدٍ يكون لأمثالِ هذه الخواطر في قلبِه جَوَلان لا يجيءُ منه شيءٌ. ومَنْ لم يتجرَّدْ قلبُه من طَلَبِ التعليل، ولم يباشِرْ حُسْنَ الرضا بكلِّ ما يجري واستحسانَ ما يبدوا من الغيب لِسِرِّه وقلبِه - فليس من الله في شيء. انظر [تفسير القشيري (7 / 405)].

ذلك ﴿وَلَكِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيبين للمسلمين أنه لا حق لهم في أموال بني النضير وإنها فيء يختص به رسول الله ﷺ، ومن له حق في الفيء من المذكورين في الآية الثانية فقسمها رسول الله ﷺ بين المهاجرين، ولم يعط الأنصار منها بشيء إلا أبا دُجانة وسهل بن حنيف والحرث بن الصِّمَّة لفقرهم.

﴿مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ [الحشر: 7] كالصفراء، ووادي القرى، وينبع ﴿فَلِلَّهِ﴾ يأمر فيه بما يشاء، وأمره ما ذكر بقوله: ﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾ قرابته ﷺ من بني هاشم وبني المطلب ﴿وَالْيَتَامَى﴾ أطفال المسلمين الذين لا أب لهم وهم فقراء ﴿وَالْمَسَاكِينِ﴾ أصحاب الحاجة من المسلمين ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ وهو منشئ سفرًا ومجتاز، فيُعطى ما يوصله مقصده إن لم يكن سفره معصية، وما بقي يستحقه الرسول والأصناف الأربعة لكل من الأربعة خمس الخمس، والباقي للرسول وهو إحدى وعشرون جزءًا من خمسة وعشرين ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً﴾ متداولاً ﴿بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ هذا علة لقسمته كذلك، وقرأ أبو جعفر: «تكون» بالتاء الفوقية، ودولة بالرفع، ورُوي عن هشام من طريق ابن عبدان وغيره روى التذكير بالياء التحتية والرفع وهي طريق الأزرق، وقرأ الباقون بالنصب مع التذكير، والمعنى قسم كذلك لئلا يتداولون الأغنياء فيفعلون فيه ما يحبون ﴿وَمَا آتَاكُمُ﴾ أعطاكم ﴿الرَّسُولُ﴾ من الفيء وغيره ﴿فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ٨ - ١٠].

﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ [الحشر: 8] متعلق بمحذوف تقدير «أعجبوا» ﴿الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللهَ﴾ أي: دينه

﴿وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ في إيمانهم وجهادهم.

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا﴾ [الحشر: 9] عطف على المهاجرين ﴿الدَّارَ﴾ المدينة سميت بذلك؛ لأنها دار الهجرة، والتبوء: اتخاذ المحل وطنًا ومنزلاً ﴿وَالْإِيمَانَ﴾ أي: أخلصوه وألِفُوه ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: المهاجرين ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾ حسدًا ﴿مِمَّا أُوتُوا﴾ أي: مما أعطاه رسول الله ﷺ من مال بني النضير المختص به ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ فاقة إلى ما آثروا به ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ حرصها ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون، ومن أدَّى زكاة ماله فلا يقال له: بخيل ولا شحيح، لما أخرج ابن المنذر عن علي بن أبي طالب قال: من أدى زكاة ماله فقد وقى شح نفسه[1].

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ [الحشر: 10] أي: من بعد المهاجرين والأنصار إلى يوم القيامة ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي

---

(1) قال ابن العربي المعافري: وفيها مسألتان: **المسألة الأولى**: المراد بالآية: الأنصار، فإنهم آووا رسول الله ﷺ حين طرد ونصروه، حين خذل، بالإيمان. قال ابن وهب: سمعت مالكًا يذكر فضل المدينة على غيرها، فقال: إن المدينة تبوئت بالإيمان والهجرة، وإن غيرها من القرى افتتحت بالسيف، ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ الآية. وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم إن إبراهيم حرم مكة، وأنا أحرم المدينة بمثل ما حرم به إبراهيم مكة، وبمثله معه».

وكفى بهذا فضلا وتشريفًا. وقوله: ﴿وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا﴾. يعني لا يحسدون المهاجرين على ما خصوا به من الفيء وغيره. وقوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾. وفي الحديث: «إن رجلاً من الأنصار نزل به ضيف، فلم يكن عنده إلا قوته وقوت صبيانه، فقال لامرأته: نومي الصبية وأطفئي السراج، وقربي للضيف ما عندك». فنزلت الآية.

واعلم: أن الإيثار بالنفس فوق الإيثار بالمال، ومن الأمثال السائرة: «الإيثار بالنفس أقصى غاية الجود».

وقالت الصوفية: المحبة للإيثار، ألا ترى أن زليخة آثرت يوسف على نفسها، فقالت: أنا راودته عن نفسه، وقد ترس أبو طلحة بنفسه يوم أحد على رسول الله ﷺ وكان رسول الله ﷺ يتطلع ليرى القوم، فيقول له أبو طلحة: لا تشرف يا رسول الله لئلا تصاب. نحري دون نحرك، ووقاه بيده حتى شلت والإيثار يختلف بحسب المراتب، وقد قبل رسول الله من أبي بكر جميع ماله، وقبل من عمر نصفه، ورد أبا لبابة وكعب بن مالك للثلث، لقصورهما عن درجتي أبي بكر وعمر.

المسألة الثانية: قوله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾. قيل: الشح والبخل بمعنى واحد. وقيل: الشح: منع ما لم يجب، والبخل: منع الواجب.

قُلُوبِنَا غِلًّا﴾ حقدًا ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (11) لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ (12) لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (13) لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (14)﴾ [الحشر: ١١ - ١٤].

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ [الحشر: 11] تنظر ﴿إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ من بني النضير وإخوتهم في الكفر ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ﴾ من المدينة ﴿لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ﴾[1] في خذلانكم ﴿أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ﴾ [الحشر: 12] أوتوا لنصرتهم ﴿لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾ أي: اليهود ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً﴾ [الحشر: 13] خوفًا ﴿فِي صُدُورِهِمْ﴾ أي: المنافقين ﴿مِنَ اللهِ﴾ وسبب ذلك تأخر عذابه ﴿ذَلِكَ﴾ أي: خوفهم أكثر وقع منهم ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ القرآن.

---

(1) الخطاب لرسول الله، أو لكل من يصلح له، والذين نافقوا هم: عبد الله بن أبيّ، وأصحابه، وجملة ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الذين كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الكتاب﴾ مستأنفة؛ لبيان المتعجب منه، والتعبير بالمضارع؛ لاستحضار الصورة، أو للدلالة على الاستمرار، وجعلهم إخوانًا لهم لكون الكفر قد جمعهم، وإن اختلف نوع كفرهم، فهم إخوان في الكفر، واللام في «لإخوانهم» هي لام التبليغ، وقيل: هو من قول بني النضير لبني قريظة، والأوّل أولى؛ لأن بني النضير، وبني قريظة هم يهود، والمنافقون غيرهم، واللام في قوله: ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ﴾ هي الموطئة للقسم، أي: والله لئن أخرجتم من دياركم ﴿لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾ هذا جواب القسم، أي: لنخرجن من ديارنا في صحبتكم ﴿وَلَا نُطِيعُ فيكُمْ﴾ أي: في شأنكم، ومن أجلكم ﴿أَحَدًا﴾ ممن يريد أن يمنعنا من الخروج معكم، وإن طال الزمان، وهو معنى قوله: ﴿أَبَدًا﴾. انظر [فتح القدير (7 /193)].

﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ [الحشر: 14] أي: اليهود ﴿جَمِيعًا﴾ مجتمعين ﴿إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ سور، قرأه ابن كثير وأبو عمرو بالإفراد، والباقون جمعًا بضم الجيم والدال وإسقاط الألف، لأن كل فرقة منهم تقاتل وراء جدار ﴿بَأْسُهُمْ﴾ حزبهم ﴿بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾ مجتمعين ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ متفرقة على خلاف الظن بهم ﴿ذَلِكَ﴾ أي: اختلافهم الباطن مع الإنفاق الظاهر ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أن هذا سبب هلاكهم، مثَّلهم في ترك الإيمان والعذاب دل على ذلك.

﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الحشر: ١٥ - ١٩].

﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا﴾ [الحشر: 15] من قريب وهم كفار بدر ﴿ذَاقُوا وَبَالَ﴾ عقوبة ﴿أَمْرِهِمْ﴾ كفرهم في الدنيا بالقتل وغيره ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة، مثَّلهم أيضًا في سماعهم من المنافقين وتخلفهم عنهم ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحشر: 16] قاله كذبًا ورياء ﴿فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا﴾ [الحشر: 17] أي: الغاوي والمغوي ﴿أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ ليوم القيامة ﴿وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: 18] فيجازيكم به ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا﴾ [الحشر: 19] تركوا ﴿اللهَ﴾ أي: تركوا طاعته ﴿فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ أن يقدموا إليها خيرًا ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

﴿ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ

ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٠ - ٢٤].

﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [الحشر: 20] أهلها ﴿وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ بالنجاة ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ﴾ [الحشر: 21] وجعل له تميز كالآدمي ﴿لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا﴾ متشققًا ﴿مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾ أي: خوفًا ألَّا يؤدي حقه في تعظيم القرآن، والمقصود تنبيه الإنسان على الخشية وفضلها، وإن السماع بلا خشية لا يفيد ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيؤمنون.

﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ [الحشر: 22 - 23] الطاهر عمَّا لا يليق به ﴿السَّلَامُ﴾ ذو السلامة من النقائص ﴿الْمُؤْمِنُ﴾ المصدق رسله بخلق المعجزة لهم ﴿الْمُهَيْمِنُ﴾ الرقيب على كل شيء بمعنى الشهيد بأعمال الخلق عليهم ﴿الْعَزِيزُ﴾ القوي ﴿الْجَبَّارُ﴾ الذي لا يدانيه شيء، ولا يلحق رتبه، أو الذي خبّر خلقه على ما أراده ﴿الْمُتَكَبِّرُ﴾[1] عمَّا لا يليق بكماله ﴿سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ﴾

(1) قال ابن برجان في «شرح الأسماء الحسنى»: وأرى - والله أعلم - أن معنى القدس جامع لمعاني الطهارة والطيب والزكاة والعدل والحمد كله والتنزيه عن الطبع والظلم والمعايب مما لا يليق به سبحانه وتعالى، وإن الفرق بينه وبين اسم السبوح أن معنى السبوح تنزيه لوجوده العَليّ عن المثل والنظير والكفء، وبحمده عن حوادث المخلوقين ونقائص المحدثين، فآية التسبيح الأول التوبة المفروضة والطهارة، وآية التسبيح الثاني الحمد كالصلاة والأعمال التي يصعد بها عاملها في درجات الشكر، والسبوح اسم للمسبح بهذه السبحات كلها ﷻ، ومبالغة في المراد المقصود بالتسبيح، ثم اسم القدوس عبارة عن هذا كله مع اقترانه بالملك وتوابعه، وأنه لا يجوز في تدبيره الظلم ولا في قضائه الحيف، ولذلك - وهو أعلم - أتبع الاسمين قوله: ﴿السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ﴾ [الحشر: 23]، يقال: سبحت الله وسبحت لله وقدست الله، أي: وصفته بالقدس والطهارة والطيب، وقدست لله بمعنى قدست لله عباده، قالت =

[الحشر: 23 - 24] قيل: **الخالــق**: المبدئ، **والــبارئ**: المعيد، أو المنشئ من العدم ﴿**الْمُصَوِّرُ**﴾ موجد الصور بخلقه ﴿**لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ آخر سورة الحشر ثم مات من يومه، أو ليلته كفر عنه كل خطيئة عملها**»[1].

=

الملائكة عليهم السلام: ﴿**وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ**﴾ [البقرة: 30] أي: عبادك، وقال عزّ من قائل: ﴿**يُسَبِّحُ لِله مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ المَلِكِ القُدُّوسِ**﴾ [الجمعة: 1]، وقد يعبر بالتقديس عن الصلاة، ثم عن سواها من الأعمال من ذلك قولهم: إن أرضًا لا تقدس صاحبها، إنما يقدس الإنسان عمله، وهذان اسمان جمعا ذكر المحامد كلها، والله أعلم، فقول القائل: سبوح قدوس رب الملائكة والروح شبيهة بقوله ﷻ: ﴿**الْحَمْدُ لِله رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الفاتحة: 2].

(1) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (122/8).

سورة الممتحنة

مدنية ثلاث عشر آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١) إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ (٢) لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣)﴾ [الممتحنة: ١ - ٣].

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ**﴾ [الممتحنة: 1] وهم كفار مكة ﴿**أَوْلِيَاءَ**﴾ أحبابًا ﴿**تُلْقُونَ**﴾ توصلون ﴿**إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ**﴾ بينكم وبينهم خبر النبي ﷺ حيث قصد غزوهم، وورَّى بخيبر وأسرَّ أنه يريدهم إلى أصحابه، فكتب حاطب كتابًا مع امرأة جعلته في شعرها الذي في رأسها؛ لأن العادة لا يبحث عما فيه، فعلمه النبي ﷺ بإعلام الله له، واعتذر حاطب إلى النبي ﷺ فقبل عزره بأنه لمَّا كتب به لأجل أهله وأولاده الذين بمكة مع المشركين إرادة أن يكفّوا عنهم لمكاتبته المصحوبة في علمه بأنها لا تضر رسول الله ﷺ؛ لأنه مؤمن بأن الله أيده بالنصر ﴿**وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ**﴾ وهو دين الإسلام والقرآن ﴿**يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ**﴾ محمدًا ﷺ ﴿**وَإِيَّاكُمْ**﴾ من مكة بتضييقهم عليه وعليكم ﴿**أَنْ تُؤْمِنُوا**﴾ لأجل أن آمنتم ﴿**بِاللهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا**﴾ للجهاد ﴿**فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي**﴾ فلا يتخذوهم أولياء ﴿**تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ**﴾ أي: إسرار خبر النبي ﷺ إليهم

﴿مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ﴾ أخطأ ﴿سَوَاءَ﴾ وسط ﴿السَّبِيلِ﴾[1] الطريق.

﴿إِنْ يَثْقَفُوكُمْ﴾ [الممتحنة: 2] يظفروا بكم ﴿يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ قتلاً وضربًا ﴿وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ﴾ السّب والشتم ﴿وَوَدُّوا﴾ تمنوا ﴿لَوْ تَكْفُرُونَ * لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ﴾ [الممتحنة: 2 - 3] قراباتكم ﴿وَلَا أَوْلَادُكُمْ﴾ المشركون الذين لأجلهم أخبرتم الكفار بسرِّ النبي ﷺ من العذاب في الآخرة ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾

(1) نزلت: ﴿ياأيها الذين ءامَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء﴾ في حاطب بن أبي بلتعة حين كتب إلى مشركي قريش يخبرهم بمسير النبيّ ﷺ إليهم، وسيأتي ذكر القصة آخر البحث إن شاء الله، وقوله: ﴿عَدُوِّى﴾ هو المفعول الأوّل ﴿وَعَدُوَّكُمْ﴾ معطوف عليه، والمفعول الثاني أولياء، وأضاف سبحانه العدوّ إلى نفسه تعظيمًا لجرمهم، والعدوُّ مصدر يطلق على الواحد، والاثنين، والجماعة، والآية تدلّ على النهي عن موالاة الكفار بوجه من الوجوه ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بالمودة﴾ أي: توصلون إليهم المودّة على أن الباء زائدة، أو هي سببية، والمعنى: تلقون إليهم أخبار النبيّ ﷺ بسبب المودّة التي بينكم وبينهم. قال الزجاج: تلقون إليهم أخبار النبيّ ﷺ وسرّه بالمودّة التي بينكم وبينهم، والجملة في محل نصب على الحال من ضمير تتخذوا؛ ويجوز أن تكون مستأنفة؛ لقصد الإخبار بما تضمنته، أو لتفسير موالاتهم إياهم، ويجوز أن تكون في محل نصب صفة لأولياء، وجملة ﴿وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَاءكُم مّنَ الحق﴾ في محل نصب على الحال من فاعل تلقون، أو من فاعل لا تتخذوا، ويجوز أن تكون مستأنفة؛ لبيان حال الكفار. قرأ الجمهور: «بما جاءكم» بالباء الموحدة. وقرأ الجحدري، وعاصم في رواية عنه: (لما جاءكم) باللام، أي: لأجل ما جاءكم من الحق على حذف المكفور به، أي: كفروا بالله والرسول لأجل ما جاءكم من الحق، أو على جعل ما هو سبب للإيمان سبباً للكفر توبيخاً لهم: ﴿يُخْرِجُونَ الرسول وإياكم﴾ الجملة مستأنفة لبيان كفرهم، أو في محل نصب على الحال، وقوله: ﴿أَن تُؤْمِنُواْ بالله رَبّكُمْ﴾ تعليل للإخراج، أي: يخرجونكم لأجل إيمانكم، أو كراهة أن تؤمنوا ﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِى سَبِيلِى وابتغاء مَرْضَاتِى﴾ جواب الشرط محذوف، أي: إن كنتم كذلك، فلا تلقوا إليهم بالمودّة، أو إن كنتم كذلك، فلا تتخذوا عدوّي وعدوّكم أولياء، وانتصاب «جهاداً» «وابتغاء» على العلة، أي: إن كنتم خرجتم لأجل الجهاد في سبيلي؛ ولأجل ابتغاء مرضاتي، وجملة: ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بالمودة﴾ مستأنفة للتقريع والتوبيخ، أي: تسرّون إليهم الأخبار بسبب المودّة، وقيل: هي بدل من قوله: ﴿تُلْقُونَ﴾. ثم أخبر سبحانه بأنه لا يخفى عليه من أحوالهم شيء، فقال: ﴿وَأَنَاْ أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ﴾ والجملة في محل نصب على الحال، أي: بما أضمرتم وما أظهرتم، والباء في «بما» زائدة، يقال: علمت كذا، وعلمت بكذا، هذا على أن أعلم مضارع، وقيل: هو أفعل تفضيل، أي: أعلم من كل أحد بما تخفون وما تعلنون ﴿وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السبيل﴾ أي: من يفعل ذلك الاتخاذ لعدوّي وعدوّكم أولياء، ويلقي إليهم بالمودّة، فقد أخطأ طريق الحق والصواب، وضلّ عن قصد السبيل. انظر [فتح القدير (200/7)].

قرأ عاصم ويعقوب: «يفصل» بفتح الياء وإسكان الفاء وكسر الصاد، وابن عامر سوى الدجواني عن هشام بضم الياء وفتح الفاء والصاد مشددة، والباقون بضم الياء وإسكان الفاء وفتح الصاد مخففة، ومعنى القرآن يفصل بينكم وبينهم فتكونون في الجنة ويكونون في النار ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [الممتحنة: ٤ - ٨].

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ﴾ [الممتحنة: 4] قدوة ﴿حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: به قولاً وفعلاً ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ من المؤمنين ﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ﴾ جمع بريء ﴿وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ﴾ ﷺ ﴿لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهِ﴾ من عذابه ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ المعنى: اقتدوا بإبراهيم إلا في قوله لأبيه ذلك، فليس لكم الاقتداء به فيه بأن تستغفروا للكفار، وهذا من إبراهيم - عليه وعلى نبينا أشرف الصلاة والسلام - قبل أن تبيّن له أنه عدو، وقال إبراهيم ومن معه: ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا﴾ رجعنا ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾.

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الممتحنة: 5] أي: لا تظهرهم علينا فيظنوا أنهم على الحق فيفتنوا ﴿وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ﴾ [الممتحنة: 5 - 6] قدوة ﴿حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو﴾ يخاف ﴿اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ

وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾ يعرض ﴿فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن خلقه ﴿الْحَمِيدُ﴾ لأهل طاعته أو المحمود.

﴿عَسَى اللهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً﴾[1] [الممتحنة: 7] أي: بين المؤمنين ومن عادوه من كفار مكة مودة بأن يهديهم للإيمان ﴿وَاللهُ قَدِيرٌ﴾ وقد فعله بعد فتح مكة ﴿وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ﴾ [الممتحنة: 7 - 8] من الكفار ﴿فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ﴾ أي: لا ينهاكم الله عن برهم ﴿وَتُقْسِطُوا﴾ تقضوا ﴿إِلَيْهِمْ﴾ بالقسط العدل، والآية منسوخة بالأمر بالجهاد ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ العادلين.

﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَـٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ وَظَـٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَـٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾ الممتحنة: ٨ - ١١].

﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا﴾ [الممتحنة: 9] أعانوا ﴿عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ﴾ أي: تتخذوهم أولياء ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

---

(1) هذه إشارةٌ إلى الرفق في مجاهدة النفس، ربما تطمئن وتعين الروح والعقل والقلب في معرفة الله وطاعته قال ابن عطاء: لا تبغضوا عبادي كل البغض، فإني قادرٌ على أن أنقلكم من البغض إلى المحبة، كنقلي من الحياة إلى الممات، ومن الموت إلى النشور قال ﷺ: «أحببْ حبيبك هونًا ما عسى أن يكون بغيضك يومًا ما، وأبغض بغيضك هونًا ما عسى أن يكون حبيبك يومًا ما».

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ﴾ [الممتحنة: 10] من الكفار ﴿فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ بالحلف إنهن ما خرجن إلا رغبة في الإسلام لا بغضًا لزوج كافر، ولا عشقًا لمسلم كما كان رسول الله ﷺ يحلفهن[1] ﴿اللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ﴾ بالحلف؛ أي: ظننتموهم ﴿مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ﴾ أعطوا لأزواجهم الكفار ﴿مَا أَنْفَقُوا﴾ علينا من المهور ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ إذا جئن بصفات من يجوز نكاحها شرعًا ﴿إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهن سبب نزولها، إن الكفار في صلح الحديبية ذكروا لرسول الله ﷺ أن من جاءه من أهل الكتاب مؤمنًا رده إلى الكفار ومن جاءهم منه كافرًا لم يردوه، فعند

---

(1) فيها مسائل: **المسألة الأولى**: في سبب نزولها ثبت أن رسول الله ﷺ لما صالح أهل الحديبية كان فيه أن من جاء من المشركين إلى المسلمين رد إليهم ومن ذهب من المسلمين إلى المشركين لم يرد. وتم العهد على ذلك، وكان رسول الله ﷺ قد رد أبا بصير حين قدم، وقدم نساء مسلمات، فجاء الأولياء إلى رسول الله ﷺ فسألوا ردهن على الشرط، واستدعوا منه الوفاء بالعهد، فقال لهم: إنما الشرط في الرجال لا في النساء، فنزلت الآية.

المسألة الثانية: قوله تعالى: ﴿فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾. في الصحيح: أن رسول الله ﷺ كان يمتحن النساء لهذه الآية، وقيل: امتحنهن: حلفهن، فإنه عليه الصلاة والسلام، أحلف سبيعة بالله ما أخرجك من قومك ضرب ولا كراهة لزوجك، وما أخرجك إلا الحرص على الإسلام، وإنما لم يرد النساء لضعفهن وقيل: لحرمة الإسلام. واعلم: أن الواجب لفرقة المسلمة من زوجها إسلامها لا هجرتها، وقال أبو حنيفة: إنما ذلك لاختلاف الدراين، وقد أمر الله أن يدفع للزوج ما أنفق، لأنه لما منع من أهله لحرمة الإسلام، أمر الله أن يرد إليه المال كي لا يقع عليه خسران الزوجة والمال.

المسألة الثالثة: لما أمر الله تعالى برد ما أنفقوا إلى الأزواج، كان المخاطب بذلك الإمام فينفذه من بيت المال، والأجر هنا: الصداق، والمراد جواز نكاح من أسلمت وانقضت عدتها، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «لا توطأ حامل حتى تضع ولا حائل حتى تحيض». والاستبراء هنا: ثلاث حيض وقوله: ﴿وَلاَ تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الكَوَافِرِ﴾. هذا بيان لامتناع نكاح المشركة، قال المفسرون: أمر الله من كانت له زوجة مشركة أن يطلقها، وقد كان الكافر يتزوج المسلمة، والمسلم الكافرة، ثم نسخ الله ذلك بهذه الآية، وقد طلق عمر ابن الخطاب زوجة له مشركة. وقوله: ﴿وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا﴾. قال المفسرون: كان من ذهب إلى الكفار، من المسلمات المرتدات يقال للكفار: هاتوا مهورهن، وكان إذا جاءت امرأة من الكفار مسلمة مهاجرة إلى المسلمين يقال للمسلمين: ردوا مهورهن عدلاً من الجانبين.

المسألة الرابعة: أما عقد المهادنة بين المسلمين والكافرين فجائز لمدة ولغير مدة، وأما عقده على أن يرد من أسلم غليهم فلا يجوز لأحد بعده ﷺ. [الأحكام الصغرى ص566].

فراغ الكتاب أسلمت سبيعة بنت الحارث وجاءت لرسول الله ﷺ فطلبها زوجها فكان رسول الله ﷺ بعد يحبس من جاءه من النساء إذا امتحنها ويعطي زوجها مهرها ويرد من جاءه من الرجال، ومذهب الشافعي ﷺ عدم وجوب دفع المهر حملاً للأمر هنا على الندب؛ لأن الأصل براءة الذمة ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ إذا أسلمتم وهن على الكفر وكن غير كتابيات، ولم تجمعكما العدة في الإسلام أو جمعت ولكن كان الإسلام قبل الدخول، وقرأ البصريان بتشديد السين، والباقون بدونه ﴿وَاسْأَلُوا﴾ اطلبوا ﴿مَا أَنْفَقْتُمْ﴾ عليهن من المهور إذ ارتددن وتزوجن من كافر؛ أي: خذوا مهورهن منه ﴿وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا﴾ فليطلبون المهر كما سبق من المسلمين ﴿ذَلِكُمْ حُكْمُ اللهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ به ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ [الممتحنة: 11] بأن ارتدت واحدة وذهبت إليهم ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ غزوتم وغنمتم منهم شيئًا ﴿فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ﴾ إلى الكفار من الغنيمة التي صارت في أيديكم من أموال الكفار ﴿مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا﴾ عليهن ﴿وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ وهذا الحكم نسخ يوم فتح مكة.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾ ﴾ [الممتحنة: ١٢ - ١٣].

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ [الممتحنة: 12] كما كان يفعل في الجاهلية بالبنات خوف العار والفقر ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ﴾ ولد ﴿يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ بأن يلتقط وينسب للزوج ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ وهو كل ما وافق الطاعة ﴿فَبَايِعْهُنَّ﴾ فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك من جاءته مؤمنة بايعها على ذلك بالقول بلا مصافحة ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة: 13] وهم

اليهود و﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ﴾ ثواب ﴿الْآخِرَةِ﴾ مع إيقانهم بها لعنادهم رسول الله ﷺ ﴿كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ﴾[1] الكائنون ﴿مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ أي: المقبورون من خير الآخرة، وقيل: المعنى كما يئس الأحياء من البعث للكافر الميت أو كما يئس الكافر الميت من رجوعه للدنيا.

(1) قال ابن عباس: من خيرها وثوابها، والظاهر أن من في (من أصحاب القبور) لابتداء الغاية، أي لقاء أصحاب القبور. فمن الثانية كالأولى من الآخرة. فالمعنى أنهم لا يلقونهم في دار الدنيا بعد موتهم. وقال ابن عرفة: هم الذين قالوا: ما يهلكنا إلا الدهر، والكفار على هذا كفار مكة، لأنهم إذا مات لهم حميم قالوا: هذا آخر العهد به، لن يبعث أبداً، وهذا تأويل ابن عباس وقتادة والحسن، وقيل: من لبيان الجنس، أي الكفار الذين هم أصحاب القبور، والمأيوس منه محذوف، أي كما يئس الكفار المقبورون من رحمة الله، لأنه إذا كان حياً لم يقبر، كان يرجى له أن لا ييأس من رحمة الله، إذ هو متوقع إيمانه، وهذا تأويل مجاهد وابن جبير وابن زيد، وقال ابن عطية: وبيان الجنس أظهر، وقد ذكرنا أن الظاهر كون من لابتداء الغاية، إذ لا يحتاج الكلام إلى تقدير محذوف، وقرأ ابن أبي الزناد: كما يئس الكافر على الإفراد. والجمهور: على الجمع. ولما فتح هذه السورة بالنهي عن اتخاذ الكفار أولياء، ختمها بمثل ذلك تأكيداً لترك موالاتهم وتنفير المسلمين عن توليهم وإلقاء المودّة إليهم. انظر [تفسير البحر المحيط (10 /265)].

سورة الصف

مدنية أربعة عشر آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥ ﴾ [الصف: ١ - ٥].

﴿سَبَّحَ لِله مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: 1 - 2] نزلت: لأنهم طلبوا الجهاد وانهزموا يوم أحد ﴿كَبُرَ﴾ [الصف: 3] عظم ﴿مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ والمقت أشد البغض.

﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ﴾ [الصف: 4] يثيب وينصر ﴿الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾ بمعنى صافين ﴿كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾[1] ملزوق بعضه إلى بعض ثابت.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي﴾ [الصف: 5] بالتكذيب في دعوى الرسالة، أو بالنسبة إلى الأدرة ﴿وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا﴾[2] عدلوا

---

(1) معنى ﴿مَّرْصُوصٌ﴾: ملتزق بعضه ببعض، يقال: رصصت البناء أرصه رصاً: إذا ضممت بعضه إلى بعض. قال الفرّاء: مرصوص بالرصاص، قال المبرد: هو مأخوذ من رصصت البناء: إذا لايمت بينه وقاربت حتى يصير كقطعة واحدة، وقيل: هو من الرصيص، وهو ضمّ الأشياء بعضها إلى بعض، والتراصّ: التلاصق. انظر [فتح القدير (7 /212)].

(2) قال الورتجيبي: وصف قومًا لهم استعداد الطاعة والمعرفة، وأراهم سبيل الرشد، وخلق في =

عن الحق بإيذائه ﴿أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ﴾ بأن أمالها عن الهدى على وفق ما قدَّره في الأزل ﴿وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ الكافرين في علمه.

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾[الصف: ٦ - ٩].

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ﴾ [الصف: 6] قبلي ﴿مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾ أي: جاء أحمد ﷺ الكفار ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الدالة على صدقه ﴿قَالُوا هَذَا﴾ أي: إيماني به ﴿سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ ظاهر بيّن ﴿وَمَنْ﴾ [الصف: 7] أي: لا أحد ﴿أَظْلَمُ﴾ أشد ظلمًا ﴿مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ﴾ [الصف: 8] شرعه وبراهينه ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ بأقوالهم: سحر، وكهانة، وساحر، وكاهن، وشاعر ﴿وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾ أي: مظهر نوره، قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص: «متم» بلا تنوين، ونوره بالخفض، والباقون بتنوين «متم» ونصب نوره ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ذلك.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾ [الصف: 9] محمدًا ﷺ ﴿بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ﴾ يعليه ويعزه ﴿عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ الأديان المخالفة له ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ ذلك.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ

نفوسهم حظوظ الهوى، فتركوا الحق، واتبعوا هواهم، فطمس الله أعين قلوبهم عن مشاهدة الغيب، وهذه فتنةٌ أهلكت أكثر القاصدين في أوائل قصدهم، قال جعفر: لما تركوا أوامر الخدمة نزع من قلوبهم نور الإيمان، وجعل الشيطان إليهم طريقًا، فأزاغهم عن طريق الحق، وأدخلهم في مسالك الباطل.

وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الصف: ١٠ - ١٤].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الصف: 10] قدَّر كأنهم قالوا: نعم؛ لأنهم طالبون ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ [الصف: 11] تدومون على الإيمان ﴿بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾ محمد ﷺ ﴿وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ إنه خير فافعلوه، إن تفعلوه ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ [الصف: 12] إقامة ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿وَأُخْرَى﴾ [الصف: 13] أي: ويؤتكم نعمة أخرى ﴿تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ هل هو النصر على قريش وفتح مكة؟ أو فتح فارس والروم؟ أو النصر على كل كافر؟ قولان وكل منهما وقع ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يا محمد ﷺ بالنصر والفتح في الدنيا والجنة في الآخرة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللهِ﴾[1] [الصف: 14] أي: لدينه، قرأ ابن عامر

(1) ندب المؤمنين إلى النصرة ووضع لهم هذا الاسم، وإن كان قد صار عرفًا للأوس والخزرج، وسماهم الله به، وقرأ الأعرج وعيسى وأبو عمرو والحرميان: أنصارًا لله بالتنوين؛ والحسن والجحدري وباقي السبعة: بالإضافة إلى الله، والظاهر أن كما في موضع نصب على إضمار، أي قلنا لكم ذلك كما قال عيسى. وقال مكي: نعت لمصدر محذوف، والتقدير: كونوا كونًا. وقيل: نعت لأنصارًا، أي كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار عيسى حين قال: (من أنصاري إلى الله). والحواريون اثنا عشر رجلاً، وهم أول من آمن بعيسى، بثهم عيسى في الآفاق، بعث بطرس وبولس إلى رومية، وأندارس ومتى إلى الأرض التي يأكل أهلها الناس، وبوقاس إلى أرض بابل، وفيليس إلى قرطاجنة وهي إفريقية، ويحنس إلى أقسوس قرية أصحاب الكهف، ويعقوبين إلى =

ويعقوب والكوفيون: «أنصار الله» على الإضافة بلا تنوين، ويقفون على الراء ساكنة لا غير إذا وقفوا، ويبتدئون الله إذا ابتدأوا بهمزة الوصل، والمعنى عليه: كونوا الأنصار الذي أنزل في التوراة والإنجيل ذكرهم؛ أي: كونوا أولئك المذكورين، والباقون بالتنوين ولام تخبير، وإذا أوقفوا فبألف بعد الراء، وإذا ابتدأوا قالوا: لله بلام الخبر المكسورة ﴿**كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي**﴾ متوجهًا ﴿**إِلَى اللهِ**﴾ إلى نصرة دينه وشرعه ﴿**قَالَ الْحَوَارِيُّونَ**﴾ وكانوا اثنا عشر: ﴿**نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ بعيسى ابن مريم ﴿**وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ**﴾ بقولهم: هو ابن الله رفعه إليه فاقتتلت الطائفتان ﴿**فَأَيَّدْنَا**﴾ قوّينا ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ من الطائفتين ﴿**عَلَى عَدُوِّهِمْ**﴾ وهي الطائفة الكافرة ﴿**فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ**﴾ عاليين غالبين.

=

بيت المقدس، وابن بليمن إلى أرض الحجاز وتستمر إلى أرض البربر وما حولها، وفي بعض أسمائهم إشكال من جهة الضبط، فليلتمس ذلك من مظانه. انظر [تفسير البحر المحيط (10 / 270)].

سورة الجمعة

مدنية إحدى عشر آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ (١) هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٢) وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٣) ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ (٤) مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٥)﴾ [الجمعة: ١ - ٥].

﴿يُسَبِّحُ لِلهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ﴾ [الجمعة: 1 - 2] وهم العرب؛ لأنهم أميون لا قراءة لهم ولا كتابة، نسبة إلى الأم؛ لأنهم على حالهم عند نزولهم من بطنها ﴿رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ نسبًا وهو محمد ﷺ ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ القرآن ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ بالطهارة من الشرك ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾[1] القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ العمل بالعلم ﴿وَإِنْ﴾ أي: وإنهم ﴿كَانُوا مِنْ قَبْلُ﴾ أي:

---

(1) (الملك القدوس العزيز الحكيم) قرأ الجمهور بالجرّ في هذه الصفات الأربع على أنها نعت لـ (لله)، وقيل: على البدل، والأوّل أولى. وقرأ أبو وائل بن محارب، وأبو العالية، ونصر بن عاصم، ورؤبة بالرفع على إضمار مبتدأ، وقرأ الجمهور: (القدوس) بضم القاف، وقرأ زيد بن علي بفتحها، وقد تقدم تفسيره. ﴿هُوَ الذى بَعَثَ فِى الأميين رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾ المراد بالأميين: العرب، من كان يحسن الكتابة منهم ومن لا يحسنها؛ لأنهم لم يكونوا أهل كتاب، والأميّ في الأصل: الذي لا يكتب ولا يقرأ المكتوب، وكان غالب العرب كذلك، وقد مضى بيان معنى الأميّ في سورة البقرة، ومعنى ﴿مِنْهُمْ﴾ من أنفسهم، ومن جنسهم، ومن جملتهم، وما كان حيّ من أحياء العرب إلاّ ولرسول الله ﷺ فيهم قرابة، ووجه الامتنان بكونه منهم أن ذلك أقرب إلى الموافقة؛ لأن الجنس أميل إلى جنسه وأقرب إليه ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءاياته﴾ يعني: القرآن مع كونه أميًا لا يقرأ =

قبل مجيئه ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ بيّن ظاهر.

﴿وَآخَرِينَ﴾ [الجمعة: 3] أي: وبعث محمد ﷺ في آخرين ﴿مِنْهُمْ﴾ أي: من المؤمنين؛ أي: آخرين اثنين من المؤمنين بعد الموجودين ﴿لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ في السابقة والفضل؛ لأن الصحابة أفضل شأنًا ممن بعدهم، وهل المراد بالآخرين العجم والتابعين؟ أو جمع من آمن بعد الصحابة إلى يوم القيامة؟ أقوال: الستة تشهد للأول، والآخر أعم ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ * مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ﴾ [الجمعة: 4 - 5] كلفوا العمل بها ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ يعملوا بما فيها ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ كتبًا من العلم، جمع سفر، فهم مثلهم في عدم الانتفاع بأبلغ نافع ﴿بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ﴾ هذا المثل ﴿وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين نزلت فيمن علم عدم إيمانه.

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ

=

ولا يكتب، ولا تعلم ذلك من أحد، والجملة صفة لـ (رسولاً)، وكذا قوله: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ قال ابن جريج ومقاتل: أي: يطهرهم من دنس الكفر والذنوب، وقال السديّ: يأخذ زكاة أموالهم، وقيل: يجعلهم أزكياء القلوب بالإيمان (وَيُعَلِّمُهُمُ الكتاب والحكمة) هذه صفة ثالثة لـ (رسولاً)، والمراد بالكتاب: القرآن، وبالحكمة: السنة، كذا قال الحسن. وقيل: الكتاب: الخط بالقلم، والحكمة: الفقه في الدين، كذا قال مالك بن أنس ﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضلال مُّبِينٍ﴾ أي: وإن كانوا من قبل بعثته فيهم في شرك وذهاب عن الحق. ﴿وَءاخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ معطوف على الأميين أي: بعث في الأميين، وبعث في آخرين منهم ﴿لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ﴾ ذلك الوقت، وسيلحقون بهم من بعد، أو هو معطوف على المفعول الأوّل في (يعلمهم)، أي: ويعلم آخرين، أو على مفعول (يزكيهم)، أي: يزكيهم ويزكي آخرين منهم، والمراد بالآخرين: من جاء بعد الصحابة إلى يوم القيامة، وقيل: المراد بهم من أسلم من غير العرب. انظر [فتح القدير (7 /219)].

مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الجمعة: ٦ - ٩].

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الجمعة: 6] في زعمكم ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [الجمعة: 7] من الكفر ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الجمعة: 8] السر والعلانية ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ﴾ [الجمعة: 9] بمعنى في ﴿يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا﴾ امضوا ﴿إِلَى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ اتركوه، والبيع بعد الزوال وغيره من العقود والصنائع مكروهة في حق من تلزمه الجمعة، فإن شرع في الأذان بين يدي الخطيب حرم، فإن فعل صح مع الإثم، وإن أذن قبل جلوس الخطيب على المنبر لم يحرم البيع ولا غيره، ومن سمع النداء فقام بقصد الجمعة وباع في طريقه أو جلس في المسجد وباع صح بلا حرمة،ويكره ؛لأن التبايع في المسجد مكروه، ولو باع أهل الجمعة غيره أثم الآخر ولو تبايع اثنان ممن لم تلزمهما لم يكره ﴿ذَلِكُمْ﴾ أي: ترك البيع والمعنى ﴿خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ إنه خير فافعلوه.

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [الجمعة: ١٠ - ١١].

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الجمعة: 10] أمر إباحة ﴿وَابْتَغُوا﴾ اطلبوا الرزق ﴿مِنْ فَضْلِ اللهِ وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ [الجمعة: 10 - 11] أي: إلى التجارة ﴿وَتَرَكُوكَ﴾ في الخطبة ﴿قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللهِ﴾ من الثواب ﴿خَيْرٌ﴾ للذين آمنوا ﴿مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ لو كان هناك رازق سواه، أو هو مجاز لقولهم: كل إنسان يرزق عياله؛ أي: من رزق الله تعالى، ونزلت؛ لأنه ﷺ كان يخطب يوم جمعة فقدمت عير وضربت لقدومها الطبل على العادة فخرج لها الناس من المسجد غير اثنا عشر رجلاً.

سورة المنافقون

مدنية إحدى عشر آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾ [المنافقون: ١ - ٤].

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ [المنافقون: 1] وهم: عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه ﴿قَالُوا﴾ بألسنتهم ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ فيما أضمروه مخالفًا لما قالوه، أو في تسمية ذلك شهادة، أو في عزمهم ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ [المنافقون: 2] سترة عن أموالهم ودمائهم ﴿فَصَدُّوا﴾ بها ﴿عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ أي: عن الجهاد ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿ذَلِكَ﴾ [المنافقون: 3] أي: سوء عملهم ﴿بِأَنَّهُمْ آمَنُوا﴾ باللسان ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بالقلب، أو المراد استمروا على كفرهم ﴿فَطُبِعَ﴾ ختم ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ بالكفر ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الإيمان ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ [المنافقون: 4] لجمالها ﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ لفصاحته ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ في عظم أجسامهم ﴿خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ﴾[1] ممالة

---

(1) مستأنفة لتقرير ما تقدّم من أن أجسامهم تعجب الرائي وتروق الناظر، ويجوز أن تكون في محل رفع على أنها خبر مبتدأ محذوف، شبّهوا في جلوسهم في مجالس رسول الله ﷺ مستندين بها بالخشب المنصوبة المسندة إلى الحائط التي لا تفهم ولا تعلم، وهم كذلك لخلوّهم عن الفهم النافع، والعلم الذي ينتفع به صاحبه، قال الزجاج: وصفهم بتمام الصور، ثم اعلم إنهم في ترك =

للجدار، فهم أشباح بلا أرواح، وأجسام بلا أحلام ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ﴾ تصاح كنداء في عسكر، وإنشاد ضالة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ لما في قلوبهم من الرعب خشية أن ينزل مبيح لدمائهم ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾ لئلا يفشوا سرك بعدوك ﴿قَاتَلَهُمُ اللهُ﴾ لعنهم ﴿أَنَّى﴾ كيف ﴿يُؤْفَكُونَ﴾ يصرفون عن الحق وهو الإيمان بك بعد قيام الحجة.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ (٥) سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٦) هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ (٧) يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٨) ﴾[المنافقون: ٥ - ٨].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا﴾ [المنافقون: 5] معتذرين لرسول الله ﷺ ﴿يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ﴾ ﷺ ﴿لَوَوْا﴾ بتخفيف الواو لنافع وروح، والباقون بالتشديد، والمراد ﴿رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ معرضون عن المصير إلى النبي ﷺ يستغفر لهم ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ﴾ [المنافقون: 6] يا محمد، انفرد الهرواني عن ابن وردان بمد الهمزة ﴿أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ [المنافقون: 7] لأصحابهم من الأنصار ﴿لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ

الفهم والاستبصار بمنزلة الخشب. قرأ الجمهور: «خشب» بضمتين، وقرأ أبو عمرو، والكسائي، وقنبل بإسكان الشين، وبها قرأ البراء بن عازب، واختارها أبو عبيد؛ لأن واحدتها خشبة كبدنة وبدن، واختار القراءة الأولى أبو حاتم. وقرأ سعيد بن جبير، وسعيد بن المسيب بفتحتين، ومعنى ﴿مُسَنَّدَةٌ﴾: أنها أسندت إلى غيرها، من قولهم: أسندت كذا إلى كذا، والتشديد للتكثير. انظر [فتح القدير (226/7)].

عِنْدَ رَسُولِ اللهِ﴾ ﷺ أي: لا تنفقوا على مهاجر ﴿حَتَّى يَنْفَضُّوا﴾[1] يتفرق المهاجرون عنه ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بالرزق، فهو الرازق لهم ولغيرهم ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

﴿يَقُولُونَ﴾ [المنافقون: 8] أي: المنافقون ﴿لَئِنْ رَجَعْنَا﴾ من غزوة بني المصطلق، وهي غزوة المريسيع - اسم - ما كان النصر فيها لرسول الله ﷺ وأصحابه ﴿إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ﴾ يريدون أنفسهم ﴿مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ يريدون المؤمنين ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ﴾ الغلبة ﴿وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: إن الأعز يخرج الأذل، فالعزة لمن ذكر لا لهم فهم المغلوبون المخرجون لا المؤمنون ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن الله معز أوليائه ومذل أعدائه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٩) وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠) وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١١)﴾ [المنافقون: ٩ - ١١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ﴾ [المنافقون: 9] تشغلكم ﴿أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ﴾[2] ومنه الصلوات الخمس ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * وَأَنْفِقُوا﴾ [المنافقون: 9 - 10] في الزكاة ﴿مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ

---

(1) أي: حتى يتفرّقوا عنه، يعنون بذلك فقراء المهاجرين، والجملة مستأنفة جارية مجرى التعليل لفسقهم، أو لعدم مغفرة الله لهم. قرأ الجمهور: «ينفضوا» من الانفضاض، وهو التفرّق، وقرأ الفضل بن عيسى الرقاشي: (ينفضوا) من أنفض القوم: إذا فنيت أزوادهم، يقال: نفض الرجل وعاءه من الزاد فانفضّ. انظر [فتح القدير (7 /227)].

(2) قال البقلي: بيان أن من لم يبلغ درجة التمكين في المعرفة، لا يجوز له الدخول في الدنيا من الأهل والمال، فإنها شواغل قلوب الذاكرين عن ذكر الله، ومَن كان مستقيمًا في المعرفة وقرب المذكور فذكره قائمٌ بذكر الله إياه، وذلك حظُّه بأن جعله محفوظًا من الخطرات المذمومة، والشاغلات المحجبة، والضعفاء لا يخرجون من بحر هموم الدنيا، فإذا باشرت قلوبهم الحظوظ والشهوات لا يكون ذكرهم صافيًا عن كدوريات الخطرات.

الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا﴾ هلا ﴿أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ باجتناب المحارم وأداء الطاعات، ومنها الحج، قال ابن عباس: من حضره الموت ولم يزك ولم يحج سأل الرجعة للدنيا، قرأ أبو عمرو: «وأكون» بالواو ونصب النون، والباقون بالجزم وحذف الواو ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: 11].

سورة التغابن

قيل: مدنية، وقيل: مكية إلا آخرها، ثمان عشرة آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾﴾ [التغابن: ١ - ٥].

﴿يُسَبِّحُ لِله مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ [التغابن: 1 - 2] إذ كتب السعادة والشقاوة في الأزل ﴿والله بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾[1] [التغابن: 2 - 3] بأن جعل شكلكم أحسن من غيركم من المخلوقات، وأعطاكم العقل ولم يعط ذلك غيركم من الحيوانات ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾.

﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [التغابن: 4] القلوب؛ أي: بما فيها من الأسرار ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ [التغابن: 5] يا كفار مكة ﴿نَبَأُ﴾ خبر ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ﴾ عاقبة ﴿أَمْرِهِمْ﴾ كفرهم في الدنيا ﴿وَلَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

---

(1) أي: خلقكم في أحسن صورة. قال الزجاج: خلقكم أحسن الحيوان كله. قرأ الجمهور: (صوركم) بضم الصاد، وقرأ الأعمش، وأبو رزين بكسرها. قال الجوهري: والصور بكسر الصاد لغة في الصور بضمها. انظر [فتح القدير (6 /333)].

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ [التغابن: ٦ - ٩].

﴿ذَلِكَ﴾ [التغابن: 6] إشارة إلى ذوق الوبال، وكون عذاب الآخرة لهم ﴿بِأَنَّهُ﴾ ضمير للشأن ﴿كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الحجج البيّنة على الإيمان ﴿فَقَالُوا أَبَشَرٌ﴾ أريد به الجنس ﴿يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا﴾ عن الإيمان ﴿وَاسْتَغْنَى اللهُ﴾ عنهم ﴿وَاللهُ غَنِيٌّ﴾ عن خلقه ﴿حَمِيدٌ * زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [التغابن: 6 - 7] الزعم يستعمل غالبًا في القول الكاذب ﴿أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾.

﴿فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ﴾ [التغابن: 8] القرآن ﴿الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ﴾ [التغابن: 8 - 9] قرأ يعقوب: «يجمعكم» بالنون، والباقون بالياء ﴿لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ يوم القيامة ﴿ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾[1] يَغْبَن المؤمنين الكافرين بنجاة

---

(1) الغبن كل الغبن ألا يعرف مكان خطابه والطاقة التي ظهرت له في الدنيا والآخرة بلباس القهريات ومكان الامتحان، وربما زاده الحق في أوحش مقام وهو مشغول الرسم، ولم يعرف شرف حاله، فكان مشغولاً عنه برسم الاعتذار والعبودية، فيا رُبَّ صفاء في الكدورة، ويا رُبَّ مكاشفة في المعصية، اكتم يا أخي غيب الحق بستر غيره حتى لا يكون السر ظاهرًا لأهل الرسوم، فيسقطون من إيمانهم، يقع الغبن يوم التغابن لمن كان مشغولاً بالجزاء والعطاء ورؤية الأعواض ورؤية المعصية والطاعة، ومن كان شاهد الحق خرج من وصف الغبن؛ إذ الغبن من أوصاف من كان غائبًا عن مشاهدته، فإذا استغرق في بحار جماله وجلاله لا يبقى عليه فرح الغبن، ولا حزن الفوت، إذ الكل غابن له، وسقط عند ذكر ما مضى وما يستقبل، ولي لسان آخر في التوحيد أن الكل يقع في الغبن، إذا عاينوا الحق بوصفه وهم وجدوه أعظم وأجل مما وجدوا منه في مكاشفتهم في الدنيا، فيكونون مبهوتين متحيرين مغبونين؛ حيث لم يعرفوه حق معرفته، ولم يعبدوه حق عبادته، ولا يعرفون أبدًا حقيقة المعرفة، وأي غبن أعظم من هذا؛ إذ يرونه ولا =

المؤمن، وأخذه منزلة الكافر في الجنة لو آمن ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [التغابن: ١٠ - ١٤].

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [التغابن: 10] ومنها القرآن ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ﴾ [التغابن: 10 - 11] من المصائب في مال، أو روح أو غيرهما، أو ما حدث ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ﴾ أي: الكل بقضائه وإرادته وتمكينه ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ﴾ ومن إيمانه واعتقاده أن المصيبة بقضائه ﴿يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ للصدق والعبر وكل خير ﴿وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [التغابن: 12] محمدًا ﷺ ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ البيّن الظاهر ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: 13 - 14] أن تطيعوهم في ترك خير، نزلت؛ لأن أناسًا آمنوا وأرادوا الغزو فمنعهم أولادهم وأهلهم وأرادوا الجهاد فمنعوهم ﴿وَإِنْ تَعْفُوا﴾ عنهم في تثبيطهم إياكم عن الهجرة والجهاد معتلين بمشقة فراقكم عليهم ﴿وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

=

يصلون إلى وجوده بالحقيقة.

﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [التغابن: ١٥ - ١٨].

﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: 15] لكم شاغلة عن الأمور المتعلقة بالآخرة ﴿وَاللهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ فلا تفوتوه باشتغالكم بما ذكر ﴿فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: 16] هي بمعنى حق تقاته؛ لأن حق التقوى أن تطيعه بقدر طاقتك هذا ما ذهب إليه فرقة منهم: أبو جعفر النحاس ذهبت فرقة إلى أنها ناسخة لقوله: ﴿اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران: 102] ﴿وَاسْمَعُوا﴾ المأمور به سماع قبول ﴿وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا﴾ في الطاعة ﴿خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [التغابن: 17] بالصدقة من حل عن طيب قلب ﴿يُضَاعِفْهُ لَكُمْ﴾ إمَّا العشر أو سبعمائة ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ شَكُورٌ﴾ يجازي على القليل بالكثير ﴿حَلِيمٌ * عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [التغابن: 17 - 18].

سورة الطلاق

مدنية إحدى أو اثنتا عشرة آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾ [الطلاق: ١ - ٣].

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ [الطلاق: 1] قل لأمتك ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ أردتم طلاقهن ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾[1] لا في حيض، ولا في طهر ممسوسة لم يتبيّن حملها بأن يكون

---

(1) فيها مسائل: المسألة الأولى: طلق رسول الله ﷺ حفصة، فلما أتت أهلها، نزلت الآية. وقيل له: راجعها، فإنها صوامة. وهي من أزواجك في الجنة، والخطاب لرسول الله ﷺ، وأتى بلفظ الجمع تعظيمًا وتشريفًا. وقيل: الخطاب له. والمراد أمته، والمعنى يا أيها النبي قل لأمتك، إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن، والمراد النساء المدخول لهن إذ لا عدة على غير المدخول بها، لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِن عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾، وقيل: لعدتهن أي في عدتهن، لأن اللام تأتي بمعنى في، قال تعالى: ﴿يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾. أي في حياتي.
المسألة الثانية: قال مالك والشافعي: المعتبر زمان الطهر لأن الأقراء الأطهار، وقال أبو حنيفة: المعتبر زمان الحيض، لأن الأقراء: الحيض وفي الحديث: «فطلقوهن لقبل عدتهن». وقد طلق عبد الله بن عمر زوجته في الحيض فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فتغيظ، ثم قال: «مرة فليراجعلها، ثم يمسك حتى تطهر ثم تحيض ثم تطر، فإن بدا له أن يطلقلها، فليطلقها طاهرًا، قبل أن يمسها».
=

فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء.

المسألة الثالثة: الطلاق سني وبدعي. أما السني، فقال علماؤنا: هو ما اجتمعت فيه سبعة شروط، وهي أن يطلقها واحدة، طاهرًا، وهي ممن تحيض، ولم يمسها، في ذلك الطهر، ولا تقدمه طلاق في حيض، ولا تبعه طلاق، في طهر يتلوه وخلا عن العوض، وهذه الشروط مستقرأة من حديث ابن عمر. وقال الشافعي: طلاق السنة، أن يطلقها في كل طهر خاصة. ولو طلقها ثلاثًا في طهر لم يكن بدعيًا، وقال أبو حنيفة: طلاق السنة: أن يطلقها في كل قرء طلقة، وقوله ﴿**وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ**﴾ أي احفظوها والإشارة إلى قوله تعالى: ﴿**وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ**﴾. والأمر بالإحصاء خاص بالأزواج، وقيل: خاص بالزوجات، وقيل: للمسلمين.

فائدة: أسباب العدة أربعة: الطلاق، والفسخ، والوفاة، وانتقال المالك، فالوفاة والطلاق مذكوران في القرآن، والفسخ محمول على الطلاق، والاستبراء مذكور في السنة وسمي الاستبراء عدة، لأنه يقع في مدة ذات عدد، وفروع ذلك مذكورة في كتب الفروع.

وقوله: ﴿**لاَ تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلاَ يَخْرُجْنَ**﴾. جعل الله للمطلقة السكنى فرضًا لازمًا، وحقًا واجبًا، وفيه حق الله تعالى لا يجوز إمساكه عنها، ولا يجوز لها إسقاطه عن الزوج.

وقوله: ﴿**لاَ تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلاَ يَخْرُجْنَ**﴾. المراد إضافتهن إلى البيوت، بمعنى الإسكان، فإن الزوج لا يجوز له إخراج المطلقة في زمن عدتها من بيت سكناها، ولا يجوز لها أن تخرج منه.

تنبيه: ذكر الله تعالى الإخراج، والخروج، ومنع من ذلك، لكن جاء في مسلم عن جابر أن خالته أذن لها رسول الله ﷺ بجذاذ نخلها، وفي الصحيحين أن فاطمة بنت قيس طلقها زوجها بآخر الثلاث، فقال لها رسول الله ﷺ: «لا نفقة لك، ولا سكنى»، وفي مسلم: «أن فاطمة قالت لرسول الله ﷺ: إني أخلف أن يقتحم علي، فقال لها: اخرجي». وفي البخاري: «إن عائشة قالت كانت فاطمة في مكان وحش فخيف عليها». وفي الصحيح: «إن عمر قال في حديث فاطمة بنت قيس لا ندع كتاب ربنا ولا سنة نبينا. لقول امرأة لا ندري أحفظت أم نسيت؟» وقد أنكره عمر متمسكًا بالقرآن، فإنه تعالى يقول: ﴿**أَسْكِنُوهُنَّ**﴾. وهو عموم في كل مطلقة، وقد ردته عائشة بعلة التوحش، ورأت أن الخروج لعذر يجوز، وفي الصحيح: «إن فاطمة قالت: بيني وبينكم كتاب الله. قال تعالى: ﴿**لاَ تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا**﴾. فأي أمر يحدث بعد الثلاث، فبينت أن التحريم ليس في الإخراج والخروج. إنما في الرجعة. قال القاضي أبو بكر: ظهر من هذا أن لزوم البيت للمعتدة شرع لازم، وأن الخروج لأجل حاجة المعاش وخوف عورة المسكن جائز بالسنة.

تفريع: أما الخروج للتوحش والإذاية وطلب المعاش، فيكون انتقالاً محضًا، وأما الخروج للتصرف في الحاجات، فيكون نهارًا لا ليلاً، إذ لا سبيل لها إلى المبيت عن منزلها، وإنما بالأسحار، وترجع قبل نزول فحمه الليل، قال مالك: ولا تخرج دائمًا، وإنما تخرج إن احتاجت إلى الخروج، وإنما تخرج في العدة كما تخرج في النكاح، لكن النكاح يتوقف الخروج فيه على إذن الزوج، والعدة يتوقف الخروج فيها على إذن الله تعالى، وإذنه إنما هو بسبب الحاجة.

الطلاق لأول العدة في طهر لم يمس فيه كذا فسره ﷺ ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ احفظوها ليراجع من أراد قبل فراغها ﴿وَاتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ منها إلى انقضاء العدة ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ فيخرجن لإقامة الحد عليهن ﴿وَتِلْكَ﴾ المذكورات ﴿حُدُودُ اللهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الطلاق ﴿أَمْرًا﴾ مراجعة فيما قبل الثلاث، أو عودًا بعدها.

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ [الطلاق: 2] قاربن انقضاء العدة ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ بالرجعة ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ بلا إضرار ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ اتركوهن حتى تنقضي العدة ولا تضاروهن بالمراجعة ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ على الرجعة أو على الفراق ندبًا ﴿وَأَقِيمُوا﴾ أخلصوا ﴿الشَّهَادَةَ لِله ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ من كرب الدنيا والآخرة.

﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: 3] يخطر بباله ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾ في أموره ﴿فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[1] كافيه ﴿إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾ مراده، قرأ حفص بغير تنوين، وأمره بالخفض، والباقون بالتنوين والنصب ﴿قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ كرخاء وشدة ﴿قَدْرًا﴾ ميقاتًا.

﴿ وَٱلَّـٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَـٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّـٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَـٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ

=

المسألة الرابعة: قوله تعالى: ﴿إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾. الفاحشة، هنا الزنا، وقيل: إنها كل معصية، واختاره الطبري. وقال ابن عمر: هي الخروج من المنزل. وقوله: ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾. قال المفسرون: الأمر هنا: الرغبة في الرجعة، ودلت الآية على طلاق الواحدة. وعلى النهي عن الثلاث، لأن فيه إضرارًا على المطلق إذ لا يجد سبيلاً إلى الرجعة.

(1) هذه الآية الشريفة جامعة لأنواع التوكُّل، وأضاف الحاجات؛ فإن اسم الله تعالى جامع لمراتب الأسماء التي لا يتجاوزها حاجات الناس مع اختلاف مراتبهم، وتفاوت طبقاتهم، فمن ذكر كان أو أنثى، عبدًا كان أو سيدًا يتوكَّل على الله الرزَّاق في أمر الرزق؛ فهو حسبه فيه.

أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖۖ وَإِن تَعَاسَرۡتُمۡ فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ أُخۡرَىٰ ﴿٦﴾ ﴾[الطلاق: ٤ - ٦].

﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ﴾ [الطلاق: 4] أي: الحيض ﴿مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾ شككتم في مدتهن ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ﴾ كذلك عدتهن ثلاثة أشهر، وهم الصغار هذا في غير المتوفى عنها زوجها، فإن مات الزوج فالعدة أربعة أشهر وعشرًا ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ﴾ انقضاء عدتهن ولو متوفى عنهن ﴿أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ في الدنيا والآخرة.

﴿ذَلِكَ﴾ [الطلاق: 5] المذكور ﴿أَمْرُ اللهِ﴾ حمله ﴿أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا * أَسْكِنُوهُنَّ﴾ [الطلاق: 5 - 6] أي: المطلقات ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ﴾ أي: بعض مساكنكم ﴿مِنْ وُجْدِكُمْ﴾ سعتكم ﴿وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ المساكن فيحتجن إلى الخروج، أو للنفقة فيفتدين منكم، ومقتضى الآية اعتبار حال الزوج به وما يليق، ولعله - والله أعلم - للجري على العادة الغالبة في أن الشخص يتزوج من تناسبه في الرفعة والضِّعة ﴿وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ ولهن الكسوة أيضًا، وذلك لهن لا للحمل ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾ أولادكم منهن ﴿فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ على الإرضاع إن طلبن أجرة، ولو تبرع غير الأم وتبرعت فالأم أحق، أو طلبت أجرة فالمتبرعة مقدمة، كما لو طلبت زيادة على ما رضي به غيرها فإن طلبتا بالسوية فالأم ﴿وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ﴾ وبينهم ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ بجميل بالتوافق على أجرة معلومة ﴿وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ﴾ ثم تضايقتم ﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُ﴾ للأب مرضعة ﴿أُخْرَى﴾ ولا يكره الأب على وزن الأجرة، ولا الأم على الإرضاع إلا إذا لم يوجد غيرها فترضع كرهًا.

﴿ لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا ﴿٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ عَتَتۡ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبۡنَٰهَا حِسَابٗا شَدِيدٗا وَعَذَّبۡنَٰهَا عَذَابٗا نُّكۡرٗا ﴿٨﴾ فَذَاقَتۡ وَبَالَ أَمۡرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمۡرِهَا خُسۡرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ قَدۡ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكُمۡ ذِكۡرٗا ﴿١٠﴾ رَّسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ

ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: ٧ - ١٢].

﴿لِيُنْفِقْ﴾ [الطلاق: 7] على المطلقات والمرضعات والزوجات ﴿ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ﴾ ضيق ﴿عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللهُ﴾ مما أعطاه ربه على قدر حاله ﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ في حق كل ذي عسر، وقد جعله بالفتوح.

﴿وَكَأَيِّنْ﴾ [الطلاق: 8] بمعنى كم ﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾ أي: وكثير من القرى ﴿عَتَتْ﴾ عصت أي: عصى أهلها ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا﴾ في الآخرة ﴿حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا﴾ فيها عذاب نكرًا قطيعًا في الآخرة ﴿عَذَابًا نُكْرًا﴾ فظيعًا في الآخرة.

﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ﴾ [الطلاق: 9] عقوبة ﴿أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ خسارًا وهلاكًا ﴿أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [الطلاق: 10] أصحاب العقول ﴿الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ هو القرآن، وهو الرسول لقوله: ﴿رَسُولًا﴾ [الطلاق: 11] والمعنى أرسلنا رسولاً ﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ بعد نزول ومجيء الرسول ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ من الكفر إلى الإيمان ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللهُ لَهُ رِزْقًا﴾ هو رزق الجنة.

﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: 12] أي: سبع أرضين ﴿يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ﴾ الوحي ﴿بَيْنَهُنَّ﴾ بين السماء والأرض ﴿لِتَعْلَمُوا﴾ متعلق بفعل محذوف تقديره أعلمكم بذلك الخلق والتنزل لتعلموا ﴿أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾.

سورة التحريم

مدنية اثنتا عشرة آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٢ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ۝٣﴾ [التحريم: ١ - ٣].

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي﴾ [التحريم: 1] بتحريم ذلك؛ أي: تطلب ﴿مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ﴾ رضاهن ﴿وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * قَدْ فَرَضَ﴾ [التحريم: 1 - 2] شرع ﴿اللهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾[1] تحليلها بالكفارة المذكورة في المائدة، وإذا قال لزوجته: أنت عليَّ حرام ونوى طلاقها أو ظهارًا حصل، أو أحدهما تخير وثبت ما اختاره، أو قال لزوجته أو أمته ونوى تحريم عينها أو فرجها أو وطئها، أو لم يكن له نية فعليه كفارة يمين، ووجوبها لا يتوقف على الوطء، وإذا قال لأمته: أنت عليَّ حرام ونوى به العتق حصل، وسبب نزول الآية: إنه ﷺ شرب عسلاً عند بعض نسائه فلامه غيرها على ذلك فحرمه على نفسه، أو لأنه ﷺ واقع مارية القبطية في بيت حفصة لغيبتها فلما جاءت شق عليها ذلك؛ لأنه بيتها وعلى فراشها فقال لها: هي حرام عليَّ، وقد كفَّر ﷺ عن ذلك بعتق رقبة، وقيل: لم يُكفِّر؛ لأنه مغفور له ﴿وَاللهُ مَوْلَاكُمْ﴾

---

(1) الظاهر أنه كان حلف على أنه يمتنع من وطء مارية، أو من شرب ذلك العسل، على الخلاف في السبب، وفرض إحالة على آية العقود، ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان. وتحلة: مصدر حلل، كتكرمة من كرم، وليس مصدراً مقيساً، والمقيس: التحليل والتكريم، لأن قياس فعل الصحيح العين غير المهموز هو التفعيل، وأصل هذا تحللة فأدغم. وعن مقاتل: أعتق رقبة في تحريم مارية. وعن الحسن: لم يكفر فدل على أنه لم يكن ثم يمين انظر: [تفسير البحر المحيط (10 / 295)].

ناصركم ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿وَ﴾ [التحريم: 3] اذكر ﴿إِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ﴾ ﷺ ﴿إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ﴾ وهي حفصة - رضي الله عنها - ﴿حَدِيثًا﴾ وهو تحريمه مارية ونهيه عن إخبارها به ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ﴾ حفصة ﴿بِهِ﴾ عائشة - رضي الله عنها - على ظن نفي الحرج ﴿وَأَظْهَرَهُ﴾ ﷺ ﴿اللهُ عَلَيْهِ﴾ أي: أطلعه على المخبر به ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُ﴾ بتخفيف الراء للكسائي، والباقون بالتشديد، والأول حمله على معنى المجازاة؛ لأنه ﷺ طلقها ثم راجعها بأمر جبريل عليه السلام، ومن شدد فالمعنى أنه عرَّفها بعضه ﴿وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ لم يعرفها البعض الآخر؛ أي: لم يخبر به تكرمًا، وعن سفيان الثوري ما زال التغافل شأن الكرام، وقال الحسن ما استقصى كريم قط ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ﴾ ﷺ حفصة نبأت به ﴿قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾.

﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم: ٤ - ٦].

﴿إِنْ تَتُوبَا﴾ [التحريم: 4] خطاب لحفصة وعائشة - رضي الله عنهما - ﴿إِلَى اللهِ﴾ تقبلاً ﴿فَقَدْ صَغَتْ﴾ مالت عن الصواب ﴿قُلُوبُكُمَا﴾ إلى تحريم مارية مع كراهة النبي ﷺ له، وذلك ذنب ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا﴾ تعاونا ﴿عَلَيْهِ﴾ ﷺ فيما يكرهه ﴿فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلَاهُ﴾ ناصره ﴿وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم فيكونون ناصريه ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ المذكور من نصر الله ﴿ظَهِيرٌ﴾ ظهرًا؛ أي: أعوان له في نصره عليكما.

﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ﴾ [التحريم: 5] مقرات بالإسلام ﴿مُؤْمِنَاتٍ﴾ مخلصات ﴿قَانِتَاتٍ﴾ مطيعات ﴿تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ﴾ صائمات أو مهاجرات ﴿ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾ ولم يقع التبديل لعدم وقوع الشرط.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾[1] [التحريم: 6] بالأمر بالطاعة والحمل عليها ﴿نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ﴾ الكفار ﴿وَالْحِجَارَةُ﴾ حجارة الكبريت ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ﴾ هم حرثتها، وهم تسعة عشر ﴿غِلَاظٌ﴾ لا يرحمون العصاة ﴿شِدَادٌ﴾ في القوة والبطش ﴿لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾ أي: لا يعصون أمر الله تعالى ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٨﴾ ﴾ [التحريم: ٧ - ٨].

ويقال للكافرين عند دخول النار: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ﴾ [التحريم: 7] لأنه لا ينفعكم ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ [التحريم: 7 - 8] بضم النون لأبي بكر، والباقون بفتحها، وميزت بألَّا يعاد إلى الذنب، ولا يراد العود إليه، والتوبة بتخفيف يندم وإقلاع وعزم ألَّا عود، ورد ظلامة إن كانت ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ كل مؤمن ليوم القيامة فلا يدخله النار إن مات بلا ذنب أو تائبًا ﴿نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أمامهم ﴿وَ﴾ يكون ﴿بِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ﴾ كلام مستأنف: ﴿رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ للجنة، والمنافق ينطفئ نوره ﴿وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ

---

(1) أي: قدِّسوا أنفسكم وأهاليكم من محبة الدنيا والاشتغال بها، وأقبلوا على الله ببذل المهج، وانصحوا أهاليكم؛ كي يكونوا صالحين بمتابعتكم، فإذا رغبتم في الدنيا فهم يشتغلون بها، فإن زلة الإمام زلة المأمومين. قال سهل: أي: بطاعة الله، واتِّباع السنن. وقال ابن عطاء: بقبول نصح الناصحين.

وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَـٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَـٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ [التحريم: ٩ - ١٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ﴾ [التحريم: 9] بالسيف ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ بالحجة ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ على الفريقين بالانتهار والمقت ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ مصيرهم أو هي ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ﴾ [التحريم: 10] وأهله ﴿وَامْرَأَةَ لُوطٍ﴾ وأهله ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ في أن كل واحدة كانت كافرة، وكانت امرأة نوح تقول عنه: مجنون، وامرأة لوط: تدل على أضيافه بإيقاد النار ليلاً والتدخين نهارًا ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا﴾ أي: نوح ولوط ﴿عَنْهُمَا مِنَ اللهِ﴾ أي: من عذابه ﴿شَيْئًا وَقِيلَ﴾ لهما ﴿ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ من كفار قومهما.

﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ﴾ [التحريم: 11] آسية بنت مزاحم آمنت لما غلب موسى السحرة، فلما بان لفرعون ذلك أوتد يديها ورجليها بأربعة أوتاد وألقاها في السجن وعلى صدرها رحى عظيمة، واستقبل بها الشمس، فكانت إذا انصرف عنها قومه أطلقتها الملائكة ﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ وكشف الله عن بيتها في الجنة حتى رأته فسهل عليها التعذيب، وقيل: فرعون لما أمر بإلقاء الصخرة على صدرها انتزع الله روحها فألقيت على جسد لا روح فيه ﴿وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾ وهو التعذيب، قال الحسن وابن كيسان: رفعت حيَّة فهي تأكل وتشرب فيها ﴿وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين وهم: أهل دين فرعون.

وضرب الله مثلاً للذين آمنوا أيضًا: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ [التحريم: 12] حفظته ﴿فَنَفَخْنَا﴾ أي: خلقنا وأفرغنا ﴿فِيهِ﴾ أي: في الفرج ﴿مِنْ رُوحِنَا﴾ الولد وهي إضافة مملوك لمالك، ومخلوق لخالق نحو: بيت الله، وناقة الله،

وتشبه ذلك بالنفخ؛ لأنه سريان برفق، والمراد نفخ في جيب درعها ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا﴾ شرائعه ﴿وَكُتُبِهِ﴾ قرأ البصريان وحفص بضم الكاف والتاء بلا ألف، والباقون بكسر الكاف وألف بعد التاء ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾[1] المطيعين.

(1) يعني: شرائعه التي شرعها لعباده، وقيل: المراد بالكلمات هنا هو قول جبريل لها: ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ﴾ وقال مقاتل: يعني بالكلمات: عيسى. قرأ الجمهور: «وصدّقت» بالتشديد، وقرأ حمزة الأموي، ويعقوب، وقتادة، وأبو مجلز، وعاصم في رواية عنه بالتخفيف. وقرأ الجمهور: «بكلمات» بالجمع، وقرأ الحسن، ومجاهد، والجحدري: (بكلمة) بالإفراد. وقرأ الجمهور: (وكتابه) بالإفراد، وقرأ أهل البصرة، وحفص: «كتبه» بالجمع، والمراد على قراءة الجمهور: الجنس، فيكون في معنى الجمع، وهي الكتب المنزلة على الأنبياء ﴿وَكَانَتْ مِنَ القانتين﴾ قال قتادة: من القوم المطيعين لربهم. وقال عطاء: من المصلين، كانت تصلي بين المغرب والعشاء، ويجوز أن يراد بالقانتين: رهطها وعشيرتها الذين كانت منهم، وكانوا مطيعين أهل بيت صلاح وطاعة، وقال: «من القانتين» ولم يقل «من القانتات»؛ لتغليب الذكور على الإناث. انظر [فتح القدير (7/ 260)].

سورة الملك

مكية ثلاثون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ① الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ② الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ③ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ④ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ⑤﴾[الملك: ١ - ٥].

﴿تَبَارَكَ﴾ [الملك: 1] تعاظم من البركة، أو تنزه عن صفات الحدثان ﴿الَّذِي بِيَدِهِ﴾ في تصرفه ﴿الْمُلْكُ﴾ السلطان والقدرة ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ﴾ [الملك: 1 - 2] قدر ﴿الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ هما معنيان يتعاقبان جسم الحيوان يرتفع أحدهما بحلول الآخر، وهل المعنى خلق الموت في الدنيا والحياة في الآخرة؟ أو هما في الدنيا فالنطفة تعرض لها الحياة بعد موتها؟ قولان ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ لنختبركم في الحياة ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أطوع لله ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾

﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ [الملك: 3] طبقًا فوق طبق بلا مماسة ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾ قرأ حمزة والكسائي: «تفوّت» بتشديد الواو بلا ألف. والباقون بالألف والتخفيف؛ أي: من اختلاف واضطراب ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ﴾ أعده في السماء ﴿هَلْ تَرَى﴾ فيها ﴿مِنْ فُطُورٍ﴾[1] صدوع وشقوق ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾

---

(1) يقال: فطره فانفطر أي شقه فانشق والمعنى من شقوق وصدوع لامتناع خرقها والتئامها قاله القاشاني، ولو كان لها فروج لفاتت المنافع التى رتبت لها النجوم المفرقة في طبقاتها أو بعضها أو كمالها كما في المناسبات فإذا لم ير في السماء فطور وهى مخلوقة فالخالق اشد امتناعا من خواص الجسمانيات.

[الملك: 4] مرة بعد مرة ﴿يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ﴾ إليك ﴿خَاسِئًا﴾ صاغرًا ذليلاً ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ كليل منقطع ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾ [الملك: 5] القربى للأرض ﴿بِمَصَابِيحَ﴾ كواكب ونجوم، واحدها: مصباح، وكوكب، ونجم ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا﴾ أي: مراجم ﴿لِلشَّيَاطِينِ﴾ إذا استرقوا السمع بأن ينفصل شهاب عن الكوكب كالقبس يؤخذ من النار فيقتل الجن ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ النار المسعرة؛ أي: الموقدة.

﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٦) إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ (٧) تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨) قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ (٩) وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠) ﴾ [الملك: ٦ - ١٠].

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الملك: 6] هي ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا﴾ [الملك: 7] صوتًا منكرًا كصوت الحمار ﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾ غليان ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ﴾ [الملك: 8] تنقطع ﴿مِنَ الْغَيْظِ﴾ على الكفار ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ﴾ جمع ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ توبيخًا لهم ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ رسول من الله ينذركم عذابه.

﴿قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الملك: 9] فتقول الملائكة لهم، أو يقول الكفار لبعضهم: ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ * وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾ [الملك: 9 - 10] سماع فهم ﴿أَوْ نَعْقِلُ﴾ عقل فكر ﴿مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾.

﴿ فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ (١١) إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (١٢) وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٣) أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤) هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (١٥) ﴾ [الملك: ١١ - ١٥].

﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ﴾ [الملك: 11] حيث لا ينفعهم ﴿فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ أي: بغضًا لهم عن رحمة الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ﴾ [الملك: 12] يخافون ﴿رَبَّهُمْ

بِالْغَيْبِ﴾ عن أعين الناس فلا يعصونه سرًا، ففي العلانية أولى ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ هو الجنة ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ﴾ [الملك: 13] تعالى ﴿عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما فيها، نزلت لقول الكفار: من أسر لا يسمعه إله محمد.

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ [الملك: 14] حالكم، ومنه أسراركم ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ المعنى لا يكون ذلك ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا﴾ [الملك: 15] سهلة للمشي فيها ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ جوانبها ﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ المأمور بالأكل منه وهو الحلال ﴿وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ من القبور للجزاء.

﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الملك: ١٦ - ٢١].

﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: 16] سلطانه وقدرته ﴿أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ تتحرك بأهلها ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ [الملك: 17] ريحًا ذات حجارة تحصبكم ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ عند معاينة العذاب ﴿كَيْفَ نَذِيرِ﴾[1] إنذاري؛ أي: تعلمون أنه حق.

---

(1) أي: حجارة من السماء، كما أرسلها على قوم لوط وأصحاب الفيل، وقيل: سحاب فيها حجارة، وقيل: ريح فيها حجارة ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ أي: إنذاري إذا عاينتم العذاب، ولا ينفعكم هذا العلم، وقيل: النذير هنا محمد، قاله عطاء، والضحاك. والمعنى: ستعلمون رسولي وصدقه، والأول أولى، والكلام في: ﴿أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حاصبا﴾ كالكلام في: ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأرض﴾ فهو: إما بدل اشتمال، أو بتقدير من ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الذين مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: الذين قبل كفار مكة من كفار الأمم الماضية. كقوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم لوط، وأصحاب الأيكة، وأصحاب الرس، وقوم فرعون. فتح القدير (7 /268).

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الملك: 18] من الأمم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ إنكاري عليهم بالعذاب؛ أي: أنه حق ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ [الملك: 19] ينظروا ﴿إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ﴾ في الهواء ﴿صَافَّاتٍ﴾ تصف أجنحتها في الهواء ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ أجنحتها بعد بسطها ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ عند الوقوع في حال القبض والبسط ﴿إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾ بقدرته ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ فإذا رأوا ذلك علموا أن القادر عليه قادر عليهم.

﴿أَمْ﴾ [الملك: 20] استفهام إنكار ﴿مَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ﴾ أعوان ﴿لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ﴾ أي: غيره؛ أي: يدفع عنكم عذابه، والمعنى لا ناصر لكم ﴿إِنِ﴾ ما ﴿الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ من الشيطان يغرهم بأن العذاب لا ينزل بهم ﴿أَمْ مَنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾ [الملك: 21] وهو المطر عنكم؛ أي: لا رازق لكم غيره ﴿بَلْ لَجُّوا﴾ تمادوا ﴿فِي عُتُوٍّ﴾ تكبر ﴿وَنُفُورٍ﴾ تباعد عن الحق.

﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الملك: ٢٢ - ٣٠]

﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا﴾ [الملك: 22] واقعًا ﴿عَلَى وَجْهِهِ﴾ أي: راكبًا رأسه في الضلال وهو الكافر ﴿أَهْدَى أَمْ مَنْ يَمْشِي سَوِيًّا﴾ معتدلاً ﴿عَلَى صِرَاطٍ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ وهو المؤمن، والمراد إن المؤمن هو الذي على هدى ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي

﴿أَنْشَأَكُمْ﴾ [الملك: 23] خلقكم ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ القلوب ﴿قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ إخبار بقلة شكرهم جدًا على نعمة الله تعالى.

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ﴾ [الملك: 24] خلقكم ﴿فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ للجزاء ﴿وَيَقُولُونَ﴾ [الملك: 25] أي: الكفار للمؤمنين ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ بالحشر ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ﴾ [الملك: 26] بتعيين وقت مجيئه ﴿عِنْدَ اللهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ بيّن الإنذار ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ [الملك: 27] يعني: العذاب في الآخرة، وقال مجاهد: يعني العذاب ببدر ﴿زُلْفَةً﴾ قريبًا ﴿سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: اسودت ﴿وَقِيلَ﴾ أي: قال لهم الخزنة: ﴿هَذَا﴾ العذاب ﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ﴾ بإنذاره ﴿تَدَّعُونَ﴾ أي: تتدعوه وتتمنوه أن يعجل لكم، أو تدعون إنكم لا تبعثون، قرأ يعقوب بإسكان الدال مخففة، ومعناه الاستعجال، والباقون بفتحها مشددة على وزن تفتعلون؛ أي: تتداعون أمره بينكم.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللهُ وَمَنْ مَعِيَ﴾ [الملك: 28] من المؤمنين بعذابه على وفق قصدكم ﴿أَوْ رَحِمَنَا﴾ برحمته فلم يعذبنا ﴿فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ المعنى: إنه لا مجير لهم ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ﴾ [الملك: 29] عند معاينة العذاب بياء من أسفل للكسائي، والباقون بالتاء للخطاب ﴿مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ بيّن أنحن أم أنتم على قراءة الخطاب، أو هم على قراءة الغيب.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾ [الملك: 30] غائرًا ذاهبًا في الأرض لا تناله الأيدي والدلاء ﴿فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾[1] ظاهر تراه العيون وتناله الأيدي والدلاء؛

(1) أي: ظاهر تراه العيون وتناله الدلاء، وقيل: هو من معن الماء، أي: كثر. وقال قتادة، والضحاك: أي: جار، وقد تقدّم معنى المعين في سورة المؤمن. وقرأ ابن عباس «فمن يأتيكم بماء عذب»، وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس في قوله: ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً﴾ قال: داخلاً في الأرض ﴿فَمَن يَأْتِيكُمْ بِمَاء مَّعِينٍ﴾ قال: الجاري. وأخرج ابن المنذر عنه: ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً﴾ قال: يرجع في الأرض، وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه أيضًا: ﴿بِمَاء مَّعِينٍ﴾ =

أي: لا يأتي به إلا الله فكيف ينكرون أن يبعثكم، وسن للقارئ أن يقول عقب معين: الله رب العالمين، كما ورد في الحديث، وقرئت هذه الآية عند بعض المتجبرين فقال: يأتي به الفؤوس والمعاول فذهب ماء عينيه وعمي، وقريب منه ما وقع لمن مشي مع قوم لطلب العلم فقال: تأدبوا مع الملائكة الذين يصفون أجنحتهم لطالب العلم، وكان بعضهم يمشي بقبقاب فقال استهزاء: أرفع رجلي لئلا أكسر جناح ملك فشلت رجله فورًا نسأل الله السلامة، ونعوذ به من الجرأة على آياته.

قال: ظاهر. وأخرج عبد بن حميد عنه أيضًا: ﴿بِمَاء مَّعِينٍ﴾ قال: عذب. فتح القدير (7 /272).

سورة نون

ويقال لها سورة القلم

مكية اثنان وخمسون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ (١) مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ (٢) وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ (٣) وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ (٤) فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ (٥) بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ (٦) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ (٧) فَلَا تُطِعِ ٱلۡمُكَذِّبِينَ (٨) وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ (٩) وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ (١٠) هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ (١١) مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ (١٣) أَن كَانَ ذَا مَالٖ وَبَنِينَ (١٤) إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ (١٥)﴾ [القلم: ١ - ١٥].

﴿ن﴾ [القلم: 1] هل هو اسم للحوت الذي على ظهره الأرض، أو اسم للدواة، أو قسم؟ أقوال: **أشهرها:** الأول ﴿وَالْقَلَمِ﴾ الذي كتبت به الكائنات في اللوح المحفوظ ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ أي: الملائكة من أعمال بني آدم.

﴿مَا أَنْتَ﴾ [القلم: 2] يا محمد ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾[1] أي: انتفى عنك

---

(1) ﴿ن﴾: حرف من حروف المعجم، نحو ص وق، وهو غير معرب كبعض الحروف التي جاءت مع غيرها مهملة من العوامل والحكم على موضعها بالإعراب تخرص، وما يروى عن ابن عباس ومجاهد: أنه اسم الحوت الأعظم الذي عليه الأرضون السبع. وعن ابن عباس أيضًا والحسن وقتادة والضحاك: أنه اسم الدواة. وعن معاوية بن قرة: يرفعه أنه لوح من نور. وعن ابن عباس أيضاً: أنه آخر حرف من حروف الرحمن. وعن جعفر الصادق: أنه نهر من أنهار الجنة، لعله لا يصح شيء من ذلك. وقال أبو نصر عبد الرحيم القشيري في تفسيره: ن حرف من حروف المعجم، فلو كان كلمة تامة أعرب كما أعرب القلم، فهو إذن حرف هجاء كما في سائر مفاتيح =

الجنون بسبب إنعام ربك عليك ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ [القلم: 3] منقوص ولا مقطوع ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ﴾ [القلم: 4] دين ﴿عَظِيمٍ﴾ وهو الإسلام وآداب القرآن ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾ [القلم: 5] أي: كفار مكة ﴿بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ [القلم: 6] عند نزول العذاب ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القلم: 7] أي: عالم بهم ﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [القلم: 8] مشركي مكة في دعائهم لك لدينهم ﴿وَدُّوا﴾ [القلم: 9] تمنوا ﴿لَوْ تُدْهِنُ﴾ تلين لهم ﴿فَيُدْهِنُونَ﴾

﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ﴾ [القلم: 10] كثير الحلف بالباطل ﴿مَهِينٍ﴾ حقير ﴿هَمَّازٍ﴾ [القلم: 11] غيَّاب بالغيبة ﴿مَشَّاءٍ﴾ ساعٍ ﴿بِنَمِيمٍ﴾ بالكلام بين الناس للإفساد

= السور. ومن قال إنه اسم الدواة أو الحوت وزعم أنه مقسم به كالقلم، فإن كان علمًا فينبغي أن يجر، فإن كان مؤنثًا منع الصرف، أو مذكرًا صرف، وإن كان جنسًا أعرب، ونون وليس فيه شيء من ذلك فضعف القول به. وقال ابن عطية: إذا كان اسمًا للدواة، فإما أن يكون لغة لبعض العرب، أو لفظة أعجمية عربت، فمن جعله البهموت، جعل القلم هو الذي خلقه الله وأمره بكتب الكائنات، وجعل الضمير في «يسطرون» للملائكة، ومن قال: هو اسم، جعله القلم المتعارف بأيدي الناس؛ نص على ذلك ابن عباس وجعل الضمير في «يسطرون» للناس، فجاء القسم على هذا المجموع أمر الكتاب الذي هو قوام للعلوم وأمور الدنيا والآخرة، فإن القلم أخو اللسان ونعمة من الله عامة. وقرأ الجمهور: ﴿ن﴾ بسكون النون وإدغامها في واو «والقلم» بغنة وقوم بغير غنة، وأظهرها حمزة وأبو عمرو وابن كثير وقالون وحفص. وقرأ ابن عباس وابن أبي إسحاق والحسن وأبو السمال: بكسر النون لالتقاء الساكنين؛ وسعيد بن جبير وعيسى: بخلاف عنه بفتحها، فاحتمل أن تكون حركة إعراب، وهو اسم للسورة أقسم به وحذف حرف الجر، فانتصب ومنع الصرف للعلمية والتأنيث، ويكون «والقلم» معطوفاً عليه، واحتمل أن يكون لالتقاء الساكنين، وأوثر الفتح تخفيفًا كأين، وما يحتمل أن تكون موصولة ومصدرية، والضمير في «يسطرون» عائد على الكتاب لدلالة القلم عليهم، فإما أن يراد بهم الحفظة، وإما أن يراد كل كاتب. وقال الزمخشري: ويجوز أن يراد بالقلم أصحابه، فيكون الضمير في «يسطرون» لهم، كأنه قيل: وأصحاب القلم ومسطوراتهم أو وتسطيرهم. فيكون كقوله: (كظلمات في بحر لجي) أي: وكذي ظلمات، ولهذا عاد عليه الضمير في قوله: (يغشاه موج) وجواب القسم: (ما أنت بنعمة ربك بمجنون). ويظهر أن (بنعمة ربك) قسم اعترض به بين المحكوم عليه والحكم على سبيل التوكيد والتشديد والمبالغة في انتفاء الوصف الذميم عنه ﷺ انظر [تفسير البحر المحيط (10/ 311)].

بينهم ﴿مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ﴾ [القلم: 12] بخلاً بالمال عن الحقوق الواجبة ﴿مُعْتَدٍ﴾ ظالم ﴿أَثِيمٍ﴾ فاجر.

﴿عُتُلٍّ﴾ [القلم: 13] هو الفاحش السيئ الخلق ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ مع ذلك ﴿زَنِيمٍ﴾ في نسبه أي: ملصق بقريش، وليس منهم، أو هو الذي له زنمة كزنمة الشاة في عنقه، وهو الوليد بن المغيرة ادعاها أبوه بعد ثماني عشرة سنة، ولا يعلم أحد وصف بما وصف به ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ [القلم: 14] أي: لأن كان صاحبهما ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾ [القلم: 15] القرآن ﴿قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أكاذيبهم.

﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ (١٦) إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلَا يَسْتَثْنُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ (٢١) أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ (٢٢) فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ (٢٣) أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ (٢٤) وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ (٢٥) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧)﴾ [القلم: ١٦ - ٢٧].

﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ [القلم: 16] الأنف بأن يسود وجهه، أو المراد ستحطم بالسيف أنفه، وفعل به ذلك يوم بدر ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ﴾ [القلم: 17] اختبرناهم اختبار محنة ﴿كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ من نخل وزرع، إذ أخبرهم الله بأن يحضروا المساكين عند الجذاذ والحصاد ليتصدقوا عليهم فأبوا ذلك فتواعدوا للصرام قبل علم الناس وخروجهم، ولم يستثنوا أي: لم يقولوا إن شاء الله فذلك قوله: ﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا﴾ يقطعون ثمرتها ﴿مُصْبِحِينَ﴾ وقت الصباح ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ [القلم: 18] أي: وشأنهم عدم قولهم: إن شاء الله.

﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ﴾ [القلم: 19] عذاب ﴿رَبِّكَ﴾ نار فأحرقتها ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ [القلم: 20] كالليل المظلم الأسود ليس فيها شيء ﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ﴾ [القلم: 21] نادى بعضهم بعضًا لما أصبحوا ﴿أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ﴾ [القلم: 22] غلتكم من زرع وثمر ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ﴾ مريدين القطع.

﴿فَانْطَلَقُوا﴾ [القلم: 23] إليها ﴿وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ﴾ يتكلمون سرًا ﴿أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا

﴿الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ﴾ [القلم: 24] هو تفسير للتخافت ﴿وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ﴾ [القلم: 25] منع للفقراء وغضب ﴿قَادِرِينَ﴾ عليه في ظنهم ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾ [القلم: 26] سودًا محترقة ﴿قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ﴾ عنها لم نعلم مكانها، ثم لما علموا أنها هي قالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ [القلم: 27] ما فيها من الخير لمنع الفقراء.

﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [القلم: ٢٨ - ٤٠].

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ [القلم: 28] خيرهم ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا﴾ هلا ﴿تُسَبِّحُونَ﴾ الله تائبين ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [القلم: 29] بمنع الفقراء حقهم ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا﴾ [القلم: 30 - 31] هلاكنا ﴿إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾ بعدم شكر النعم بسبب منع حق الفقراء ﴿عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ [القلم: 32] في قبول التوبة وأن يبدلنا خيرًا منها فبدلهم الله حبة عنب يحمل البغل منها عنقودًا.

﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ﴾ [القلم: 33] أي: مثل هذا لمن كفر من أهل مكة وغيرهم ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ عذابها ما خالفوا، ولما قالوا الكفار: إن بعثنا أعطينا أفضل منكم نزل ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ * أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ [القلم: 34 - 35] في العطاء ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: 36] هذا الحكم الفاسد ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ﴾ [القلم: 37] منزل ﴿فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ أي: تقرؤون.

﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ﴾ [القلم: 38] في الكتاب ﴿لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ تختارون ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ﴾ [القلم: 39] عهود ﴿عَلَيْنَا بَالِغَةٌ﴾ واثقة؛ أي: اقتسمنا بها علينا ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ

﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ به لأنفسكم لا ﴿سَلْهُمْ﴾ [القلم: 40] يا محمد ﷺ ﴿أَيُّهُمْ بِذَلِكَ﴾ الحكم الذي حكموا به لأنفسهم من أنهم قالوا: نحن في الآخرة أفضل من المؤمنين ﴿زَعِيمٌ﴾ كفيل.

﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [القلم: ٤١ - ٥٢].

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾ [القلم: 41] وافقوهم في قولهم، ويكفلون لهم به، فإن كان كذلك ﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ﴾ الكافلين لهم بذلك ﴿إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ في ذلك، فليأتوا بهم، أو المراد عندهم أرباب تفعل هذا فليأتوا بهم إن صدقوا، أو المراد هل لهم شهداء فليأتوا بهم للشهادة على صدق ما زعموا، والمراد على الأقوال نفي ذلك.

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾[1] [القلم: 42] والساق: الشدة، والأمر: الفظيع ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾ امتحانًا لصدق إيمانهم ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ السجود؛ لأن ظهورهم تصير طبقًا واحدًا ﴿خَاشِعَةً﴾ [القلم: 43] ذليلة ﴿أَبْصَارُهُمْ﴾ لا يرفعونها ﴿تَرْهَقُهُمْ﴾ تغشاهم ﴿ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ﴾ في الدنيا ﴿إِلَى السُّجُودِ﴾ أي: الصلاة

---

(1) «يوم» ظرف لقوله: ﴿فَلْيَأْتُواْ﴾ أي: فليأتوا بها يوم يكشف عن ساق، ويجوز أن يكون ظرفًا لفعل مقدّر أي: اذكر يوم يكشف. قال الواحدي: قال المفسرون في قوله: ﴿عَن سَاقٍ﴾ عن شدّة من الأمر. قال ابن قتيبة: أصل هذا أن الرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج إلى الجدّ فيه شمر عن ساقه، فيستعار الكشف عن الساق في موضع الشدّة. انظر [فتح القدير (7 /284)].

﴿وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ صحيحون فلا يفعلون.

﴿فَذَرْنِي﴾ [القلم: 44] دعني ﴿وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ القرآن؛ أي: لا يشتغل قلبك بهم، وكل أمرهم إليَّ فإني أكفيك أمرهم ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ نأخذهم قليلاً ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فعذبوا يوم بدر.

﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ [القلم: 45] أمهلهم ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ قوي لا يطاق ﴿أَمْ﴾ [القلم: 46] بمعنى بل ﴿تَسْأَلُهُمْ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ﴾ يصل إليك منهم ﴿مُثْقَلُونَ﴾ فلا يؤمنون لذلك ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾ [القلم: 47] وهو اللوح الذي فيه ذلك ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ منه ما يقولون: لا ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ﴾ [القلم: 48] في الضجر والعجلة ﴿كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ وهو يونس بن متى عليه السلام ﴿إِذْ نَادَى﴾ دعا ربه ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ مملوء غمًا وغيظًا ببطن الحوت.

﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ﴾ [القلم: 49] أدركه ﴿نِعْمَةٌ﴾ رحمة ﴿مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ﴾ طرح من بطن الحوت ﴿بِالْعَرَاءِ﴾ بالفضاء من الأرض ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ يذم ويلام على فعله؛ لكنه رحم فنبذ بلا ذم ﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ﴾ [القلم: 50] بالنبوة وقبول التوبة ﴿فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الأنبياء.

﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾ [القلم: 51] نزلت؛ لأنهم أرادوا إصابة رسول الله ﷺ بالعين فذهبوا، العائن إمَّا من بني أسد أو غيرهم لا يفعل ذلك فعصم الله نبيه ﷺ، والمعنى: إنهم ينظرون لك نظرًا شديدًا يكاد يخطفك ويسقطك عن محلك، قرأ المدنيان بفتح الياء من: «يزلقونك»، والباقون بضمها ﴿لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ حسد لما جاء به من القرآن ﴿وَمَا هُوَ﴾ [القلم: 52] أي: القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ موعظة للإنس والجن لا يحدث به جنون، وقال الحسن: دواء العين قراءة هذه الآية.

سورة الحاقة

مكية إحدى أو اثنان وخمسون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (٣) كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (٤) فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (٥) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧) فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ (٨) وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ (٩) فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً (١٠) إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ (١١) لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ (١٢)﴾ [الحاقة: ١ - ١٢].

﴿**الْحَاقَّةُ**﴾ [الحاقة: 1] القيامة الذي يحق فيها ما أنكره الكفار ﴿**مَا الْحَاقَّةُ**﴾ [الحاقة: 2] استفهام معناه التقرير لعظم شأنها ﴿**وَمَا أَدْرَاكَ**﴾ [الحاقة: 3] أعلمك ﴿**مَا الْحَاقَّةُ**﴾ زيادة تعظيم لشأنها ﴿**كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ**﴾[1] [الحاقة: 4] القيامة

---

(1) قوله: (الحاقة) هي: القيامة؛ لأن الأمر يحق فيها، وهي تحق في نفسها من غير شك. قال الأزهري: يقال: حاققته، فحققته أحقه: غالبته فغلبته أغلبه. فالقيامة حاقة؛ لأنها تحاق كل محاق في دين الله بالباطل، وتخصم كل مخاصم. وقال في الصحاح: حاقه أي: خاصمه في صغار الأشياء، ويقال: ما له فيها حقّ ولا حقاق ولا خصومة، والتحاقّ: التخاصم، والحاقة والحقة والحقّ ثلاث لغات بمعنى. قال الواحدي: هي القيامة في قول كل المفسرين، وسميت بذلك لأنها ذات الحواقّ من الأمور، وهي الصادقة الواجبة الصدق، وجميع أحكام القيامة صادقة واجبة الوقوع والوجود. قال الكسائي والمؤرج: الحاقة يوم الحق، وقيل: سميت بذلك لأن كل إنسان فيها حقيق بأن يجزى بعمله، وقيل: سميت بذلك لأنها أحقت لقوم النار، وأحقت لقوم الجنة، وهي مبتدأ، وخبرها قوله: (مَا الحاقة) على أن ما الاستفهامية مبتدأ ثان، وخبره الحاقة، والجملة خبر للمبتدأ الأول، والمعنى: أيّ شيء هي في حالها أو صفاتها، وقيل: إن ما الاستفهامية خبر لما بعدها، وهذه الجملة، وإن كان لفظها لفظ الاستفهام، فمعناها التعظيم والتفخيم لشأنها، كما تقول: زيد ما زيد، وقد قدّمنا تحقيق هذا المعنى في سورة الواقعة، ثم زاد =

سميت به؛ لأنها تقرع القلوب بأهوالها.

﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ [الحاقة: 5] أي: بالصيحة المجاوزة للحد في الشدة، أو المراد بطغيانهم وكفرهم **﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾** [الحاقة: 6] قوية الصوت **﴿عَاتِيَةٍ﴾** شديدة الهبوب **﴿سَخَّرَهَا﴾** [الحاقة: 7] أرسلها بالقهر **﴿عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ﴾** أولها صبح يوم الأربعاء لثمان بقين من شوال في أواخر الشتاء **﴿حُسُومًا﴾** متتابعات شبهت بحسم الكيّ، وهو إعادته مرة بعد أخرى حتى ينحسم الداء؛ أي: ينقطع **﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا﴾** في تلك الليالي والأيام **﴿صَرْعَى﴾** هلكى **﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ﴾** أصول **﴿نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾** ساقطة فارغة.

﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ﴾ [الحاقة: 8] نفس **﴿بَاقِيَةٍ﴾** لا **﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ﴾** [الحاقة: 9] أتباعه، قرأ البصريان والكسائي بكسر القاف وفتح الباء، والباقون بفتح القاف وإسكان الباء؛ أي: ومن سبقه من الأمم الكافرة **﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتُ﴾** أي: أهلها وهي قرى قوم لوط **﴿بِالْخَاطِئَةِ﴾** أي: بالفعلات ذات الخطأ وهو العصيان **﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾** [الحاقة: 10] أي: لوطًا وغيره **﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً﴾** زائدة في الشدة على غيرها.

= سبحانه في تفخيم أمرها وتفظيع شأنها وتهويل حالها، فقال: (وَمَا أَدْرَاكَ مَا الحاقة) أي: أيّ شيء أعلمك ما هي؟ أي: كأنك لست تعلمها إذا لم تعاينها وتشاهد ما فيها من الأهوال، فكأنها خارجة عن دائرة علم المخلوقين. قال يحيى بن سلام: بلغني أن كل شيء في القرآن وما أدراك، فقد أدراه إياه وعلمه، وكلّ شيء قال فيه: وما يدريك، فإنه أخبره به. وما مبتدأ، وخبره أدراك، و(ما الحاقة) جملة من مبتدأ، وخبر محلها النصب بإسقاط الخافض؛ لأن أدري يتعدّى إلى المفعول الثاني بالباء، كما في قوله: **﴿وَلا أَدْرَاكُمْ بِهِ﴾** فلما وقعت جملة الاستفهام معلقة له كانت في موضع المفعول الثاني، وبدون الهمزة يتعدى إلى مفعول واحد بالباء نحو دريت بكذا، وإن كان بمعنى العلم تعدى إلى مفعولين، وجملة وما أدراك معطوفة على جملة: (ما الحاقة). **﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالقَارِعَةِ﴾** أي: بالقيامة، وسميت بذلك لأنها تقرع الناس بأهوالها. وقال المبرّد: عنى بالقارعة القرآن الذي نزل في الدنيا على أنبيائهم، وكانوا يخوّفونهم بذلك فيكذبونهم. وقيل: القارعة مأخوذة من القرعة؛ لأنها ترفع أقواماً وتحط آخرين، والأوّل أولى، ويكون وضع القارعة موضع ضمير الحاقة للدلالة على عظيم هولها وفظاعة حالها، والجملة مستأنفة لبيان بعض أحوال الحاقة. فتح القدير (7 /289).

﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ﴾ [الحاقة: 11] عين وجاوزه حده حتى على كل شيء وارتفع فوقه زمن نوح ﴿حَمَلْنَاكُمْ﴾ أي: حملنا آبائكم، وأنتم في أصلابهم ﴿فِي الْجَارِيَةِ﴾ في السفينة التي تجري على الماء ﴿لِنَجْعَلَهَا﴾ [الحاقة: 12] أي: هذه الفعلة ﴿لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ عظة ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾[1] تحفظها الإذن الحافظة لما سمعته.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١٥) وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (١٦) وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (١٧) يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ (١٨) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤)﴾ [الحاقة: ١٣ - ٢٤].

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ [الحاقة: 13] لفصل القضاء وهي الثانية ﴿وَحُمِلَتِ﴾ [الحاقة: 14] رفعت ﴿الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا﴾ دقتا ﴿دَكَّةً وَاحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [الحاقة: 14 - 15] قامت الساعة ﴿وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [الحاقة: 16] ضعيفة.

﴿وَالْمَلَكُ﴾ [الحاقة: 17] الملائكة ﴿عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ نواحي السماء ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾ الملائكة المذكورين ﴿يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ من الملائكة، وكانوا أولاً أربعة فمدوا في القيامة بأربعة أخرى على صورة الأوعال ما بين أظلافهم إلى ركبهم كما بين سماء إلى سماء.

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ [الحاقة: 18] للحساب ﴿لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ عن السرائر ويخفى بالياء من أسفل في أوله لحمزة والكسائي وخلف، والباقون بالتاء من فوق

---

(1) أي: حافظة لما جاء من عند الله. وقيل أذن سمعت وعقلت ما سمعت وقيل لتحفظها كل أذن فتكون عظة وعبرة لمن يأتي بعد والمراد صاحب الإذن والمعنى ليعتبر ويعمل بالموعظة. تفسير الخازن (6/ 153).

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ﴾ [الحاقة: 19] خطابًا لجماعته مسرورًا ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾.

﴿إِنِّي ظَنَنْتُ﴾ [الحاقة: 20] تيقنت ﴿أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: 20 - 21] مرضية ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا﴾ [الحاقة: 22 - 23] ثمارها ﴿دَانِيَةٌ﴾ قريبة يتناولها القائم والقاعد والمضجع ويقال لهم فيها ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾ [الحاقة: 24] متهنئين ﴿بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ الماضية في الدنيا.

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ (٢٧) مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ (٢٨) هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ (٢٩) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ (٣٣) وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ (٣٤) فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ (٣٧) فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (٣٩) إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) ﴾ [الحاقة: ٢٥ - ٤٠].

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَا لَيْتَهَا﴾ [الحاقة: 25 - 27] أي الموتة في الدنيا ﴿كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ القاطعة بحياته بأنه لا يبعث ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ﴾ [الحاقة: 28] لم يدفع عنه من عذاب الله شيئًا.

﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ [الحاقة: 29] ذهبت عنه الحجة الدنيوية، أو المراد ذهب عنه ملكه وقوته ذهاب كتابه وحسابه وماله وسلطانه للوقف وهي: هاء السكت تثبت وقفًا ووصلاً وبعضه حذفها وصلاً وحمزة ويعقوب حذفا الهاء من ماليه وسلطانيه وحذفها من الأربعة يعقوب.

﴿خُذُوهُ﴾ [الحاقة: 30] خطاب لخزنة جهنم ﴿فَغُلُّوهُ﴾ أجمعوا يديه في الغل إلى عنقه ﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ [الحاقة: 31 - 32] بذراع الملك قالها ابن عباس ﴿فَاسْلُكُوهُ﴾ ادخلوه فيها بعد إدخاله النار.

﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللهِ الْعَظِيمِ * وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ * فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ

هَا هُنَا حَمِيمٌ﴾ [الحاقة: 33 - 35] قريب ينفعه ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [الحاقة: 36] هو صديد أهل النار أو شجر فيها ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ [الحاقة: 37] الكافرون.

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ [الحاقة: 38] من المخلوقات ولا زائدة ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الحاقة: 39] منها أي: بكل مخلوق ﴿إِنَّهُ﴾ أي: القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة: 40] أي: تلاوة محمد ﷺ المكرم بالرسالة عن الله.

﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الحاقة: ٤١ - ٥٢].

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الحاقة: 41 - 42] قرأ ابن كثير ويعقوب وابن عامر بخلاف عن ابن ذكوان: «يؤمنون» ويذكرون بالغيب فيهما، والباقون بالخطاب، وهل المعنى نفي إيمانهم، أو إيمانهم وتذكرهم قليل لما جاء به ﷺ من الصدق في الحديث والصلة ونحو ذلك لم تعدهم شيئًا لعدم شرطها وهو الإيمان التوحيد.

﴿تَنْزِيلٌ﴾ [الحاقة: 43] المعنى: ليس القرآن كما زعمتم بل هو تنزيل ﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ﴾ [الحاقة: 44] أي: تقول؛ أي: النبي ﷺ ﴿عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾ بأن قال عنّا ما لم نقله ﴿لَأَخَذْنَا﴾ [الحاقة: 45] لنلنا ﴿مِنْهُ﴾ عقابًا ﴿بِالْيَمِينِ﴾ بالقوة والقدرة.

﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾[1] [الحاقة: 46] وهو عرق متصل بنياط القلب إذا انقطع

(1) هو قول للمتقدّمين حسنه الزمخشري بتكثير ألفاظه ومصاغها قالوا: المعنى لأخذنا بيده التي هي اليمين على جهة الإذلال والصغار، كما يقول السلطان إذا أراد عقوبة رجل: يا غلام خذ بيده وافعل كذا، قاله أو قريبًا منه الطبري. وقيل: اليمين هنا مجاز. فقال ابن عباس: باليمين: بالقوّة، معناه لنلنا منه عقابه بقوّة منا. وقال مجاهد: بالقدرة. وقال السدّي: عاقبناه بالحق ومن على هذا =

مات صاحبه ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ﴾ [الحاقة: 47] عن النبي ﷺ ﴿حَاجِزِينَ﴾ مانعين؛ أي: لا مانع لنا عنه من حيث العقاب ولم يتقول فلم يعاقب ﷺ.

﴿وَإِنَّهُ﴾ [الحاقة: 48] أي: القرآن ﴿لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ لعظة لمن أتقى عذاب الله ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ﴾ [الحاقة: 49] أيها الناس ﴿مُكَذِّبِينَ﴾ بالقرآن ومصدقين، حذف الثاني للعلم به ﴿وَإِنَّهُ﴾ [الحاقة: 50] أي: القرآن ﴿لَحَسْرَةٌ﴾ ندامة ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ يوم القيامة فيندمون على ترك الإيمان به ﴿وَإِنَّهُ﴾ [الحاقة: 51] أي: القرآن ﴿لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ أي: محضة وخالصة كقولك: هو العالم حق العالم ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الحاقة: 52].

=

صلة. انظر: [تفسير البحر المحيط (10/ 336)].

سورة المعارج

مكية، ويقال: لها سورة سأل، ثلاث أو أربع وأربعون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ١ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ٣ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ٤ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ٥ إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ٧ يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ ٨ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٩ وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا ١٠ يُبَصَّرُونَهُمۡۚ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ١١ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ١٢ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ ١٣ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ ١٤﴾ [المعارج: ١ - ١٤].

﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾[1] [المعارج: 1] قرأ المدنيان وابن عامر: «سال» بألف بلا همزة،

---

(1) قرأ الجمهور: (سأل) بالهمز: أي دعا داع، من قولهم: دعا بكذا إذا استدعاه وطلبه، فالباء على أصلها. وقيل: المعنى بحث باحث واستفهم. قيل: فالباء بمعنى عن. وقرأ نافع وابن عامر: سال بألف، فيجوز أن يكون قد أبدلت همزته ألفاً، وهو بدل على غير قياس، وإنما قياس هذا بين بين، ويجوز أن يكون على لغة من قال: سلت أسأل، حكاها سيبويه. وقال الزمخشري: هي لغة قريش، يقولون: سلت تسال وهما يتسايلان، وينبغي أن يتثبت في قوله إنها لغة قريش. لأن ما جاء في القرآن من باب السؤال هو مهموز أو أصله الهمز، كقراءة من قرأ: وسلوا الله من فضله، إذ لا يجوز أن يكون من سال التي عينها واو، إذ كان يكون ذلك وسلوا الله مثل خافوا الأمر، فيبعد أن يجيء ذلك كله على لغة غير قريش، وهم الذين نزل القرآن بلغتهم إلا يسيراً فيه لغة غيرهم. ثم جاء في كلام الزمخشري: وهما يتسايلان بالياء، وأظنه من الناسخ، وإنما هو يتساولان بالواو. فإن توافقت النسخ بالياء، فيكون التحريف من الزمخشري؛ وعلى تقدير أنه من السؤال، فسائل اسم فاعل منه، وتقدم ذكر الخلاف في السائل من هو. وقيل: سال من السيلان، ويؤيده قراءة ابن عباس: سال سايل. وقال زيد بن ثابت: في جهنم واد يسمى سايلاً وأخبر هنا عنه. قال ابن عطية: ويحتمل إن لم يصح أمر الوادي أن يكون الإخبار عن نفوذ القدر بذلك العذاب قد استعير له السيل لما عهد من نفوذ السيل وتصميمه. وقال الزمخشري: والسيل مصدر في معنى السايل، كالغور بمعنى الغاير، والمعنى: اندفع عليهم وادي عذاب، فذهب بهم =

والباقون بهمزة مفتوحة، وانفرد النهرواني عن الأصبهاني عن ورش بتسهيل سائل بين بين ﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ أي: دعا داعٍ به ﴿لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾ [المعارج: 2] وهو النضر بن الحارث قال: ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ﴾ [الأنفال: 32] كما سبق ﴿مِّنَ اللهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ [المعارج: 3] مصاعد الملائكة، وهي السماوات، أو المراد: ذي الدرجات، أو الفواضل والنعم.

﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [المعارج: 4] بأعمال العباد، قرأ: «يعرج» بالياء من أسفل الكسائي، والباقون بالتأنيث ﴿وَالرُّوحُ﴾ جبريل ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى الله تعالى إلى المحل المقرب عنده ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ فعروجه من أسفل الأرض إلى العرش مقداره خمسين ألف سنة، وقيل: هو يوم القيامة؛ أي: يقع العذاب في يوم كان مقداره كذلك، وهذا مخصوص بالكافر، وهو على المؤمن أخف من صلاة مكتوبة.

﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [المعارج: 5] لا جزع فيه، وليس بمنسوخ بالأمر بالقتال إذ الصبر الجميل محكم في كل آية، ومن حملة على ترك القتال قال إنه منسوخ ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا﴾ [المعارج: 6] أي: يرون العذاب غير واقع ﴿وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج: 7] واقعًا لا محالة.

﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ﴾ [المعارج: 8] أي: تقع ﴿كَالْمُهْلِ﴾ ذائب الفضة، أو عكر

=

وأهلكهم، وإذا كان السائل هم الكفار، فسؤالهم إنما كان على أنه كذب عندهم، فأخبر تعالى أنه واقع وعيداً لهم. وقرأ أبي وعبد الله: سال سال مثل مال بإلقاء صورة الهمزة وهي الياء من الخط تخفيفاً. قيل: والمراد سائل، ولم يحك هل قرأ بالهمز أو بإسقاطها ألبتة. فإن قرأ بالهمز فظاهر، وإن قرأ بحذفها فهو مثل شاك شايك، حذفت عينه واللام جرى فيها الإعراب، والظاهر تعلق بعذاب بسال. وقال أبو عبد الله الرازي: يتعلق بمصدر دل عليه فعله، كأنه قيل: ما سؤاله؟ فقيل: سؤاله بعذاب، والظاهر اتصال الكافرين بواقع فيكون متعلقاً به، واللام للعلة، أي نازل بهم لأجلهم، أي لأجل كفرهم، أو على أن اللام بمعنى على، قاله بعض النحاة، ويؤيده قراءة أبيّ: على الكافرين، أو على أنه في موضع، أي واقع كائن للكافرين. وقال قتادة والحسن: المعنى: كأن قائلاً قال: لمن هذا العذاب الواقع؟ فقيل: للكافرين. وقال الزمخشري: أو بالفعل، أي دعاء للكافرين، ثم قال: وعلى الثاني، وهو ثاني ما ذكر من توجيهه في الكافرين. انظر [تفسير البحر المحيط (10/ 338)].

الزيت ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ [المعارج: 9] الصوف، والمراد شبهها في الخفة والطيران ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ [المعارج: 10] قريب قريبًا لاشتغال بعضهم عن بعض، قرأ أبو جعفر والبزي بخلاف عنه ولا يسأل بضم الياء، والباقون بفتحها.

﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ [المعارج: 11] أي: يبصر الناس بعضهم مع التعارف بلا تكلم ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ﴾ الكافر ﴿لَوْ﴾ أن ﴿يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ﴾ [المعارج: 11 - 12] زوجته ﴿وَأَخِيهِ * وَفَصِيلَتِهِ﴾ [المعارج: 12 - 13] عشيرته ﴿الَّتِي تُؤْوِيهِ﴾ تضمه ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ [المعارج: 14] ذلك الافتداء.

﴿ كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [المعارج: ١٥ - ٣٢].

﴿كَلَّا﴾ [المعارج: 15] رد على ما يوده المجرم ﴿إِنَّهَا﴾ أي: النار ﴿لَظَى﴾ سميت بها لتلهبها على الكفار ﴿نَزَّاعَةً لِلشَّوَى﴾ [المعارج: 16] جمع: شواة وهي جلدة الرأس، وروى حفص «نزاعة» بالنصب، والباقون بالرفع ﴿تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾ [المعارج: 17] عن الإيمان فتقول له: إليَّ إليَّ ﴿وَجَمَعَ﴾ [المعارج: 18] المال ﴿فَأَوْعَى﴾ أمسكه في وعائه، ولم يود منه حق الله وكان عبد الله بن حكيم لا يربط كيسه ويقول سمعت الله يقول: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ [المعارج: 19] ومعنى الهلع أنه ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ [المعارج: 20] كان ﴿جَزُوعًا﴾ وقت مس الشر ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ﴾ [المعارج: 21] كان ﴿مَنُوعًا﴾ وقت مس الخير فيمنع حق الله تعالى من المال.

﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ [المعارج: 22] المؤمنين ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾[1] [المعارج: 23] مواظبون ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ﴾ [المعارج: 24] هو الزكاة ﴿لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [المعارج: 25] المتعفف عن السؤال ﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ [المعارج: 26] يوم الجزاء ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ [المعارج: 27] خائفون ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ [المعارج: 28] نزوله.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ [العارج: 29 - 30] من الإماء ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [المعارج: 30 - 31] المجاوزون الحد للحرمة ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ﴾ [المعارج: 32] الذي ائتمنوا عليها دنيا ودينًا ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾ المأخوذ عليهم في ذلك ﴿رَاعُونَ﴾ حافظون.

﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [المعارج: ٣٣ - ٤٤].

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ﴾ [المعارج: 33] جمعًا ليعقوب وحفص، وإفرادًا

---

(1) اعلم أن دوام الصلاة لا يمكن بالصورة؛ بل بالمعنى؛ وذلك أن مَن سَجد قلبه لله تعالى سجدةً حقيقيةً، وخضع خضوعًا تامًا؛ فإن عبادته لله تعالى مستمرة سواء كان على اليقظة، أو على النوم؛ لأن النوم إنما يجري على صورته لا على قلبه، كما أشار إليه النبي ﷺ بقوله: «ينام عيناي ولا ينام قلبي»، فإذا كان قلب الرجل يقظانًا، سرى ذلك في جميع أجزائه وقواه؛ فإن القلب أصل القوى والجسد، فإذا صلح؛ صلح القوى والجسد كلها، كما أنه إذا فسد؛ فسد القوى والجسد كلها.

للباقين ﴿قَائِمُونَ﴾ يقيمون ولا يكتمونها ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المعارج: 34] بأدائها في أوقاتها ﴿أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ﴾ [المعارج: 35].

﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ﴾ [المعارج: 36] نحوك ﴿مُهْطِعِينَ﴾ أي: مديمي النظر ﴿عَنِ الْيَمِينِ﴾ [المعارج: 37] منك ﴿وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾ أي: جماعات متفرقين يقولون: استهزاء بمن آمن أن دخلوا الجنة لندخلها قبلهم فرد الله تعالى عليهم بقوله: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ * كَلَّا﴾ [المعارج: 38 - 39] رد لطمعهم في ذلك ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾ هو المنيّ فلا يطمع به في دخول الجنة بل بالتقوى.

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾ [المعارج: 40] الشمس والقمر وسائر الكواكب، ولا زائدة؛ أي: أقسم بما ذكر ﴿إِنَّا لَقَادِرُونَ * عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ﴾ [المعارج: 40 - 41] نأتي بدلاً لهم ﴿خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ بعاجزين عن ذلك.

﴿فَذَرْهُمْ﴾ [المعارج: 42] اتركهم ﴿يَخُوضُوا﴾ في الباطل ﴿وَيَلْعَبُوا﴾ في الدنيا ﴿حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ بالعذاب فيه، وهذا منسوخ بآية السيف ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ [المعارج: 43] القبور ﴿سِرَاعًا﴾ إلى المحشر ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ﴾ قرأ ابن عامر وحفص بضم النون والصاد على الإفراد، وجمعه: أنصاب، وقيل: هو جمع نصب كسَقف وسُقُف، والباقون بفتح النون وإسكان الصاد على أنه مفردًا كما مر، والمعنى إلى شيء منصوب مثل العلم ﴿يُوفِضُونَ﴾ يسرعون ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ﴾ [المعارج: 44] ذليلة ﴿تَرْهَقُهُمْ﴾ تغشاهم ﴿ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ أي: يوم القيامة.

سورة نوح عليه السلام

مكية ثمان، أو تسع وعشرون، أو ثلاثون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٤ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝١٢﴾ [نوح: ١ - ١٢].

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [نوح: 1] إن لم يؤمنوا ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [نوح: 2] بيّن الإنذار لكم ﴿أَنِ﴾ [نوح: 3] أي: بأن ﴿اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ * يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ [نوح: 3 - 4] أي: ما سبق منها قبل الإيمان ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾[1] بمعنى يعافيكم من

---

(1) (أن أنذر قومك): يجوز أن تكون أن مصدرية وأن تكون تفسيرية. (عذاب أليم) قال أبو عباس: عذاب النار في الآخرة. وقال الكلبي: ما حل بهم من الطوفان. (من ذنوبكم): من للتبعيض، لأن الإيمان إنما يجب ما قبله من الذنوب لا ما بعده. وقيل: لابتداء الغاية. وقيل: زائدة، وهو مذهب، قال ابن عطية: كوفي، وأقول: أخفشي لا كوفي، لأنهم يشترطون أن تكون بعد من نكرة، ولا يبالون بما قبلها من واجب أو غيره، والأخفش يجيز مع الواجب وغيره. وقيل: النكرة والمعرفة. وقيل: لبيان الجنس، ورد بأنه ليس قبلها ما تبينه، قال الزمخشري: فإن قلت: كيف =

العذاب إلى منتهى آجالكم ﴿إِنَّ أَجَلَ اللهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ المعنى: أجله بعذابكم إن لم تؤمنوا لا يؤخره عند مجيئه ﴿لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ذلك لآمنتم فآمنوا لتسلموا.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ [نوح: 5] أي: دائمًا متصلاً ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾ [نوح: 6] عن الإيمان ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ [نوح: 7] لئلا يسمعوا الكلام ﴿وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾ غطوا رؤوسهم بها كيلا يبصروني ﴿وَأَصَرُّوا﴾ على كفرهم ﴿وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ عن الإيمان.

﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾ [نوح: 8] بأعلى صوتي ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ﴾ [نوح: 9] كررت لهم الدعاء ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ﴾ الكلام ﴿إِسْرَارًا﴾ إذا كان يكلم الرجل بعد الآخر سرًا ليؤمن ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: 10] لمن استغفره من أي ذنب كان، ومنه الشرك ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ﴾ [نوح: 11] المطر ﴿عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ كثير الدرور ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ﴾ [نوح: 12] بساتين ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ جارية، وذلك لما كذبوا نوحًا أمسك الله عنهم المطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة فهلكت أموالهم ومواشيهم فقال لهم: ذلك ليرجع لهم ما فقدوا.

﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ

=

قال: (ويؤخركم) مع إخباره بامتناع تأخير الأجل؟ وهل هذا إلا تناقض؟ قلت: قضى الله مثلاً أن قوم نوح إن آمنوا عمرهم ألف سنة، وإن بقوا على كفرهم أهلكهم على رأس تسعمائة سنة، فقيل لهم: آمنوا يؤخركم إلى أجل مسمى: أي إلى وقت سماه الله تعالى وضربه أمداً تنتهون إليه لا تتجاوزونه، وهو الوقت الأطول تمام الألف. ثم أخبر أنه إذا جاء ذلك الأجل الأمد، لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت، ولم تكن لكم حيلة، فبادروا في أوقات الإمهال والتأخير، وقال ابن عطية: (ويؤخركم إلى أجل مسمى) مما تعلقت المعتزلة به في قولهم أن للإنسان أجلين، قالوا: لو كان واحداً محدداً لما صح التأخير، إن كان الحد قد بلغ، ولا المعاجلة إن كان لم يبلغ، قال: وليس لهم في الآية تعلق، لأن المعنى: أن نوحاً عليه الصلاة والسلام لم يعلم هل هم ممن يؤخر أو ممن يعاجل، ولا قال لهم إنكم تؤخرون عن أجل قد حان لكم، لكن قد سبق في الأزل أنهم، إما ممن قضى له بالإيمان والتأخير، وإما ممن قضى له بالكفر والمعاجلة. انظر [تفسير البحر المحيط (10/ 345)].

سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ﴿١٩﴾ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ﴿٢٢﴾ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ﴿٢٣﴾ وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا ﴿٢٤﴾ ﴾ [نوح: ١٣ - ٢٤].

﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ﴾ [نوح: 13] لا تأملون ﴿لِلهِ وَقَارًا﴾ عظمة ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: 14] أحوالاً طورًا بعد آخر فطورًا نطفة وطورًا علقة وهكذا، والتفكر في ذلك يقتضي الإيمان من خلقه.

﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾ [نوح: 15] تنظروا ﴿كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ بعضها فوق بعض ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ﴾ [نوح: 16] أي: في المجموع الصادق بالسماء الدنيا ﴿نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ مصباحًا مضيئًا وهو أقوى من نور القمر.

﴿وَاللهُ أَنْبَتَكُمْ﴾ [نوح: 17] خلقكم ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ بخلق آدم منها ﴿نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ [نوح: 17 - 18] مقبورين ﴿وَيُخْرِجُكُمْ﴾ منها يوم القيامة أحياء ﴿إِخْرَاجًا * وَاللهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا * لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ [نوح: 18 - 20] واسعة.

﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا﴾ [نوح: 21] أي: سفلتهم اتبعوا رؤساءهم، وهم ﴿مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ﴾ قرأ المدنيان وابن عامر: «ولده» بفتح اللام والواو، والباقون بضم الواو وإسكان اللام ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾ طغيانًا وكفرًا ﴿وَمَكَرُوا﴾ [نوح: 22] أي: الرؤساء منهم ﴿مَكْرًا كُبَّارًا﴾[1] عظيمًا جدًّا بأن آذوا نوحًا عليه السلام ومن آمن به

(1) قرأ الجمهور: (كباراً) بالتشديد. وقرأ ابن محيصن، وحميد، ومجاهد بالتخفيف. قال أبو بكر: هو جمع كبير كأنه جعل مكراً مكان ذنوب أو أفاعيل، فلذلك وصفه بالجمع. وقال عيسى بن عمر: هي لغة يمانية، واختلف في مكرهم هذا ما هو؟ فقيل: هو تحريشهم سفلتهم على قتل نوح، =

﴿وَقَالُوا﴾ [نوح: 23] لسفلة قومهم: ﴿لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا﴾ بضم الواو وللمدنيين، والباقون بفتحها اسم صنم كانوا يعبدونه على عهد نوح عليه السلام ﴿وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ هي أسماء أصنامهم ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا﴾ [نوح: 24] بها ﴿كَثِيرًا﴾ من الناس بأمرهم لهم بعبادتها ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ دعا عليهم بعد علمه بالإيحاء أنه لن يؤمن منهم إلا من كان آمن.

﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾ ﴾ [نوح: ٢٥ - ٢٨].

﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ﴾ [نوح: 25] قرأ أبو عمرو بفتح الطاء والياء وألف بعدها بلا همز، والباقون بكسر الطاء وياء ساكنة بعدها وهمزة مفتوحة بعد الياء بعدها ألف وتاء مكسورة، وكلاهما جمع خطيئة؛ أي: من خطاياهم أو خطيئاتهم ﴿أُغْرِقُوا﴾ بالطوفان ﴿فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ عوقبوا بها عقب الإغراق تحت الماء ﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ﴾ غير ﴿اللهِ أَنْصَارًا﴾ يمنعون عنهم العذاب.

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: 26] أي: نازل دار لا يتق منهم أحدًا ﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: 27] من يفجر ويكفر، قال لما سبق من الوحي له بذلك ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ [نوح: 28] وكانا مؤمنين ﴿وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ﴾ منزلي أو مسجدي ﴿مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ إلى يوم القيامة ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ إهلاكًا فأهلكوا.

وقيل: هو تغريرهم على الناس بما أوتوا من المال والولد حتى قال الضعفة: لولا أنهم على الحق لما أوتوا هذه النعم. وقال الكلبي: هو ما جعلوه لله من الصاحبة والولد. وقال مقاتل: هو قول كبرائهم لأتباعهم لا تذرنّ إلهتكم وقيل: مكرهم كفرهم. [فتح القدير (7 /316)].

سورة الجن

مكية ثمان وعشرون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢) وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (٣) وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا (٤) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (٥) وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (٦) وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا (٧)﴾ [الجن: ١ - ٧].

﴿قُلْ﴾ [الجن: 1] يا محمد للناس ﴿أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ من الله ﴿أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ﴾ لقراءتي وهم من جن نصيبين ببطن نخلة - موضع بين مكة والطائف - وهم المذكورون في آية ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ﴾ [الأحقاف: 29] ﴿فَقَالُوا﴾ لقومهم ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ يتعجب منه في فصاحته، وغزارة معانيه ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ [الجن: 2] الإيمان والصواب ﴿فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾.

﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ [الجن: 3] تبين جلاله وعظمته؛ أي: تعاظم عما نسب إليه ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً﴾ زوجة ﴿وَلَا وَلَدًا * وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ [الجن: 3 - 4] جاهلنا ﴿عَلَى اللهِ شَطَطًا﴾[1] غلوًا في الكذب بنسبته للصاحبة والولد.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا﴾ [الجن: 5] حسبنا ﴿أَنْ لَنْ تَقُولَ﴾ قرأ أبو يعقوب: «تقول» بفتح القاف والواو وتشديدها، والباقون بضم القاف وإسكان الواو ﴿الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللهِ

(1) السفه خفة العقل، والشطط مجاوزة الحد في الظلم وغيره ومنه أشط في السوم إذا أبعد فيه أي يقول قولاً هو في نفسه شطط، وصف بالمصدر للمبالغة. والسفيه إبليس أو غيره من مردة الجن الذين جاوزا الحد في طرف النفي إلى أن أفضى إلى التعطيل، أو في طرف الإثبات إلى أن أدى إلى الشريك والصاحبة والولد.

﴿كَذِبًا﴾ بوصفه بالصاحبة والولد حتى سمعنا القرآن.

قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ﴾ [الجن: 6] في الجاهلية ﴿يَعُوذُونَ﴾ يستعيذون ﴿بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ﴾ وذلك أن الرجل كان إذا أمسى بوادٍ قال: أعوذ بسيد الوادي من شر سفهاء قومه فيبيت في أمن منهم للصبح ﴿فَزَادُوهُمْ﴾ باستعاذتهم بهم ﴿رَهَقًا﴾ إثمًا وطغيانًا ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ [الجن: 7] أي: الجن ﴿ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ﴾ معشر كفار الإنس ﴿أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللهُ أَحَدًا﴾ من بعد موته.

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾ [الجن: ٨ - ١٧].

قال الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾ [الجن: 8] سماء الدنيا ﴿فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا﴾ من الملائكة ﴿وَشُهُبًا﴾ نجومًا محرقة وذلك من بعثته ﷺ ﴿وَأَنَّا كُنَّا﴾ [الجن: 9] أي: قبل مبعثه ﴿نَقْعُدُ مِنْهَا﴾ من السماء زمن استراق السمع ﴿مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ نستمع قول الملأ الأعلى ﴿فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾ أرصد له ليرمي به، وكان المنع الكلي للجن من خبر السماء بعد البعثة، وأما قبلها فكان الرجم في بعض الأحوال دون بعض ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الجن: 10] بسبب منع السمع برمي الشهب ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾.

﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ﴾ [الجن: 11] أي: غير الصالحين فافترقوا بعد سماع القرآن لهاتين الفرقتين ﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾ جماعات متفرقين ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا﴾ [الجن: 12] علمنا ﴿أَنْ لَنْ نُعجزَ اللهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا﴾ إن طلبنا، والمعنى:

لن نعجزه كائنين في الأرض أو هاربين في السماء.

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى﴾ [الجن: 13] القرآن ﴿آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا﴾ نقصانًا في العمل والثواب ﴿وَلَا رَهَقًا﴾ ظلمًا بالزيادة في السيئات ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ﴾ [الجن: 14] وهم من آمن بمحمد ﷺ ﴿وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾ الجائرون بالشرك ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ قصدوا طريق الحق.

﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: 15] وقودًا يوم القيامة، وإن قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف وحفص بفتح الهمزة من قوله: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى﴾ [الجن: 3] وما بعدها إلى ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ﴾ [الجن: 14] وتلك اثنتا عشرة همزة، ووافقهم أبو جعفر في ثلاثة ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى﴾، ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ﴾ [الجن: 4]، ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ﴾ [الجن: 6]، وقرأ الباقون بكسرها في الجميع واتفقوا على فتح ﴿ أَنَّهُ اسْتَمَعَ﴾ [الجن: 1]، ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ [الجن: 18].

﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا﴾ [الجن: 16] أي: كفار مكة ﴿عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ دين الإسلام ﴿لَأَسْقَيْنَاهُمْ﴾[1] من الماء ﴿مَاءً غَدَقًا﴾ كثيرًا من السماء، وذلك بعدما حبس عنهم المطر سبع سنين ﴿لِنَفْتِنَهُمْ﴾ [الجن: 17] لنختبرهم ﴿فِيهِ﴾ هل لهم شكر أو لا؟ ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ﴾ وهو القرآن ﴿يَسْلُكْهُ﴾ بالياء من أسفل للكوفيين ويعقوب، والباقون بالنون، والمعنى: يدخله ﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾ شاقًا لا راحة ولا فرح فيه.

﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا

---

(1) الإسقاء والسقي بمعنى واحد، وقال الراغب: السقي والسقيا هو أن تعطيه ماء ليشرب والإسقاء أن تجعل له ذلك له حتى يتناوله كيف شاء كما يقال اسقينه نهرا فالإسقاء أبلغ، وغدق من باب علم إذا غزر وصف الماء به للمبالغة في غزارته كرجل عدل وتخصيص الماء الكثير بالذكر لأنه أصل السعة.

رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرٗا وَأَقَلُّ عَدَدٗا ﴿٢٤﴾ قُلۡ إِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٞ مَّا تُوعَدُونَ أَمۡ يَجۡعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴿٢٧﴾ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الجن: ١٨ - ٢٨].

﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ﴾ [الجن: 18] مواضع الصلاة ﴿لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾ أي: لا تشركوا بالله فيها كما أشرك اليهود والنصارى في كنائسهم وبيعهم.

﴿وَأَنَّهُ﴾ [الجن: 19] بكسر الهمزة لنافع وأبي بكر، والباقون بالفتح ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ﴾ هو نبينا محمد ﷺ ﴿يَدْعُوهُ﴾ يعبدوه ببطن نخله ﴿كَادُوا﴾ أي: الجن ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ يركب بعضهم بعضًا حرصًا على سماعه، وضم لام «لبدا» هشام، والباقون على حركتها.

قال ﷺ لما نهوه أهل مكة عن الإيمان وقالوا ارجع عما أنت فيه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي﴾ [الجن: 20] قرأ أبو جعفر وعاصم وحمزة: «قل» على الأمر، والباقون بلفظ الماضي ﴿وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا* قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا﴾ [الجن: 20 - 21] غيًا ﴿وَلَا رَشَدًا﴾ هداية وخيرًا ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللهِ﴾ [الجن: 22] أي: من عذابه إن عصيته ﴿أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي: غيره ﴿مُلْتَحَدًا﴾ ملجأ نحو حرز ومدخل من الأرض.

﴿إِلَّا بَلَاغًا﴾ [الجن: 23] أي: لا أملك الدعاء لله وعبادته إلا البلاغ إليكم ﴿مِنَ اللهِ﴾ أي: عنه ﴿وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ محمدًا ﷺ ﴿فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ﴾ مقدار خلودهم ﴿فِيهَا أَبَدًا﴾.

﴿حَتَّى إِذَا رَأَوْا﴾ [الجن: 24] المعنى لا يزالون كفارًا إلى أن يروا ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾ من عذاب ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ عند نزوله يوم بدر، أو في الساعة ﴿مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ أعوانًا، أهم أم المؤمنون على أن المراد يوم بدر، أو أنا أو هم على أن المراد يوم القيامة.

ولما نزل ذلك قال بعضهم متى هذا الوعد؟ فنزل: ﴿قُلْ إِنْ﴾ [الجن: 25] ما

﴿أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ﴾ من العذاب ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾ غاية وأجلاً لا يعلمه إلا هو ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ [الجن: 26] ما غاب عن العباد ﴿فَلَا يُظْهِرُ﴾ يطلع ﴿عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ من الناس ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ﴾ [الجن: 27] مع اطلاعه له على ما يشاء من الغيب معجزة له ﴿يَسْلُكُ﴾ يجعل ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ أي: الرسول ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ ملائكة تحفظه إلى أن يؤدي ما اطلع عليه.

﴿لِيَعْلَمَ﴾ [الجن: 28] علم ظهور، بفتح الياء للقراء إلا رويسًا فبضمها ﴿أَنْ﴾ أي: أنه ﴿قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ بما عند الرسول من الحكم والشرائع ﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ أي: ضبط عدد كل شيء.

سورة المزمل ﷺ

مكية واستثنى منها الآيتين ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ [المزمل: 10] وقوله ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ...﴾ [المزمل: 20] إلى آخرها فمدني، ويرده ما أخرجه الحاكم عن عائشة - رضي الله عنها - إنها نزلت بعد نزول صدر السورة بسنة، وهي ثمان، أو تسع عشرة، أو عشرون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝٧ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۝١٠﴾ [المزمل: ١ - ١٠].

﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ [المزمل: 1] هو النبي ﷺ، وأصله المتزمل، والمراد المتلفِّف بثيابه حتى مجيء الوحي له خوفًا منه لهيبته ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ﴾[1] [المزمل: 2 - 3] أي: من النصف ﴿قَلِيلًا﴾ إلى الثلث ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ [المزمل:

(1) قوله: (يأَيُّهَا المزمل) أصله المتزمل، فأدغمت التاء في الزاي، والتزمل: التلفف في الثوب. قرأ الجمهور: (المزمل) بالإدغام. وقرأ أبيّ: «المتزمل» على الأصل. وقرأ عكرمة بتخفيف الزاي، وهذا الخطاب للنبيّ ﷺ وقد اختلف في معناه، فقال جماعة: إنه كان يتزمل ﷺ بثيابه في أوّل ما جاءه جبريل بالوحي فرقاً منه حتى أنس به. وقيل المعنى: يا أيها المزمل بالنبوّة، والملتزم للرسالة. وبهذا قال عكرمة وكان يقرأ: «يا أيها المزمل» بتخفيف الزاي وفتح الميم مشدّدة اسم مفعول. وقيل المعنى: يا أيها المزمل بالقرآن. وقال الضحاك: تزمل بثيابه لمنامه. وقيل: بلغه من المشركين سوء قول، فتزمل في ثيابه وتدثر، فنزلت: (يأَيُّهَا المزمل) و(يأَيُّهَا المدثر) وقد ثبت أن
=

4] على النصف إلى الثلثين، وهو تخيير في القيام على أحد هذه الأوجه ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ﴾ تثبت في تلاوته ﴿تَرْتِيلًا﴾.

﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا﴾ [المزمل: 5] قرآنًا ﴿ثَقِيلًا﴾ مهيبًا أو شديدًا لما فيه من التكاليف ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ [المزمل: 6] هي القيام بعد النوم ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا﴾ مواطأة؛ أي: موافقة السمع القلب على فهم معنى القرآن، أو أشد نشاطًا، وطأ بكسر الواو وفتح الطاء وألف بعدها، والباقون بفتح الواو وإسكان الطاء من غير ألف ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ أبين قولاً.

﴿إِنَّ لَكَ فِي اَلنَّهَارِ سَبْحًا﴾ [المزمل: 7] تصرفًا في شغلك ﴿طَوِيلًا﴾ لا تفرغ معه للتلاوة ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ [المزمل: 8] عند افتتاح القراءة وهو قول: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَتَبَتَّلْ﴾ انقطع ﴿إِلَيْهِ﴾ في العبادة ﴿تَبْتِيلًا﴾.

﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [المزمل: 9] قرأ ابن عامر ويعقوب وحمزة والكسائي وخلف وأبو بكر: «رب» بالخفض، والباقون بالرفع ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾

=

النبيّ ﷺ لما سمع صوت الملك، ونظر إليه أخذته الرعدة، فأتى أهله، وقال: «زملوني دثروني» وكان خطابه ﷺ بهذا الخطاب في أول نزول الوحي، ثم بعد ذلك خوطب بالنبوّة والرسالة (قُمِ اليل إِلاَّ قَلِيلاً) أي: قم للصلاة في الليل. قرأ الجمهور: (قم) بكسر الميم لالتقاء الساكنين. وقرأ أبو السماك بضمها اتباعًا لضمة القاف. قال عثمان بن جني: الغرض بهذه الحركة الهرب من التقاء الساكنين فبأيّ حركة تحرك فقد وقع الغرض. وانتصاب الليل على الظرفية. وقيل: إن معنى (قم) صلّ، عبر به عنه واستعير له. واختلف هل كان هذا القيام الذي أمر به فرضاً عليه أو نفلاً؟ وسيأتي إن شاء الله ما روي في ذلك. وقوله: (إِلاَّ قَلِيلاً) استثناء من الليل أي: صلّ الليل كله إلاّ يسيراً منه، والقليل من الشيء هو ما دون النصف. وقيل: ما دون السدس. وقيل: ما دون العشر. وقال مقاتل، والكلبي: المراد بالقليل هنا الثلث، وقد أغنانا عن هذا الاختلاف قوله (نّصْفَهُ) إلخ، وانتصاب (نصفه) على أنه بدل من الليل. قال الزجاج: نصفه بدل من الليل، وإلاّ قليلاً استثناء من النصف، والضمير في منه وعليه عائد إلى النصف. والمعنى: قم نصف الليل، أو انقص من النصف قليلاً إلى الثلث، أو زد عليه قليلاً إلى الثلثين، فكأنه قال: قم ثلثي الليل أو نصفه أو ثلثه. وقيل: إن نصفه بدل من قوله (قليلاً) فيكون المعنى: قم الليل إلاّ نصفه، أو أقلّ من نصفه، أو أكثر من نصفه، قال الأخفش: نصفه أي: أو نصفه، كما يقال: أعطه درهمًا درهمين ثلاثة، يريد، أو درهمين، أو ثلاثة. انظر: [فتح القدير (7 /335)].

موكلاً له أمورك؛ أي: مفوضًا ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ [المزمل: 10] أي: كفار مكة من الأذى ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ لا جزع فيه، وهو قبل الأمر بالقتال.

﴿ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ ﴾ [المزمل: ١١ - ١٦].

﴿وَذَرْنِي﴾ [المزمل: 11] اتركني ﴿وَالْمُكَذِّبِينَ﴾ المعنى أنا كافيكهم ﴿أُولِي النَّعْمَةِ﴾ التنعم وهم صناديد قريش ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾ من الزمن فقتلوا ببدر بعد زمن قليل ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا﴾ [المزمل: 12] قيودًا عظامًا، جمع نكل بكسر النون ﴿وَجَحِيمًا﴾ نارًا محرقة ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾[1] [المزمل: 13] يغص به في الحلق وهو الزقوم أو الضريع أو الغسلين أو شوك من نار لا يخرج من الحلق ولا ينزل ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ زيادة على ما ذكر للمكذبين.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾ [المزمل: 14] تتزلزل ﴿الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا﴾ رملاً مجتمعًا ﴿مَهِيلًا﴾ سائلاً بعد اجتماعه ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾ [المزمل: 15] يا أهل مكة ﴿رَسُولًا﴾ هو محمد ﷺ ﴿شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ يوم القيامة ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ هو موسى عليه السلام ﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ [المزمل: 16] شديد.

﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾ السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ ۚ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ

---

(1) (وطعامًا ذا غُصةٍ) يغص الروح عن شراب الحمرة؛ لضيق مسلكه بوجود العوائق، (وعذاباً أليماً): البُعد والطرد عن باب حضرتنا وجناب كبريائنا.

وَالنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ ۙ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُۚ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًاۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًاۚ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ [المزمل: ١٧ - ٢٠].

﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونِ﴾ [المزمل: 17] بكسر النون كما انفرد به عبد السلام البصري عن الجرجاني عن حفص والباقون بفتحها ﴿إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا﴾ أي: عذابه؛ أي: بأي حصن تتحصنون من عذاب ذلك اليوم ﴿يَجْعَلُ﴾ الضمير فيه إمَّا لله أو لليوم ﴿الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ جمع أشيب لشدة هوله إمَّا حقيقة أو مجازًا عن الشدة.

﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ﴾[1] [المزمل: 18] ذات انفطار؛ أي: انشقاق ﴿بِهِ﴾ ذلك اليوم لشدته ﴿كَانَ وَعْدُهُ﴾ تعالى بمجيء ذلك اليوم ﴿مَفْعُولًا﴾ هو كائن لا محالة ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ [المزمل: 19] الآيات المخوفة ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ عظة للعالمين ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ طريقًا بطاعته.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى﴾ [المزمل: 20] أقل ﴿مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ﴾ بنصب الفاء والثاء وضم الهاءين لابن كثير والكوفيين؛ أي: تقوم أدنى وتقوم نصفه وثلثه، وبالجر وكسر الهاءين للباقين ﴿وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾ وقيام بعض أصحابة كذلك اقتداء به ﷺ، ومنهم المحتاط فيقوم الليل كله لشكه في الماضي والباقي فقاموا سنة أو أكثر فانتفخت أقدامهم فخفف عنهم وقال: ﴿وَاللهُ يُقَدِّرُ﴾ يحصر ﴿اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ﴾ أي: الليل لتقوموا قدر الواجب لا بقيام الكل أو نحوه وذلك شاق ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ رجع بكم إلى التخفيف ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ في الصلاة بأن تصلوا بما سهَّل عليكم ﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ﴾

---

(1) أي: متشققة به لشدّته وعظيم هوله، والجملة صفة أخرى ليوم، والباء سببية، وقيل: هي بمعنى في أي: منفطر فيه، وقيل: بمعنى اللام أي: منفطر له، وإنما قال: «منفطر» ولم يقل: «منفطرة» لتنزيل السماء منزلة شيء لكونها قد تغيرت، ولم يبق منها إلاّ ما يعبر عنه بالشيء. وقال أبو عمرو بن العلاء: لم يقل: «منفطرة»؛ لأن مجازها السقف. انظر [فتح القدير (7 /340)].

يسافرون ﴿**فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ**﴾ التجارة والرزق، قال ابن مسعود ﷺ: أيما رجل جلب شيئًا إلى مدينة من مدائن المسلمين صابرًا محتسبًا فباعه بسعر يومه كان عند الله بمنزلة الشهداء، ثم تلا هذه الآية: ﴿**وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ**﴾ وكان هذا في صدر الإسلام، ثم نسخ بوجوب الصلوات الخمس وهو قوله: ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللهَ**﴾ أي: أنفقوا غير الزكاة من أموالكم ﴿**قَرْضًا حَسَنًا**﴾ كصلة رحم وكري ضيف عن طيب نفس ﴿**وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْرًا**﴾ مما خلقتم ﴿**وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾.

سورة المدثر صلى الله عليه وسلم

مكية خمس، أو ست وخمسون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧) فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (٨) فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (١٠) ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودًا (١٣) وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا (١٦) سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا (١٧) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ﴾ [المدثر: ١ - ١٩].

﴿**يا أَيُّها الْمُدَّثِّرُ**﴾ [المدثر: 1] المدثر هو النبي ﷺ أي: المتلفف بثيابه عند نزول الوحي ﴿**قُمْ فَأَنْذِرْ**﴾ [المدثر: 2] كفار مكة؛ أي: خوفهم من عذاب الله إن لم يؤمنوا ﴿**وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ**﴾[1] [المدثر: 3] عظمه عن قول كل كافر ﴿**وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ**﴾ [المدثر: 4] من النجاسة، أو طهِّر نفسك من الذنب أقصرها ﴿**وَالرُّجْزَ**﴾ [المدثر: 5] الأوثان ﴿**فَاهْجُرْ**﴾ أي: دم على هجره، قرأ أبو جعفر ويعقوب وحفص والرجز بضم الراء، والباقون بكسرها.

﴿**وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ**﴾ [المدثر: 6] أي: لا تقبل شيئًا لطلب أكثر منه، أو بدل عليه،

---

(1) قال البقلي: يا أيها المدثر، أي: يا أيها الغريق في قَلزوم القِدم، قُم لدعوى محبتي، وأنذر أحبائي عن الاشتغال بغيري، وأَظْهِر جواهر حقائب بحر غيبي للمقبلين إلينا. ثم قال على قوله: (وربك فَكَبِّر)، عن الحُسيْن: عَظِّم قدره عن احتياجه إليك في الدعوة إليه، فإنَّ إجابة دعوتك ممن سبقت له الهداية مني. قال القشيري: كبِّر ربك عن احتياجه إلى تكبير أحد، فإنَّ كبرياءه ذاتيٌّ له، قائم بنفسه، لا بغيره من المكبِّرين. والمتبادر أنه أمَرَ الداعي بتعظيم الله وإجلاله دون غيره من سائر المنذرين، فلا تمنعه جلالة أحد من العظماء والمتكبرين عن التصدِّي لإنذاره وتذكيره.

وهذا خاص به ﷺ؛ لأنه مأمور بأكمل الأخلاق وأشرف الآداب ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [المدثر: 7] على إيذاء الكفار وتحت موارد القضاء وعلى أداء الطاعات واجتناب المنهيات.

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ [المدثر: 8] نفخ في الصور وهو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام النفخة الثانية ﴿فَذَلِكَ﴾ [المدثر: 9] أي: وقت النفخ في الصور ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ شديد ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المدثر: 10] يعسر عليهم الأمر فيه ﴿غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ هيّن وفيه دلالة على أنه هيِّن على المؤمنين.

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر: 11] فريدًا بلا مال ولا أهل، نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا﴾ [المدثر: 12] كثيرًا كالزرع والضرع والتجارة ﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾ [المدثر: 13] حضورًا بمكة لا يغيبون عنه، وهل هم عشرة أو سبعة أو أكثر من عشرة؟ أقوال، وأسلم منهم ثلاثة خالد، والوليد، وهشام، أو المراد يشهدون المشاهد، وتُقبل شهادتهم ﴿وَمَهَّدْتُ﴾ [المدثر: 14] بسطت ﴿لَهُ﴾ في العيش وطول العمر ﴿تَمْهِيدًا * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ [المدثر: 14 - 15].

﴿كَلَّا﴾ [المدثر: 16] لا أزيده بعد ذلك فما زال بعد نزولها في نقص مال وولد حتى هلك ﴿إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا﴾ أي: القرآن ﴿عَنِيدًا﴾ معاندًا ﴿سَأُرْهِقُهُ﴾ [المدثر: 17] سأكلفه ﴿صَعُودًا﴾ مشقة من العذاب لا راحة له فيها أو جبلاً من نار به يصعد فيه سبعين خريفًا ثم يهوى.

﴿إِنَّهُ﴾ [المدثر: 18] لمَّا سمع القرآن من النبي ﷺ وصدقه وقال: والله لقد سمعت من محمد آنفا كلامًا ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو ولا يعلى، وجاءه أبو جهل فصرفه على الدين ﴿فَكَّرَ﴾ في شأن النبي ﷺ فيما يقول في القرآن الذي سمعه منه ﷺ ﴿وَقَدَّرَ﴾ ماذا يمكنه أن يقول فيهما ﴿فَقُتِلَ﴾ [المدثر: 19] لعن وعذب ﴿كَيْفَ قَدَّرَ﴾ على أي حال كان.

﴿ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥) سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لَا

تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗۙ وَمَا جَعَلۡنَا عِدَّتَهُمۡ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسۡتَيۡقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗاۙ وَلَا يَرۡتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ ﴿٣١﴾ ﴾ [المدثر: ٢٠ - ٣١].

﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ﴾ [المدثر: 20 - 21] في طلب ما يدفع به القرآن، أو في وجوه قومه ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾ [المدثر: 22] قبض وجهه وكلحه ضيقًا بما يقول ﴿وَبَسَرَ﴾ زاد في ذلك ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ [المدثر: 23] على الإيمان ﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾ تكبر حين دُعي إليه عن أتباعه ﷺ ﴿فَقَالَ﴾ [المدثر: 24] فيما جاء به ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ يروى ويحكى عن السحرة ﴿﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدثر: 25] كما سبق في قولهم: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ [النحل: 103].

﴿سَأُصْلِيهِ﴾ [المدثر: 26] أدخله ﴿سَقَرَ﴾ جهنم ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ﴾ [المدثر: 27] تعظيم وتهويل لشأنها ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾ [المدثر: 28] شيئًا مما يدخلها إلا أكلته، ثم يعود كما كان لمزيد العذاب نسأل الله العافية آمين ﴿لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر: 29] مغيرة لظاهر البشر من لاح الشيء إذا غيره ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر: 30] ملكًا خزنتها مالك ومعه ثمانية عشر.

ولمَّا سمع ذلك أبو جهل قال أبو الأسود بن كلدة بن خلف الجمحي: أنا أكفيكم سبعة على ظهري وسبعة على بطني فاكفوني أنتم الباقي، وقال بعضهم: أنا أكفيكم سبعة عشر واكفوني أنتم الباقي فأنزل تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾ [المدثر: 31] فمن ذا يغلبهم ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ﴾ في الغلبة ﴿إِلَّا فِتْنَةً﴾ ضلالاً ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بأن يقولوا ما سبق ﴿لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ أهل التوراة والإنجيل صدقه ﷺ في كونهم تسعة عشر الموافق لما في كتبهم ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ من أهل الكتاب ﴿إِيمَانًا﴾ تصديقًا لموافقة ما أتى به محمد ﷺ لما في كتبهم ﴿وَلَا

﴿يَرْتَابَ﴾ لا يشك ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[1] من غيرهم في عددهم.

﴿وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ شك ونفاق بالمدينة ﴿وَالْكَافِرُونَ﴾ بمكة ﴿مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا﴾ العدد ﴿مَثَلًا﴾ سمّوه بذلك لغرابته ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: كما أضل الله منكم من كذب عدد الخزنة وهدي من صدقه ﴿يُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ﴾ أي: الملائكة وغيرهم ﴿إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ﴾ إلا سقر ﴿إِلَّا ذِكْرَى﴾ تذكرة وموعظة ﴿لِلْبَشَرِ﴾.

﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾﴾ [المدثر: ٣٢ - ٥٠].

﴿كَلَّا﴾ [المدثر: 32] هل هي هنا بمعنى حقًّا أو حرف استفتاح بمعنى إلا، أو رد على زاعمين كفايتهم الخزنة عن بعضهم، أقوال: وعلى الأولين لا يوقف ﴿وَالْقَمَرِ * وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ [المدثر: 32 - 33] ولى، قرأ نافع ويعقوب وحمزة وخلف وحفص: «إذ» بإسكان الذال، أدبر بهمزة مفتوحة وإسكان الدال، والباقون «إذا» بألف بعد الذال

---

(1) لأنَّ عدتهم تسعة عشر في الكتابَيْن فإذا سمعوا مثلها في القرآن تيقّنوا أنه مُنزَّل من عند الله، وهو متعلق بالجعل المذكور، أي: جعلناهم كذلك ليكتسبوا اليقين بنبوته ﷺ، وصِدْقِ القرآن، لموافقته لِما في كتبهم، (ويزداد الذين آمنوا) بمحمد ﷺ (إيمانًا) لتصديقهم بذلك، كما صدّقوا بسائر ما أُنزل، فيزيدون إيماناً مع إيمانهم الحاصل، أو: يزداد إيمانهم تيقُّناً؛ لما رأوا من تسليم أهل الكتاب وتصديقهم، (ولا يرتابَ الذي أوتوا الكتاب والمؤمنون)، تأكيد لِما قبله من الاستيقان وازدياد الإيمان، ونفي لما قد يعتري المستيقن من شُبهة ما، وإنما لم ينظم المؤمنين في سلك أهل الكتاب في الارتياب، حيث لم يقل: ولا يرتابوا؛ للتنبيه على تباين النفيين حالاً، فإنَّ انتفاء الارتياب عن أهل الكتاب مما ينافيه لِما فيه من الجحود، وعن المؤمنين لما يقتضيه من الإيمان، وكم بينهما؟ والتعبير عنهم باسم الفاعل بعد ذكرهم بالموصول والصلة الفعلية المُنبئة عن الحدث؛ للإيذان بثباتهم على الإيمان بعد ازدياده ورسوخهم في ذلك.

من غير همز وفتح الدال ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾ [المدثر: 34] أضاء وانكشف ﴿إِنَّهَا﴾ [المدثر: 35] أي: النار ﴿لَإِحْدَى الْكُبَرِ﴾ البلايا العظام ﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ * لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ﴾ [المدثر: 36 - 37] إلى النار بالمعصية ﴿أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ عنها بالطاعة، أو يتقدم للجنة، أو للخير بالإيمان والطاعة، أو يتأخر إلى البشر، أو إلى النار بالكفر.

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: 38] مرتهنة في النار بكسبها؛ أي: موجودة بعملها في النار ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ [المدثر: 39] وهم المؤمنون فناجون ﴿فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المدثر: 40] بينهم ﴿عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [المدثر: 41] وحالهم، ويقول المؤمنون للكافرين بعد إخراج الموحدين من النار ﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾ [المدثر: 42] أدخلكم ﴿فِي سَقَرَ﴾.

﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ﴾ [المدثر: 43 - 45] في الباطل ﴿مَعَ الْخَائِضِينَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ [المدثر: 45 - 46] البعث ﴿حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ﴾ [المدثر: 47] الموت ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: 48] من ملك، ونبي، وصالح، والمعنى: لا يشفع فيهم أحد منهم ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ [المدثر: 49] المعنى: أي شيء حصل لهم في إعراضهم عن الاتعاظ ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾ [المدثر: 50] قرأ المدنيان وابن عامر بفتح الفاء، والباقون بالكسر، والمعنى: تشبههم بحمر وحشية.

﴿ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [المدثر: ٥١ - ٥٦].

﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾[1] [المدثر: 51] أسد؛ لأن الحمر الوحشية إذا عاينت الأسد

---

(1) أي: من رماة يرمونها، والقسور الرامي، وجمعه قسورة، قاله سعيد بن جبير، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة، وابن كيسان. وقيل: هو الأسد، قاله عطاء والكلبي. قال ابن عرفة: من القسر بمعنى القهر؛ لأنه يقهر السباع. وقيل: القسورة أصوات الناس. وقيل: القسورة بلسان العرب الأسد، وبلسان الحبشة الرماة. وقال ابن الأعرابي: القسورة أوّل الليل، أي: فرت من ظلمة الليل، وبه =

هربت، أو القسورة الرماة ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا﴾ [المدثر: 52] جمع صحفية؛ أي: ورقًا ﴿مُنَشَّرَةً﴾ منشورة مفتوحة من الله تعالى بإتباع محمد ﷺ، كما قالوا: لن نؤمن لك ﴿حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَّقْرَؤُهُ﴾ [الإسراء: 93].

﴿كَلَّا﴾ [المدثر: 53] ردع عن مرادهم ﴿بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾ أي: عذابها ﴿كَلَّا﴾ [المدثر: 54] بمعنى حقًا، أو بمنزلة إلا الاستفتاحية ﴿إِنَّهُ﴾ أي: القرآن ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ موعظة للعالمين ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ [المدثر: 55] اتعظ به إذا قرأه ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ﴾ بالمثناة من فوق أوله لنافع، والباقون بالياء من أسفل ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى﴾ [المدثر: 56] بأن يتقي ﴿وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ بأن يغفر للمتقين.

=

قال عكرمة، والأوّل أولى، وكلّ شديد عند العرب فهو: قسورة. [فتح القدير (7/ 359)].

سورة القيامة

مكية سبع وثلاثون، أو أربعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾﴾ [القيامة: ١ - ١٥].

﴿لَا﴾ [القيامة: 1] زائدة هنا وفي المواضع الآتية، أو هي رد لكلام المشركين ﴿أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾(1) [القيامة: 1 - 2] أي: أقسم بها، وهل اللوامة التي تلوم نفسها وإن اجتهدت في الإحسان؟ أو التي ندمت على ما فات؟ **قولان:** ثانيهما أشهر، وجواب القسم محذوف لدلالة ﴿لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن: 7] ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ﴾ [القيامة: 3] أي: الكافر ﴿أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ بعد التفريق والبلى للبعث في الآخرة.

﴿بَلَى﴾ [القيامة: 4] نجمعها ﴿قَادِرِينَ﴾ مع جمعها ﴿عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ أنامله

---

(1) يعني: يظن الإنسان إنا لا نقدر على جمع العظام البالية بعد تفرقها، أما ترى في المغناطيس الذي خلقناه في الدنيا وهو حجر جسماني ظلماني وأودعنا فيه خاصية جذب المتفرقات وجمعها، ومثاله بيّن في عالم الشهادة إذا سحق الحديد سحقًا وتفرق أجزاؤه في حائط ثم أقيم المغناطيس على رأس الحديد المسحوق المتفرق، كيف يجمع المتفرقات؟ بقدرتنا وبضم بعضها إلى بعض، فما ظن الكافر بالروح الإنساني وخاصيته إذا أمرنا أن ينظر إلى أجزاء قالبه المتفرقة لا يقدر أن يجمعها، وخاصية الروح الإنساني اللطيف العلوي لا يكون أقل من الحجر الجسماني الكثيف السفلي.

فنجعل أصابع يديه ورجليه شيئًا واحد كخف البعير فلا يرتفق بها هذا قول الأكثر ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ﴾ [القيامة: 5] يكذب ﴿أَمَامَهُ﴾ يوم القيامة ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾ [القيامة: 6] أي: متى يكون ذلك اليوم سؤال استهزاء وتكذيب.

﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾ [القيامة: 7] شخص وتحير ودهش لمَّا رأى مما كان يكذب به وهو يوم القيامة، وقرأ المدنيان برق بفتح الراء، والباقون بكسرها ﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾ [القيامة: 8] أظلم وذهب ضوءه ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [القيامة: 9] أسودين وألقيا في النار، أو جمع بينهما في ذهاب الضياء، أو طلعا معًا من المغرب ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ﴾ [القيامة: 10] أي: الكافر المكذب بالبعث ﴿يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾ المهرب.

﴿كَلَّا﴾ [القيامة: 11] ردع عن طلب القرار ﴿لَا وَزَرَ﴾ لا حصن يمنع من الله ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ [القيامة: 12] مستقر الخلق، ومصيرهم، ومرجعهم فيحاسب الخلائق ويجازيهم ﴿يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: 13] من سنة حسنة أو غيرها يعمل بها بعد موته وغير ذلك ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ [القيامة: 14] أي: له منه شهود من سمعه وبصره وجوارحه يشهدون عليه ﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾ [القيامة: 15] فيشهد عليه الشاهد ولو اعتذر وجادل عن نفسه بكل معذرة وجدال لم يقبل.

﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ (١٩) كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ (٢٠) وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ (٢١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ (٢٤) تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (٢٥) كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ (٢٦) وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ (٢٧) وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ (٢٨) وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ (٢٩) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ (٣٠) ﴾ [القيامة: ١٦ - ٣٠].

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ﴾ [القيامة: 16] أي: بالقرآن خطاب له ﷺ لما أنه كان يعالج من التنزيل شدة بحيث كان يقرأه مع نزول جبريل به عليه فيشق عليه الاستماع مع التلاوة مع شدة ثقل الوحي، فالمعنى: لا تحرك بالقرآن ﴿لِسَانَكَ﴾ مع تلاوة جبريل ﴿لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ خوف أن ينفلت منك.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ﴾ [القيامة: 17] في صدرك ﴿وَقُرْآنَهُ﴾ قراءتك إياه ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾ [القيامة: 18] عليك بقراءة جبريل ﴿فَاتَّبِعْ﴾ استمع ﴿قُرْآنَهُ﴾ بقراءة جبريل فكان ﷺ بعد ذلك؛ إذا أتاه جبريل استمع له، فإذا انصرف جبريل قرأه النبي ﷺ كما قرأه ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: 19] بالتفهم لك.

﴿كَلَّا﴾ [القيامة: 20] استفتاح بمعنى إلا ﴿بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ الدنيا ﴿وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ [القيامة: 21] فلا يعملون لها، قرأ المدنيان والكوفيون: «تحبون، وتذرون» بالخطاب، وانفرد به العطار عن الهرواني عن ابن ذكوان فيهما، والباقون بالغيب فيهما.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ [القيامة: 22] في يوم القيامة ﴿نَاضِرَةٌ﴾ حسنة مضيئة ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: 23] تنظر إليه عيانًا بلا حجاب ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ [القيامة: 24] كالحة شديدة العبوس ﴿تَظُنُّ﴾ [القيامة: 25] توقن ﴿أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ أمر عظيم كداهية عظيمة بكسر فقرات الظهر.

﴿كَلَّا﴾ [القيامة: 26] بمعنى إلا ﴿إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾ وهو مقدم الحلق من أعلى الصدر وهو موضع الحشرجة ﴿وَقِيلَ﴾ [القيامة: 27] بمعنى قال من حوله: ﴿مَنْ رَاقٍ﴾ يرقية من الرقية، أو المراد: من يرق بروحه إلى السماء أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب؟ ﴿وَظَنَّ﴾ [القيامة: 28] من بلغت نفسه ذلك ﴿أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ علم أنه الموت ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ [القيامة: 29] أي: شدة أمر الدنيا بفراقها بشدة أمر الآخرة بإقبالها، أو ساقاه عند الموت من شدة الكرب ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ﴾ [القيامة: 30] أي: يوم بلوغ الروح الحلقوم ﴿الْمَسَاقُ﴾ أي: إليه يساق الميت.

﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ [القيامة: ٣١ - ٤٠].

﴿فَلَا صَدَّقَ﴾ [القيامة: 31] الميت ﴿وَلَا صَلَّى﴾ ولم يصدق ولم يصل ﴿وَلَكِنْ كَذَّبَ﴾ [القيامة: 32] بالقرآن ﴿وَتَوَلَّى﴾ عن الإيمان ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾

[القيامة: 33] يتبختر أو يتمطط، وهو المتمدد تثاقلاً عن الحق، والمراد به أبو جهل لعنه الله ﴿أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى * ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾ [القيامة: 34 - 35] تأكيد.

﴿أَيَحْسَبُ﴾ [القيامة: 36] أيظن ﴿الإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ هملاً لا يكلف؛ أي: لا يظن ذلك ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى﴾[1] [القيامة: 37] تصب في الرحم، قرأ يعقوب وحفص وهشام بخلاف عنه بمعنى يمني بالياء آخر الحروف في أوله، والباقون بتاء التأنيث ﴿ثُمَّ كَانَ﴾ [القيامة: 38] المنيّ ﴿عَلَقَةً فَخَلَقَ﴾ الله منها الآدمي ﴿فَسَوَّى﴾ عدَّل أعضاءه ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ﴾ [القيامة: 39] أي: من المنيّ المنتقل من العلقة للمضغة ﴿الزَّوْجَيْنِ﴾ النوعين ﴿الذَّكَرَ وَالأُنْثَى﴾ يجتمعان تارة في الرحم، وينفرد كل عن الآخر أخرى ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ﴾ [القيامة: 40] الفعال لهذه الأشياء ﴿بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ بل هو قادر على ذلك.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ منكم** ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ [التين: 1] **وانتهى إلى آخرها** ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الحَاكِمِينَ﴾ [التين: 8] **فليقل: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين، ومن قرأ:** ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيَامَةِ﴾ [القيامة: 1] **فانتهى إلى** ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أن يُحْيِيَ المَوْتَى﴾ [القيامة: 40] **فليقل: بلى، ومن قرأ: المرسلات فبلغ** ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [المرسلات: 50] **فليقل: آمنا بالله** ﷻ»[2].

---

(1) مستأنفة: أي: ألم يك ذلك الإنسان قطرة من منيّ يراق في الرحم، وسمي المنيّ منياً لإراقته، والنطفة: الماء القليل، يقال نطف الماء إذا قطر. قرأ الجمهور: «ألم يك» بالتحتية على إرجاع الضمير إلى الإنسان. وقرأ الحسن بالفوقية على الالتفات إليه توبيخًا له. وقرأ الجمهور أيضًا: «تمنى» بالفوقية على أن الضمير للنطفة. وقرأ حفص، وابن محيصن، ومجاهد، ويعقوب بالتحتية على أن الضمير للمني، ورويت هذه القراءة عن أبي عمرو، واختارها أبو حاتم. انظر: [فتح القدير (7 /370)].

(2) رواه أبو داود (3/189).

سورة الإنسان

قيل: مدنية، وقيل: مكية إلا آية واحدة ﴿وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً﴾ [الإنسان: 24] إحدى وثلاثون آية بالاتفاق.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾ [الإنسان: ١ - ١٠].

﴿هَلْ﴾ [الإنسان: 1] بمعنى قد ﴿أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾[1] آدم ﴿حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ﴾

(1) (هل) حرف استفهام، فإن دخلت على الجملة الاسمية لم يمكن تأويله بقد، لأن قد من خواص الفعل، فإن دخلت على الفعل فالأكثر أن تأتي للاستفهام المحض. وقال ابن عباس وقتادة: هي هنا بمعنى قد. قيل: لأن الأصل أهل، فكأن الهمزة حذفت واجتزىء بها في الاستفهام، فالمعنى: أقد أتى على التقدير والتقريب جميعاً، أي أتى على الإنسان قبل زمان قريب حين من الدهر لم يكن كذا، فإنه يكون الجواب: أتى عليه ذلك وهو بالحال المذكور. وما تليت عند أبي بكر، وقيل: عند عمر رضي الله تعالى عنهما قال: ليتها تمت، أي ليت تلك الحالة تمت، وهي كونه شيئًا غير مذكور ولم يخلق ولم يكلف. والإنسان هنا جنس بني آدم، والحين الذي مرّ عليه، إما حين عدمه، وإما حين كونه نطفة. وانتقاله من رتبة إلى رتبة حتى حين إمكان خطابه، فإنه في تلك المدة لا ذكر له، وسمي إنساناً باعتبار ما صار إليه. وقيل: آدم عليه الصلاة والسلام، والحين الذي مر عليه هي المدة التي بقي فيها إلى أن نفخ فيه الروح. وعن ابن عباس: بقي طينًا =

زمن منه، وهو أربعون سنة ﴿لَمْ يَكُنْ﴾ في ذلك الحين ﴿شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ كان فيه مصورًا من طين لا يذكر، ويصح أن يراد بالإنسان: الجنس، وبالحين: مدة الحمل.

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ [الإنسان: 2] الجنس ﴿مِنْ نُطْفَةٍ﴾ منيّ الرجل والمرأة ﴿أَمْشَاجٍ﴾ أخلاط ماء الرجل بماء المرأة وامتزاجهما ﴿نَبْتَلِيهِ﴾ نختبره بالتكليف ﴿فَجَعَلْنَاهُ﴾ بسبب إرادة ابتلائه ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾.

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ [الإنسان: 3] بينًّا له طريق الهدى ببعث الرسل - عليهم أشرف الصلاة والسلام - ﴿إِمَّا شَاكِرًا﴾ أي: مؤمنًا ﴿وَإِمَّا كَفُورًا﴾.

﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا﴾ [الإنسان: 4] هيأنا ﴿لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا﴾ يسحبون بها في النار، قرأ المدنيان والكسائي وأبو بكر والحلواني عن هشام وأبو الطيب عن رويس بتنوين «سلاسل» والوقف بالألف عندهم، والباقون بغير تنوين وقف منهم بالألف أبو عمرو، واختلف عن ابن بشر وابن ذكوان وحفص وروح، والباقون بغير ألف ﴿وَأَغْلَالًا﴾ في أعناقهم شد فيها السلاسل ﴿وَسَعِيرًا﴾ نارًا مسعرة؛ أي: محرقة.

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ﴾ [الإنسان: 5] جمع بارًا وبر، وهم المطيعون، ومن وصفهم ما قاله الحسن أنهم لا يؤذون الذر ولا يرضون الشر ﴿يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ﴾ هو إناء فيه خمر ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾ ما تمزج به ﴿كَافُورًا﴾ المراد: ممزوج لهم بالكافور، أو هو عين في الجنة، أو المراد: كافورًا في النكهة والطعم ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا﴾ [الإنسان: 6] أي: منها ﴿عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ يفتتونها حيث شاءوا من دورهم فهي تجري عند كل أحد منهم كذلك، وقيل: هي عين في دار محمد ﷺ تفجر إلى دور الأنبياء والمؤمنين.

﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ [الإنسان: 7] في طاعة الله تعالى ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا﴾ هو يوم القيامة ﴿كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ منتشرًا ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾ [الإنسان: 8] هل المعنى على محبة الطعام وشهوتهم له أو على حب الله تعالى؟ ﴿مِسْكِينًا﴾ فقيرًا

=

أربعين سنة، ثم صلصالاً أربعين، ثم حمأ مسنوناً أربعين، فتم خلقه في مائة وعشرين سنة، وسمي إنسانًا باعتبار ما آل إليه. والجملة من (لم يكن) في موضع الحال من الإنسان، كأنه قيل: غير مذكور، وهو الظاهر أو في موضع الصفة لحين، فيكون العائد على الموصوف محذوفًا، أي لم يكن فيه. انظر [تفسير البحر المحيط (10 /401)].

﴿وَيَتِيمًا﴾ صغيرًا لا أب له ﴿وَأَسِيرًا﴾ هل هو من جنس الحق؟ أو من أسارى الكفار إلى أن يختار الإمام فهم ما تقتضيه المصلحة؟ أو للملوك؟ أو المرأة؟ أقوال: **أولاها:** الأولان، ويصح إرادة الكل.

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً﴾ [الإنسان: 9] على ذلك أي: مكافأة ﴿وَلَا شُكُورًا﴾ شكرًا على ذلك، وهل تكلموا بذلك؟ أو علمه الله تعالى فأثنى عليهم به؟ قولان ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا﴾ [الإنسان: 10] كرهًا لشدته ﴿قَمْطَرِيرًا﴾ شديدًا في الشدة والطول.

﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [الإنسان: ١١ - ٢٠].

﴿فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾ [الإنسان: 11] الذي يخافوا ﴿وَلَقَّاهُمْ﴾ أعطاهم ﴿نَضْرَةً﴾ حسنًا وإضاءة في الوجه ﴿وَسُرُورًا﴾ في القلوب بدل عبوس الفجور وحزنهم ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الإنسان: 12] بسبب صبرهم على الطاعة وعن المعصية مع الله ورسله ﴿جَنَّةً﴾ أدخلوها ﴿وَحَرِيرًا﴾ ألبسوه.

﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ [الإنسان: 13] السرر في الحجال ﴿لَا يَرَوْنَ﴾ لا يجدون ﴿فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ أي: لا حرًا ولا بردًا، أو الزمهرير القمر فهي مضيئة بلا شمس ولا قمر ﴿وَدَانِيَةً﴾ [الإنسان: 14] قريبة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ منهم ﴿ظِلَالُهَا﴾ أي: ظلال الشجرة ﴿وَذُلِّلَتْ﴾ ونبت ﴿قُطُوفُهَا﴾ ثمارها ﴿تَذْلِيلًا﴾ فيأكلون من ثمارها قيامًا وقعودًا، أو مضطجعين كيف شاءوا على أي حال كانوا.

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾ [الإنسان: 15] أقداح بلا عرى ﴿كَانَتْ قَوَارِيرَ﴾ قرأ المدنيان وابن كثير والكسائي وأبو بكر وخلف بالتنوين ويعقوب بالألف،

وانفرد به بعضهم بطريقة هشام، والباقون بلا تنوين، وكلهم يقف بالألف إلا حمزة وريسًا، واختلف عن روح ﴿قَوَارِيرَ﴾ [الإنسان: 16] قرأ المدنيان والكسائي وأبو بكر بالتنوين، ووفقهم بلا ألف سوى هشام في بعض طرقه فاختلف عنه في الوقف ﴿مِنْ فِضَّةٍ﴾ يرى باطنها من ظاهرها كالزجاج فهي من فضة في صفائه ﴿قَدَّرُوهَا﴾ أي: الطائفون ﴿تَقْدِيرًا﴾ على قدر ري الشاربين منها من غير زيادة ولا نقص؛ لأنه ألذ الشراب.

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا﴾ [الإنسان: 17] خمرًا ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾ ما تمزج به ﴿زَنْجَبِيلًا﴾ وهو من لذات المشروب؛ لأنه طيب حار، وقيل: هو عين في الجنة ﴿عَيْنًا فِيهَا﴾ [الإنسان: 18] في الجنة ﴿تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾ [الإنسان: 19] بلا فناء وسماهم ولدانًا؛ لأنهم على صفتهم لا يتغيرون عن تلك ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ﴾ لحسنهم وانتشارهم في الخدمة ﴿لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا﴾ من سلكه أو صدفه لبياضهم وانتشارهم في مساكن الجنة، وقال منثورًا وذلك؛ لأن رؤية اللؤلؤ المنثور أحسن منه في غير ذلك ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ [الإنسان: 20] أي: في الجنة ﴿رَأَيْتَ نَعِيمًا﴾ عظيمًا لا يوصف ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ واسعًا لا غاية له.

﴿ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾ [الإنسان: ٢١ - ٣١].

﴿عَالِيهُمْ﴾ [الإنسان: 21] فوقهم بإسكان الياء في قراءة حمزة والمدنيين،

والباقون بفتحها ﴿ثِيَابُ سُنْدُسٍ﴾ هل هو الحرير الأخضر أو رقيق الديباج المرتفع منه؟ ﴿خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ غليظ الديباج، قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وخلف وأبو بكر: «خضر» بالخفض، والباقون بالرفع، وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم: «وإستبرق» بالرفع، والباقون بالخفض ﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ كما حلوا أساور من ذهب ليجمع لهم بين النوعين، فإن شاءوا أفردوا وإن شاءوا أجمعوا ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾[1] مبالغة في طهارته لم تدنسه الأيدي، ولم تدنسه الأرجل، ولا يصير بدلائل رشح مسك بخلاف خمر الدنيا.

﴿إِنَّ هَذَا﴾ [الإنسان: 22] المذكور من النعيم ﴿كَانَ لَكُمْ جَزَاءً﴾ عظيمًا ﴿وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾ وإن كان سعيكم قليلاً ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ [الإنسان: 23] ولم ننزله جملة واحدة ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ [الإنسان: 24] أي: لما حكم به عليك من تبليغ رسالاته ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ﴾ أي: مشركي مكة ﴿آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ هل أو بمعنى الواو، والمراد أبو جهل؟ أو المراد بالآثم: أبو جهل، أو عتبة بن ربيعة، وبالكفور: الوليد بن المغيرة؟ قولان، وكانا قالا له ﷺ ارجع عن هذا الأمر، ويجوز أن يراد كل آثم وكافر، فالمعنى لا تطع واحدًا منهما فيما دعاك إليه من إثم وكفر.

﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً﴾ [الإنسان: 25] الفجر ﴿وَأَصِيلًا﴾ الظهر والعصر ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ﴾ [الإنسان: 26] صلاتي المغرب والعشاء ﴿وَسَبِّحْهُ﴾ صل له تطوعًا ﴿لَيْلًا طَوِيلًا﴾ كما تقدَّم في المزمل في ثلثه ونصفه.

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾ [الإنسان: 27] كفار مكة ﴿يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ الدنيا ﴿وَيَذَرُونَ﴾ يتركون ﴿وَرَاءَهُمْ﴾ أمامهم ﴿يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ شديدًا وهو يوم القيامة؛ لأنهم لا يعملون له.

﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ﴾ [الإنسان: 28] فكيف لا يطيعون ﴿وَشَدَدْنَا﴾ قوَّينا أو أحكمنا

---

(1) قال الورتجبي: حقيقة إشارته أنه تعالى عرَّف لهم الطريق، فمن بقى في الطريق ولم يصل إليه فمنعه لم يبلغ، ومن وصل إليه فيجد به بلغ إليه، فمن بلغ يكون بمعرفته شاكرًا له، ومن لم يبلغ إليه فيجد؛ لأنه يكون كافرًا به، إذ لم يذق طعم الوصال، ولم يرَ نور مشاهدة الجمال، مهَّد الطريق، ونصَّب الأعلام، وأوضح المنار والأدلة، ودعاهم به إلى نفسه، فمن واصل يسكن بما وجد به وهو شاكرٌ، ومن واصل لم يسكن بما وجد، ويكون معربدًا بطلب مزيد الدنوّ، وفي كل ما وجد لم يكن راضيًا حتى وصل إلى غيبوبة الغيب، ويشرب من أنهار صرف الصفات والذات، فيخرج متحدًا يدَّعي الربوبية، ويكون كافر الحقيقة.

﴿أَسْرَهُمْ﴾ أعضاءهم ومفاصلهم خلقتهم فكيف لا يتوجهون بها في الطاعات؟ ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا﴾ جعلنا ﴿أَمْثَالَهُمْ﴾ في الخلقة بدلاً منهم بعد إهلاكهم ﴿تَبْدِيلًا﴾.

﴿إِنَّ هَـٰذِهِ﴾ [الإنسان: 29] الآية أو السورة أو الشريعة بجملتها ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ عظة للعالمين ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ وسيلة بالطاعة ﴿وَمَا تَشَاءُونَ﴾ [الإنسان: 30] قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بخلاف عنه: «يشاءون» بالغيب، والباقون بالخطاب ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أي: وما تشاءون السبيل إليه بطاعته إلا أن يشاء هو ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾[1] [الإنسان: 30 - 31] جنته ﴿وَالظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ شديدًا.

---

(1) قال ابن الخطيب: إن فسرنا الرحمة بالإيمان فالآية صريحة في أن الإيمان من الله تعالى، وإن فسرناها بالجنة كان دخول الجنة بسبب مشيئته بسبب مشيئة الله تعالى وفضله، وإحسانه لا بسبب الاستحقاق؛ لأنه لو ثبت الاستحقاق لكان تركه يفضي إلى الجَهْل أو الحاجة، وهما محالان على الله تعالى، والمفضي إلى المحال محال، فتركه محال، فوجوده واجبٌ عقلاً، وعدمه ممتنعٌ عقلاً، وما كان كذلك لا يكون معلقاً على المشيئة ألبتة.

سورة المرسلات

مكية خمس وأربعون، أو خمسون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٢) وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (٣) فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا (٤) فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (٥) عُذْرًا أَوْ نُذْرًا (٦) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ (٧) فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (٨) وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ (٩) وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ (١٠) وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ (١١) لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (١٢) لِيَوْمِ الْفَصْلِ (١٣) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ (١٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٥) أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ (١٦) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ (١٧) كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (١٨) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٩) أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (٢٠)﴾ [المرسلات: ١ - ٢٠].

﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ [المرسلات: 1] بالعرف، هل هي الرياح كعرف الفرس متتابعة يتلو بعضها بعضًا، أو الملائكة أرسلت بالمعروف من أمر الله ونهيه أو السحاب؟ أقوال: **أصحها:** ثانيها ﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾ [المرسلات: 2] الرياح الشديدة الهبوب ﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾ [المرسلات: 3] الرياح بين يدي المطر ﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا﴾[1]

---

(1) قوله: (والمرسلات عُرْفاً) قال جمهور المفسرين: هي الرياح. وقيل: هي الملائكة، وبه قال مقاتل، وأبو صالح، والكلبي. وقيل: هم الأنبياء، فعلى الأوّل أقسم سبحانه بالرياح المرسلة لما يأمرها به، كما في قوله: (وَأَرْسَلْنَا الرياح لَوَاقِحَ) وقوله: (يُرْسِلُ الرياح) وغير ذلك. وعلى الثاني أقسم سبحانه بالملائكة المرسلة بوحيه وأمره ونهيه. وعلى الثالث أقسم سبحانه برسله المرسلة إلى عباده لتبليغ شرائعه، وانتصاب (عُرْفاً) إما على أنه مفعول لأجله، أي: المرسلات لأجل العرف، وهو ضدّ النكر أو على أنه حال بمعنى متتابعة يتبع بعضها بعضًا كعرف الفرس، تقول العرب: سار الناس إلى فلان عرفًا واحدًا: إذا توجهوا إليه، وهم على فلان كعرف الضبع: إذا تألبوا عليه، أو على أنه مصدر كأنه قال: والمرسلات إرسالاً، أي: متتابعة، أو على أنه منصوب بنزع الخافض، أي: والمرسلات بالعرف. قرأ الجمهور: (عرفاً) بسكون الراء. وقرأ عيسى بن عمر =

[المرسلات: 4] أي: آيات القرآن تفرق بين الحق والباطل، أو الملائكة تأتي بالفارق بينهما، أو الرياح تفرق بين السحاب ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا﴾ [المرسلات: 5] هم الملائكة يلقون الذكر إلى الأنبياء وهو الوحي وهم يلقونه إلى الأمم ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ [المرسلات: 6] أي: معذرين، أو منذرين من الله تعالى.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ [المرسلات: 7] يا كفار مكة من بعث وعذاب ﴿لَوَاقِعٌ﴾ وعذاب لواقع الكائن لا محالة ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ [المرسلات: 8] محي نورها ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ [المرسلات: 9] شقت ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ [المرسلات: 10] أزيلت من أماكنها فُتِتَت وسُيِّرَت ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ [المرسلات: 11] قرأ أبو عمرو وابن وردان وابن جماز من طريق الهاشمي بواو مضمومة، وانفرد به مهران عن روح،

=

بضمها. وقيل: المراد بالمرسلات السحاب لما فيها من نعمة ونقمة: (فالعاصفات عَصْفاً) وهي الرياح الشديدة الهبوب. قال القرطبي بغير اختلاف: يقال عصف بالشيء: إذا أباده وأهلكه، وناقة عصوف، أي: تعصف براكبها، فتمضي كأنها ريح في السرعة، ويقال عصفت الحرب بالقوم إذا ذهبت بهم. وقيل: هي الملائكة الموكلون بالرياح يعصفون بها، وقيل: يعصفون بروح الكافر. وقيل: هي الآيات المهلكة كالزلازل، ونحوها (والناشرات نَشْراً) يعني: الرياح تأتي بالمطر، وهي تنشر السحاب نشرًا، أو الملائكة الموكلون بالسحاب ينشرونها، أو ينشرون أجنحتهم في الجوّ عند النزول بالوحي، أو هي الأمطار لأنها تنشر النبات. وقال الضحاك: يريد ما ينشر من الكتب وأعمال بني آدم. وقال الربيع: إنه البعث للقيامة بنشر الأرواح، وجاء بالواو هنا لأنه استئناف قسم آخر: (فالفارقات فَرْقاً) يعني: الملائكة تأتي بما يفرّق بين الحق والباطل. والحلال والحرام. وقال مجاهد: هي الريح تفرق بين السحاب فتبدّده. وروي عنه أنها آيات القرآن تفرق بين الحق والباطل، وقيل: هي الرسل فرقوا ما بين ما أمر الله به ونهى عنه، وبه قال الحسن: (فالملقيات ذِكْراً) هي الملائكة. قال القرطبي بإجماع، أي: تلقي الوحي إلى الأنبياء. وقيل: هو جبريل، وسمي باسم الجمع تعظيمًا له. وقيل: هي الرسل يلقون إلى أممهم ما أنزل الله عليهم، قاله قطرب. قرأ الجمهور: (فالملقيات) بسكون اللام، وتخفيف القاف اسم فاعل، وقرأ ابن عباس بفتح اللام، وتشديد القاف من التلقية وهي إيصال الكلام إلى المخاطب، والراجح أن الثلاثة الأول للرياح، والرابع والخامس للملائكة، وهو الذي اختاره الزجاج، والقاضي، وغيرهما. [فتح القدير (7 /385)].

والباقون بهمزة مضمومة، وروى ابن مروان والهاشمي عن ابن جماز بتخفيف القاف، والباقون بتشديدها، والمعنى: جمعت لوقت ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ﴾ [المرسلات: 12] قصد به تعظيمه؛ أي: يوم عظيم ﴿أُجِّلَتْ﴾ للشهادة على أممهم بالتبليغ ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾ [المرسلات: 13] بين الخلائق، بيان لما قبله، ويؤخذ منه جواب، فإذا النجوم؛ أي: بأن الأمر والفصل فيها ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ [المرسلات: 14] تهويل لشأنه ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: 15] الخبر، وهو وعيد لهم.

﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾ [المرسلات: 16] بتكذيبهم والمعنى أهلكناهم ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ﴾ [المرسلات: 17] أي: ثم نحن نتبعهم كفار مكة فنهلكهم ﴿كَذَلِكَ﴾ [المرسلات: 18] مثل فعلنا بالمكذبين ﴿نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ بكل من أجرم فيما بعد فنهلكه ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ [المرسلات: 19 - 20] ضعيف وهو المنيّ.

﴿ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [المرسلات: ٢١ - ٤٠].

﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ [المرسلات: 21] جديد وهو الرحم ﴿إِلَى قَدَرٍ﴾ [المرسلات: 22] وقت ﴿مَعْلُومٍ﴾ وهو وقت الولادة ﴿فَقَدَرْنَا﴾ [المرسلات: 23] على ذلك ﴿فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ نحن قرأ المدنيان والكسائي: «فقدَّرنا» بتشديد الدال، والباقون بالتخفيف ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: 24].

﴿أَلَـمْ نَجْعَـلِ الْأَرْضَ كِفَاتًـا﴾ [المرسـلات: 25] ضـامة مـن كفـت إذا ضـمت ﴿أَحْيَاءً﴾ [المرسلات: 26] على ظهرها ﴿ وَأَمْوَاتًا﴾ في بطنها ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ﴾ [المرسـلات: 27] جبالاً مرتفعات ﴿وَأَسْـقَيْنَاكُمْ مَـاءً فُـرَاتًا﴾ عـذبًا ﴿وَيْـلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: 28] بيّن.

ومنهم المقول لهم يوم القيامة: ﴿انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ﴾ [المرسلات: 29] من العذاب ﴿تُكَذِّبُونَ﴾ في الدنيا ﴿انْطَلِقُوا﴾ [المرسلات: 30] بكسر اللام لكل القراء إلا رويسًا فبفتحها ﴿إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ هو دخان جهنم إذا ارتفع افترق ثلاث فرق لكثرته ﴿لَا ظَلِيلٍ﴾ [المرسلات: 31] كنين من الكن، وهو الإظلال من حرّ ذلك اليوم ﴿وَلَا يُغْنِي﴾ يرد عنهم شيئًا ﴿مِنَ اللَّهَبِ﴾.

﴿إِنَّهَا﴾ [المرسلات: 32] أي: النار ﴿تَرْمِي بِشَرَرٍ﴾ هو ما تطاير منها، واحدته شررة ﴿كَالْقَصْرِ﴾ للبناء العظيم ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ﴾[1] [المرسلات: 33] جمع: جمالة، وهي جمع جمل، قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص جملة بلا ألف بعد اللام، والباقون بالألف وضم الجيم رويس وحفص وكسرها الباقون ﴿صُفْرٌ﴾ في هيئتها ولونها، والعرب تسمى الإبل صفر الأجل إن سوادها مشوب بالصفرة، فمن ثم قيل: صفر هنا بمعنى سود ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: 34].

﴿هَـٰذَا﴾ [المرسـلات: 35] أي: يـوم القـيامة ﴿يَـوْمُ لَا يَـنْطِقُونَ﴾ فيه لـشيء ﴿وَلَا يُـؤْذَنُ لَهُـمْ﴾ [المرسـلات: 36] فـي العـذر ﴿فَيَعْـتَذِرُونَ﴾ وفـي يـوم القـيامة وافـق، ففـي بعـضها يختـصمون ويـتكلمون، وفـي بعـضها يخـتم علـى أفـواههم فـلا يـنطقون، ولا يعتذرون لعدم الإذن فلا اعتذار ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: 37].

---

(1) وهي جمع جمال، وهي الإبل، أو جمع جمالة. قرأ الجمهور: «جمالات» بكسر الجيم. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص: (جمالة) جمع جمل. وقرأ ابن عباس، والحسن، وابن جبير، وقتادة، وأبو رجاء: (جمالات) بضم الجيم، وهي حبال السفن. قال الواحدي: والصفر معناها السود في قول المفسرين. قال الفرّاء: الصفر سواد الإبل لا يرى أسود من الإبل إلاّ وهو مشرب صفرة، لذلك سمت العرب سود الإبل صفرًا. قيل: والشرر إذا تطاير وسقط وفيه بقية من لون النار أشبه شيء بالإبل السود. انظر [فتح القدير (7 /389)].

﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ [المرسلات: 38] بين أهل الجنة والنار ﴿جَمَعْنَاكُمْ﴾ يا مكذبي هذه الأمة ﴿وَالْأَوَّلِينَ﴾ ممن كذب قبلكم فيحاسبون وتعذبون جميعًا ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ﴾ [المرسلات: 39] حيلة تدفع العذاب ﴿فَكِيدُونِ﴾ بفعلها ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: 40].

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المرسلات: ٤١ - ٥٠].

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ﴾ [المرسلات: 41] جمع ظل، والمراد: تكاثف ظل الأشجار؛ إذ لا شمس يستظل من حرّها ﴿وَعُيُونٍ﴾ ماء تنبع وتجري ﴿وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [المرسلات: 42] فمأكلهم ومشربهم حسب شهواتهم بخلاف الدنيا إذ ذلك بحسب الموجود الغالب لعدم وجود الشيء في غير أنه ويقال لهم: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾ [المرسلات: 43] متهنئين ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الطاعات ﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾ [المرسلات: 44] كما جزينا المتقين ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ بالطاعة ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: 45].

ثم هددهم بقوله: ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا﴾ [المرسلات: 46] خطاب لهم في الدنيا ﴿قَلِيلًا﴾ وغايته الموت ﴿إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا﴾ [المرسلات: 46 - 48] صلوا ﴿لَا يَرْكَعُونَ﴾ لا يصلون ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: 49].

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾ [المرسلات: 50] أي: القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ إذا لم يؤمنوا به، والمعنى لا يمكن إيمانهم بغيره من كتب الله بعد تكذيبهم به؛ لاشتماله على الإعجاز الذي لم يشتمل عليه غيره.

سورة التساؤل

ويقال لها النبأ والمعصرات وعمَّ

مكية أربعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [النبأ: ١ - ٢٠].

﴿عَمَّ﴾ [النبأ: 1] عن أي شيء ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾[1] يسأل بعض قريش بعضًا ﴿عَنِ

(1) قال: (عم يتساءلون). وقرأ الجمهور: (عم)؛ وعبد الله وأبي وعكرمة وعيسى: عما بالألف، وهو أصل عم، والأكثر حذف الألف من ما الاستفهامية إذا دخل عليها حرف الجر وأضيف إليها. وقرأ الضحاك وابن كثير في رواية: عمه بهاء السكت، أجرى الوصل مجرى الوقف، لأن الأكثر في الوقف على ما الاستفهامية هو بإلحاق هاء السكت، إلا إذا أضيفت إليها فلا بد من الهاء في الوقف، نحو: بحى مه. والاستفهام عن هذا فيه تفخيم وتهويل وتقرير وتعجيب، كما تقول: أي رجل زيد؟ وزيد ما زيد، كأنه لما كان عديم النظير أو قليله خفي عليك جنسه فأخذت تستفهم عنه. ثم جرد العبارة عن تفخيم الشيء، فجاء في القرآن، والضمير في (يتساءلون) لأهل مكة. ثم أخبر تعالى أنهم (يتساءلون عن النبإ العظيم)، وهو أمر رسول الله ﷺ وما جاء به من القرآن. وقيل: الضمير لجميع العالم، فيكون الاختلاف تصديق المؤمن وتكذيب الكافر. وقيل: المتساءل فيه البعث، والاختلاف فيه عم متعلق بيتساءلون. ومن قرأ عمه بالهاء في الوصل فقد ذكرنا أنه يكون أجرى الوصل مجرى الوقف، وعن النبأ متعلق بمحذوف، أي يتساءلون عن النبأ. وأجاز الزمخشري أن يكون وقف على عمه، ثم ابتدأ بيتسألون عن النبأ العظيم على أن يضمر لعمه =

﴿النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ [النبأ: 2] بيان للشيء المستفهم عنه، وهو القرآن، وقيل: هو البعث فقط ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ [النبأ: 3] فالمؤمن يثبته، والكافر ينفيه ﴿كَلَّا﴾ [النبأ: 4] ردع ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ ما يحل بهم علا إنكارهم له ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ [النبأ: 5].

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾ [النبأ: 6] فراشًا كمهد الطفل ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾[1] [النبأ: 7] للأرض تثبت بها كالخيام بالأوتاد، والاستفهام للتقرير ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [النبأ: 8] أصنافًا ذكورًا وإناثًا ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ [النبأ: 9] راحة لأبدانكم ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ [النبأ: 10] غطاء وغشاء يستر كل شيء بظلمته وسواده ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبأ: 11] وقتًا للمعايش ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا﴾ [النبأ: 12] من السماوات ﴿شِدَادًا﴾ جمع شديدة، والمعنى: قوَّته محكمة ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا﴾ [النبأ: 13] منيرًا وهو الشمس ﴿وَهَّاجًا﴾ مضيئًا وقَّادًا.

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ [النبأ: 14] هل هي الرياح التي تعصر السحاب، أو الرياح ذات الأعاصير، أو السحاب التي جاء وقت مطرها كالمعصر الجارية القريبة من الحيض؟ ﴿مَاءً ثَجَّاجًا﴾ صبَّابًا ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ﴾ [النبأ: 15] أي: بذلك الماء ﴿حَبًّا﴾ ما يأكله الناس كالحنطة ﴿وَنَبَاتًا﴾ ما تنبته الأرض مما يأكله الأنعام كالتبن ﴿وَجَنَّاتٍ﴾

=

يتساءلون، وحذفت لدلالة ما بعدها عليه، كشيء مبهم ثم يفسر. وقال ابن عطية: قال أكثر النحاة قوله (عن النبأ العظيم) متعلق بيتساءلون، الظاهر كأنه قال: لم يتساءلون عن النبأ العظيم؟ وقال الزجاج: الكلام تام في قوله (عم يتساءلون)، ثم كان مقتضى القول أن يجيب مجيب فيقول: يتساءلون عن النبأ، فاقتضى إيجاز القرآن وبلاغته أن يبادر المحتج بالجواب الذي يقتضيه الحال، والمجاورة اقتضاء بالحجة وإسراعًا إلى موضع قطعهم. وقرأ عبد الله وابن جبير: يسألون بغير تاء وشد السين، وأصله يتساءلون بتاء الخطاب، فأدغم التاء الثانية في السين. (كلا): ردع للمتسائلين. وقرأ الجمهور: بياء الغيبة فيهما. وعن الضحاك: الأول بالتاء على الخطاب، والثاني بالياء على الغيبة. وهذا التكرار توكيد في الوعيد وحذف ما يتعلق به العلم على سبيل التهويل، أي سيعلمون ما يحل بهم. انظر [تفسير البحر المحيط (10 /418)].

(1) إنَّ هذه الآية إنَّما ذكرت ليستدلّ على وجود الصَّانع؛ والشروط فيه أن يكون ذلك أمراً مشاهداً معلوماً، حتى يصح الاستدلال به على وجود الصانع لأنَّ الشيء إذا رأيت حجمه، ومقداره، صار ذلك الحجم؛ وذلك المقدار عبرة.

[النبأ: 16] بساتين ﴿أَلْفَافًا﴾ ملتفة الأشجار، جمع: لفيف كأشراف وشريف.

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ [النبأ: 17] بين الخلائق؛ أي: يوم القيامة ﴿كَانَ مِيقَاتًا﴾ وقت للثواب والعقاب ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ [النبأ: 18] القرن، والنافخ فيه إسرافيل ﴿فَتَأْتُونَ﴾ من القبور للموقف ﴿أَفْوَاجًا﴾ جماعات مختلفة ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ﴾ [النبأ: 19] تشققت لنزول الملائكة ﴿فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ ذات أبواب ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ﴾ [النبأ: 20] عن وجه الأرض ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ أي: ﴿هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾ [الواقعة: 6] أو مثله في حقه سيرها.

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾ [النبأ: ٢١ - ٤٠].

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾[1] [النبأ: 21] أي: معدة ﴿لِلطَّاغِينَ﴾ [النبأ: 22]

---

(1) مفعال من الرصد، ترصد من حقت عليه كلمة العذاب. وقال مقاتل: مجلسًا للأعداء وممرًا للأولياء، ومفعال للمذكر والمؤنث بغير تاء وفيه معنى النسب، أي ذات رصد، وكل ما جاء من الأخبار والصفات على معنى النسب فيه التكثير واللزوم. وقال الأزهري: المرصاد: المكان الذي يرصد فيه العدو. وقال الحسن: إلا أن على النار المرصاد. فمن جاء بجواز جاز، ومن لم يجيء بجواز احتبس. وقرأ أبو عمر والمنقري وابن يعمر: أن جهنم، بفتح الهمزة؛ والجمهور: بكسرها. انظر [تفسير البحر المحيط (10/ 421)].

الكافرين فلا يتجاوزون ﴿مَآبًا﴾ مرجعًا لهم فيدخلونها ﴿لَابِثِينَ﴾ [النبأ: 23] قرأ حمزة وروح: «لبثين» بلا ألف، والباقون بألف ﴿فِيهَا أَحْقَابًا﴾ **والأحقاب:** الدهور التي لا نهاية لها، وليس المراد أن لعذابهم غاية لقوله ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: 30] ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾ [النبأ: 24] هل هو النوم أو الراحة؟ أو لا يذوقون فيها بردًا نافعًا من حرّها؟ **أقوال** كلها صحيحة والأول قدره بقوله: لا يذوقونه بسبب النوم ﴿وَلَا شَرَابًا﴾ ما يشرب للتلذذ بخلاف ما يشرب للعذاب ﴿إِلَّا﴾ [النبأ: 25] لكن ﴿حَمِيمًا﴾ ماء حارًا غاية الحرارة ﴿وَغَسَّاقًا﴾ هل هو الزمهرير المحرق برده؟ أو صديد أهل النار؟ قولان، وكل يعذبون به، والمعنى لكن هذا فإنهم يذوقونه ﴿جَزَاءً﴾ [النبأ: 26] لهم جزاء ﴿وِفَاقًا﴾ أي: جُزوا به جزاءً موافقًا لعملهم فلا ذنب أكبر من الكفر ولا عذاب أعظم من النار ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ﴾ [النبأ: 27] لا يخافون ﴿حِسَابًا﴾ لإنكارهم البعث ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [النبأ: 28] القرآن ﴿كِذَّابًا﴾ تكذيبًا ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ [النبأ: 29] من الأعمال ﴿أَحْصَيْنَاهُ﴾ بينَّاه في اللوح المحفوظ ﴿كِتَابًا﴾ كتبا في اللوح المحفوظ لنجازيهم عليه ﴿فَذُوقُوا﴾ [النبأ: 30] أي: يقال لهم في الآخرة عند وقوع العذاب عليهم: ذوقوا جزاءكم ﴿فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ فوق عذابكم.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ [النبأ: 31] مكان فوز في الجنة ﴿حَدَائِقَ﴾ [النبأ: 32] بساتين ﴿وَأَعْنَابًا * وَكَوَاعِبَ﴾ [النبأ: 32 - 33] جواري نواهد قد تكعبت ثديهن جمع كاعب ﴿أَتْرَابًا﴾ مستويات في السن جمع ترب بكسر التاء وسكون الراء ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ [النبأ: 34] مملوءة ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ [النبأ: 35] أي: الجنة عند شرب الخمر وفي سائر أحوالهم ﴿لَغْوًا﴾ باطلاً من الكلام ﴿وَلَا كِذَّابًا﴾ قرأه الكسائي بالتخفيف؛ أي: كذبًا، والباقون بالتشديد ﴿جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ﴾ [النبأ: 36] أي: جزاهم الله بذلك جزاء ﴿عَطَاءً حِسَابًا﴾ أي: كثيرًا مأخوذ من قول العرب: أعطاني فأحسبني؛ أي: أكثر من عطائه حتى قلت حسبي؛ أي: يكفيني.

﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النبأ: 37] قرأ ابن عامر ويعقوب والكوفيون بخفض الباء، والباقون بالرفع ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ﴾ قرأ عاصم وابن عامر ويعقوب: «الرحمن» بخفض النون، والباقون بالرفع ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ أي: الخلق ﴿مِنْهُ﴾ تعالى

﴿خِطَابًا﴾ لا يقدر أحد أن يخاطبه خوفًا منه.

﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ [النبأ: 38] هل هو جبريل أو ملك لم يخلق الله أعظم منه؟ أو خلق على صورة بني آدم؟ أو هم بنو آدم أو جند الله؟ أقوال ﴿وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ أي: مصطفين ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾ أي: الخلق ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ في الكلام ﴿وَقَالَ﴾ قولاً ﴿صَوَابًا﴾ في الدنيا؛ أي: حقًا، وهو لا إله إلا الله، أو قال صوابًا من المؤمنين والملائكة كالشفاعة لمن ارتضى.

﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ﴾ [النبأ: 39] الكائن الواقع وهو يوم القيامة ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا﴾ أي: مرجعًا فيرجع إلى الله بطاعته ليسلم من العذاب ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ﴾ [النبأ: 40] أي: يا كفار مكة ﴿عَذَابًا قَرِيبًا﴾ هو عذاب يوم القيامة جعله قريبًا؛ لأن كل واقع قريب ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ﴾ كل أحد ﴿مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ من خير وغيره ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ﴾ هل هو إبليس أو كل كافر؟ **قولان: أصحهما:** الثاني ﴿يَا﴾ حرف تنبيه ﴿لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾. فلا أعذب بقوله عند قول الله تعالى، وتقدس للبهائم بعد الاقتصاص منها لبعضها كوني ترابًا.

قال أبو هريرة ﷺ فيقول التراب: لا ولا كرامة لك، من جعلك مثلي؟ وما قيل من أن مؤمني الجن يعودون ترابًا الأشهر خلافه، وإنهم يثابون كما يعاقب كفارهم.

سورة النازعات

مكية خمس أو ست وأربعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا (١) وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا (٢) وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا (٣) فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا (٤) فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا (٥) يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ (٦) تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ (٧) قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ (٨) أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ (٩) يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ (١٠) أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ (١١) قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ (١٢) فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ (١٣) فَإِذَا هُم

بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [النازعات: ١ - ٢٠].

﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾ [النازعات: 1] هي: الملائكة تنزع أرواح الكفار حتى إذا كادت تخرج ردت في جسده زيادة لعذابه، وهو المراد بقوله: ﴿غَرْقًا﴾ أي: والنازعات إغراقًا، أو المراد: نزعًا بشدة ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾[1] [النازعات: 2] هي: الملائكة تنشط أرواح

---

(1) أقسم سبحانه بهذه الأشياء التي ذكرها، وهي الملائكة التي تنزع أرواح العباد عن أجسادهم، كما ينزع النازع في القوس، فيبلغ بها غاية المدّ، وكذا المراد: بالناشطات، والسابحات، والسابقات، والمدبرات: يعني: الملائكة، والعطف مع اتحاد الكلّ؛ لتنزيل التغاير الوصفي منزلة التغاير الذاتي، وهذا قول الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم. وقال السديّ: (النازعات) هي النفوس حين تغرق في الصدور. وقال مجاهد: هي الموت ينزع النفس. وقال قتادة: هي النجوم تنزع من أفق إلى أفق، من قولهم: نزع إليه إذا ذهب، أو من قولهم: نزعت بالحبل أي: إنها تغرب وتغيب وتطلع من أفق آخر. وبه قال أبو عبيدة، والأخفش، وابن كيسان. وقال عطاء، وعكرمة: النازعات القسي تنزع بالسهام، وإغراق النازع في القوس أن يمدّه غاية المدّ حتى ينتهي به إلى النصل. وقال يحيى بن سلام: تنزع بين الكلأ وتنفر، وقيل: أراد بالنازعات الغزاة الرماة، وانتصاب (غَرْقاً) على أنه مصدر بحذف الزوائد أي: إغراقاً، والناصب له ما قبله لملاقاته له في المعنى أي: إغراقاً في النزع حيث تنزعها من أقاصي الأجساد، أو على الحال أي: ذوات إغراق، يقال أغرق في الشيء يغرق فيه: إذا أوغل فيه وبلغ غايته ومعنى (الناشطات): أنها تنشط النفوس أي: تخرجها من الأجساد، كما ينشط العقال من يد البعير، إذا حلّ عنه، ونشط الرجل الدلو من البئر: إذا أخرجها، والنشاط: الجذب بسرعة، ومنه الأنشوطة للعقدة التي يسهل حلها. قال أبو زيد: نشطت الحبل أنشطه نشطًا عقدته، وأنشطته، أي: حللته، وأنشطت الحبل، أي: مددته. قال الفراء: أنشط العقال أي: حلّ، ونشط أي: ربط الحبل في يديه. قال الأصمعي: بئر أنشاط أي: قريبة القعر يخرج الدلو منها بجذبة واحدة، وبئر نشوط، وهي التي لا يخرج منها الدلو حتى ينشط كثيرًا. وقال مجاهد: هو الموت ينشط نفس الإنسان. وقال السديّ: هي النفوس حين تنشط من القدمين. وقال عكرمة، وعطاء: هي الأوهاق التي تنشط السهام، وقال قتادة، والحسن، والأخفش: هي النجوم تنشط من أفق إلى أفق أي: تذهب. قال في الصحاح: والناشطات نشطًا: يعني: النجوم من برج إلى برج كالثور الناشط من بلد إلى بلد، والهموم تنشط بصاحبها. وقال أبو عبيدة، وقتادة: هي الوحوش حين تنشط من بلد إلى بلد. وقيل: الناشطات لأرواح المؤمنين، والنازعات لأرواح الكافرين؛ لأنها تجذب روح المؤمن برفق، وتجذب روح الكافر بعنف، وقوله: (نَشْطاً) مصدر. انظر [فتح القدير (7 /405)].

المؤمنين؛ أي: تسهلها برفق، أو هي الأنفس للخروج لعرض الجنة عليها ﴿**وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا**﴾ [النازعات: 3] الملائكة تسبح في السماء بأمر الله تعالى حيث تنزل إمَّا مطلقًا، أو لقبض روح المؤمن برفق ﴿**فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا**﴾ [النازعات: 4] هي: الملائكة سبقت بأرواحهم للجنة، أو هي أنفس المؤمنين تسبق إلى الملائكة شوقًا لله ولكرامته، وقد عاينت السرور ﴿**فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا**﴾ [النازعات: 5] هي: الملائكة وكلوا بأمور عرَّفها الله تعالى لهم فهم يدبرون أمر الدنيا؛ بمعنى: ينزلون بتدبيره، أو يأمرون غيرهم بالنزول بذلك، وجبريل موَّكل بالروح والجنود، وميكائيل بالقطر والنبات، وملك الموت بقبض الأنفس، وإسرافيل ينزل بالأمر عليهم، وجواب هذه الأقسام محذوف، والمعنى: لتبعثن وتحاسبن.

﴿**يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ**﴾ [النازعات: 6] هي النفخة الأولى بتزلزل لها كل شيء ويموت منها ﴿**تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ**﴾ [النازعات: 7] النفخة الثانية، وبينهما أربعون سنة ﴿**قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ**﴾ [النازعات: 8] خائفة وجله ﴿**أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ**﴾ [النازعات: 9] ذليلة لهول ما ترى ﴿**يَقُولُونَ**﴾ [النازعات: 10] يعني: منكري البعث: ﴿**أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ**﴾ أي: أنرد بعد الموت إلى الحياة، والحافرة: وجه الأرض، أو الحافرة: أول الأمر. كرفع فلان من حافرية؛ أي: لأول أمره من حيث جاء.

﴿**أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً**﴾ [النازعات: 11] بالية متفتتة، وقالوا ذلك إنكارًا، قرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر «ناخرة» بالألف، والباقون بلا ألف، والوجهان عن الدوري عن الكسائي ﴿**قَالُوا تِلْكَ**﴾ [النازعات: 12] أي: رجعتنا إلى الحياة ﴿**إِذًا**﴾ إن صحَت ﴿**كَرَّةٌ**﴾ رجعة ﴿**خَاسِرَةٌ**﴾ ذات خسر.

قال تعالى: ﴿**فَإِنَّمَا هِيَ**﴾ [النازعات: 13] أي: النفخة الأخيرة ﴿**زَجْرَةٌ**﴾ صيحة ﴿**وَاحِدَةٌ**﴾ تسمعونها، فإذا نفخت ﴿**فَإِذَا هُمْ**﴾ [النازعات: 14] أي: الخلائق ﴿**بِالسَّاهِرَةِ**﴾ وجه الأرض أحياء بعدما كانوا في جوفها أمواتًا.

﴿**هَلْ**﴾ [النازعات: 15] قد ﴿**أَتَاكَ**﴾ يا محمد ﷺ ﴿**حَدِيثُ مُوسَى**﴾ عليه السلام ﴿**إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى**﴾ [النازعات: 16] اسم للوادي فقال: ﴿**اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى**﴾ [النازعات: 17] عليَّ وتكبَّر ﴿**فَقُلْ هَلْ لَكَ**﴾ [النازعات: 18] أدعوك

﴿إِلَى أَنْ تَزَكَّى﴾ أي: تتطهر من الشرك بقول: لا إله إلا الله، وهو دعاء إلى ذلك برفق، وقرأ المدنيان وابن كثير ويعقوب «تزَّكى» بتشديد الزاي، والباقون بالتخفيف ﴿وَأَهْدِيَكَ﴾ [النازعات: 19] أدلك ﴿إِلَى رَبِّكَ﴾ أي: لمعرفته ﴿فَتَخْشَى﴾ فتخاف عقابه فتؤمن به ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾ [النازعات: 20] من آياته التسع، وهي: اليد والعصا.

﴿ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ (٢١) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ (٢٢) فَحَشَرَ فَنَادَىٰ (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ (٢٤) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ (٢٥) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ (٢٦) أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ ۚ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٣٢) مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٣) فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ (٣٤) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ (٣٥) ﴾ [النازعات: ٢١ - ٣٥].

﴿فَكَذَّبَ﴾ [النازعات: 21] فرعون موسى ﴿وَعَصَى﴾ ربه تعالى ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ [النازعات: 22] أعرض عن الإيمان ﴿يَسْعَى﴾ في الأرض الفساد ﴿فَحَشَرَ﴾ [النازعات: 23] جمع قومه وجنوده ومنهم السحرة ﴿فَنَادَى﴾ لمَّا اجتمعوا ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: 24] فلا رب فوقي، أو أراد أن الأصنام أرباب وأنه ربها وربهم.

﴿فَأَخَذَهُ اللهُ﴾ [النازعات: 25] أهلكه بالغرق ﴿نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ هل هما الكلمتان: الأولى: ما علمت لكم من إله غيري، والآخرة: أنا ربكم الأعلى وكان بينهما أربعون سنة، أو الآخرة النار والأولى الغرق؟ قولان: **والأول**: أشهر ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ [النازعات: 26] المفعول به لتكذيبه وعصيانه ﴿لَعِبْرَةً﴾ عظة ﴿لِمَنْ يَخْشَى﴾ الله تعالى.

ثم خاطب منكري البعث بقوله: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ﴾ [النازعات: 27] أشد خلقًا؛ يعني: في تقديركم إعادتكم بعد الموت أشد عندكم أم السماء؛ أي: هما في قدرة الله واحد ﴿بَنَاهَا﴾ بيَّن به كيفية خلقها ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾ [النازعات: 28] تفسير لصفة البناء؛ أي: جعل سمتها رفيعًا في جهة العلو، وقيل: سمكها سقفها ﴿فَسَوَّاهَا﴾ جعلها مستوية بلا عيب ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ [النازعات: 29] أظلمه ﴿وَأَخْرَجَ﴾ أظهر

﴿ضُحَاهَا﴾ نهارها بضوء تظهر من الشمس، أو أضاف إليها الليل؛ لأنه ظلها، والشمس؛ لأنها سراجها.

﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ [النازعات: 30] بعد خلق السماء ﴿دَحَاهَا﴾ بسطها، وكانت مخلوقة قبل خلق السماء بلا دحا ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا﴾ [النازعات: 31] بتفجير العيون ﴿وَمَرْعَاهَا﴾ ما يرعى من شجر وعشب ومأكول ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ [النازعات: 32] أنبتها على وجه الأرض لتسكن ﴿مَتَاعًا﴾ [النازعات: 33] فعل ذلك متعة أو تمتعًا ﴿لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ الإبل والبقر والغنم ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾ [النازعات: 34] النفخة الثانية ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾ [النازعات: 35] ما عمل في الدنيا من خير أو شر.

﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾ ﴾ [النازعات: ٣٦ - ٤٦].

﴿وَبُرِّزَتِ﴾ [النازعات: 36] أظهرت ﴿الْجَحِيمُ﴾ النار المحرقة ﴿لِمَنْ يَرَى﴾ أي: لكل راء، فيكشف فيها الغطاء فينظر لها الخلق ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى﴾ [النازعات: 37] كفر ﴿وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [النازعات: 38] على الآخرة ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: 39] هي مأواه.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ [النازعات: 40] أي: خاف ربه، أو مقامه بين يديه ﴿وَنَهَى النَّفْسَ﴾ الأمّارة ﴿عَنِ الْهَوَى﴾ المهلك باتباع الشهوات وهو الرجل يهم بالمعصية فيذكر الله فيتركها ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: 41].

﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ [النازعات: 42] أي: كفار مكة ﴿عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ﴾ متى ﴿مُرْسَاهَا﴾ وقوعها وقيامها ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾ [النازعات: 43] بمعنى أنه ﷺ ليس عنده علم

الساعة حتى يذكره ﴿إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا﴾ [النازعات: 44] منتهى علمها لا يعلمه غيره ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ﴾ [النازعات: 45] أي: إنما ينفع إنذارك ﴿مَنْ يَخْشَاهَا﴾ يخافها، ونون «منذر» أبو جعفر، والباقون بالإضافة ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ [النازعات: 46] كفار مكة، أو كل كافر ﴿يَوْمَ يَرَوْنَهَا﴾ أي: القيامة ﴿لَمْ يَلْبَثُوا﴾ في الدنيا، أو في قبورهم ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ أي: عشية يوم أو بكرته.

سورة عبس

مكية أربعون، أو إحدى، أو اثنان وأربعون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ﴾ [عبس: ١ - ٢٥].

﴿عَبَسَ﴾ [عبس: 1] تغير وجه النبي ﷺ لمّا جاءه عبد الله ابن أم مكتوم فقطعه عمّا هو مشغول به ممن يرجوا إسلامه من أشراف قريش الذي هو حريص على إسلامهم ولم يدر الأعمى أنه مشغول بذلك، فناداه: علمني مما علمك الله، فانصرف

النبـي ﷺ ﴿وَتَوَلَّـى﴾ أي: أعـرض عـنه ﴿أَنْ جَـاءَهُ﴾ [عـبس: 2] لأجـل أن جـاءه ﴿الْأَعْمَى﴾[1] فكان بعد ذلك يقول له: إذا جاء مرحبًا بمن عاتبني فيه ربي، ويبسط رداءه ﷺ واستخلفه على المدينة مرتين في غزوتين غزاهما، وكانت عائشة تقطع له الأترج وتطعمه إياه بالعسل وتقول: هذا ابن أم مكتوم الذي عاتب الله فيه نبيه ﷺ ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ [عبس: 3] يعلمك ﴿لَعَلَّهُ يَزَّكَّى﴾ أي: يتطهر من الذنوب بما يسمعه منك ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾ [عبس: 4] يتعظ ﴿فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾ العظة التي يسمعها منك، قرأ عاصم «فتنفعه» بنصب العين، والباقون بالرفع.

﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى﴾ [عبس: 5] بالمال كعتبة بن ربيعة ﴿فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾ [عبس: 6] تقبل وتعرض، قرأ المدنيان وابن كثير بتشديد الصاد، والباقون بالتخفيف ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى﴾ [عبس: 7] يؤمن ويهتدي ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى﴾ [عبس: 8] يمشي ﴿وَهُوَ يَخْشَى﴾ [عبس: 9] الله تعالى ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ [عبس: 10] تتشاغل وتُعرض عنه.

﴿كَلَّا﴾ [عبس: 11] لا تفعل مثل ذلك بعدها ﴿إِنَّهَا﴾ أي: الآيات أو السورة ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ عظة للخلق ﴿فَمَنْ شَاءَ﴾ [عبس: 12] من عباد الله ﴿ذَكَرَهُ﴾ حفظه واتعظ به ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ﴾ [عبس: 13] عند الله ﴿مَرْفُوعَةٍ﴾ [عبس: 14] إلى السماء ﴿مُطَهَّرَةٍ﴾ منزَّهة عن مس الشياطين، لا يمسها إلا المطهرون وهم الملائكة ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ [عبس: 15] كتبة من الملائكة ينسخونها من اللوح المحفوظ ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: 16] مطيعين لله تعالى.

﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ﴾ [عبس: 17] يعني: الكافر، وهل هو عتبة بن أبي لهب، أو كل كافر؟ والثاني أولى؛ لعمومه ﴿مَا أَكْفَرَهُ﴾ استفهام توبيخ؛ أي: ما حمله على الكفر، أو هو تعجيب لنا من كفره ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [عبس: 18] استفهام تقرير، ثم بيَّنه

---

(1) قال الورتجبي: بَيَّن الله سبحانه هاهنا درجة الفقر وتعظيم أهله وخسة الدنيا وتحقير أهلها، وأن الفقر إذا كان نعت الصادق في المعرفة والمحبة كان شرفًا له، وهو من أهل الصحبة، ولا يجوز الاشتغال بصحبة الأغنياء ودعوتهم إلى طريق الفقر إذا كانت سجيَّتهم لم تكن سجية أهل المعرفة، فإذا كان حالهم كذلك لا يأتون إلى طريق الحق بنعت التجريد، فالصحبة معهم ضائعة.

بقوله: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾ [عبس: 19] **أطوار**: نطفة، ثم علقة، ثم مضغة..... إلى آخر خلقه.

﴿**ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ**﴾ [عبس: 20] الطريق خروجه من بطن أمه، أو يسَّر لكل أحد ما خلق له ﴿**ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ**﴾ [عبس: 21] جعل له قبرًا يوارى فيه ليلاً يتعذر ﴿**ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ**﴾ [عبس: 22] للبعث ﴿**كَلَّا**﴾ [عبس: 23] حقًّا أو ردع ﴿**لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ**﴾ ثم يفعل ما أمره به الله تعالى.

﴿**فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ**﴾ [عبس: 24] نظر اعتبار ﴿**إِلَى طَعَامِهِ**﴾ كيف قدَّره له ربه، وجعله سببًا لحياته، وجعل له مدخلاً ومخرجًا ﴿**أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ**﴾ [عبس: 25] من السحاب ﴿**صَبًّا**﴾ قرأ الكوفيون بفتح الهمزة ووافقهم رويس وصلاً، والباقون بكسر الهمزة ووافقهم رويس، وانفرد ابن مهران عنه بالكسر في الحالين.

﴿ **ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَآئِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ (٣٢) فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ (٤٢)** ﴾ [عبس: ٢٦ - ٤٢].

﴿**ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ**﴾ [عبس: 26] بالنبات ﴿**شَقًّا * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا**﴾ [عبس: 26 - 27] كالحنطة والشعير ﴿**وَعِنَبًا وَقَضْبًا**﴾ [عبس: 28] هو القت الرطب ﴿**وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا**﴾ [عبس: 29 - 30] غلاظ الأشجار، أو المراد: البساتين الكثيرة، أو الأشجار، أو الملتف شجرها بعضه على بعض ﴿**وَفَاكِهَةً وَأَبًّا**﴾ [عبس: 31] ما ترعاه البهائم، ومنهم من قال: التين ﴿**مَتَاعًا لَكُمْ**﴾ [عبس: 32] منفعة أو تمتعًا ﴿**وَلِأَنْعَامِكُمْ**﴾.

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾[1] [عبس: 33] النفخة الثانية ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ﴾ [عبس: 34 - 36] زوجته ﴿وَبَنِيهِ﴾ ودل على جواب إذا قوله: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ﴾ [عبس: 37] حال ﴿يُغْنِيهِ﴾ يشغله عن شأن غيره.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ﴾ [عبس: 38] مضيئة مشرقة بالسرور ﴿ضَاحِكَةٌ﴾ [عبس: 39] بالسرور ﴿مُسْتَبْشِرَةٌ﴾ فرحة، وهم: أهل الإيمان.

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ [عبس: 40] غُبار ﴿تَرْهَقُهَا﴾ [عبس: 41] تغشاها ﴿قَتَرَةٌ﴾ ظلمة وسواد ﴿أُولَئِكَ﴾ [عبس: 42] أهل هذه الحالة ﴿هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ الجامعون بين الكفر والفجور.

سورة التكوير

مكية تسع أو ثمان وعشرون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ

---

(1) يعني: صيحة يوم القيامة. وسميت صاخة لشدّة صوتها؛ لأنها تصخ الأذان: أي تصمها فلا تسمع. وقيل: سميت صاخة؛ لأنها يصيخ لها الأسماع، من قولك: أصخ إلى كذا أي: استمع إليه، والأوّل أصح. قال الخليل: الصاخة صيحة تصخ الآذان حتى تصمها بشدّة وقعها، وأصل الكلمة في اللغة مأخوذة من الصكّ الشديد، يقال صخه بالحجر: إذا صكه بها، وجواب إذا محذوف يدل عليه قوله: (لِكُلِّ امرىء مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ) أي: فإذا جاءت الصاخة اشتغل كل أحد بنفسه. انظر [فتح القدير (7 /422)].

مَآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ﴾ [التكوير: ١ - ١٥].

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾[1] [التكوير: 1] لففت وذهب نورها ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ [التكوير: 2] سقطت متناثرة إلى الأرض ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ [التكوير: 3] ذهب بها عن وجه الأرض فصارت ﴿هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾ [الواقعة: 6]، ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ﴾ [التكوير: 4] وهي: النوق الحوامل ﴿عُطِّلَتْ﴾ تركت هملاً بلا راعي، أو بلا حلب لمَّا دهم من الأمور ولم يكن مال أحب منها للعرب.

﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: 5] أي: دواب الأرض جمعت بعد البعث؛ ليقتص لبعضها من بعض، ثم تصير ترابًا ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: 6] أوقدت فصارت نارًا، قرأ ابن كثير والبصريان إلا أبي الطيب عن رويس «سجرت» بتخفيف الجيم، والباقون بتشديدها ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [التكوير: 7] فقرن أهل الخير بأهل الخير، وأهل الشر بأهل الشر.

﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ﴾ [التكوير: 8] وهي: الجارية تدفن حيَّة خوف العار والحاجة ﴿سُئِلَتْ﴾ تبكيتًا لقاتلها ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾؟ [التكوير: 9] لتجيب بقولها: قتلت بلا ذنب، قرأ أبو جعفر «قتلت» بالتشديد للمبالغة، والباقون بالتخفيف.

﴿وَإِذَا الصُّحُفُ﴾ [التكوير: 10] صحف الأعمال ﴿نُشِرَتْ﴾ بالتخفيف للمدنيين وابن عامر ويعقوب وعاصم، والباقون بالتشديد؛ أي: فتحت وبسطت ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ [التكوير: 11] نزعت عن أماكنها فطويت.

---

(1) قال البقلي: الإشارة في هذه الآيات إلى ظهور تجلِّي الذات والصفات في قلوب العارفين، فهناك تكوَّرت شموس أرواحهم من غلبة نور عظمة الذات، وانكدرت نجوم عقولهم من صولة أنوار الصفات، وسُيِّرت جبال قلوبهم من أثقال واردات محبتها، وتعطَّلت نفوسهم في سطوات جلالها، فهناك سُجِّرت بحار التوحيد، وحشرت طيور التفريد، ولا يبقى إلا وجه ذي الجلال والإكرام، ولكل عارفٍ في كل حالة من هذه الأحوال له قيامة. قال الحسين: تطمس الشمس بعد تنويرها، وتغور البحار بعد تفجيرها، وتنسف الجبال بتسييرها، وتدرس العشار بعد تعطيلها، وتُخمد الجحيم بعد تسعيرها، وتطوى الصحف بعد النشر، وتحشر الوحوش من القبر، وتزلزل الأرض، وتخرج أثقالها للعرض على الجبَّار، وذلك أصعب مقام المخالفين، وأهون مقام الموافقين، فطوبى لمن أثبت في ذلك المقام.

﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ﴾ [التكوير: 12] النار ﴿سُعِّرَتْ﴾ بالتشديد للمدنيين وابن ذكوان وحفص ورويس والعليمي عن أبي بكر، والباقون بالتخفيف؛ أي: أحجبت ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ [التكوير: 13] قربت لأهلها ليدخلوها ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ [التكوير: 14] أي: كل نفس وقت هذه المذكورات وهو يوم القيامة ﴿مَا أَحْضَرَتْ﴾ من خير أو شر ﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ [التكوير: 15] لا: زائدة ﴿بِالْخُنَّسِ﴾.

﴿ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التكوير: ١٦ - ٢٩].

﴿الْجَوَارِي الْكُنَّسِ﴾[1] [التكوير: 16] لأنها تكنس بكسر النون؛ أي: تدخل في كناسها؛ أي: تغيب في المواضع التي تغيب فيها وتأوى إلى مجاريها وهي: النجوم الخمسة زحل، والمشترى، والمريخ، والزهرة، وعطارد ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ [التكوير: 17] أقبل بظلامه أو أدبر ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير: 18] أقبل وبدا أوله.

﴿إِنَّهُ﴾ [التكوير: 19] أي: القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ على الله تعالى وهو

---

(1) قال البقلي: أقسمَ الله بنيرات عالم الملكوت إذا شاهدت عرائس الصفات في روازنها، ونظرت إلى قلوب المشتاقين، وجذبتها بنورها إلى أعلى عليين، فلما بلغت الأرواح إلى سرادق الدنو تخنس باستتارها بعد تجلِّيها، وتكنس باحتجابها بعد انكشافها؛ لذوبان الأرواح في نيران الأشواق، وهيجان الأشباح إلى عالم الأفراح، وأقسمَ بظلمة ليالي الهجران في وقت الاستتار في قلوب العارفين، وبطلوع صبح أنوار مشاهدته بنعت الوصال في فؤاد المحبين، وأيضًا أقسم بطيران الأرواح القدسية بجناح المحبة والمعرفة في هواء الهوية، وهذا كنوسها إذا هامت بوجوهها في غيب الغيب، فإذا وصلت إلى قاف القدم، وتذورت بسطوات الأزلية تخنس، وتفر من صدمات القيُّومية إلى عالم الأمر والحكم؛ لأن الحدوثية تزول عن موازاة القدم، وأيضًا أقسم بسير هذه الأرواح العاشقة في طرقات العلوم المجهولة، فتستفيد منها ما يكون بخلاف العلوم الرسومية.

جبريل أضيف إليه؛ لنزوله به على محمد ﷺ ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ [التكوير: 20] أي: شديد القوى ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ﴾ وهو الله تعالى ﴿مَكِينٍ﴾ أي: ذي مكانة ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ﴾ [التكوير: 21] أي: من السماوات بأن تطيعه ملائكتها ﴿أَمِينٍ﴾ على الوحي ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ﴾ [التكوير: 22] محمد ﷺ ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ كما زعمتم.

﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾ [التكوير: 23] يعني: محمدًا ﷺ جبريل عليه السلام على صورته التي خلق عليها ﴿بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ البيّن الأعلى بناحية المشرق، وكان ذلك بمواعدة من رسول الله ﷺ لجبريل عليه السلام بحراء، وقيل: بعرفات، فلمّا رآه خرّ مغشيًا عليه، فتحول جبريل في صورته المعتادة وضمّه إلى صدره وقال: يا محمد لا تخف ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ * وَمَا هُوَ﴾ [التكوير: 24 - 25] أي: القرآن ﴿بِقَوْلِ شَيْطَانٍ﴾ مسترق للسمع ﴿رَجِيمٍ﴾ مرجوم بالشهب.

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ [التكوير: 26] المعنى: فأين طريق تسلكون في إنكاركم القرآن، وإعراضكم عن اتباعه وتصديق محمد ﷺ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ [التكوير: 27] عظة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجن ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير: 28] باتباع الحق ﴿وَمَا تَشَاءُونَ﴾ [التكوير: 29] الاستقامة على الحق ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ استقامتكم.

سورة الانفطار

مكية تسعة عشر آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ

تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ﴿١٤﴾ يَصۡلَوۡنَهَا يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمۡ عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾ ﴾ [الانفطار: ١ - ١٩].

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: 1] انشقت ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: 2] تساقطت ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار: 3] فجِّر بعضها في بعض فاختلط عزبها بمالحها وصارت بحرًا واحدًا، أو فاضت ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ [الانفطار: 4] قلبت، فجعل أسفلها أعلاها وبعث من فيها من الموتى أحياء ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الانفطار: 5] من عمل صالح أو سيئ.

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ﴾ [الانفطار: 6] الكافر، أو كل إنسان ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾[1] حتى عصيته، وهو توبيخ له ﴿الَّذِي خَلَقَكَ﴾ [الانفطار: 7] بعد إن لم تكن ﴿فَسَوَّاكَ﴾ جعلك مستوي الخلقة سالم الأعضاء ﴿فَعَدَلَكَ﴾ بتخفيف الدال للكوفيين؛ بمعنى: إمَّا الصورة التي أرادها، والباقون بالتشديد بمعنى: جعلك معتدل الخلق متناسب الأعضاء، فلا يد ولا رجل أطول من الأخرى ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا﴾ [الانفطار: 8] زائدة ﴿شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ إن شاء في صفة أب، أو أم، أو غيرهما، أو في صورة حسنة، أو غيرها.

﴿كَلَّا﴾ [الانفطار: 9] ردع وزجر عن الاعتذار ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾ الجزاء والحساب، قرأه كل القراء بالخطاب إلا أبا جعفر فبالغيب ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ [الانفطار: 10] رقباء من الملائكة يحفظون أعمالكم ﴿كِرَامًا﴾ [الانفطار: 11] على الله

---

(1) هذا خطاب الكفار: أي: ما الذي غرّك، وخدعك حتى كفرت بربك الكريم الذي تفضل عليك في الدنيا بإكمال خلقك وحواسك، وجعلك عاقلاً فاهماً، ورزقك وأنعم عليك بنعمه التي لا تقدر على جحد شيء منها. قال قتادة: غرّه شيطانه المسلط عليه. وقال الحسن: غرّه شيطانه الخبيث، وقيل: حمقه وجهله. وقيل: غرّه عفو الله إذ لم يعاجله بالعقوبة أوّل مرّة، كذا قال مقاتل. [فتح القدير (7/ 435)].

تعالى ﴿كَاتِبِينَ﴾ لأقوالكم وأعمالكم ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: 12] كله.

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ﴾ [الانفطار: 13] البارين الصادقين في إيمانهم ﴿لَفِي نَعِيمٍ﴾ جنة دائمة ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: 14] نار محرقة ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ [الانفطار: 15] يدخلونها ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ الجزاء ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ [الانفطار: 16] أي: لا يخرجون ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ [الانفطار: 17] أعلمك ﴿مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾.

﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ [الانفطار: 18] هو يوم تعظيم لشأنه ﴿يَوْمَ﴾ [الانفطار: 19] بالرفع لابن كثير والبصريين، والباقون بالنصب ﴿لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾ من النفع ولا غيره ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ لا أمر فيه لغيره؛ أي: لا يمكن أحد فيه ذلك بخلاف الدنيا.

سورة المطففين

مكية أو مدنية ستة وثلاثون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ

مَرْقُومٌ ﴿٢٠﴾﴾ [المطففين: ١ - ٢٠].

﴿وَيْلٌ﴾ [المطففين: 1] كلمة عذاب، أو واد في جهنم ﴿لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ [المطففين: 1 - 2] الكيل ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ﴾ [المطففين: 3] أي: كالوا لهم ﴿أَوْ وَزَنُوهُمْ﴾ أي: لهم ﴿يُخْسِرُونَ﴾ ينقصون الكيل والوزن.

﴿أَلَا﴾ [المطففين: 4] استفهام توبيخ ﴿يَظُنُّ﴾ يتيقن ﴿أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [المطففين: 4 - 5] أي: فيه وهو يوم القيامة ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ﴾ [المطففين: 6] من قبورهم ﴿لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لحسابه وجزائه لهم.

﴿كَلَّا﴾ [المطففين: 7] حقًا ﴿إِنَّ كِتَابَ﴾ كتب أعمال ﴿الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ هو أسفل الأرض السابعة محل إبليس، أو كتاب جامع لأعمال الكفرة ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ [المطففين: 8 - 9] تفسير له ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ [المطففين: 10 - 11] الجزاء ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ﴾ [المطففين: 12] أي: بيوم الدين ﴿إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ﴾ متجاوز الحد ﴿أَثِيمٍ﴾ صاحب إثم أو فاجر ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾ [المطففين: 13] القرآن ﴿قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أكاذيبهم.

﴿كَلَّا﴾ [المطففين: 14] ردع وزجر عن قولهم الباطل ﴿بَلْ رَانَ﴾ غلب ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ فغشاها ﴿مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من المعاصي، فاسودت فلا تقبل خيرًا ﴿كَلَّا﴾ [المطففين: 15] بمعنى: حقًا ﴿إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿لَمَحْجُوبُونَ﴾(1) فلا يرونه، وفيه دليل على أن غيرهم يراه قاله إمامنا الشافعي ﷺ ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ﴾ [المطففين: 16] داخلونها ﴿ثُمَّ يُقَالُ﴾ [المطففين: 17] لهم من جهة الخزنة: ﴿هَذَا﴾

---

(1) لا يقتضي الحجاب مطلقًا، فإنه يُقيَّد بيوم القيامة، فقد ينكشف عنهم عماهم، وإن كان ذلك دون انكشاف بصائر أهل النعيم؛ لأن محلَّ أهل النعيم؛ وهو الجنة، وكذا أبدانهم لطيف قابل لكل نور ذاتي، ونعيم صفاتي، وأمَّا محلُّ أهل الجحيم؛ وهو النار، وكذا أجسامهم، فكثيف ليس بمقابل لذلك، فليس لهم نعيم صفاتي أصلاً من المطعم، والمشرب، والمنكح ونحوها، وأمَّا النعيم الذاتي فبقدر تصفية ذاتهم وصفاتهم؛ وإنما: قلنا النعيم الذاتي من طريق المشاكلة، وإلا فلا نعيم هناك أصلاً؛ لأنه عالم الفناء عن الحسِّ، وليس عنده ذوق، وبرد وسلام فاعرفه، واجتهد أن تكون من الذين ابيضَّت وجوههم في جميع العوالم، فإن النور الدائم لا يلحقه الظلمة.

أي: العذاب ﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ في الدنيا.

﴿كَلَّا﴾ [المطففين: 18] بمعنى: حقًّا ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ﴾ أي: كتب أعمال أهل الإيمان الصادقين فيه ﴿لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ هو مكان في السماء السابعة تحت العرش، أو كتاب جامع لأعمال الخير ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ [المطففين: 19] أعلمك ﴿مَا عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ [المطففين: 19 - 20] أي: مختوم.

﴿ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [المطففين: ٢١ - ٣٦].

﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: 21] من الملائكة إذا صعد به إلى عليين ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [المطففين: 22] جنّة دائمة ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ [المطففين: 23] السرر في الحجال ﴿يَنْظُرُونَ﴾ نعيمهم الذي حصل لهم من ربهم، أو إلى ربهم ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ﴾ [المطففين: 24] إذا رأيتهم ﴿نَضْرَةَ﴾ بهجة وحسن ﴿النَّعِيمِ﴾ قرأ أبو جعفر ويعقوب «تُعرِف» بضم التاء وكسر الراء «نضرة» بالنصب ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ﴾ [المطففين: 25] خمره بلا دنس ﴿مَخْتُومٍ﴾ على أمامها لا يفك ختمه إلا هم ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ [المطففين: 26] أي: آخر شربه يفوح منه ريح المسك، قرأ الكسائي «خاتمه» بألف بعد الخاء وبلا ألف بعد التاء، والباقي بألف بعد التاء بلا ألف بعد الخاء، والختام والخاتم: آخر الشيء ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ فليرغب الراغبون بالمبادرة إلى طاعة الله تعالى ﴿وَمِزَاجُهُ﴾ [المطففين: 27] الذي يمزج به ﴿مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ ﴿عَيْنًا﴾ [المطففين: 28] تفسير للنسيم ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ منها ﴿الْمُقَرَّبُونَ﴾ يشربون صرف التسنيم

وغيرهم يمزح له منه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ [المطففين: 29] كأبي جهل ﴿كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ كعمَّار وبلال ﴿يَضْحَكُونَ﴾ استهزاء بهم؛ لفقرهم ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾[1] [المطففين: 30] بالجفن والحاجب إشارة للاستهزاء بالمؤمنين ﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا﴾ [المطففين: 31] رجعوا ﴿إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ معجبين بالاستهزاء بالمؤمنين ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ﴾ [المطففين: 32] الكفار المؤمنين ﴿قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾ لإيمانهم بمحمد ﷺ.

قال تعالى: ﴿وَمَا أُرْسِلُوا﴾ [المطففين: 33] أي: الكفار ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على المؤمنين ﴿حَافِظِينَ﴾ لهم ولأعمالهم ﴿فَالْيَوْمَ﴾ [المطففين: 34] أي: يوم القيامة ﴿الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ [المطففين: 35] في الجنة ﴿يَنْظُرُونَ﴾ من منازلهم للكفار وهم يعذبون، فيضحكون منهم كما ضحك الكفار منهم في الدنيا ﴿هَلْ ثُوِّبَ﴾ [المطففين: 36] جوزي ﴿الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾؟ نعم.

سورة الانشقاق

مكية ثلاث أو خمس وعشرون آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ﴿١﴾ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ﴿٣﴾ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ

---

(1) أي يتفاعلون من الغمز، وهو الإشارة بالجفن والحاجب ويكون الغمز أيضًا بمعنى العيب وغمزه إذا عابه، وما في فلان غميزة أي ما يعاب به، والمعنى أنهم يشيرون إليهم بالأعين استهزاء ويعيبونهم، ويقولون: انظروا إلى هؤلاء يتعبون أنفسهم ويحرمونها لذاتها ويخاطرون بأنفسهم في طلب ثواب لا يتيقنونه وثالثها. انظر: [تفسير الرازي (16 /414)].

أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الانشقاق: ١ - ١٥].

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ * وَأَذِنَتْ﴾ [الانشقاق: 1 - 2] سمعت وأطاعت في انشقاقها ﴿لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾[1] حق لها السمع والطاعة ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ [الانشقاق: 3] زيد في سعتها كما يمد الجلد ولم يبق فيها بناء ولا جبل ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ [الانشقاق: 4] من الموتى ﴿وَتَخَلَّتْ﴾ عنه إلى ظاهرها ﴿وَأَذِنَتْ﴾ [الانشقاق: 5] سمعت وأطاعت في ذلك ﴿لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾ [الانشقاق: 6] ساع أتم السعي ﴿إِلَى رَبِّكَ﴾ إلى لقائه بالموت ﴿كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ الضمير: لربك، أو للعمل ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ﴾ [الانشقاق: 7] أي: كتاب عمله ﴿بِيَمِينِهِ﴾ وهو المؤمن ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾

(1) قال ابن خالويه: (إذا السماء انشقت) بكسر التاء، عبيد عن أبي عمرو. وقال ابن عطية، وقرأ أبو عمرو: (انشقت)، يقف على التاء كأنه يشمها شيئاً من الجر، وكذلك في أخواتها. قال أبو حاتم: سمعت أعرابيًا فصيحًا في بلاد قيس يكسر هذه التاءات، وهي لغة. وذلك أن الفواصل قد تجري مجرى القوافي. فكما أن هذه التاء تكسر في القوافي، تكسر في الفواصل؛ وإجراء الفواصل في الوقف مجرى القوافي مهيع معروف، كقوله تعالى: (الظنونا) و(الرسولا) في سورة الأحزاب. وحمل الوصف على حالة الوقف أيضًا موجود في الفواصل. (وأذنت): أي استمعت وسمعت أمره ونهيه، وفي الحديث: «ما أذن الله بشيء إذنه لنبي يتغنى بالقرآن» وقال الحجاف بن حكيم: أذنت لكم لما سمعت هريركم... وأذنها: انقيادها الله تعالى حين أراد انشقاقها، فعل المطيع إذا ورد عليه أمر المطاع أنصت وانقاد، كقوله تعالى: (قالتا أتينا طائعين) (وحقت)، قال ابن عباس ومجاهد وابن جبير: وحق لها أن تسمع. وقال الضحاك: أطاعت وحق لها أن تطيع. وقال قتادة: وحق لها أن تفعل ذلك، وهذا الفعل مبني للمفعول، والفاعل هو الله تعالى، أي وحق الله تعالى عليها الاستماع. ويقال: فلان محقوق بكذا وحقيق بكذا، والمعنى: أنه لم يكن في جرم السماء ما يمنع من تأثير القدرة في انشقاقه وتفريق أجزائه وإعدامه. قيل: ويحتمل أن يريد: وحق لها أن تنشق لشدة الهول وخوف الله تعالى. وقال الزمخشري: وهي حقيقة بأن تنقاد ولا تمتنع، ومعناه: الإيذان بأن القادر الذات يجب أن يتأتى له كل مقدور ويحق ذلك. انظر [تفسير البحر المحيط (10/ 452)].

[الانشقاق: 8] هو عرض عمله عليه أمَّا من نوقش الحساب هلك ﴿وَيَنْقَلِبُ﴾ [الانشقاق: 9] بعد العرض والتجاوز عنه ﴿إِلَى أَهْلِهِ﴾ في الجنة ﴿مَسْرُورًا﴾ بذلك.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ [الانشقاق: 10] وهو الكافر، تغل يده اليمنى لعنقه، وتجعل يده الشمال وراء ظهره، أو تخلع يده اليسار فتكون وراء ظهره فيؤخذ كتابه بشماله من وراء ظهره ﴿فَسَوْفَ يَدْعُو﴾ [الانشقاق: 11] عند رؤية ما فيه أو عند ذلك ﴿ثُبُورًا﴾ فيقول: واثبوراه؛ أي: هلاكاه ﴿وَيَصْلَى﴾ [الانشقاق: 12] يدخل ﴿سَعِيرًا﴾ نارًا شديدة، وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر والكسائي بضم ياء «يُصلّى» بفتح الصاد وتشديد اللام، والباقون بفتح الياء وإسكان الصاد والتخفيف ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ﴾ [الانشقاق: 13] عشيرته في الدنيا ﴿مَسْرُورًا﴾ بطرًا باتباع الهوى ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ﴾ [الانشقاق: 14] أي: أنه ﴿لَنْ يَحُورَ﴾ يرجع إلى ربه بعد الموت ﴿بَلَى﴾ [الانشقاق: 15] يرجع إليه ﴿إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ من يوم خلقه إلى بعثه.

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الانشقاق: ١٦ - ٢٥].

﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ [الانشقاق: 16] لا: زائدة ﴿بِالشَّفَقِ﴾ هو الحمرة التي تبقى في الأفق بعد غروب الشمس ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ [الانشقاق: 17] جمع وضم ما دخل عليه من الدواب وغيرها ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ [الانشقاق: 18] اجتمع وتم نوره في أيام الليالي البيض ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ [الانشقاق: 19] قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وخلف بفتح الباء الموحدة؛ أي: لتركبن يا محمد ﴿طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ أي: سماء بعد سماء، أو درجة بعد درجة، أو رتبة بعد رتبة في القربة من الله ﷻ والرفعة، والباقون بالضم؛ أي: لتركبن أيها الناس حالاً بعد حال وهو الموت ثم الحياة وما بعدها من أحوال القيامة ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الانشقاق: 20] أي: لا مانع لهم منه، فالاستفهام للإنكار.

﴿وَ﴾ [الانشقاق: 21] ما لهم ﴿إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ يخضعون بأن يؤمنوا به، وهذه آية سجدة عند الشافعي ومن وافقه ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ﴾ [الانشقاق: 22] بما جاء به محمد ﷺ ومنه: القرآن والبعث ﴿وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ [الانشقاق: 23] يجمعون في صحفهم من الكفر والتكذيب وغير ذلك ﴿فَبَشِّرْهُمْ﴾ [الانشقاق: 24] أخبرهم ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم ﴿إِلَّا﴾ [الانشقاق: 25] لكن ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ غير مقطوع، ولا منقوص، ولا يمن به عليهم من أذى.

سورة البروج

مكية اثنان وعشرون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ ﴾ [البروج: ١ - ١٠].

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾[1] [البروج: 1] الكواكب الاثنا عشر، وسبق في الحجر

---

(1) قال ابن عباس والجمهور: هي المنازل التي عرفتها العرب، وهي اثنا عشر على ما قسمته، وهي التي تقطعها الشمس في سنة، والقمر في ثمانية وعشرين يومًا. وقال عكرمة والحسن ومجاهد: هي القصور. وقال الحسن ومجاهد أيضًا: هي النجوم. وقيل: عظام الكواكب، سميت بروجًا لظهورها. وقيل: هي أبواب السماء؛ وقد تقدم ذكر البروج في سورة الحجر. (واليوم الموعود): هو يوم القيامة، أي الموعود به. (وشاهد ومشهود): هذان منكران، وينبغي حملهما على العموم =

﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ [البروج: 2] يوم القيامة؛ لأنه موعود به ﴿وَشَاهِدٍ﴾ [البروج: 3] يوم الجمعة يشهد للناس بالعمل ﴿وَمَشْهُودٍ﴾ يوم عرفة يشهد الناس، وجواب القسم محذوف؛ أي: لتبعثن ونحوه ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ [البروج: 4] الشق في الأرض المستطيل كالنهر.

﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾ [البروج: 5] ما يوقد فيه ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا﴾ [البروج: 6] حولها على جوانب الأخدود ﴿قُعُودٌ﴾ على الكراسي ﴿وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [البروج: 7] بالله ﴿شُهُودٌ﴾ حضور، فكانوا يلقونهم في النار إن لم يرجعوا عن إيمانهم، وجاء أن الله أحب المؤمنين الذين ألقوا في النار فقبض أرواحهم قبل الوصول إليها، وخرجت النار فأحرقت من على جوانبها من الكفار ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [البروج: 8 - 9] إن ما أنكروا على المؤمنين إلا إيمانهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ بالإحراق ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ بالكفر ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [البروج: 10] أي: عذاب إحراق.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البروج: ١١ - ٢٢].

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ

=

لقوله: (علمت نفس ما أحضرت) وإن كان اللفظ لا يقتضيه، لكن المعنى يقتضيه، إذ لا يقسم بنكرة ولا يدري من هي. فإذا لوحظ فيها معنى العموم، اندرج فيها المعرفة فحسن القسم. وكذا ينبغي أن يحمل ما جاء من هذا النوع نكرة، كقوله: (والطور وكتاب مسطور) ولأنه إذا حمل (وكتاب مسطور) على العموم دخل فيه معنيان: الكتب الإلهية، كالتوراة والإنجيل والقرآن، فيحسن إذ ذاك القسم به. انظر [تفسير البحر المحيط (10 /457)].

﴿الْفَوْزُ الْكَبِيرُ * إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: 11 - 12] بالكفار ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ﴾ [البروج: 13] الخلق ﴿وَيُعِيدُ﴾ هم ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ﴾ [البروج: 14] لمذنبي المؤمنين ﴿الْوَدُودُ﴾ المتودد إلى أوليائه بالكرامة ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ [البروج: 15] خالقه ومالكه ﴿الْمَجِيدُ﴾ بالخفض لحمزة والكسائي وخلف، والباقون بالرفع ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾[1] [البروج: 16] لا يعجزه شيء.

﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ [البروج: 17] يا محمد ﴿حَدِيثُ الْجُنُودِ * فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ [البروج: 17 - 18] وهو إهلاكهم بكفرهم، فنبّه به من كفر بمحمد ﷺ؛ ليتعظ ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾ [البروج: 19] مما ذُكر ﴿وَاللهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ [البروج: 20].

﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾ [البروج: 21] عظيم ﴿فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ [البروج: 22] فلا يغير منه شيء، ولا يصل إليه شيطان طوله ما بين السماء والأرض، وعرضه ما بين المشرق والمغرب، وهو من درة بيضاء بالرفع، والباقون بالجر؛ والمعنى: إنه محفوظ عند الله تعالى.

---

(1) قال القشيري: إنْ أراد أن يجعل أرباب الأرواح من أرباب النفوس فهو قادر على ذلك، وهو عادل في ذلك، وإن أراد عكس ذلك فهو كذلك فلذا كان العارف لا يزول اضطراره، ولا يكون مع غير الله قراره، هل أتاك حديث الجنود، أي: جنود النفس التي تُحارب به الروح لتهوي بها إلى الحضيض الأسفل، ثم فسّرها بفرعون الهوى، وثمود حب الدنيا، والطبع الدني، بل الذين كفروا بطريق الخصوص في تكذيب، لهذا كله، فلا يُفرقون بين الروح والنفس، ولا بين الفرق والجمع، والله من ورائهم محيط، لا يفوته شيء، لإحاطة المحيط بالأشياء ذاتاً وصفاتاً وفعلاً، بل هو أي: ما يوحي إلى الأسرار الصافية، والأرواح الطاهرة قرآن مجيد في لوح محفوظ عن الخواطر والهواجس الظلمانية، وهو قلب العارف.

سورة الطارق

مكية ست أو سبع عشرة آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفۡسٍ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴿١١﴾ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٌ فَصۡلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيۡدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ﴿١٧﴾ ﴾ [الطارق: ١ - ١٧].

﴿**وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ**﴾ [الطارق: 1] هو كل آتٍ، أو في الليل ﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ**﴾ [الطارق: 2] ما أعلمك به ﴿**النَّجْمُ**﴾ [الطارق: 3] الثريا أو كل نجم ﴿**الثَّاقِبُ**﴾ المضيء؛ لأنه يثقب الظلام بضوئه ﴿**إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ**﴾[1]

(1) أقسم سبحانه بالسماء والطارق، وهو: النجم الثاقب، كما صرّح به التنزيل. قال الواحدي: قال المفسرون: أقسم الله بالسماء والطارق، يعني: الكواكب تطرق بالليل، وتخفى بالنهار. قال الفرّاء: الطارق النجم؛ لأنه يطلع بالليل، وما أتاك ليلاً فهو طارق. وكذا قال الزجاج والمبرد، وقد اختلف في الطارق هل هو نجم معين، أو جنس النجم؟ فقيل: هو زحل. وقيل: الثريا. وقيل: هو الذي ترمى به الشياطين. وقيل: هو جنس النجم. قال في الصحاح: (والطارق): النجم الذي يقال له كوكب الصبح أي: إن أبانا في الشرف كالنجم المضيء، وأصل الطروق: الدقّ، فسمي قاصد الليل طارقًا لاحتياجه في الوصول إلى الدق. وقال قوم: إن الطروق قد يكون نهارًا، والعرب تقول: أتيتك اليوم طرقتين أي: مرتين، ومنه قوله ﷺ: «أعوذ بك من شرّ طوارق الليل والنهار إلاَّ طارقاً يطرق بخير» ثم بيّن سبحانه ما هو الطارق، تفخيماً لشأنه بعد تعظيمه بالإقسام به فقال: (وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطارق * النجم الثاقب) الثاقب: المضيء، ومنه يقال: ثقب النجم ثقوبًا، وثقابة: إذا أضاء، وثقوبه ضوؤه، قال الواحدي: الطارق يقع على كل ما طرق ليلاً، ولم يكن النبيّ ﷺ =

[الطارق: 4] من الملائكة تحفظ ما عملته من خير وغيره، أو حافظ من الله يحفظها، وقولها وفعلها وتسلمها للمقادير، ثم يخلى عنها.

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ﴾ [الطارق: 5] نظر فكر واعتبار ﴿مِمَّ خُلِقَ﴾ من أي شيء خلقه ربه ﴿خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: 6] أي: ذي اندفاق من الرجل والمرأة في رحمها، أو مدفوق وهو المصبوب في الرحم ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ﴾ [الطارق: 7] للرجل ﴿وَالتَّرَائِبِ﴾ للمرأة، وهي عظام الصدر والنحر.

﴿إِنَّهُ﴾ [الطارق: 8] تعالى ﴿عَلَى رَجْعِهِ﴾ أي: الإنسان بعد موته ﴿لَقَادِرٌ﴾ أي: الله قادر على بعثه ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطارق: 9] تختبر ضمائر القلوب، فتكشف العقائد والنيّات ﴿فَمَا لَهُ﴾ [الطارق: 10] لمنكر البعث ﴿مِنْ قُوَّةٍ﴾ يمتنع بها من العذاب ﴿وَلَا نَاصِرٍ﴾ يرفعه عنه.

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ [الطارق: 11] المطر ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ [الطارق: 12] الشق عن النبات ﴿إِنَّهُ﴾ [الطارق: 13] أي: القرآن ﴿لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ يفصل بين الحق والباطل غيره ﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ [الطارق: 14] باللعب والباطل.

﴿إِنَّهُمْ﴾ [الطارق: 15] أي: الكفار ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ يعملون المكائد للنبي ﷺ ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: 16] باستدراجهم وهم لا يعلمون ﴿فَمَهِّلِ﴾ [الطارق: 17] يا

يدري ما المراد به لو لم يبينه بقوله: (النجم الثاقب) قال مجاهد: الثاقب المتوهج. قال سفيان: كل ما في القرآن (وَمَا أَدْرَاكَ)، فقد أخبره، وكل شيء قال: (وَمَا يُدْرِيكَ) لم يخبره به، وارتفاع قوله: (النجم الثاقب) على أنه خبر مبتدأ محذوف، والجملة مستأنفة جواب سؤال مقدّر نشأ مما قبله، كأنه قيل: ما هو؟ فقيل: هو النجم الثاقب. (إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ) هذا جواب القسم، وما بينهما اعتراض، وقد تقدّم في سورة هود اختلاف القرّاء في: «لما»، فمن قرأ بتخفيفها كانت إن هنا هي المخففة من الثقيلة فيها ضمير الشأن المقدّر، وهو اسمها، واللام هي الفارقة، وما مزيدة، أي: إن الشأن كل نفس لعليها حافظ، ومن قرأ بالتشديد، فإن نافية، ولما بمعنى إلا، أي: ما كل نفس إلاّ عليها حافظ، وقد قرأ هنا بالتشديد ابن عامر، وعاصم، وحمزة. وقرأ الباقون بالتخفيف. قيل: والحافظ هم الحفظة من الملائكة الذين يحفظون عليها عملها، وقولها وفعلها، ويحصون ما تكسب من خير وشرّ وقيل: الحافظ هو الله ﷻ. انظر [فتح القدير (7/465)].

محمد ﴿الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ﴾ تأكيدًا ﴿رُوَيْدًا﴾ قليلاً، وقد أخذهم الله ببدر، ونسخ الإمهال بآية السيف.

سورة الأعلى

مكية تسع عشر آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَىٰ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأعلى: ١ - ١٩].

﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ [الأعلى: 1] اسم زائد للتأكيد ﴿الْأَعْلَى * الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ [الأعلى: 1 - 2] مخلوقه، فجعله متناسب الأجزاء بلا تفاوت ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ﴾ [الأعلى: 3] ما شاء، خفضه الكسائي، وشدده الباقون ﴿فَهَدَى﴾ إلى قدره المباح، وهدى الإنسان لوجه استخراجها، وقدَّر مدة الجنين.

﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾ [الأعلى: 4] أنبت العشب ﴿فَجَعَلَهُ﴾ [الأعلى: 5] بعد خضرته ﴿غُثَاءً﴾ جافًا هشيمًا ﴿أَحْوَى﴾ أسود بالياء ﴿سَنُقْرِئُكَ﴾ [الأعلى: 6] القرآن بقراءة جبريل عليه السلام عليك ﴿فَلَا تَنْسَى﴾[1] ما تقرؤه ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ﴾ [الأعلى: 7] أن

---

(1) سنجعلك قارئًا بأن نلهمك القراءة، فلا تنسى ما تقرؤه، والجملة مستأنفة لبيان هدايته الخاصة به =

تنساه، وهو المنسوخ تلاوته من القرآن، قيل: إنه ﷺ كان يجهر بالقراءة مع جبريل خشية أن ينسى، فكأنه قيل له: لا تعجل بذلك إنك لا تنسى.

﴿**إِنَّهُ**﴾ تعالى ﴿**يَعْلَمُ الْجَهْرَ**﴾ من القول والفعل ﴿**وَمَا يَخْفَى**﴾ منهما ﴿**وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى**﴾ [الأعلى: 8] نهوّن عليك عمل الخيرات ﴿**فَذَكِّرْ**﴾ [الأعلى: 9] عظ بالقرآن ﴿**إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى**﴾ الموعظة من تذكره أو لم تنفع، ولم يذكر هذه الحالة الثانية استفتاء بالأولى كـ﴿**سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ**﴾ [النحل: 81]، والمنتفع بالذكرى من ذكره بقوله: ﴿**سَيَذَّكَّرُ**﴾ [الأعلى: 10] أي: بها ﴿**مَنْ يَخْشَى**﴾ الله تعالى، وهي قوله: ﴿**فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ**﴾ [ق: 45]؛ أي: ومن لم يخف، لكن ذكر هذا القسم فقط؛ لأنه المنتفع بها، فكان غيره لم يذكر لعدم تذكره ﴿**وَيَتَجَنَّبُهَا**﴾ [الأعلى: 11] أي: الذكرى بأن يتركها جانبًا فلا يلتفت إليها ﴿**الْأَشْقَى**﴾ هو الكافر ﴿**الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى**﴾ [الأعلى: 12] في الآخرة، والصغرى نار الدنيا، وقد غمست في الماء سبعين مرة ولولا ذلك لم ينتفع بها بنو آدم وهي تستعيذ بالله من حر جهنم ﴿**ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا**﴾ [الأعلى: 13] فيستريح ﴿**وَلَا يَحْيَا**﴾ حياة هنيئة.

﴿**قَدْ أَفْلَحَ**﴾ [الأعلى: 14] فاز ﴿**مَنْ تَزَكَّى**﴾ تطهّر بالإيمان ﴿**وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى**﴾ [الأعلى: 15] الصلوات الخمس، وذلك من أهل الآخرة والكفار لا تلتفت لذلك.

=

بعد بيان الهداية العامة، وهي هدايته ﷺ لحفظ القرآن. قال مجاهد، والكلبي: كان النبيّ ﷺ إذا نزل عليه جبريل بالوحي لم يفرغ جبريل من آخر الآية حتى يتكلم النبيّ ﷺ بأوّلها مخافة أن ينساها، فنزلت: (سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تنسى) وقوله: (إِلاَّ مَا شَاء الله) استثناء مفرغ من أعمّ المفاعيل. أي: لا تنسى مما تقرؤه شيئًا من الأشياء إلاَّ ما شاء الله أن تنساه. قال الفرّاء: وهو لم يشأ سبحانه أن ينسي محمد ﷺ شيئًا كقوله: (خالدين فِيهَا مَا دَامَتِ السموات والأرض إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ). وقيل: إلا ما شاء الله أن تنسى، ثم تذكر بعد ذلك، فإذن قد نسي، ولكنه يتذكر ولا ينسى شيئًا نسيانًا كليًا. وقيل: بمعنى النسخ أي: إلاَّ ما شاء الله أن ينسخه مما نسخ تلاوته. وقيل: معنى (فلا تنسى): فلا تترك العمل إلاَّ ما شاء الله أن تتركه لنسخه ورفع حكمه. وقيل المعنى: إلاَّ ما شاء الله أن يؤخر إنزاله. وقيل: «لا» في قوله: (فَلاَ تنسى) للنهي. والألف مزيدة لرعاية الفاصلة، كما في قوله: (فَأَضَلُّونَا السبيلا) يعني: فلا تغفل قراءته وتذكره. انظر [فتح القدير (7 /471)].

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ﴾ [الأعلى: 16] بالغيب لأبي عمرو، وانفرد به مهران عن روح عن رد الضمير لكفار مكة، والباقون بالخطاب، والكافر: يؤثر الدنيا إيثار كفر؛ لأنه يرى ألَّا آخرة، والمؤمن: يؤثرها إيثار معصية وغلبة نفس إلا من وفقه الله ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ على الآخرة ﴿وَالْآخِرَةُ﴾ [الأعلى: 17] لاشتمالها على النعيم الدائم في الحياة ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾.

﴿إِنَّ هَذَا﴾ [الأعلى: 18] قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى﴾ [الأعلى: 14]، وذكر إيثار الحياة الدنيا ﴿لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ أي: المنزلة قبل القرآن؛ بمعنى: إن هذا الحكم ثابت في كل شريعة لم يتبدَّل ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأعلى: 19] عليه السلام ﴿وَمُوسَى﴾ عليه السلام، ولإبراهيم عشر صحف، ولموسى التوراة.

سورة الغاشية

مكية ست وعشرون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ (١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَـٰشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ (٣) تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ (٥) لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ (٦) لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ (٧) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ (٨) لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (٩) فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠) لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَـٰغِيَةً (١١) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (١٢) فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ (١٤) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ (١٦) أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠) فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ (٢٢) إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ (٢٣) فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ (٢٤) إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا

حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ [الغاشية: ١ - ٢٦].

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾؟ [الغاشية: 1] الساعة؛ لأنها تغشى الخلق بهولها ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ [الغاشية: 2] ذليلة ﴿عَامِلَةٌ﴾ [الغاشية: 3] وصف لها بما كانت عليه في الدنيا ﴿نَاصِبَةٌ﴾[1] في الآخرة؛ أي: ذات نصب وتعب بالسلاسل والأغلال ﴿تَصْلَى﴾ [الغاشية: 4] بضم التاء للبصريين وأبي بكر، والباقون بالفتح ﴿نَارًا حَامِيَةً *

---

(1) قوله: (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الغاشية) قال جماعة من المفسرين: هل هنا بمعنى قد، وبه قال قطرب، أي: قد جاءك يا محمد حديث الغاشية، وهي القيامة؛ لأنها تغشى الخلائق بأهوالها. وقيل: إن بقاء هل هنا على معناها الاستفهامي المتضمن للتعجيب بما في خبره، والتشويق إلى استماعه أولى. وقد ذهب إلى أن المراد بالغاشية هنا القيامة أكثر المفسرين. وقال سعيد بن جبير، ومحمد بن كعب: الغاشية النار تغشى وجوه الكفار كما في قوله: (وتغشى وُجُوهَهُمْ النار) وقيل: الغاشية أهل النار؛ لأنهم يغشونها ويقتحمونها. والأوّل أولى. قال الكلبي: المعنى إن لم يكن أتاك حديث الغاشية، فقد أتاك. (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خاشعة) الجملة مستأنفة جواب سؤال مقدّر كأنه قيل ما هو؟ أو مستأنفة استئنافًا نحويًا لبيان ما تضمنته من كون، ثم وجوه في ذلك اليوم متصفة بهذه الصفة المذكورة. ووجوه مرتفع على الابتداء، وإن كانت نكرة لوقوعه في مقام التفصيل. وقد تقدّم مثل هذا في سورة القيامة، وفي سورة النازعات. والتنوين في يومئذ عوض عن المضاف إليه، أي: يوم غشيان الغاشية. والخاشعة: الذليلة الخاضعة. وكل متضائل ساكن يقال له خاشع، يقال خشع الصوت: إذا خفي، وخشع في صلاته: إذا تذلل ونكس رأسه. والمراد بالوجوه هنا أصحابها. قال مقاتل: يعني الكفار؛ لأنهم تكبروا عن عبادة الله. قال قتادة، وابن زيد: خاشعة في النار. وقيل: أراد وجوه اليهود والنصارى على الخصوص، والأوّل أولى، قوله: (عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ) معنى (عاملة) أنها تعمل عملاً شاقًا. قال أهل اللغة: يقال للرجل إذا دأب في سيره: عمل يعمل عملاً، ويقال للسحاب إذا دام برقه: قد عمل يعمل عملاً. قيل: وهذا العمل هو جرّ السلاسل والأغلال، والخوض في النار. (نَّاصِبَةٌ) أي: تعبة. يقال نصب بالكسر ينصب نصباً: إذا تعب، والمعنى: أنها في الآخرة تعبة لما تلاقيه من عذاب الله. وقيل: إن قوله: (عَامِلَةٌ) في الدنيا إذ لا عمل في الآخرة، أي: تعمل في الدنيا بالكفر والمعاصي، وتنصب في ذلك. وقيل: إنها عاملة في الدنيا ناصبة في الآخرة، والأوّل أولى. قال قتادة (عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ): تكبرت في الدنيا عن طاعة الله، فأعملها الله، وأنصبها في النار بجرّ السلاسل الثقال، وحمل الأغلال، والوقوف حفاة عراة في العرصات (فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) قال الحسن، وسعيد بن جبير: لم تعمل لله في الدنيا، ولم تنصب فأعملها، وأنصبها في جهنم. قال الكلبي: يجرّون على وجوههم في النار. وقال أيضاً: يكلفون ارتقاء جبل من حديد في جهنم، فينصبون فيها أشد ما يكون من النصب بمعالجة السلاسل والأغلال، والخوض في النار كما تخوض الإبل في الوحل. انظر [فتح القدير (7 /477)].

تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ [الغاشية: 4 - 5] شديدة الحرارة ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ [الغاشية: 6] الضريع: نوع من الشوك لا ترعاه دابة لخبثه ﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ [الغاشية: 7].

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ * لِسَعْيِهَا﴾ [الغاشية: 8 - 9] في الدنيا بالعمل الصالح ﴿رَاضِيَةٌ﴾ في الآخرة؛ لرؤيتها ثوابه ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ [الغاشية: 10] في الحسّ؛ لارتفاعها وارتفاع مراتبها، وفي المعنى لنفاستها ورفيع شأنها ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾ [الغاشية: 11] أي: نفس ذات لغو وهو الهذيان من الكلام بخلاف الدنيا، قرأ ابن كثير وأبو عمرو ورويس بياء مضمومة «لاغية» بالرفع، والباقون بتاء مفتوحة «لاغية» بالنصب ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ [الغاشية: 12] بالماء وهي اسم جنس؛ فالمعنى: عيون ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ [الغاشية: 13] في ذاتها لارتفاعها عن أرض الجنة، وفي قدرها لنفاستها ﴿وَأَكْوَابٌ﴾ [الغاشية: 14] أقداح لا عُرا لها، ولا آذان، ولا خراطيم ﴿مَوْضُوعَةٌ﴾ على حافات العيون معدَّة لشربهم ﴿وَنَمَارِقُ﴾ [الغاشية: 15] وسائد، جمع: نِمرِقة - بكسر النون والراء - ﴿مَصْفُوفَةٌ﴾ بعضها فوق بعض يستند إليها ﴿وَزَرَابِيُّ﴾ [الغاشية: 16] واحدتها: زَربية - بفتح الزاي، وهو: طنافس لها خَمْل بفتح الخاء وسكون الميم ﴿مَبْثُوثَةٌ﴾ كثيرة مفرقة أو مبسوطة.

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ﴾ [الغاشية: 17] أي: كفار مكة، أو منكرو البعث مطلقًا نظر اعتبار ﴿إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ هي الإبل المعروفة عند الجمهور وصدر بها؛ لأن العرب أشد ملابسة بها من غيرها ﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية:18 - 20] بسطت، فيستدلون بذلك على قدرة الله تعالى، وسطح الأرض يدل على أنها سطح لا كرة، وقول أهل الهيئة بأنها كرة لا ينفي السطحية، ولا يهدم أصلاً شرعيًا، وما كان من قولهم كذلك لا يضر في الدين.

﴿فَذَكِّرْ﴾ [الغاشية: 21] يا محمد الناس بنعم مولاهم وبدلائل توحيده ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ فالهداية إلى الله ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: 22] بمسلط، وهو قبل الأمر بالجهاد ﴿إِلَّا﴾ [الغاشية: 23] لكن ﴿مَنْ تَوَلَّى﴾ عن الإيمان ﴿وَكَفَرَ﴾ بالذي جئت به ومنه القرآن ﴿فَيُعَذِّبُهُ اللهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ [الغاشية: 24] في الآخرة بالخلود

في النار، والأصغر عذاب الدنيا بالقتل والأسر ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ [الغاشية: 25] رجوعهم بعد الموت، وقرأ أبو جعفر «إيابهم» بالتشديد، والباقون بالتخفيف ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [الغاشية: 26] جزاءهم، وأتى بـ«علينا» إشارة على تحقيق كلمة العذاب عليهم؛ فالمعنى: لا نتركه أبدًا.

سورة الفجر

مكية عند الجمهور، تسع وعشرون أو ثلاثون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ ﴾ [الفجر: ١ - ٢٠].

﴿وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾[1] [الفجر: 1 - 2] عشر ذي الحجة ﴿وَالشَّفْعِ﴾ [الفجر:

(1) قرأ أبو الدينار الأعرابي: والفجر، والوتر، ويسر بالتنوين في الثلاثة. قال ابن خالويه: هذا كما روي عن بعض العرب أنه وقف على آخر القوافي بالتنوين، وإن كان فعلاً، وإن كان فيه ألف ولام، وهذا ذكره النحويون في القوافي المطلقة إذا لم يترنم الشاعر، وهو أحد الوجهين اللذين للعرب =

3] الزوج ﴿وَالْوَتْرِ﴾ بكسر الواو لحمزة والكسائي وخلف، والباقون بالفتح، والوتر: الفرد هو قسم بالعدد كله، أو بالصلوات لا منها الشفع، ومنها الوتر كالمغرب ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِي﴾ [الفجر: 4] مقبلاً ومدبرًا.

﴿هَلْ فِي ذَلِكَ﴾ [الفجر: 5] القسم الذي ﴿قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ عقل؛ لأنه يحجر صاحبه عن القبائح، كما سُمِّي عقلاً؛ لأنه يعقله، وهي؛ لأنه ينهاه عنها، والمعنى: إن في ذلك قسم وجواب، القسم محذوف تقديره: لتعذبن يا كفار مكة.

=

إذا وقفوا على الكلم في الكلام لا في الشعر، وهذا الأعرابي أجرى الفواصل مجرى القوافي. وقرأ الجمهور: (وليال عشر) بالتنوين؛ وابن عباس: بالإضافة، فضبطه بعضهم. (وليال عشر) بلام دون ياء. وبعضهم وليالي عشر بالياء، ويريد: وليالي أيام عشر. ولما حذف الموصوف المعدود، وهو مذكر، جاء في عدده حذف التاء من عشر. والجمهور: (والوتر) بفتح الواو وسكون التاء، وهي لغة قريش. والأغر عن ابن عباس، وأبو رجاء وابن وثاب وقتادة وطلحة والأعمش والحسن: بخلاف عنه؛ والأخوان: بكسر الواو، وهي لغة تميم، واللغتان في الفرد، فأما في الرحل فالكسر لا غير. وحكى الأصمعي: فيه اللغتين؛ ويونس عن أبي عمرو: بفتح الواو وكسر التاء. والجمهور: (يسر) بحذف الياء وصلاً ووقفاً؛ وابن كثير: بإثباتها فيهما؛ ونافع وابن عمرو: بخلاف عنه بياء في الوصل وبحذفها في الوقف؛ والظاهر وقول الجمهور، منهم علي وابن عباس وابن الزبير: أن الفجر هو المشهور، أقسم به كما أقسم بالصبح، ويراد به الجنس، لا فجر يوم مخصوص. وقال ابن عباس ومجاهد: من يوم النحر؛ وعكرمة: من يوم الجمعة؛ والضحاك: من ذي الحجة؛ ومقاتل: من ليلة جمع؛ وابن عباس وقتادة: من أول يوم من المحرم. وعن ابن عباس أيضًا: الفجر: النهار كله؛ وعنه أيضاً وعن زيد بن أسلم: الفجر هو صلاة الصبح، وقرآنها هو قرآن الفجر. وقيل: فجر العيون من الصخور وغيرها. وقال ابن الزبير والكلبي وقتادة ومجاهد والضحاك والسدي وعطية العوفي: هي عشر ذي الحجة؛ وابن عباس والضحاك: العشر الأواخر من رمضان. وقال ابن جريج: الأول منه؛ ويمان وجماعة: الأول من المحرم ومنه يوم عاشوراء؛ ومسروق ومجاهد: وعشر موسى عليه السلام التي أتمها الله تعالى. قيل: والأظهر قول ابن عباس للحديث المتفق على صحته. قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله. قال التبريزي: اتفقوا على أنه العشر الأواخر، يعني من رمضان، لم يخالف فيه أحد، فتعظيمه مناسب لتعظيم القسم. وقال الزمخشري: وأراد بالليالي العشر عشر ذي الحجة. فإن قلت: فما بالها منكرة من بين ما أقسم به؟ قلت: لأنها ليال مخصوصة من بين جنس الليالي العشر، بعض منها أو مخصوصة بفضيلة ليست لغيرها. [تفسير البحر المحيط (10/ 475)].

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ [الفجر: 6] يا محمد ﷺ ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ﴾ [الفجر: 6 - 7] هي عاد الأولى ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ الطول ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ [الفجر: 8] قوة وبطشًا ﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا﴾ [الفجر: 9] قطعوا ﴿الصَّخْرَ﴾ واتخذوه بيوتًا ﴿بِالْوَادِ﴾ وادي القرى.

﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ [الفجر: 10] الجنود الكثيرة، أو أوتاد يشد بها يدي ورجلي من يعذبه ﴿الَّذِينَ طَغَوْا﴾ [الفجر: 11] تجبروا ﴿فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾ [الفجر: 11 - 12] بالمعاصي كالقتل ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: 13 - 14] يرصد أعمال العباد ويجازيهم عليها.

﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ﴾ [الفجر: 15] الكافر ﴿إِذَا مَا ابْتَلَاهُ﴾ اختبره ﴿رَبُّهُ﴾ وسيده المالك لأمره ﴿فَأَكْرَمَهُ﴾ بالمال، وغيره عطف على ما ابتلاه ﴿وَنَعَّمَهُ﴾ بما أعطاه ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِي﴾.

﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ [الفجر: 16] ضيقه، قرأ أبو جعفر وابن عامر «قدَّر» بتشديد الدال، والباقون بالتخفيف ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِي﴾.

﴿كَلَّا﴾ [الفجر: 17] ردع؛ أي: ليس الأمر كما يقول، فلا إهانة بفقر، ولا إكرام بغنى، بل الإكرام: بالطاعة، والإهانة: بالمعصية، والكفار عاصون ﴿بَل لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ * وَلَا تَحَاضُّونَ﴾ [الفجر: 17 - 18] أحدًا منهم ولا من غيرهم ﴿عَلَى طَعَامِ﴾ إطعام ﴿الْمِسْكِينِ * وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ﴾ [الفجر: 18 - 19] الميراث ﴿أَكْلًا لَمًّا﴾ شديدًا، وكانوا يأخذون نصيب النساء والأولاد ملمومًا لنصيبهم ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: 20] أي: كثيرًا.

﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾ [الفجر: ٢١ - ٣٠].

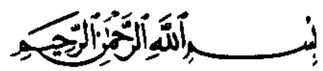
﴿كَـلَّا﴾ [الفجـر: 21] ردع عـن ذلـك، قـرأ البـصريان سـوى الزمـر عـن روح «يكرمون، ويحضون، ويأكلون، ويحبون» الأربعة بالغيب، والباقون بالخطاب، وأثبت الألف بعد الحاء من «يحاضون» أبو جعفر والكوفيون؛ أي: لا يحض بعضهم بعضًا، والباقون بلا ألف؛ ليشمل أنفسهم وغيرهم ﴿إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ أي: دكًا بعد دك، فزلـزلت حتـى يـزول كـل بـناء علـيها ﴿وَجَـاءَ رَبُّـكَ﴾ [الفجـر: 22] أي: أمـره ﴿وَالْمَلَكُ﴾ الملائكة ﴿صَفًّا صَفًّا﴾ أي: مصطفين، أو ذوي صفوف كثيرة.

﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر: 23] بجهنم تقاد بسبعين ألف زمام، كل زمام بأيـدي سبعين ألـف ملـك لهـا زفيـر وشـهيق قالـه ابـن مـسعود ومقاتـل ﴿يَوْمَـئِذٍ يَتَذَكَّـرُ الْإِنْـسَانُ﴾ الكافـر بمـا فـرط ﴿وَأَنَّـى لَـهُ الذِّكْـرَى﴾ أي: لا تـنفعه تذكـره ﴿يَقُـولُ يَـا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ﴾ [الفجر: 24] خيرًا وإيمانًا ﴿لِحَيَاتِي﴾ الطيب في الآخرة، أو لوقت حياتي في الدنيا ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ * وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾ [الفجر: 25 - 26] قرأ يعقوب والكسائي «لا يعذَب» بفتح الذال، «ولا يوثَق» بفتح الثاء؛ أي: لا يعذب أحد مثل تعذيب الكافر، ولا يوثق مثل إيثاقه، والباقون بكسرهما؛ أي: لا يعذب الله تعالى أحدًا مثله..... إلى آخره.

ويقال للمؤمن: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفجر: 27] إلى ما عند الله الراضية بما جاء به رسول الله ﷺ ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ﴾ [الفجر: 28] إلى أمره وثوابه ﴿رَاضِيَةً﴾ بالثواب ﴿مَرْضِيَّةً﴾ عنده بعملك، ويقال لها في القيامة: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ [الفجر: 29] الصالحين؛ أي: في جملتهم أو معهم ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: 30] معهم.



مكية عشرون آية.



﴿ لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا

ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾ ﴾ [البلد: ١ - ٢٠].

﴿لَا﴾ [البلد: 1] زائدة ﴿أُقْسِمُ بِهَـٰذَا الْبَلَدِ﴾[1] مكة ﴿وَأَنْتَ﴾ [البلد: 2] يا محمد

---

(1) قوله: (لاَ أُقْسِمُ) «لا» زائدة، والمعنى: أقسم (بهذا البلد). وقد تقدّم الكلام على هذا في تفسير (لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ القيامة) ومن زيادة «لا» في الكلام في غير القسم ومن ذلك قوله: (مَا مَنَعَكَ أَن لاَ تَسْجُدُ)، أي: أن تسجد. قال الواحدي: أجمع المفسرون على أن هذا قسم بالبلد الحرام وهو مكة. قرأ الجمهور: (لا أقسم) وقرأ الحسن، والأعمش: (لأقسم) من غير ألف. وقيل: هو نفي للقسم. والمعنى: لا أقسم بهذا البلد إذا لم تكن فيه بعد خروجك منه. وقال مجاهد: إن «لا» رد على من أنكر البعث، ثم ابتدأ، فقال أقسم، والمعنى: ليس الأمر كما تحسبون، والأوّل أولى. والمعنى: أقسم بالبلد الحرام الذي أنت حلّ فيه. وقال الواسطي: إن المراد بالبلد المدينة، وهو مع كونه خلاف إجماع المفسرين هو أيضًا مدفوع لكون السورة مكية لا مدنية. وجملة قوله: (وَأَنتَ حِلٌّ بهذا البلد) معترضة. والمعنى: أقسم بهذا البلد (وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ * لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان فِى كَبَدٍ) واعترض بينهما بهذه الجملة. والمعنى: ومن المكابد أن مثلك عليّ عظيم حرمته يستحل بهذا البلد، كما يستحلّ الصيد في غير الحرم، وقال الواحدي: الحلّ والحلال والمحل واحد، وهو ضدّ المحرَم، أحلّ الله لنبيه ﷺ مكة يوم الفتح حتى قاتل، وقد قال ﷺ: «لم تحلّ لأحد قبلي، ولا تحلّ لأحد بعدي، ولم تحلّ لي إلاّ ساعة من نهار» قال: والمعنى أن الله لما ذكر القسم بمكة دلّ ذلك على عظم قدرها مع كونها حراماً، فوعد نبيه ﷺ أن يحلها له حتى يقاتل فيها ويفتحها على يده، فهذا وعد من الله تعالى بأن يحلها له حتى يكون بها حلاً فالمعنى: وأنت حلّ بهذا البلد في المستقبل، كما في قوله: (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَّيِّتُونَ) قال مجاهد: المعنى ما صنعت فيه من شيء فأنت حلّ. قال قتادة أنت حلّ به لست بآثم، يعني: أنك غير مرتكب في هذا البلد ما يحرم عليك ارتكابه، لا كالمشركين الذين يرتكبون فيه الكفر والمعاصي. وقيل المعنى: لا أقسم بهذا البلد وأنت حالّ به، ومقيم فيه، وهو محلك، فعلى القول بأن لا نافية غير زائدة، يكون المعنى: لا أقسم به وأنت حالّ به، فأنت أحقّ بالإقسام بك، وعلى القول بأنها زائدة يكون المعنى: أقسم بهذا البلد الذي أنت مقيم به تشريفًا لك وتعظيمًا لقدرك؛ لأنه قد صار بإقامتك فيه عظيماً شريفاً، وزاد على ما كان عليه من الشرف والعظم، ولكن هذا إذا تقرّر في لغة =

﴿حِلٌّ﴾ حلال ﴿بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ بأن يحل لك فتقاتل فيه، ولقد أنجز الله له وعده بذلك يوم الفتح ﴿وَوَالِدٍ﴾ [البلد: 3] آدم ﴿وَمَا وَلَدَ﴾ ذريته.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ [البلد: 4] أي: جنسه ﴿فِي كَبَدٍ﴾ في نصب وشدة؛ لأنه يكابد ما يصيبه في الدنيا وشدائد الآخرة ﴿أَيَحْسَبُ﴾ [البلد: 5] أيظن الإنسان هو أبو الأشدين تثنية أشد، وكان قويًا شديدًا يضع الأديم تحت قدميه فلا يستطيع أحد أن يزيله عنه، ولا أن يخرجه من تحت قدمه، بل يتقطع قطعًا وهو قار عليه؛ المعنى: أيظن من هذا قوته ﴿أَنْ﴾ أنه ﴿لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ والله قادر عليه، وقيل: نزلت في الوليد بن المغيرة.

﴿يَقُولُ﴾ [البلد: 6] هذا الإنسان ﴿أَهْلَكْتُ﴾ أي: على عداوة محمد ﷺ ﴿مَالًا لُبَدًا﴾ كثيرًا، قرأ أبو جعفر «لبَّدًا» بتشديد الباء، والباقون بالتخفيف ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ﴾ [البلد: 7] أي: أنه ﴿لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ فيما أنفقه، فيعلم قدره مع أن الله سبحانه عالم بذلك وبأنه ليس مما يفتخر به، ولا بدّ أن يجازيه على فعله السيئ.

﴿أَلَمْ نَجْعَلْ﴾ [البلد: 8] بمعنى: جعلنا ﴿لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ [البلد: 8 - 9] ﴿وَهَدَيْنَاهُ﴾ [البلد: 10] بينًا له ﴿النَّجْدَيْنِ﴾ طريق الخير والشر ﴿فَلَا﴾ [البلد: 11] فهل لا ﴿اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ أي: جازنا ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ [البلد: 12] أعلمك ﴿مَا الْعَقَبَةُ﴾ التي يقتحمها ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ [البلد: 13] عن الرق بالإعتاق، قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي «فكَّ» بفتح الكاف، «رقبة» بالنصب، والباقون برفع «فك»، وخفض «رقبة» ﴿أَوْ إِطْعَامٌ﴾ [البلد: 14] للأولين بفتح الهمزة، والهمز من غير ألف ولا تنوين، ولمن بقي بكسر الهمزة ورفع الميم منونة وألف قبلها ﴿فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ مجاعة ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ [البلد: 15] قرابة ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البلد: 16] ملصق بالتراب؛ لفقره.

﴿ثُمَّ كَانَ﴾ [البلد: 17] وقت الاقتحام ﴿مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا﴾ وصى بعضهم بعضًا ﴿بِالصَّبْرِ﴾ على الطاعات وعن المعاصي ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ الرحمة

=

العرب أن لفظ حلّ يجيء بمعنى حالّ، وكما يجوز أن تكون الجملة معترضة يجوز أن تكون في محل نصب على الحال. انظر [فتح القدير (7 /496)].

على العباد ﴿أُولَئِكَ﴾ [البلد: 18] الموصون بهذه الصفات ﴿أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ اليمين ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ [البلد: 19] الشمال ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾ [البلد: 20] مطبقة أبوابها عليهم لا يدخل فيها روح فكلها غم، وقرأ أبو عمرو وحفص وحمزة بالهمز هنا وفي الهمزة، والباقون بتركه.

سورة الشمس

مكية خمس أو ست عشرة آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾ ﴾ [الشمس: ١ - ١٥].

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾[1] [الشمس: 1] ضوءها ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾ [الشمس: 2]

(1) أقسم الله بشمس جلال قدمه إذا ارتفعت من مشارق قلوب العارفين، فنوَّر بسنانها أسرارهم، وأيضًا أي: وشمس عرفانهم حين أشرقت بنور الإيقان، وأورث لهم لطائف العيان والبيان، وقمر صفاته إذا تتابعت أنوارها عقيب كشوف أنوار ذاته في فؤاد المقرَّبين، وأيضًا أي: بقمر الإيمان إذا تلا شمس العرفان، ونهار صباح الأزل إذا تجلَّى لأرواح الموحدين والصدِّيقين، وليلُ تحيُّر أهل الفناء في ميادين وحدانيته؛ حيث لا يدركون منافذ درك الحقائق، وأيضًا أي: بليل قهريات عظمته إذا تغشى بعين الامتحان أفئدة الطالبين والمطلوبين؛ لأن الكل في ضرب هذا البلاء، حتى قال سيد الورى ﷺ: «إنَّه ليغانُ على قلبي»، وسماء قلوب المحبِّين فيها أبراج الغيوب تسري =

تبعها طالعًا إذا غربت، وذلك في النصف الأول من الشهر إذا غربت الشمس تلاها القمر إضاءة وخلفها نورًا ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾ [الشمس: 3] أي: خلا الظلمة ارتفاعه ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ [الشمس: 4] يغطيها بظلمته حتى تغيب وتظلم الآفاق.

﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ [الشمس: 5] المعنى: وبنائها، أو من بناها ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ [الشمس: 6] بسطها ﴿وَنَفْسٍ﴾ [الشمس: 7] وهي بمعنى: نفوس ﴿وَمَا سَوَّاهَا﴾ في الخلقة ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: 8] بيَّن لها طريق الخير والشر.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس: 9] طهرها من الذنب ﴿وَقَدْ خَابَ﴾ خسر ﴿مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: 10] أخفاها بالمعصية ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾ [الشمس: 11] رسولها صالحًا ﷺ ﴿بِطَغْوَاهَا﴾ بسبب طغيانها ﴿إِذِ انْبَعَثَ﴾ [الشمس: 12] أسرع ﴿أَشْقَاهَا﴾ قدار بن سالف إلى عقر الناقة برضاهم.

﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ﴾: [الشمس: 13] صالح عليه السلام على سيدنا محمد ﷺ وعليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين ﴿نَاقَةَ اللهِ﴾ أي: احذروها أو ذروها ﴿وَسُقْيَاهَا﴾ ومشربها في يومها، وكان لها يوم ولهم يوم كما سبق ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ [الشمس: 14] في قوله ذلك عن الله تعالى وخالفوه ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ ليسلم لهم ماء شربها ﴿فَدَمْدَمَ﴾ أطبق ﴿عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ﴾ مالك أمرهم ﴿بِذَنْبِهِمْ﴾ العذاب، أو أهلكهم هلاكًا باستئصال ﴿فَسَوَّاهَا﴾ فسوَّى الدمدمة عليهم؛ بمعنى: عمهم بها فلم يفلت أحدًا منهم ﴿وَلَا﴾ [الشمس: 15] بالفاء للمدنيين وابن عامر، والباقون بالواو ﴿يَخَافُ﴾ تعالى ﴿عُقْبَاهَا﴾ تبعتها.

=

فيها نيّرات كشوفات الملكوت والجبروت وما بينهما، أقسم بالفعل، ثم بالصفة، ثم بالذات، وجميعها خبرٌ عن عين الجمع في الحقيقة، وفي عين التفرقة من حيث رسم الحقيقة، وأرض عقول العارفين التي هي مساقط شروق أنوار المشاهدة.

سورة الليل

مكية إحدى وعشرين آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾ [الليل: ١ - ٢١].

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ [الليل: 1] بظلمته ما بين السماء والأرض ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ [الليل: 2] تكشف وظهر ﴿وَمَا﴾ [الليل: 3] بمعنى: من ﴿خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ آدم وحوى، أو كل ذكر وأنثى، والخنثى داخل في القسمين.

﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ﴾ [الليل: 4] عملكم ﴿لَشَتَّى﴾[1] فساع في فكاك نفسه، وساع في عطبها ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى﴾ [الليل: 5] حق ربه ﴿وَاتَّقَى﴾ الله ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ [الليل: 6] وهي: لا إله إلا الله هنا، وفي الموضع الآتي في هذه السورة، وقيل: هي الجنة فيهما ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ [الليل: 7] أي: في هذه الدنيا للطريق اليسرى، أو للجنة بعمله بما

(1) هذا جواب القسم، أي: إن عملكم لمختلف: فمنه عمل للجنة، ومنه عمل للنار. قال جمهور المفسرين: السعي العمل، فساع في فكاك نفسه، وساع في عطبها. و(شتى) جمع شتيت: كمرضى ومريض. وقيل: للمختلف شتى لتباعد ما بين بعضه وبعض. [فتح القدير (8 /8)].

يرضي الله.

﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ﴾ [الليل: 8] عن حق الله ﴿وَاسْتَغْنَى﴾ عن ثوابه ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل: 9 - 10] نهيئه للشر بأن نجزيه على يديه حتى يعمل بالمعاصي فيدخل النار ﴿وَمَا﴾ [الليل: 11] نافية ﴿يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ في جهنم أو مات.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ [الليل: 12] للبيان لطريق الحق والباطل؛ ليمتثل ما بينَّاه ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى﴾ [الليل: 13] أي: الدنيا ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ﴾ [الليل: 14] يا أهل مكة ﴿نَارًا تَلَظَّى﴾ تتلظَّى توقد بوهج ﴿لَا يَصْلَاهَا﴾ [الليل: 15] لا يدخلها ﴿إِلَّا الْأَشْقَى﴾ الشقي ﴿الَّذِي كَذَّبَ﴾ [الليل: 16] الرسل - عليهم الصلاة والسلام - ﴿وَتَوَلَّى﴾ عن الإيمان والحصر مؤول؛ إذ قوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: 48] يدل على أن البعض لا يغفر له فيدخل النار.

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا﴾ [الليل: 17] يبعد عنها ﴿الْأَتْقَى﴾ التقي ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ﴾ [الليل: 18] يعطيه ﴿يَتَزَكَّى﴾ يطلب أن يكون زاكيًا عند الله تعالى لا رياء ولا سمعة وهو الصديق ﷺ على الصحيح الأشهر؛ لأنه اشترى بلالاً ﷺ لمَّا كان يعذب على إيمانه وأعتقه، ولمَّا فعل ذلك ببلال قال الكفار: إنما فعل ذلك ليدٍ كانت عنده فنزل: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى * إِلَّا﴾ [الليل: 19 - 20] لكن فعل ذلك ﴿ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ أي: طلب ثواب الله سبحانه ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ [الليل: 21] بما يعطاه من ثواب الله سبحانه في الجنة، والآية تشمل من فعل مثل فعله فيبعد عن النار ويثاب.

سورة الضحى

مكية إحدى عشر آية، ولمَّا نزلت كبَّر ﷺ فندب التكبير آخرها وآخر كل سورة بعدها وهو: الله أكبر، أو لا إله إلا الله والله أكبر، وللقراء فيه كلام ليس هذا محل بسطه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ

﴿مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى: ١ - ١١].

﴿**وَالضُّحَى**﴾ [الضحى: 1] هو أول النهار أو كله لمقابلته بقوله: ﴿**وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى**﴾ [الضحى: 2] غطَّى كل شيء بظلامه ﴿**مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ**﴾ [الضحى: 3] ما تركك يا محمد ﴿**وَمَا قَلَى**﴾ وما أبغضك، نزلت ردًا على الكفار في قولهم عند تأخر الوحي عنه خمسة عشر يومًا أن ربه ودعه وقلاه ﴿**وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ**﴾ [الضحى: 4] لما فيها من المثوبات الجزيلة ﴿**مِنَ الْأُولَى**﴾ الدنيا.

﴿**وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ**﴾[1] [الضحى: 5] في الآخرة عطاءً جمًّا عظيمًا ﴿**فَتَرْضَى**﴾ ما أعطاك، كالشفاعة في أمتك والثواب، ولمَّا سمع ﷺ ذلك قال: «**إذًا لا أرضى وواحد من أمتي في النار**»[2]، ﴿**أَلَمْ يَجِدْكَ**﴾ [الضحى: 6] بمعنى: وجدك

(1) (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فترضى) هذه اللام قيل هي لام الابتداء دخلت على الخبر لتأكيد مضمون الجملة، والمبتدأ محذوف تقديره، ولأنت سوف يعطيك الخ، وليست للقسم؛ لأنها لا تدخل على المضارع إلاَ مع النون المؤكدة. وقيل: هي للقسم. قال أبو عليّ الفارسي: ليست هذه اللام هي التي في قولك: إن زيداً لقائم؛ بل هي التي في قولك لأقومنّ، ونابت «سوف» عن إحدى نوني التأكيد، فكأنه قال: وليعطينك. قيل المعنى: ولسوف يعطيك ربك الفتح في الدنيا والثواب في الآخرة، فترضى. وقيل: الحوض والشفاعة. وقيل: ألف قصر من لؤلؤ أبيض ترابه المسك. وقيل: غير ذلك. والظاهر أنه سبحانه يعطيه ما يرضى به من خيري الدنيا والآخرة، ومن أهمّ ذلك عنده، وأقدمه لديه قبول شفاعته لأمته، (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فاوى) هذا شروع في تعداد ما أفاضه الله سبحانه عليه من النعم، أي: وجدك يتيمًا لا أب لك، (فآوى) أي: جعل لك مأوى تأوي إليه، قرأ الجمهور: (فآوى) بألف بعد الهمزة رباعيًا، من آواه يؤويه، وقرأ أبو الأشهب: (فأوى) ثلاثيًا، وهو إما بمعنى الرباعي، أو هو من أوى له إذا رحمه. وعن مجاهد معنى الآية: ألم يجدك واحدًا في شرفك لا نظير لك، فآواك الله بأصحاب يحفظونك ويحوطونك، فجعل يتيماً من قولهم درّة يتيمة، وهو بعيد جدًّا، والهمزة لإنكار النفي، وتقرير المنفيّ على أبلغ وجه، فكأنه قال: قد وجدك يتيماً فآوى، والوجود بمعنى العلم، ويتيماً مفعوله الثاني. وقيل: بمعنى المصادفة، ويتيماً حال من مفعوله. [فتح القدير (8 /15)].

(2) ذكره الرازي في «تفسيره» (17/75).

﴿يَتِيمًا﴾ بفقد أبيك قبل ولادتك أو بعدها ﴿فَآوَى﴾ بأن ضمَّك إلى عمك أبي طالب ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ [الضحى: 7] عن الطريق، أو عمَّا أنت عليه الآن ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا﴾ [الضحى: 8] فقيرًا ﴿فَأَغْنَى﴾ أي: أغناك بالغنيمة وسائر ما متعك به، وفي الخير ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس.

﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: 9] بأخذ ماله أو غير ذلك ولو بكلام سيء ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: 10] تزجره لفقره ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ [الضحى: 11] وهي النبوة أو الإسلام ﴿فَحَدِّثْ﴾ أخبر، ومن هنا كان الحديث بالنعمة من شكرها عن الحسن بن علي - رضي الله عنهما - في هذه الآية قال: إذا أعطيت خيرًا فحدِّث إخوانك، وعن قتادة قال: من شكر النعمة أفشاها.

سورة الشرح

مكية ثمان آيات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨ ﴾ [الشرح: ١ - ٨].

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ [الشرح: 1] بمعنى: شرحنا ﴿لَكَ صَدْرَكَ﴾[1] يا محمد ﷺ بالنبوة

---

(1) قال الورتجبي: شرحَ صدره - صلوات الله وسلامه عليه - طلوع شمس جلال الحق فيه، فأضاء منه روحه وقلبه وعقله، وطار روحه في الأزل، وطار عقله في الأبد، وطار قلبه في الجبروت، ونفسه في الملكوت، فتولَّى الحق شرح صدره بنفسه لا بغيره، وذلك حين ظهر لسرِّه ذاته القديم، وصفاته الأزلية، فصار موسعًا مبسوطًا بوسع الذات والصفات، فشرْحُه يزيد إلى الأبد؛ لأن جلال الحق لا نهاية له، وكان صدره محل تجلِّي الحق، فبقي مع الحق في ساحة الكبرياء حيث لا حيث ولا زمان ولا مكان، بل نور الذات في نور الصفات، ونور الصفات في نور =

والقيام بأمرها ﴿وَوَضَعْنَا﴾ [الشرح: 2] حططنا ﴿عَنْكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ﴾ [الشرح: 2 - 3] أثقل ﴿ظَهْرَكَ﴾ قيل المراد: خففنا عنك أعباء النبوة والقيام بأمرها، أو حططنا عنك الوزر بمعنى: لم نجعلك ممن يحمله ولو حملته لا يثقل ظهرك ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: 4] أي: لا أُذْكَر إلا ذُكِرت معي في الأذان، والخطبة، والتشهد، وغير ذلك.

﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ﴾ [الشرح: 5] الشدة ﴿يُسْرًا﴾ سهولة ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: 6] ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ [الشرح: 7] من الصلاة أو من الفرائض ﴿فَانْصَبْ﴾ اتعب في الدعاء، أو في صلاة الليل، أو المراد: إذا فرغت من التشهد الأخير فادع لدنياك وآخرتك ﴿وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [الشرح: 8] تضرَّع راهبًا من النار، وراغبًا في الجنة.

سورة التين

مكية ثمان آيات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٦) فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ (٧) أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ (٨) ﴾ [التين: ١ - ٨].

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ [التين: 1] المأكولين، أو جبلان بالشام ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ [التين: 2] الجبل الذي كلَّم الله تعالى عليه موسى عليه السلام ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ [التين: 3] مكة؛ لأمن الناس فيه جاهلية وإسلامًا ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ [التين: 4] أي: جنسه ﴿فِي

=

الذات، فهو بين النورين محتجبًا بأنوار الحقيقة عن أوهام الخليقة.

﴿أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ في أعدل قامة وأحسن صورة ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ [التين: 5] أرذل العمر بنقص عقله وبضعف بدنه، والسافلين: الضعفاء، والزمناء، والأطفال، والشيخ الكبير أضعف منهم.

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [التين: 6] فيكتب لهم بعد الهرم وفي حال الخرف مثل المكتوب لهم في صحتهم وكمالهم ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ غير مقطوع.

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾ [التين: 7] أيها الكافر ﴿بَعْدُ﴾ أي: بعد هذه الحجة، أو ما يجعلك مكذبًا بذلك ولا جاعل له ﴿بِالدِّينِ﴾ بالجزاء المسبوق بالبعث والحساب ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: 8] بأقضى القاضين، وفي الحديث: «**من قرأ** ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ [التين: 1] **فقرأ** ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: 8] **فليقل: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين**»[1].

سورة العلق

مكية ثمان، أو تسع عشرة، أو إحدى وعشرون آية، ومن أولها إلى ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: 5] أول ما نزل من القرآن وذلك بغار حراء.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴿٦﴾ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿٨﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ

---

(1) تقدم تخريجه.

لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾ ﴾ [العلق: ١ - ١٩].

﴿اقْرَأْ﴾ [العلق: 1] اوجد القرآن مبتدأ ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ الخلائق ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ [العلق: 2] الجنس ﴿مِنْ عَلَقٍ﴾ جمع: علقة، وهي: قطعة من الدم الغليظ.

﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [العلق: 3] الذي لا يوازيه كريم ﴿الَّذِي عَلَّمَ﴾ [العلق: 4] الخط ﴿بِالْقَلَمِ﴾ وأول من خط وخاط: إدريس ﵇ ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ﴾ [العلق: 5] الجنس ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ قبل، وقيل: الإنسان هو محمد ﷺ.

﴿كَلَّا﴾ [العلق: 6] حقًّا ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى﴾ يتجاوز حده ويستكبر على ربه ﴿أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾ [العلق: 7] أي: يطغى عند رؤيته نفسه غنيًا، روى قنبل بخلاف عنه «أن رأه» بقصر الهمزة، والباقون بمدها، نزلت في أبي جهل.

﴿إِنَّ إِلَى رَبِّكَ﴾ [العلق: 8] يا إنسان ﴿الرُّجْعَى﴾ الرجوع، فيجازيك بما تستحق ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى﴾ [العلق: 9] هو أبو جهل ﴿عَبْدًا﴾ [العلق: 10] هو محمد ﷺ ﴿إِذَا صَلَّى * أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ﴾ [العلق: 10 - 11] أي: المنهي ﴿عَلَى الْهُدَى * أَوْ﴾ [العلق: 11 - 12] هي للتقسيم ﴿أَمَرَ بِالتَّقْوَى * أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ﴾ [العلق: 12 - 13] الناهي النبي ﴿وَتَوَلَّى﴾ عن الإيمان به ﷺ ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى﴾ [العلق: 14] ما صدر منه؛ أي: يعلمه فيجازيه عليه.

﴿كَلَّا﴾ [العلق: 15] ردع للناهي ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ﴾ عمَّا هو عليه من كفره ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ أي: نأخذ بها فنجرها إلى النار وهي شعر مقدم الرأس ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ [العلق: 16] المراد: صاحبها، وكان قد قال للنبي ﷺ وشرف وكرم لمَّا انتهره عن الصلاة لقد علمت ما بها رجل أكثر تأدبًا مني لأَملأن عليك الوادي إن شئت خيلاً جردًا ورجالاً مردًا قال تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ [العلق: 17] أي: أهل ناديه، وهو: المجلس يتحدث فيه القوم ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾[1] [العلق: 18] لإهلاكه، قال ابن عباس

---

(1) أي: الملائكة الغلاظ الشداد، كذا قال الزجاج. قال الكسائي، والأخفش وعيسى بن عمر:
=

رضي الله عنهما: والله لو دعا نادية لأخذته زبانية الله، والزبانية: الملائكة الغلاظ الشداد، وعن ابن عبد الله بن الحارث قال: الزبانية أرجلهم في الأرض، ورءوسهم في السماء.

﴿**كَلَّا**﴾ [العلق: 19] ردع له ﴿**لَا تُطِعْهُ**﴾ يا محمد ﷺ في ترك الصلاة ﴿**وَاسْجُدْ**﴾ صل لله ﴿**وَاقْتَرِبْ**﴾ منه تعالى بطاعته.

سورة القدر

مكية خمس أو ست آيات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾ ﴾ [القدر: ١ - ٥].

﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ**﴾ [القدر: 1] أي: القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا ﴿**فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**﴾ سميت به؛ لتقدير الله فيها ما شاء، أو لعلو قدرها ﴿**وَمَا أَدْرَاكَ**﴾ [القدر: 2] أعلمك يا محمد ﷺ ﴿**مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ**﴾ تعظيم لشأنها ﴿**لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ**

= واحدهم زابن. وقال أبو عبيدة: زبنية. وقيل: زباني. وقيل: هو اسم للجمع لا واحد له من لفظه كعباديد وأبابيل. وقال قتادة: هم الشرط في كلام العرب، وأصل الزبن الدفع، قرأ الجمهور: (سندع) بالنون، ولم ترسم الواو، كما في قوله: (يَوْمَ يَدْعُو الداع) وقرأ ابن أبي عبلة: (سيدعى) على البناء للمفعول، ورفع الزبانية على النيابة. ثم كرّر الردع والزجر فقال: (كَلاَّ لاَ تُطِعْهُ) أي: لا تطعه فيما دعاك إليه من ترك الصلاة: (واسجد) أي: صلّ لله غير مكترث به، ولا مبال بنهيه: (واقترب) أي: تقرّب إليه سبحانه بالطاعة والعبادة. وقيل المعنى: إذا سجدت اقترب من الله بالدعاء. وقال زيد بن أسلم: واسجد أنت يا محمد، واقترب أنت يا أبا جهل من النار. والأوّل أولى. والسجود هذا الظاهر أن المراد به الصلاة، وقيل سجود التلاوة، ويدلّ على هذا ما ثبت عنه ﷺ من السجود عند تلاوة هذه الآية، كما سيأتي إن شاء الله. انظر [فتح القدير (8 /31)].

﴿أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: 3] ليس فيها ليلة القدر؛ بمعنى: إن العمل فيها خير من العمل في ألف شهر خلت عنها.

﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾ [القدر: 4] جبريل عليه السلام ﴿فِيهَا﴾ في كل الليلة ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ سبحانه بأمره ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ أي: بكل ما قضاه الله سبحانه وتعالى في تلك السنة إلى قابل ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى﴾[1] [القدر: 5] أي: الملائكة تسلم إلى ﴿مَطْلَعِ﴾ أي: طلوع ﴿الْفَجْرِ﴾ قرأ الكسائي وخلف «مطلِع» بكسر اللام، والباقون بالفتح، فجعلت ليلة القدر سلامًا؛ لكثرة السلام فيها من الملائكة - عليهم السلام - لا تمر بمؤمن ولا مؤمنة إلا سلمت عليه، وليلة القدر عند الجمهور منتقلة في أوتار العشر الأخير من رمضان، وأقربها عند الشافعي رضي الله عنه ليلة الحادي أو الثالث والعشرين.

سورة البينة

لم يكن مكية ثمان أو تسع آيات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا

---

(1) أي من كل أمر مخوف ينبغي أن يسلم منه هي سلام. وقال مجاهد: لا يصيب أحداً فيها داء. وقال صاحب اللوامح: وقيل معناه هي سلام من كل أمر، وأمري سالمة أو مسلمة منه، ولا يجوز أن يكون سلام بهذه اللفظة الظاهرة التي هي المصدر عاملاً فيما قبله لامتناع تقدم معمول المصدر على المصدر. كما أن الصلة كذلك لا يجوز تقديمها على الموصول، وعن ابن عباس: تم الكلام عند قوله: (سلام)، ولفظة (هي) إشارة إلى أنها ليلة سبع وعشرين من الشهر، إذ هذه الكلمة هي السابعة والعشرون من كلمات هذه السورة، ولا يصح مثل هذا عن ابن عباس، وإنما هذا من باب اللغز المنزه عنه كلام الله تعالى. وقرأ الجمهور: (مطلع) بفتح اللام؛ وأبو رجاء والأعمش وابن وثاب وطلحة وابن محيصن والكسائي وأبو عمرو: بخلاف عنه بكسرها، فقيل: هما مصدران في لغة بني تميم. وقيل: المصدر بالفتح، وموضع الطلوع بالكسر عند أهل الحجاز. انظر [تفسير البحر المحيط (11 /7)].

ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البينة: ١ - ٨].

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾ [البينة: 1] عبدة الأصنام ﴿مُنْفَكِّينَ﴾ أي: لم يكونوا زائلين عمَّا هم عليه ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ﴾ أي: أتتهم ﴿الْبَيِّنَةُ﴾ الحجة الواضحة.

﴿رَسُولٌ مِنَ اللهِ﴾[1] [البينة: 2] هو محمد ﷺ ﴿يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾ منزلة من الله تعالى منزَّهة عن الباطل ﴿فِيهَا كُتُبٌ﴾ [البينة: 3] أحكام مكتوبة ﴿قَيِّمَةٌ﴾ مستقيمة.

﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [البينة: 4] وهم اليهود والنصارى في الإيمان به ﷺ ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ هي محمد ﷺ أو القرآن الحاوي به معجزة له ﷺ، والأول قال: كانوا مجمعين على الإيمان به ﷺ إن جاء فلمَّا جاء كفروا به حسدًا.

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: 5] أي: يخلصوا دينهم

---

(1) قرأ الجمهور: (رسول من الله) برفع (رسول) على أنه بدل كل من كلّ مبالغة، أو بدل اشتمال. قال الزجاج: رسول رفع على البدل من البينة. وقال الفراء: رفع على أنه خبر مبتدأ مضمر، أي: هي رسول، أو هو رسول. وقرأ أبيّ، وابن مسعود: (رسولاً) بالنصب على القطع، وقوله: (مِنَ الله) متعلق بمحذوف هو صفة لرسول، أي: كائن من الله، ويجوز تعلقه بنفس رسول، وجوّز أبو البقاء أن يكون حالاً «من صحف». والتقدير: يتلو صحفاً مطهرة منزلة من الله. وقوله: (يَتْلُو صُحُفاً مُطَهَّرَةً) يجوز أن تكون صفة أخرى لرسول، أو حالاً من متعلق الجار والمجرور قبله. ومعنى (يتلو): يقرأ، يقال تلا يتلو تلاوة، والصحف جمع صحيفة. وهي ظرف المكتوب. ومعنى (مطهرة): أنها منزّهة من الزور والضلال. قال قتادة: مطهرة من الباطل. وقيل: مطهرة من الكذب، والشبهات، والكفر، والمعنى واحد؛ والمعنى: أنه يقرأ ما تتضمنه الصحف من المكتوب فيها؛ لأنه ﷺ كان يتلو عن ظهر قلبه، لا عن كتاب كما تقدّم. انظر [فتح القدير (8 /37)].

من الشرك ﴿**حُنَفَاءَ**﴾ مستقيمين على دين محمد ﷺ ﴿**وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ**﴾ الأمة أو الملة ﴿**الْقَيِّمَةِ**﴾ المستقيمة.

﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ**﴾ [البينة: 6 - 7] الخليقة همز «البرية» نافع وابن ذكوان، والباقون بلا همز ﴿**جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ**﴾ [البينة: 8] إقامة ﴿**تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ**﴾ بطاعته ﴿**وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ**﴾ خاف عقابه فانتهى عن معصيته.

سورة الزلزلة

مدنية ثمان أو تسع آيات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ **إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾** ﴾ [الزلزلة: ١ - ٨].

﴿**إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ**﴾ [الزلزلة: 1] حركت لقيام الساعة ﴿**زِلْزَالَهَا**﴾ تحريكها الشديد ﴿**وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا**﴾ [الزلزلة: 2] موتاها وكنوزها فألقتها على ظهرها ﴿**وَقَالَ الْإِنْسَانُ**﴾ [الزلزلة: 3] الكافر بالبعث أو كل أحد ﴿**مَا لَهَا**﴾ إنكارًا لتلك الحالة.

﴿**يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا**﴾ [الزلزلة: 4] تخبر بما عمل عليها من خير أو غيره ﴿**بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا**﴾ [الزلزلة: 5] بسبب إلهام الله تعالى، وفي الحديث: «**إن الأرض**

تشهد على كل أحد بما عمل»[1].

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ﴾ [الزلزلة: 6] ينصرفون من موقف الحساب ﴿أَشْتَاتًا﴾ متفرقين، فأخذ ذات اليمين إلى الجنة، وأخذ ذات الشمال إلى النار ﴿لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ جزاءها ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ﴾ [الزلزلة: 7] زنة ﴿ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾[2] يرى ثوابه ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: 8] يرى جزاءه، والذرة: النملة الصغيرة.

سورة العاديات

مكية أحد عشرة آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا (١) فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا (٢) فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا (٣) فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا (٤) فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا (٥) إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ (٦) وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ (٧) وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (٨) ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ (٩) وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ (١٠) إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ (١١) ﴾ [العاديات: ١ - ١١].

﴿وَالْعَادِيَاتِ﴾ [العاديات: 1] الخيل ﴿ضَبْحًا﴾[3] أي: تضح ضجًّا، والضح:

---

(1) ذكره أبو السعود في «تفسيره» (9/188).

(2) قال ابن عجيبة: متفرقين، جمع شَتّ، نزلت في بني ليث بن عمرو، كانوا يتحرّجون أن يأكل الرجل وحده، فربما قعد منتظراً نهاره إلى الليل، فإذا لم يجد من يؤاكله من الضيفان أكَل أكْل ضرورة. وقيل: في قوم من الأنصار كانوا إذا نزل بهم ضيف لا يأكلون إلا مع ضيفهم، فرخص لهم أن يأكلوا كيف شاؤوا. وقيل: في قوم تحرجوا من الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في الأكل، وزيادة بعضهم على بعض، فخيّرهم. وقيل: كان الغنى منهم إذا دخل على الفقير من ذوي قرابته وصداقته، ودعاه إلى الطعام، فيقول: إني أتحرج أن آكل معك، وأنا غني وأنت فقير، فأباح لهم ذلك.

(3) قال البقلي: أقسمَ الحقُّ سبحانه بأفراس قلوب المحبّين إذا صُحبت بأصوات الوصلة من تراكم مواجيد المشاهدة في ميادين الوحدة، حين عاينت مشاهدة السرمدية، وهي الموريات أنوار

=

صوت أجوافها إذا عدَّت ﴿فَالْمُورِيَاتِ﴾ [العاديات: 2] الخيل توري النار ﴿قَدْحًا﴾ بحوافرها إذا سارت بأرض ذات حجارة ليلاً ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ [العاديات: 3] الخيل تغير وقت الصبح على العدو بإغارة ذويها.

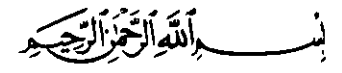
﴿فَأَثَرْنَ﴾ [العاديات: 4] هجن ﴿بِهِ﴾ أي: الوادي بذلك الوقت وهو الصبح ﴿نَقْعًا﴾ غبارًا ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ﴾ [العاديات: 5] أي: بالنقع ﴿جَمْعًا﴾ جمع من العدو؛ أي: صرن وسطه.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾ [العاديات: 6] الكافر ﴿لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ كفور بجحود نعمه تعالى وتقدس سبحانه ﴿وَإِنَّهُ﴾ [العاديات: 7] أي: الإنسان ﴿عَلَى ذَلِكَ﴾ أي: كنوده ﴿لَشَهِيدٌ﴾ يشهد على نفسه بعمله ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ﴾ [العاديات: 8] المال هنا ﴿لَشَدِيدٌ﴾ فيبخل به بعد تعبه في جمعه.

﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ﴾ [العاديات: 9] أُثير أو أُخرج ﴿مَا فِي الْقُبُورِ﴾ من الموتى؛ أي: بعثوا ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ [العاديات: 10] أي: بيّن وأفرز عمَّا في القلوب من كتمان وغيره ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾ [العاديات: 11] لعالم، فيجازي الكافر على كفره.

سورة القارعة

مكية ثمان آيات.



﴿ ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ

=

المعارف من قداح الكواشف، ثم أقسم لواردات كُشوف صفاته حين أغارت أرواح العاشقين عند طلوع صباح مشاهدته.

ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾ [القارعة: ١ - ١١].

﴿الْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: 1] القيامة تقرع القلوب بأهوالها ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: 2] تهويل لشأنها ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ [القارعة: 3] أعلمك ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾ مبالغة في التهويل.

﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ﴾ [القارعة: 4] الطير الذي يتساقط في النار ﴿الْمَبْثُوثِ﴾ المتفرق ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ [القارعة: 5] الصوف ﴿الْمَنْفُوشِ﴾ المندوف في حقه سيرها حتى يستوي مع الأرض.

﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾(1) [القارعة: 6] برجحان حسناته على سيئاته ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ [القارعة: 7] في الجنة بأن يرضاها ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ [القارعة: 8] برجحان سيئاته ﴿فَأُمُّهُ﴾ [القارعة: 9] مسكنه ﴿هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ﴾ [القارعة: 9 - 10] أي: ما هاوية ﴿نَارٌ﴾ [القارعة: 11] أي: هي نار ﴿حَامِيَةٌ﴾ شديدة الحر.

---

(1) اعلم أن ثقلة الموازين عبارة عن: وجود الأعمال الرزينة لها التي لها وزن عند الله، وقد دلَّ عليه العيشة الراضية؛ لأن عيشة الرجل في الجنات؛ إنما هي بأعماله؛ لأن درجاتها ونعيمها مقسومة بقدرها؛ فهو إنما يدخل بثقل الموازين جنة الأعمال، وخفة الموازين عبارة عن: عدم الأعمال المقبولة دلَّ عليه قوله: فأمه هاوية؛ لأن الله لا يقيم لمَن خفت موازينه يوم القيامة وزنًا ومقدارًا؛ فيهوى في النار التي هي أصله؛ لأن كل ظلمة، وظلماني؛ إنما هو من النار، كما أن كل نور، ونوراني؛ إنما هو من الجنة، وفيه إشارة إلى أن الأعمال تتجسَّد يوم القيامة؛ فيكون لها ثقل وخفة، كما ذهب إليه أهل الشرع؛ لأن الأعراض لا تُوصف بذلك، وكان الظاهر أن تكون ثقلة الموازين بسيئات الأعمال؛ لتهبط بصاحبها إلى النار التي في الأرض السافلة، وأن يكون خفتها بصالحات الأعمال؛ لتصعد بصاحبها إلى الجنة التي في السماء العالية؛ لكن أُعتبرت الثقلة بالصالحات، والخفة بالطالحات؛ لأن الجسم هو الذي يتَّصف بالثقل، والخفة، فوجود الصالحات مما يقتضي جسامتها، ووزنها، وقدرها.

سورة التكاثر

مكية، وقيل: مدنية، وهو المختار ثمان آيات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢) كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤) كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٧) ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (٨)﴾ [التكاثر: ١ - ٨].

﴿أَلْهَاكُمُ﴾ [التكاثر: 1] شغلكم عن الطاعة ﴿التَّكَاثُرُ﴾ التفاخر بالأموال والأولاد والرجال ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: 2] أي: متم فدفنتم، أو ذكرتم الموتى تكاثرًا وتفاخرًا ﴿كَلَّا﴾ [التكاثر: 3] ردع ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: 3 - 4] سوء عاقبة التكاثر عند الموت، ثم في القبور.

﴿كَلَّا﴾ [التكاثر: 5] بمعنى: حقًّا ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: لو علمتم ﴿عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ علمًا يقينًا عاقبة التفاخر لتركتموه ﴿لَتَرَوُنَّ﴾ [التكاثر: 6] أصله، والله لترون ﴿الْجَحِيمَ﴾ وهي النار، قرأ ابن عامر والكسائي «لتُرون» بضم التاء، والباقون بالفتح.

﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا﴾ [التكاثر: 7] تأكيد ﴿عَيْنَ الْيَقِينِ[1] * ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ﴾ [التكاثر: 7 - 8] يوم ترونها ﴿عَنِ النَّعِيمِ﴾ وهو كل ملتذ به في الدنيا من صحة، وفراغ، وأمن، ومطعم، ومشرب، ومنكح، وغيرها، والمؤمنون يسألون سؤال تكريم، وغيرهم سؤال

---

(1) قال الورتجبي: و«حقيقة اليقين» و«حق اليقين»: أن يعرف العبد أنه يرى جحيم قهر القدم الذي كان الحق موصوفًا في الأزل، ولم يصل إلى بطنان كنهه؛ لأنه الحدث والحق قديمٌ، وأنَّى يصل الحدث إلى القدم أبدًا؟ قال الخراز: «عين اليقين»: هو أن يرفع الحجب عن قلوبهم بتجلٍّ لأرواحهم وأسرارهم، ويكشف عن أوهامهم حتى يروه عين اليقين، فيرجعوا عنه سكارى، وينتهوا عنه حيارى. قال بعضهم: «عين اليقين»: عين البقاء.

توبيخ.

سورة العصر

مكية ثلاث آيات.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ [العصر: ١ - ٣].

﴿وَالْعَصْرِ﴾ [العصر: 1] الدهر، أو ما بعد الزوال، أو صلاة العصر ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾ [العصر: 2] الجنس ﴿لَفِي خُسْرٍ﴾ في تجارته ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [العصر: 3] فليسوا في خسر ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ وصى بعضهم بعضًا بالإيمان ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ على الطاعات وعن المعاصي.

سورة الهمزة

مكية تسع آيات.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ۝٨ فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ۝٩﴾ [الهمزة: ١ - ٩].

﴿وَيْلٌ﴾ [الهمزة: 1] كلمة عذاب، أو واد في جهنم ﴿لِكُلِّ هُمَزَةٍ﴾ كثير الطعن في الناس، ويكون باليد، والعين، والإشارة ﴿لُمَزَةٍ﴾ أكل لحومهم باغتيابه لهم، أو كثير الهمز، أو اللمز، وهو العيب كأمية بن خلف، والأخنس بن شريق، والوليد بن المغيرة، وجميل بن عامر الجمحي، وغيرهم؛ إذ كانوا يعيبون النبي ﷺ والمؤمنين.

﴿الَّذِي جَمَعَ﴾ [الهمزة: 2] قرأه أبو جعفر وابن عامر وحمزة والكسائي وخلف وروح بالتشديد، والباقون بالتخفيف ﴿مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ أحصاه، أو جعله عدة للنوائب ﴿يَحْسَبُ﴾ [الهمزة: 3] بجهله ﴿أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ جعله خالدًا لا يموت.

﴿كَلَّا﴾ [الهمزة: 4] ردع ﴿لَيُنْبَذَنَّ﴾ ليطرحن ﴿فِي الْحُطَمَةِ﴾ النار التي تحطم كلما ألقي فيها ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ [الهمزة: 5] أعلمك ﴿مَا الْحُطَمَةُ﴾ تهويل لشأنها ﴿نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ﴾ [الهمزة: 6] المسعرة ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ﴾ [الهمزة: 7] تشرف ﴿عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ القلوب ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ﴾ [الهمزة: 8] مطبقة ﴿فِي عَمَدٍ﴾ بضم العين والميم لحمزة والكسائي وخلف وأبي بكر، والباقون بفتحهما، وكلاهما جمع عمود ﴿مُمَدَّدَةٍ﴾ [الهمزة: 9] صفة للعمد، فتكون النار داخل العمد التي يعذبون بها، فكان العمد على نارًا، ثم يدخلون فيها وتطبق عليهم.

سورة الفيل

مكية خمس آيات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ۝٥﴾ [الفيل: ١ - ٥].

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ [الفيل: 1] معناه: أعجب ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ اسم الفيل محمود، وصاحبه أبرهة ملك اليمن وحبشة، وسبب مجيئه به أنه بنى بصنعاء

اليمن كعبة لينصرف إليها الحاج عن بيت الله تعالى بمكة، فذهب إليها وجاء رجل من كنانة مختفيًا حتى دخل إليها وأحدث فيها ولطخ قبلتها بالعذرة احتقارًا بها، فأتى أبرهة على نفسه ليهد من الكعبة، فجاء مكة بجيش معه أفيال يقدمها محمود، فلمَّا وجّه قبل مكة لم يتوجه وصار إذا وجه إلى غيرها توجه.

ولمَّا صمموا على الهدم متوجهين له أرسل الله تعالى عليهم ما ذكره في قوله: ﴿**أَلَمْ يَجْعَلْ**﴾ [الفيل: 2] أي: جعل ﴿**كَيْدَهُمْ**﴾ في هدم الكعبة ﴿**فِي تَضْلِيلٍ**﴾ خسران وضياع ﴿**وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ**﴾[1] [الفيل: 3] جماعات، قيل: لا واحد له، وقيل: بل له واحد، وذكر في الأصل ﴿**تَرْمِيهِمْ**﴾ [الفيل: 4] الطير ﴿**بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ**﴾ طين مطبوخ ﴿**فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ**﴾ [الفيل: 5] ورق زرع ﴿**مَأْكُولٍ**﴾ أكلته الدواب وداسته وأفنته؛ أي: أهلكهم الله تعالى كل واحد بحجره المكتوب عليه اسمه واسم أبيه، وكان الحجر أكبر من العدسة يخرق البيضة، والرجل، والفيل، وينزل إلى الأرض، وكان عام مولده ﷺ معجزة له عند الجمهور.

سورة قريش

مكية أو مدنية، أربع أو خمس آيات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿**لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝١ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝٤**﴾ [قريش: ١ - ٤].

(1) قال عكرمة: قال: طير نشأت من قبل البحر، لها رءوس كرءوس الأفاعي. وقيل: كرءوس السباع، لم تر قبل يومئذ ولا بعده، فجعلت ترميهم بالحجارة لتجدر جلودهم، وكان أول يوم رئي فيه الجدري. تفسير التستري (356/2).

﴿لِإِيلَافِ﴾[1] [قريش: 1] قرأه ابن عامر بغير ياء بعد الهمزة على وزن كتاب، وأبو جعفر بياء ساكنة بلا همز، والباقون بهمز مكسورة بعد ياء ساكنة ﴿قُرَيْشٍ﴾ أي: أعجبوا لذلك، وقريش سبّوا النضر بن كنانة ﴿إِيلَافِهِمْ﴾ [قريش: 2] قرأ أبو جعفر «إلافهم» بهمزة مكسورة بلا ياء، والباقون بهمزة وياء ساكنة كما سبق ﴿رِحْلَةَ الشِّتَاءِ﴾ لليمن ورحلة ﴿وَالصَّيْفِ﴾ للشام كانوا يألفون الرحلة كل عام للمحلين بسبب التجارة فيهما؛ ليستعينوا بذلك على الإقامة بمكة لخدمة البيت الشريف الذي هو فخرهم.

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾ [قريش: 3 - 4] أي: من أجله ﴿وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ أي: من أجله، وكان يصيبهم الجوع لعدم الزرع بمكة وخافوا.

سورة الماعون

مكية أو مدنية، أو نصفها مكي، ونصفها مدني، ست أو سبع آيات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾ [الماعون: ١ - ٧].

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾؟ [الماعون: 1] الجزاء والحساب؛ أي: هل عرفته؟

(1) قال القشيري: مصدر آلَفَ، إذا جَعَلْتَهُ يَأْلَف، وهو أَلِفَ إِلْفاً، والمعنى: جعلهم كعصفٍ مأكولٍ لإيلافِ قريْش، أي لِيَأْلَفوا رحلتهم في الشتاء والصيف، وكانت لهم رحلتان للامتيار: رحلةٌ إلى الشام في القيظ، ورحلة إلى اليمن في الشتاءِ والمعنى: أنعم الله عليهم بإهلاكِ عدوِّهم ليؤلِّفَهم رحلتيهم، تفسير القشيري (8 / 106).

﴿فَذَلِكَ﴾ [الماعون: 2] أي: إن تأملته أو طلبت علمه فهو ذلك ﴿الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ أي: يدفعه بعنف عن حقه ﴿وَلَا يَحُضُّ﴾ [الماعون: 3] نفسه ولا أحدًا ﴿عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ أي: إطعامه نزلت في العاص بن وائل، أو الوليد بن المغيرة.

﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: 4 - 5] غافلون، فيؤخرونها عن وقتها تغافلاً وتكاسلاً مع العلم وهم المنافقون.

﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ [الماعون: 6] في أعمالهم كالصلاة، فإن حضر المؤمن فعلوها وإلا تركوها ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون: 7] ما احتيج إليه كإبرة وفأس وقدر وقصعة، وقيل: الزكاة، وقيل: المعروف.

سورة الكوثر

مكية أو مدنية، ثلاث آيات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر: ١ - ٣].

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ﴾ [الكوثر: 1] يا محمد ﷺ ﴿الْكَوْثَرَ﴾ نهر في الجنة، وهو حوضه الذي ترد عليه أمته، أو هو الخير الكثير من كل ما أوتيه كالقرآن، والشفاعة، والنبوة، والرسالة، والفضل على سائر العالمين، ونحو ذلك ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ [الكوثر: 2] مطلق الصلاة، أو صلاة عيد الأضحى ﴿وَانْحَرْ﴾(1) اسلك، أو اجعل يدك تحت صدرك في

(1) قال ابن العربي: أي: إذا صليت الخمس فاجعل يدك على نحرك، وقيل: إذا صليت العيد فانحر الضحايا. قال مالك: ما سمعت في ذلك شيئًا، والذي وقع في نفسي أن المراد بذلك صلاة الصبح يوم النحر. قال علي بن أبي طالب: المراد بذلك، ضع يدك اليمنى على ساعدك اليسرى، وقوله: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ﴾. هو الخير الكثير، وقيل: هو نهر في الجنة، ترابه مسك، وعدد آنيته كنجوم في السماء. أما أن يوازي هذا في صلاة النحر وذبح كبش أو بقرة أو بدنة، فذلك =

الصلاة ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ [الكوثر: 3] مبغضك ﴿هُوَ الأَبْتَرُ﴾ المنقطع عن كل خير الذي لا عقب له، نزلت في العاص بن وائل سمّى النبي ﷺ أبتر وقال: غدًا يموت كابنه القاسم ويستراح منه.

سورة الكافرون

مكية ست آيات، نزلت لمَّا قال قوم من الكفار للنبي ﷺ: تعبد آلهتنا سنة، ونعبد آلهتك سنة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾ [الكافرون: ١ - ٦].

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: 1 - 2] في هذا الوقت ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ من الأصنام ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ﴾ [الكافرون: 3] فيه ﴿مَا أَعْبُدُ﴾ وهو الله تعالى

=

بعيد في التقدير والتدبير وموازنة الثواب للعباد، والله أعلم، والأصل في الهدي قصة إبراهيم في ذبح ولده إسماعيل، وقد اختلف في الضحايا، فقال أبو حنيفة، وابن حبيب: إنها واجبة لقوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾. والأمر على الوجوب، وقال ابن المواز: هي سنة مؤكدة، والمشهور أنها مستحبة، وفي الحديث: ضحى رسول الله ﷺ والمسلمون كما قال وأوتر رسول الله ﷺ فأوتر المسلمون، وفي أبي داود «أن رسول الله ﷺ قال: أمرت بيوم الأضحى عيد جعله الله لهذه الأمة».

وروي أن أبا بكر وعمر كانا لا يضحيان عن أهلهما، خشية أن يستن بهما. تنبيه: من عجيب الأمر أن الشافعي قال: من ضحى قبل الصلاة أجزأه، وهذا ضعيف؛ لأن الله تعالى قال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾. فبدأ بالصلاة قبل النحر، وروى البخاري أن النبي ﷺ قال: «أول ما نبدأ به في يومنا هذا، أن نصلي، ثم نرجع فننحر فمن فعل ذلك فقد أصاب نسكنا، ومن ذبح قبل، فإنما هو لحم قدمه لأهله ليس من النسك في شيء». [الأحكام الصغرى ص637].

وتقدس وحده ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ﴾ [الكافرون: 4] في المستقبل ﴿مَا عَبَدْتُمْ * وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ﴾ [الكافرون: 4 - 5] فيه ﴿مَا أَعْبُدُ﴾ وذلك لعلم الله منهم أنهم لا يؤمنون ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ [الكافرون: 6] الشرك لا يتعداكم إليّ ﴿وَلِيَ دِينِ﴾ الإسلام لا يتعداني إليكم، وهذا من المسالمة التي كانت قبل الأمر بالقتال.

سورة النصر

ويقال: سورة الفتح، مدنية ثلاث آيات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾ [النصر: ١ - ٣].

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ﴾[1] [النصر: 1] لنبيه محمد ﷺ على أعدائه ﴿وَالْفَتْحُ﴾ فتح مكة، وكان في رمضان في السنة الثامنة من الهجرة النبوية ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا﴾ [النصر: 2] جماعات بعدما كان يدخل فيه الواحد بعد الواحد وذلك بعد فتح مكة؛ إذ جاءه العرب من أقطار الأرض طائعين ﴿فَسَبِّحْ﴾ [النصر: 3] صل ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ متلبسًا بحمده ﴿وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ وكان ﷺ بعد نزول هذه

---

(1) قال البقلي: نصرُ الله لحبيبه ﷺ وجميع أحبائه إفرادهم بفردانيته عما دونه، وأنجاهم عن جنس النفوس، وإبلاغهم مقام الأنس نظفرهم على كل بغيَة لهم، وأداء ما عليهم من حقوق العبودية، و«الفتح»: انفتاح أبواب الوصال، وانكشاف أنوار الجمال والجلال، وبلوغهم عين الكمال، وأيضًا «نصرُ الله»: كشف غطاء النفس، و«الفتح»: وقوع نور القدس في القلب إذا ذهب قتام الحدثان، فجاء النصر، وإذا انكشف جمال الرحمن قام الفتح، وذلك بشارة الله لحبيبه ﷺ بوصوله إليه، وتخلُّصه من أعباء النبوَّة، ومشقة الرسالة، ورؤية الأغيار، فأمره بتقديسه لنفسه، والاستغفار منه لأمته.

السورة يكثر من قول: سبحان الله وبحمده، استغفر الله وأتوب إليه، وعاش النبي ﷺ بعد الفتح سنة ونصف، وبعد نزول هذه السورة سنتين.

سورة المسد

مكية، خمس آيات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾ [المسد: ١ - ٥].

﴿تَبَّتْ﴾[1] [المسد: 1] خسرت ﴿يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ أي: جملته، عبَّر عنها باليد؛ لأن أكثر الأفعال تحاول بهما، وسبب نزولها أنه ﷺ لمَّا نزل عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: 214] دعاهم وقال: «**رأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقين؟**» قالوا: ما جربنا عليك كذبًا، قال: «**فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال: تبًا لك إنما جمعتنا لهذا**»[2]، وقرأ ابن كثير بإسكان الهاء، والباقون بفتحها، وكُني بذلك: لتلهب وجهه وحمرته ﴿وَتَبَّ﴾ **والجملة الأولى:** للدعاء، **والثانية:** للخبر، كقولك: أهلك الله فلانًا وقد هلك ﴿مَا أَغْنَى﴾ [المسد: 2] دفع ﴿عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ عذاب الله تعالى؛ أي: لا يدفع ذلك عنه شيئًا مما ذكر.

﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ [المسد: 3] تلهب وتوقد، فكان كنيته التب به لذلك

---

(1) قال البقلي: وبَّخ الله من لا تصل يدُ همَّته إلى وثقى عروة نبوّته والإيمان برسالته والمعرفة بكمال شرفه خسرت في الأزل يده؛ إذ قطعها الحق عن مصافحة حبيبه صلاة الله وسلامه عليه، والأخذ بعروة متابعته، ذلك الخسران من خذلان الحق إيَّاه، فإذا كان محجوبًا عن طريق الرشد لا ينفعه أعماله ولا أمواله.

(2) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (10/378).

﴿وَامْـرَأَتُهُ﴾ [المـسد: 4] أم جمـيل ﴿حَمَّالَـةَ﴾ بالنـصب لعاصـم، والـباقون بالـرفع ﴿الْحَطَبِ﴾ شوك السعدان كانت تحمله وتلقيه في طريقه ﷺ ﴿فِي جِيدِهَا﴾ [المسد: 5] عنقها ﴿حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ ليف.

سورة الإخلاص

مكية، وقيل: مدنية، أربع أو خمس آيات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤ ﴾ [الإخلاص: ١ - ٤].

سُئِل ﷺ عن ربه فنزل: ﴿قُلْ﴾ [الإخلاص: 1] يا محمد ﷺ: ﴿هُوَ الله أَحَدٌ * الله الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: 12] المقصود في الحوائج دوامًا، أو هو الذي لا جوف له، أو السيد، أو الذي لا يأكل ولا يشرب وهو الذي ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: 3] إلى آخره، والباقي أو الدائم أو النور ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 4] أي: لن تجد له مكافئًا أو مماثلاً، عن أُبي بن كعب أن رسول الله ﷺ قال: «**من قرأ ﴿قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ﴾** [الإخلاص: 1] **فكأنما قرأ ثلث القرآن**»[1].

---

(1) رواه أحمد (141/5، رقم 21312)، قال الهيثمي (147/7): رجاله رجال الصحيح، والنسائي في «الكبرى» (174/6، رقم 10521)، والضياء (438/3، رقم 1239).

سورة الفلق

مكية أو مدنية وهو المختار، خمس آيات، نزلت كالتي بعدها بسبب سحر لبيد بن أعصم اليهودي للنبي ﷺ فوجع فكان لا يدري ما وجعه، فبينا رسول الله ﷺ ذات ليلة نائمًا؛ إذ أتاه ملكان فجلس أحدهما عند رأسه، والآخر عند رجليه، فقال الذي عند رأسه للذي عند رجليه ما وجعه؟ قال: مطبوب؛ أي: مسحور، قال: من طبَّه؟ قال: لبيد بن أعصم، قال: بم طبَّه؟ قال: بمشط ومشاطة، وجف طلعة ذكر؛ أي: بذي أروان، وأن بئر في المدينة وهي تحت راعوفة البئر؛ أي: الصخرة التي في أسفلها، فلمَّا أصبح رسول الله ﷺ غدا ومعه أصحابه إلى البئر، فنزل رجل فاستخرج جف الطلعة من تحت الراعوفة، فإذا فيها مشط رسول الله ﷺ ومن مشاطة رأسه، وإذا تمثال من شمع تمثال رسول الله ﷺ، وإذا فيها أبر مغروزة، وإذا وتر فيه إحدى عشرة عقدة فأتاه جبريل عليه السلام بالمعوذتين فقال: ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ**﴾ [الفلق: 1] وحل عقدة، ﴿**مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ**﴾ [الفلق: 2] وحل عقدة حتى فرغ منها وحل العقد كلها، وجعل لا ينزع إبرة إلا وجد لها ألمًا، ثم يجد بعد ذلك راحة حتى انحلت العقد كلها، وقام كأنما نشط من عقال، فقيل: يا رسول الله لو قتلت اليهودي، قال: «**قد عافاك الله وما وراءه من عذاب الله أشد**»[1].

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥** ﴾ [الفلق: ١ - ٥].

﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ**﴾ [الفلق: 1] الصبح ﴿**مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ**﴾ [الفلق: 2] من جماد وحيوان ﴿**وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ**﴾ [الفلق: 3] هو الليل إذا أظلم، أو القمر إذا

(1) لم أقف عليه.

غاب ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ﴾ [الفلق: 4] السواحر التي ينفث؛ أي: ينفخ ﴿فِي الْعُقَدِ﴾ التي تعقد في الخيط بشيء تقوله بلا ريق وهي بنات لبيد المذكور، أو كل من فعل ذلك، وعن روح «النفاثات» بضم النون وتخفيف الفاء، جمع: نفاثة، وهو ما نفثته من فيك، وقرأ أبو الربيع والحسن «النفاثات» بفتح النون وكسر الفاء ورويس و«النافثات»، والباقون «النفاثات» ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: 5] أظهر حسده، أو عمله بمقتضاه.

سورة الناس

مدنية، ست أو سبع آيات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦ ﴾ [الناس: ١ - ٦].

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: 1] خصوا بالذكر لشرفهم ﴿مَلِكِ النَّاسِ * مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ﴾ [الناس: 4: 2] وهو الشيطان، سُمِّي بذلك لملابسته له ﴿الْخَنَّاسِ﴾ وصف بذلك؛ لأنه يخنس عن القلب إذا ذكر الله ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ [الناس: 5] إذا غفلوا عن ذكر الله؛ أي: قلوبهم ﴿مِنَ الْجِنَّةِ﴾ [الناس: 6] أي: من شر الجنَّة، أو المعنى: يوسوس وهو من الجن ﴿وَالنَّاسِ﴾ عن عبد الله بن حبيب أن رسول الله ﷺ قال له: «**اقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1] والمعوذتين حين تصبح وحين تمسي ثلاثًا تكفيك من كل شيء**»[1].

---

(1) رواه ابن سعد (351/4)، وعبد بن حميد (ص 178، رقم 494)، وأبو داود (321/4، رقم 5082)، والترمذي (567/5، رقم 3575)، وقال: حسن صحيح غريب. والضياء (287/9، رقم 249).

خاتمة الكتاب

قال والد مصنف هذا التفسير عند انتهاء نسخة له من خط ولده رضي الله عنهما:

واعلم أن مؤلف هذا التفسير المبارك هو: ولدي الشيخ الإمام العالم العلامة مفتي المسلمين وعالمهم الشيخ تاج العارفين، أبو الحسن محمد البكري الصديقي الشافعي، وكان سن ولدي حين فرغ من تأليف هذا التفسير الكريم المبارك ثمانية وعشرين سنة وشهر، أو ثمانية عشر يوم؛ لأن مولده في ليلة يسفر صاحبها عن حادي عشر جمادى الأولى سنة ثمان وتسعين بتقديم التاء على السين.

وفراغه من تأليفه في ثامن عشرين جمادى الآخرة سنة ست وعشرين وتسعمائة، وكتب ذلك الفقير المسكين المعترف بالذنب والتقصير أقل عبيد الله وأحوجهم إلى رحمته محمد المدعو جلال الدين البكري الصديقي الشافعي خادم طلبة العلم والفقراء بمقام ولي الله القطب الرباني العارف بالله تعالى سيدي عبد القادر الدشطوطي - أعاد الله علينا وعلى المحبين وجميع المسلمين من بركاتهم - ولا بأس بذكر نسب مسطره إلى الإمام الأعظم والخليفة الأكرم سيدنا أبو بكر الصديق ضجيع رسول الله ﷺ وصاحبه في الغار، فمسطره هو:

محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عوض بن عبد الخالق بن عبد المنعم بن يحيى بن الحسن بن موسى بن يحيى بن يعقوب بن نجم بن عيسى بن شعبان بن داود بن محمد بن نوح بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه[1].

غفر الله له ولوالديه والمسلمين آمين

(1) انظر: نهاية الأرب في فنون العرب (58/33).

فهرس بأهم المصادر والمراجع

1- تبصير الرحمن في تفسير القرآن للشيخ المهايمي، ط دار الكتب العلمية - بيروت - بتحقيقنا.

2- تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب.ط. دار الغد العربي بالعباسية - مصر.

3- روح المعاني فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للعلامة الصوفي محمود الألوسي طبع دار الكتب العلمية.

4- تفسير روح البيان للعارف إسماعيل حقي. طبع دار الكتب العلمية.

5- البحر المديد فى تفسير القرآن المجيد للإمام ابن عجيبة.ط. مركز الدكتور حسن عباس زكي للدراسات الإسلامية بالقاهرة.

6- الدر المنثور فى التفسير بالمأثور. طبع دار الكتب العلمية.

7- تفسير ابن كثير للعلامة الحافظ إسماعيل بن كثير. ط. دار الكتب العلمية.

8- التأويلات النجمية لنجم الدين كبري، ويليه عين الحياة للسمناني، ط دار الكتب العلمية.

9- عرائس البيان في حقائق القرآن، لروزبهان البقلي الشيرازي، ط دار الكتب العلمية - بيروت - بتحقيقنا.

10- التأويلات النجمية، لنجم الدين كبري، ط دار الكتب العلمية - بيروت - بتحقيقنا.

11- تفسير القرطبي، ط دار الكتب المصرية.

12- تفسير القشيري، ط دار الكتب العلمية.

13- حقائق القرآن لأبي عبد الرحمن السلمي، ط طهران.

14- نظم الدرر للبقاعي، ط دار الكتب العلمية.

15- تفسير اللباب لابن عادل الحنبلي، ط دار الكتب العلمية.

16- روح البيان في تفسير القرآن لإسماعيل حقي، ط دار الكتب العلمية.

17- مرآة الحقائق لإسماعيل حقي، ط دار الآفاق العربية مصر (بتحقيقنا).

18- تفسير التستري، ط دار الكتب العلمية.

19- فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ بن حجر. ط الدار السلفية. الهند.

20- إحياء علوم الدين ومعه المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار دار الكتب العلمية.

21- الفتوحات المكية (أو - كما تُسمى - الشرح الكامل للشريعة المحمدية الإسلامية) لإمام الأئمة العارف المحقق مولانا محيي الدين بن العربي المعروف بالشيخ الأكبر. ط. دار صادر في أربعة مجلدات.

22- كتاب المواقف الإلهية والفيوضات السبوحية للعارف الكامل سيدي عبد القادر الجزائري ط. دار الكتب العلمية بيروت.

فهرس المحتويات